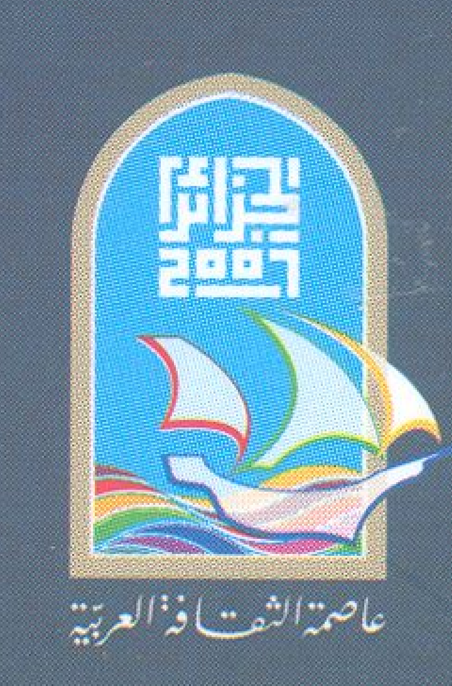
الجزء الخامس

آثار الإمام
عبد الحميد بن باديس

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين



إهـــــــداء٢٠٠٨
وزارة الثقافة
الجمهورية الجزائرية

آثار الإمام

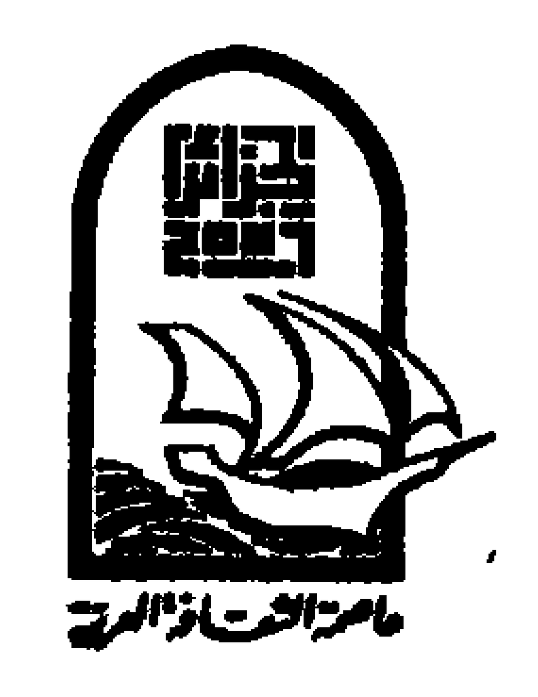
عبد الحميد بن باديس

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الإصلاح - السياسة - الاجتماعيات - التاريخ

البرقيات والاحتجاجات - الفواتح والخواتم

الجزء الخامس



صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة
الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007
يُهدى ويُوضع في المكتبات ولا يباع



الإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

للسيد عبد الرحمن شيبان
الوزير السابق للشؤون الدينية

في سنة 1982 ظهر كتاب « مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير » وهو الجزء الأول من آثار إمام النهضة الجزائرية الأستاذ الرئيس عبد الحميد بن باديس ، وكان ذلك أحسن هدية قدمتها وزارة الشؤون الدينية للشباب الجزائري ، وكل داع إلى الله من الأئمة والمرشدين والمدرسين والمربين ، بمناسبة الذكرى العشرين لاسترجاع السيادة والاستقلال الوطني .

وقد ظهر بعد ذلك ، في السنوات الثلاث الموالية ، الأجزاء الثلاثة الأخرى من آثار الإمام هي :

ـ مجالس التذكير من حديث البشير النذير في سنة 1983 . وفي سنة 1984 برز الجزء الثالث وهو يشتمل على رجال السلف ونسائه ، وتراجم لمجموعة من أعلام الإسلام ، وقصص ديني ، وفتاوى ، ومسائل فقهية . وفي سنة 1985 ظهر الجزء الرابع وهو يحتوي على فصول في التربية والتعليم ، وخطب ورحلات .

* * *

وها هي الوزارة ، بعد خمس سنوات من الانتظار القاهر ، تستأنف نشر آثار الامام باصدار الجزء الخامس ، وهو يشتمل على

فصول في الإصلاح الديني والاجتماعي ، ومقاومة البدع والضلالات ، وفي السياسة ، والوطنية ، والاجتماع ، والتاريخ ، وتقارير وبرقيات واحتجاجات .

وهذا الجزء الخامس ـ كالأجزاء السابقة ـ يعتبر صفحات من الجهاد المرير من أجل أن يستجمع المواطن الجزائري المادة التي يعي بها ذاته ، والعدة التي يفك بها أغلاله ، ويبعث بها أمجاده ، ويسترد بها استقلاله ، ليحقق بعد ذلك ما يصبو إليه من رقي وازدهار تحت راية الإسلام والعروبة ، وفي كنف الحرية والكرامة ، والعدل الاجتماعي ، والوحدة الوطنية ، والإخاء الإنساني العام .

يبرز هذا الجزء الخامس من آثار الإمام في ظرف يموج فيه المجتمع الجزائري بأفكار واتجاهات ، بعضها متقارب ومتشابه ، والكثير منها يتناقض ويتعاكس ، وبعضها مستتر ، وبعضها ظاهر، لكن جميعها وجد في الإصلاحات الجديدة المناخ الصالح لمحاولة الهيمنة على الساحة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ، بشتى البرامج والوسائل ، ومختلف الأساليب والحبائل ؛ فما أحوجنا إلى نور يبدد الظلمات ، وقدوة تجمع القلوب والعزائم على تحقيق ما تسعى إليه البلاد من أنبل الغايات ، بروح تبني ولا تهدم ، وتيسر ولا تعسر ، وتؤلف ولا تتلف .. وليس من سبيل إلى كل هذا إلا السبيل التي سلكها العلماء العاملون الراشدون المرشدون كما رسم ذلك الإمام ابن باديس إذ يقول عن السر في بلوغ جمعية العلماء ، إلى شيء من غايتها في أمد قصير من جهادها :

« إذا كانت الجمعية بلغت ـ بتوفيق الله ـ إلى شيء من غايتها فذلك لأنها أتت هداية الأمة من بابها ، فخاطبتها بلسانها ، وقادتها بدينها الذي هو زمام روحها ، والجزء الأعظم الذي تتكون منه وتحيا به شخصيتها ؛ فعالجتها بالكتاب والسنة ، وهدي صالح الأمة ، حيث يتوجه كل مسلم منشرح الصدر ، مطمئن النفس ، وحيث تنطوي

كل المذاهب والفرق ، فيقل الخلاف ، أو يخف ، أو ينعدم ، فلو كان في الجزائر جميع مذاهب الإسلام لوسعتهم هذه الجمعية بعلاجها الناجع النافع ـ بإذن الله ـ للجميع » (1) .

ويعلن الأستاذ في دعوة وبيان وجههما إلى عموم الشعب الجزائري تحدي جمعية العلماء للاستعمار وصمودها أمام ما تلاقيه من حربه ومناوراته ، في الجزائر وفرنسا ، لا لشيء سوى أنها روح الأمة الجزائرية ، والسد الحصين الذي يحميها من الذوبان والاضمحلال فيقول :

« إن أعداء الأمة الذين تمثلهم الجرائد الاستعمارية الكبرى هنا وهناك ، ويصدع بأمرهم كراسي متنوعة ، ما فتئوا يوالون ضرباتهم ويعيدون هجماتهم على الجمعية ، لأنهم يرون فيها حياة الأمة ، ويشاهدون فيها السد الحصين دون ما يرغبون من ذوبان الأمة وانحلالها ، لإفنائها وابتلائها ، وتنقصها من أطرافها ؛ فكل ما تجتازه الأمة اليوم ، وما تعانيه وما تلاقيه ، هو ما تجتازه الجمعية وما تعانيه وما تلاقيه على أبلغه وأشده ؛ لأن الجمعية هي الأمة ، والأمة هي الجمعية !

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، كالمسلمين الجزائريين ، جبلت على النضال والمقاومة ، والصبر والمصابرة ، وقد صبرت لغشم الحكومة وأذنابها ، وكيد الاستعمار وجرائده ، ولن تزال ، ثم لن تزال » (2) .

إن عظمة الشعوب تبدو في تقديرها لعظمائها وأبطالها في مختلف المجالات : العلمية والسياسية والعسكرية ، لأنهم المعالم التي تهتدي بها في مسيرتها نحو الغد الأفضل بثقة واعتزاز وأمان

---

(1) من خطاب رئيس جمعية العلماء في الاجتماع بنادي الترقي بالعاصمة في 11 رجب 1355 و 27 سبتمبر 1936 م . أنظر الجزء الرابع من آثار الامام ص 198

(2) البصائر : العدد 27 ـ 12 جمادى الثانية 1356 و 20 أوت 1937 .

من العثرات والانحرافات ، ودون أن تحس بأية عقدة ضعف أمام التطاولات والمزايدات ، التـي يبديها الأقربون والأبعدون عـلى السواء : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ » (3).

روى ابن عبد البر ، عـن أبي الحسن المدائني ، قال : خطب زياد ذات يوم على منبر الكوفة. فقال : « أيها الناس، إني بت ليلتي هذه مهتما بخلال ثلاث رأيت أن أتقدم إليكم فيهن بالنصيحة .. رأيت إعظام ذوي الشرف ، وإجـلال ذوي العلـم ، وتوقـير ذوي الأسنان ؛ والله لا أوتى برجل رَدَّ على ذي علـم ليضع بذلك منه إلا عاقبته ، ولا أوتى برجل رَدَّ على ذي شرف ليضع بذلك منه شرفه إلا عاقبته . ولا أوتى برجل رَدَّ على ذي شيبة ليضعه بذلك إلا عاقبته ؛ إنما الناس بأعلامهم وعلمائهم وذوي أسنانهم » (4) .

☆ ☆ ☆

والجزائر ، كما يشهد التاريخ ، غنية بالعظماء في جميع الميادين وفي الميدان العلمي بصفة خاصة . فـإن بلادنا قد أوتيت ، عبـر العصور ، قمما شامخة تباهي بها وتفاخر ، وفي عهد الكفاح الفكري ضد الاستعمار الغاشم عرفت الجزائر نجوما زاهرة أضاءت الدرب للعاملين من أجل خروج الجزائر من ظلمات الاحتلال إلى نور الحرية والكرامة ، وفي طليعتهم إمامنا ابن باديس وإخوانه العلماء : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً » (5) .

☆ ☆ ☆

---

(3) الطور : 21 .

(4) جامع بيان العلم وفضله ، ج 1 ، ص : 53

(5) الاحـزاب : 23 .

إننا لا نستطيع ، في تقديمنا لهذا الجزء ، أن نستعرض جوانب كثيرة من عبقرية الإمام ابن باديس ، ولكننا نقتصر على إثارة نماذج معبرة عن الخطة العامة التي رسمها لرسالة جمعية العلماء في الجزائر ، والمنهاج المعد لأدائها في الميدان السياسي بصفة خاصة :

إن الرسالة هي رسالة ورثة الأنبياء ، أي إخراج المجتمع الجزائري العربي المسلم من ظلمات الجهالة والتخلف والاحتلال ، إلى نور العلم والحرية والتقدم ، وهذا ما يفهمه كل من درس حياته وجهاده ، وما نشر من خطبه ودروسه ومحاضراته ومقالاته !!

أما المنهاج فهو المنهاج الذي يتوخاه المربون المستلهمون في خطواتهم وتصرفاتهم، السنة التي فطر الله الناس عليها في تحديد الهدف المراد بلوغه بعزيمة وإيمان ونكران الذات ؛ ثم الحكمة والمرونة والتدرج ، واستعمال اللباقة وأنجع الأساليب الواجب اتخاذها ، والمراحل اللازم اجتيازها .

وان أكمل ما يلخص هذه المعاني كلها كلمة بسيطة جعلها عنوانا لافتتاحية العدد الأول من مجلته « الشهاب » بعد أن تحولت من جريدة أسبوعية إلى مجلة شهرية ، فيقول : « تستطيع الظروف تكييفنا ، ولا تستطيع بإذن الله إتلافنا » !!!

معنى هذا الكلام هو العمل على النهوض بالذات حتى لا تذوب في الكيان الاستعماري الدخيل ، ولا ضير بعد ذلك أن تتكيف هذه الذات مع التقلبات التي تقتضيها المسيرة وسط الزوابع والأعاصير والعراقيل من جهات كثيرة وبأدوات شتى ، فاستمع إليه كيف يقرر بهدوء وثقة حقيقة الشعب الجزائري في نظر الواقع والتاريخ ، لا بحسب مزاعم الاستعمار ، وأذناب الاستعمار ، وضحايا التربية الاستعمارية :

« الأمة الجزائرية أمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا ، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ، ولها وحدتها الدينية واللغوية ، ولها ثقافتها الخاصة ، وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبيح ، شأن كل أمم الدنيا .؛ ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت ؛ بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها ، وفي أخلاقها وفي عنصرها ، وفي دينها ، لا تريد أن تندمج ، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة والذي يشرف على إدارته العليا الوالي العام المعين من قبل الدولة الفرنسية » (6) .

ولكن هذه الحقيقة الواضحة الهادئة لن تحظى بالوجود القانوني السياسي العملي إلا بالجهاد والتضحية والفداء ، فيقول الإمام عبد الحميد محرضا شعبه على العمل الجدي من أجل التحرر والانفتاق ، معتمدا في ذلك على تفسير قوله تعالى : « وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » (7) تفسيرا لم يسبقه إليه أي مفسر في المشرق أو في المغرب ، يقول رحمه الله : « مجيء الحق هو بظهور أدلته وقيام دولته ، وزهوق الباطل هو ببطلان شبهه وذهاب دولته ، فأما القسم الأول فإن الأمر فيه ما زال ، ولن يزال كذلك ؛ ولن تزداد على الأيام أدلة الحق إلا اتضاحا ، ولن تزداد شبه الباطل إلا افتضاحا؛ وأما القسم الثاني فإنه مرتبط بأحوال أهل الحق وما يكون عليه من تمسك به، وقيام فيه، أو إهماله، وقعود عنه ؛ فيدال لهم ويدال عليهم بحسب ذلك ..؛ فعلى أهل الحق أن يكون الحق راسخا في قلوبهم عقائد ، وجاريا على ألسنتهم كلمات ، وظاهرا على جوارحهم أعمالا ، يؤيدون الحق حيثما كان وممن كان ، ويخذلون

(6) الشهاب . ج 9 ، م 13 ، رمضان 1356 ـ نوفمبر 1937 .
(7) الاسراء : 81 .

الباطل حيثما كان وممن كان ، يقولون كلمة الحق على القريب والبعيد ، وعلى الموافق والمخالف ، ويحكمون بالحق كذلك على الجميع ، ويبذلون نفوسهم وأموالهم في سبيل نشره بين الناس وهدايتهم إليه بدعوة الحق ، وحكمة الحق ، وأسبابه ووسائله ؛ على ذلك يعيشون ، وعليه يموتون ؛ فلنجعل هذا السلوك سلوكنا ، وليكن من همنا ؛ فما وفينا منه حمدنا الله تعالى عليه ، وما قصرنا فيه تبنا واستغفرنا ربنا ؛ فمن صدقت عزيمته ووطن على العمل نفسه ــ أُعِينَ ويُسِّر للخير ، وَرَبُّكَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » (8) .

✡ ✡ ✡

ويقول عن الحرية إنها عين الحياة لا يتم الوجود الإنساني إلا بها : « حق كل إنسان في الحرية كحقه في الحياة ، ومقدار ما عنده من حياة هو مقدار ما عنده من حرية ، المتعدى عليه في شيء من حريته المتعدى عليه في شيء من حياته ؛ وكما جعل اللـه للحياة أسبابها وآفاتها جعل للحرية أسبابها وآفاتها ، ومن سنة اللـه الماضية أنه لا ينعم بواحدة منهما إلا من تمسك بما لها من أسباب، وتجنب وقاوم ما لها من آفات ؛ وما أرسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام وما أنزل عليهم الكتب ، وما شرع لهم الشرع إلا ليعرف بني آدم كيف يحيون أحرارا وكيف يأخذون بأسباب الحياة والحرية ، وكيف يعالجون آفاتها ، وكيف ينظمون تلك الحياة وتلك الحرية ؛ حتى لا يعدو بعضهم على بعض ، وحتى يستثمروا تلك الحياة وتلك الحرية ، إلى أقصى حدود الاستثمار النافع المحمود المفضى بهم إلى سعادة الدنيا وسعادة الآخرة » (9) .

✡ ✡ ✡

---

(8) الشهاب : ج 4 ، م 7 ــ ذى الحجة 1349 و افريل 1931 .

(9) الشهاب : ج10 ، م11 . شوال 1354 و جانفي 1937 .

ولأجل هذه الحقائق ، وهذه البينات ، لا نكون مبالغين إذا قلنا بأن الإمام ابن باديس كان ينظر بنور الله فيما كان يعتقد ويقول ويعمل ؛ فجعل اللـه تعالى مـن كراماته أن يكون استفتاء تقرير المصير ، الذى توجت بـه ثورة نوفمبر 1954 الظافرة المجيدة ، في جويلية 1962 ، حسبما كان توقعه الإمام في جوان 1936 .

تقول وثيقة الاستفتاء :

« هل تريدون أن تصبح الجزائر مستقلة متعاونة مع فرنسا وفق الشروط المحددة في بيانات 19 مارس 1962 ؟ » .

هذا ــ لعمرك ــ هو عين ما قرره الإمام في مقال نشر بالشهاب في ربيع الأول 1355 (جوان 1936) إذ يقول :

« .. إن الاستقلال حـق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا ، وقـد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم والمنعة والحضارة ؛ ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع اللـه ويقولون : إن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد ؛ فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أن تزداد تقلبا .. وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالا واسعا تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر .. » !!

* * *

أما الوحدة الوطنية للشعب الجزائري فهي في نظر الإمام مـن الحقائق الثابتة ثبات الجبال الراسيات ، هيهات أن تنال منها محاولات المستعمرين والمنحرفين ؛ لأن ما جمعته يد الله لا تفرّقه يد الشيطان فيقول : « إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضع عشرة قرنا ، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء ، وتؤلف بينهم في العسر واليسر ، وتوحدهم في السراء والضراء ، حتى كونـت منهم منـذ أحقاب بعيـدة عنصرا مسلما جزائريا ، أمه الجزائر وأبوه الإسلام . وقد كتب أبناء يعرب وأبناء

مازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله ، وما أسالوا من محابرهم في مجالس الدرس لخدمة العلم ..؛ فأي قــوة بعد هــذا يقول عاقل تستطيع أن تفرقهم لولا الظنون الكواذب والأماني الخــوادع ! . يا عجبا لم يفترقوا وهم الأقوياء ، فكيف يفترقون وغيرهم القوي ؟ كلا واللــه ؛ بل لا تزيد كــل محاولة للتفريق بينهم إلا شــدة في اتحادهم وقوة لرابطتهم ، ذمتي بما أقــول رهينة وأنا بــه زعيم ، والإسلام له حارس ، والله عليه وكيل » (10) .

* * *

وأما عن وحدة المغرب العربي فقد كانت شغله الشاغل ، والركن الركين الذي قامت عليه دعوته ؛ فلنقرأ ما يقول في برقية وداع وشكر للشعب التونسي الشقيق على ما لقيــه لديــه ولدى صحافته التقدمية الحرة من ود وتقدير ، إثــر زيارة قام بها إلى تونس في ربيع (1356 هـ ـ 1937 م) للمشاركة في الحفلة التي أقيمت احتفاء بذكرى الزعيم المؤرخ التونسي البشير صفر ، مــن ذلك مــا كتبته جريــدة « البتي ماتان » (Le ptit matin) تصــف عظمــة الإمــام ابن باديس الخطابية ، والعلمية والسياسية قائلة : « لقد وفد من الجزائر للمشاركة ، في هذه الحفلة ، الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .. إن ابن باديس ، من هــذه الناحية ، لقريب إلى ميرابو ، وجوريس ، وزغلول .. لقــد يستطيع أن يفعل ما يريد في الجموع التي كانت بالأمس تستمع إلى خطابه .. كان يستطيع أن يجعل منها سربا من الطيور الكاسرة ، أو قطيعا من الخرفان ، وهذا ما نستطيع أن نصف بــه هذا الرجل الخارق للعادة » !!

---

(10) الشهاب : ج 11 ، م 11 ـ ذي القعدة 1354 و فيفري 1933 .

وهذا نص برقية ابن باديس :

« أودع الأمة التونسية الكريمة ، شاكرا لها ولصحافتها الراقية ما أبدته نحوي من عواطف الود الأخوى الذي فاق كل تقدير ، وإن الذي يسرني ـ حقا ـ من ذلك هو أنه كان موجها في الحقيقة نحو المبدإ الذي دعوت إليه في خطبتي ، وهذا الاحتفاظ بالذاتية العربية الإسلامية في الشمال الافريقي كله ، والإعلان بوحدة أقطاره الأربع ـ طرابلس وتونس والجزائر ومراكش ـ في الحاضر والمستقبل ، مثلما هي ثابتة في الماضي ، وأفضل الود والإكرام ما كان للمبادىء الخالدة ، وجاءت فيه الأشخاص الفانية على التبع . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » (11) .

* * *

والأستاذ الإمام ـ إلى جانب اهتمامه بوطنه الجزائر ، والمغرب العربي الكبير ، والأمة العربية الإسلامية جميعا ـ حريص أشد الحرص على نزعته الإنسانية العالمية ؛ فيقول ، في كلمة وجهها إلى الشباب الجزائري في سنة 1357 هـ :

« أنا زارع محبة ؛ ولكن على أساس من العدل والإنصاف والاحترام مع كل أحد من أي جنس ، ومن أي دين كان ؛ فاعملوا للأخوة ، ولكن مع كل من يعمل للأخوة ؛ فبذلك تكون الأخوة صادقة » (12) !!

* * *

أما قضية فلسطين الجرح الدامي في جسم الأمة العربية الإسلامية ، فقد كانت في طليعة القضايا التي ما فتيء يجاهد من أجلها ؛ فيقول في برقية احتجاج ضد تقسيم فلسطين ، وجهها باسم الأمة الجزائرية إلى وزير الخارجية الفرنسية : « باسم الأمة

(11) الشهاب : جمادى الاولى 1356 و 11 جويلية 1937 .

(12) الشهاب : ربيع الثانى 1357 .

الإسلامية الجزائرية أرفع احتجاجي الشديد ضد مشروع تقسيم فلسطين ، ذلك القطر العربي الذي ضمنت لـــه العهود والمواثيق الدولية حفظ كيانه واستقلاله ، وأعتبر هذا المشروع ضربة قاضية على حياة شعب ضعيف دافع طيلة سنين عديدة ،دفاع الأبطال عــن شرفه وحريته ، واعتداء شنيعا على جميع الشعوب العربية الإسلامية وانتهاكا لحرمة الأماكن المقدسة عند سائر المسلمين ، ولي الأمل في تدخل الحكومة الفرنسية بكل سرعة لمنع هذا التقسيم » (13) ..

* * *

ويقول عن أصول الولاية في الإسلام انطلاقا من خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه عند بيعته بالخلافة :

الأصل الاول : « لا حــق لأحد في ولايــة أمر من أمور الأمــة إلا بتولية الأمــة ؛ فالأمة هي صاحبة الحــق والسلطة في الولاية والعزل ؛ فلا يتولى أحد أمرها إلا برضاها ، فلا يورث شيء مـــن الولايات ولا يستحق الاعتبار الشخصي .. وهذا الأصل مأخوذ من قوله : « وليت عليكم » أي قد ولاني غيري وهو أنتم » .

ويقول عن الأصل الثامن ، وهو يتعلق بتقديم من يترشح للولاية برنامجا يعرض على الأمة ويطبق بإرادتها : « على من تولى أمرا من أمور الأمة أن يبين لها الخطة التي يسير عليها ليكونوا على بصيرة ، ويكون سائرا فى تلك الخطة عن رضى الأمة ، إذ ليس له أن يسير بهم على ما يرضيه ، وإنما عليه أن يسير بهم فيما يرضيهم ، وهذا مأخوذ من قوله : « أطيعوني ما أطعت الله فيكم » ؛ فخطته هى طاعة الله ؛ وقد عرفوا ما هو طاعة الله في الإسلام .

---

(13) البصائر : جمادى الثانية 1356 و 20 أوت 1937 .

ويقول عن الأصل الثالث عشر والأخير ، من أصول الولاية في الإسلام : « شعور الراعي والرعية بالمسؤولية المشتركة بينهما في صلاح المجتمع ، شعورهما ـ دائما ـ بالتقصير في القيام بها ليستمرا على العمل بجد واجتهاد ، فيتوجهان بطلب المغفرة من الله الرقيب عليهما ؛ وهذا مأخوذ من قوله : « أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم » (14) .

* * *

تلكم هي ، أيها القراء الكرام ، لمحة عن شخصية الإمام ابن باديس من خلال النصوص التي نشرتها وزارة الشؤون الدينية ـ تباعا ـ في خمسة أجزاء ؛ وبصدور الجزء السادس والأخير الذي تعتزم الوزارة نشره في مستقبل قريب ، إن شاء الله تعالى ، تكون قد قدمت إلى المكتبة الجزائرية خاصة ، وإلى المكتبة العربية الإسلامية عامة ، أشمل مرجع في آثار باني نهضة الجزائر ، وأحد الرواد المصلحين الأفذاذ في العالم العربي الإسلامي .

فجازى الله كل العاملين على إنجاز هذا المشروع العظيم بجد وعناية ، أخص بالذكر الأخ الاستاذ محمد الصالح الصدّيق الذي واكب هذه المجموعة من آثار الإمام ، منذ 1982 ، والإخوة الأساتذة : محمد الهادي الحسني ، عمار سفسوف ، محمد نسيب ؛ راجيا من الجميع مواصلة الجهد لإعادة طبع الأجزاء التي نفدت ، مصححة منقحة ، والعمل الدائب على إصدار آثار غيره من علماء الجزائر الأعلام في مختلف العصور ..

هذا ونسأل الله تعالى الرحمة والرضوان للأستاذ الرئيس ابن باديس ، الذي لا تزيدنا الأيام إلا تيقنا بصدق جهاده ، وسداد

---

(14) الشهاب : ج 11 ، م 13 ـ غرة ذي الحجة و جانفي 1938 .

منهاجه ، وحكمة قيادته ؛ مما جعل كثيرا من العلماء والباحثين ، في الجزائر وخارج الجزائر ، يتسابقون إلى تـأليف الكتب ، وإعداد الأطروحات الجامعية ، للكشف عن نواحي عبقريته ، وجلال أعماله في شتى الميادين !

ورحمة الله تبارك وتعالى على شهدائنا الميامين منذ طلوع فجر الاسلام على ربوعنا الغالية .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد المبعوث هداية ورحمة للعالمين .

عبد الرحمـن شيبـان

حيدرة في 26 ربيع الثاني 1411 هـ
13 نـوفمبـر 1990 م

القسم الاول

الإصلاح

« ... ليس ما ندعو إليه ونسير على مبادئه من الإصلاح بأمر يخص المسلم الجزائرى ولا ينتفع به سواه ، كلا ، فإن صحة العقيدة ، واستنارة الفكر ، وطهارة النفس ، وكمال الخلق ، واستقامة العمل ـ وهذا هو الإصلاح كله ـ مما يشترك فى الانتفاع به جميع المسلمين بل جميع بنى الإنسان . وإنما نذكر المسلم الجزائرى لأنه هو الذى قدر أن يكون منا ونكون منه كما يكون الجزء من كله والكل من جزئه ، فحاجته أشد ، وحقه أوجب ... » (1) .

* * *

« بقدر ما كان تمسك الأمة بأسباب العلم كان رفضها للجمود والخمود والخرافات والأوضاع الطرقية المتحدرة للفناء والزوال ، حتى أصبح القطر الجزائرى كله يكاد لا تخلو بيت من بيوته ممن يدعو إلى الإصلاح وينكر الجمود والخرافة ومظاهر الشرك القولى والعملى ، وأصبحت البدع والضلالات تجد فى عامة الناس من يقاومها وينتصر عليها » (2) .

« عبد الحميد بن باديس »

(1) و (2) ش ـ ج 1 م 12 محرم 1355 هـ ـ ابريل 1936 م .

١ مـن هـم الوهابيـون ؟

٢ ـ ما هى حكومتهم ؟ ٣ ما هى غايتهم السياسية ؟

٤ ـ ما هو مذهبهم ؟

— ١ —

هاته أسئلة طرقت أسماعنا فى هاته الأيام كثيرا، وسمعنا الخطأ فى الجواب عنها كثيرا ، ولا عجب فى كثرة السؤال عنهم وقـد تواترت أعمالهم السريعة المدهشة ـ هاجموا الأردن وأخضعـوا الحجاز وأجلوا الحسين وأتباعه بعد ما ثلوا عرشه غير مبالين بأحلافه الانكليز . كل هذا فى مدة قصيرة من الزمن مع بعد المسافة وصعوبة الطريق . ولا عجب كذلك فى أن يخطىء الناس فى الجواب عنهم ، فإنهم قوم ظهروا فى القرن الماضى بمظهر صلب شديد على خصومهم من الترك والعرب حتى ملكوا مع نجد الحجـاز واليمن، ناشريـن دعوتهم الدينية بحماس، منفذين مبادئهم بصرامة وعـزم شديد، وما ردهم الجيش المصرى ، إذ باتفاق العرب ضدهم، وبعد جهـد جهيد . فقتل زعيمهم ابن السعود بالأستانة بعد ما تفرقت جنوده وشرد آله ، فانزوى الوهابيون من يومئذ بنجد واختفت أخبارهم عن العالم ، وصار من يريد معرفتهم لا يجد لهـا موردا إلا كتـب خصومهم الذين ما كتب إكثرهم الا تحت تأثير السياسة التركيـة التى كانت تخشى من نجاح الوهابيين نهضة العرب كافة .

وأقلهم من كتب عن حسن قصد من غـير استقلال فى الفهم ولا تثبت فى النقل فلم تسلم كتابته فى الغالب من الخطأ والتحريف .

وأنَّى تعرف الحقائق من مثل هاته الكتب أو تلك،أم كيف يؤخذ حقيقة قوم من كتب خصومهم،ولا سيما إذا كانوا مثل الصنفين المذكورين.ولهذا رغب منى بعض من يجرى في عروقهم دم العرب، وبعض من يهتمون بأمر الأمة العربية ذات التاريخ الماجد العظيم ، أن أجيب عن هذه الأسئلة خدمة للعلم،وإظهارا للحقيقة،فأجبت بالأجوبة الآتية مستصدرا ما كان منها دينيا من وسائل علمائهم المطبوعة بمطبعة المنار الملخصة فى مجلته . ومعتمدا فى غير ما كان دينيا على ما كتبه الثقاة من كتاب العربية،مسلمين وغيرهم،فى الجرائد والمجلات،وما عربوه عن ثقاة كتاب الغربيين،غير متعصب « علم الله » لا لهم ولا عليهم،وأعوذ بالله أن أكون لشيء من المتعصبين . ولا قائل « إن شاء الله تعالى » إلا ما أعلم ، وَمَا شَهِدْنَا إلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ .

(١) هم أتباع محمد بن عبد الوهاب التميمى النجدى،المتوفى سنة ست بعد الألف والمائتين من الهجرة ، وقد ناهز المائة،وهم عرب من أصرح العرب أنسابا وأشدهم بأسا وأرسخهم فى صفات العروبية وأنقاهم من الدخيل . أهل ذكاء وسرعة خاطر ، وحدة ذهن،شنشنة آبائهم الأولين . ومن صفاتهم الممتازة إباؤهم ، وشجاعتهم،وصبرهم العجيب . فكان الجريح منهم فى هذه الحرب حين إجراء العمليات الجراحية لا يتوجع ولا يتألم ، ولا ينقبض له وجه،كأنهم يعملون فى جسم غيره . يبلغ عددهم المليونين،لا خلاف بينهم ولا تنازع ولا تباغض،يطيعون رؤساءهم وخصوصا سلطانهم طاعة عمياء،يستبسلون فى الحرب ويقدمون إقدام من يتيقن أن وراء الموت حياة خيرا من هذه الحياة ، ولا يرجعون إلا بأمر قوادهم ولو فنوا عن آخرهم .

يقل بينهم من لا يحسن القراءة والكتابة،ويكثر فيهم جدا حفظة القرآن،وكلهم على علم بالضرورى من عقائد الإسلام وأصول

مبادئه ، وآدابه ، شديدو التمسك بأهداب الدين وتباعد عن كل ما أحدث فيه .

(2) إمامهم الحالى هو عبد الرحمن آل فيصل آل سعود،لكن القائم بأعباء الملك هو ابنه السلطان عبد العزيز،وهو المباشر حقيقة للسلطة والإدارة،وصف هذا الأمير الأستاذ الريحانى بقوله : « طويل القامة مفتول الساعد شديد العصب متناسق الأعضاء،وهو أسمر اللون أسود الشعر ، ذو لحية خفيفة مستديرة وشارب يقضبه على الطريقة الوهابية،له من السنين سبع وأربعون ، وله فى التاريخ ـ تاريخ نجد الحديث ـ مجد إذا قيس بالأعوام تجاوز السبع والاربعين والمائة . كبير القلب والنفس والوجدان،خلو من الادعاء والتصلف،خلو من التظاهر الكاذب » (1) . ووصفه مسترارنيست برنيك فى جريدة نيويورك بقوله : « بطل من أشد الأبطال الذين أنجبتهم الأمة العربية،صلب العود فى مكافحة الأعداء ، وكريم الأخلاق متى قهرهم ، شديد التمسك بأهداب الدين،وفى مقدمة الذابين عن عقائد الإسلام الأصلية . قد أنفق الشطر الأكبر مما مضى من حياته على صهو الجياد ، فكان له من ذلك رياضية جسدية جعلته قوي البنية. وهو جامع بين جلال وجمال أمير شرقى»(2)

أسلافه كلهم ذوو شهرة عظيمة فى جزيرة العرب،وبيته عريق فى إمارة نجد حتي سقط فى القرن الماضى وحلت محله أسرة آل رشيد،ونفى هذا الأمير إلى الكويت،لكنه بهمته وعزيمته ، وشجاعته وحسن تدبيره تفلت من قيود الأسر وجمع حوله جندا فتح به « الرياض » عاصمة ملكه،وأعاد عائلته إلى ملكها القديم. ثم ما برح يتربص بآل رشيد الأحايين ، وينتظر الفرصة حتى سنحت

---

(1) عن الهلال .

(2) عن الهدى .

له فاوقع بهم فى أثناء الحرب الكبرى وقضى على إمارتهم،وساقهم إلى عاصمته وهم عنده الآن أسرى مكرمون.وامتدت مملكته بعد أن كانت محصورة فى نجد من حدود الحجاز إلى الخليج الفارسى ومن الربع الخالى إلى الجوف .

يسوس السلطان عبد العزيز هذه المملكة الواسعة بسياسة العدل التام بين القريب والبعيد،الجليل والحقير، وينفذ أحكام الشرع بكل تدقيق بلا هوادة ولا محاباة.ومن كلماته فى هذا الباب : « العبد ، والأمير،عيننا على الاثنين حتى ننصف دائما الاثنين ونعدل بينهما ، ومن لا ينصف بعيره ، لا ينصف الناس » فأنتج له ذلك فى مملكته الأمن التام الذى لا تجده فى البلاد المتدنة ، وقد عجزت فرنسا بجيشها اللهام عن إقامته اليوم فى ربوع الشام .

ويجرى فى سياسته على أصل الشورى الذى أوجبه الإسلام،فلا يفصل فى الأمور العظيمة إلا باستشارة العلماء ، والأمراء،والأعيان،ورؤساء الأجناد،كما فعل عندما أراد غزو الحجاز فقد عقد لذلك مؤتمرا فى ذى القعدة تناقلت حديثه جرائد الشرق ، والواقف عليه يعلم بعد نظر أعضائه وأدبهم الإسلامى ، والمحاورة بالادب الذى يعز وجوده فى مجالس النواب الاوروبية التى كثيرا ما تخرج عن الكلام إلى اللكام،ويحمى مملكته جيش منظم متأهب على الدوام،له جميع الصفات المعنوية التى يحاز بها الانتصار من قوة الإيمان،ومتانة الاتحاد،وتمام الانقياد،وتحمل المشاق ، وشدة الثبات فى مواطن النزال .

« جاءوا هذه المرة إلى الشرق العربى منقسمين إلى فرق،وكل فرقة فيها المحاربون وفيها من يعنى بتموينهم وحمل ذخائرهم وأثقالهم،وفيها من يعنى بالجرحى،وفيها الخطباء والأئمة » .

وعن السياسة ، ويقول العارفون:إنــه جيش يمثل جيوش العرب الفاتحين الأولين مع نظم العصر وأسلحته (1) .

(1) النجاح ـ العدد 24/179 أكتوبر 1924 م .

1 ـ من هم الوهابيون ؟ 2 ـ ما هي حكومتهم ؟

3 ـ ما هي غايتهم السياسية ؟ 4 ـ ما هو مذهبهم ؟

ـ 2 ـ

والحكومة النجدية تسعى بكل قواها فى تحضير البدو ، وتثقيف عقولهم وإدخال الإصلاح الذى يتفق مع حالتهم الاجتماعية،وتعتنى اعتناء زائدا بالحالة الصحية ، ففى الرياض عاصمتهم مستشفى عظيم تمتد فروعه إلى كثير من البلاد النجدية . وكذلك بالشؤون الزراعية والتجارية ، والمالية،فكلها متقدمة تقدما حثيثا . وتحافظ كل المحافظة على سلامة الأخلاق والآداب، فلا سوء ، ولا فحشاء ، ولا منكر ، مما غرقت فيه أوروبا بمدنيتها المادية الملوثة بالأقذار .

(3) قام الوهابيون فى حروبهم بالقرن الماضى لنشر دعوة دينية إصلاحية فخابوا،فانكمشوا بنجد أمنع جزيرة العرب وأبعدها عن مطامع الاستعمار ـ ولم تستطع الدولة العثمانية إخضاعهم، فبقوا فى منعتهم مستقلين ، وكانت انقلترا تصانعهم بدفع راتب شهرى وافر لسلطانهم ليكفوا أيديهم عما تحت يدها من سواحل الجزيرة . ولما جاءت الحرب الكبرى كانوا على الحياد التام فى الظاهر، وقاموا للدولة العثمانية فى الباطن بأجل خدمة فى تلك الظروف ، فربطوا المواصلة بين جنودها ، وجنودها بفلسطين وسوريا والعراق لما خرج عليها الحسين بالحجاز، فكانت قوافل التموين تنقطع داخل

الجزيرة تحت خفرهم رغما عـن احتجاج الانكليز وذهبه الرنان ، وهاك شهادة رسمية لما قـام بـه ابن السعود مـع عدوه في حياده الظاهرى :

قال جمال باشا في مذكراته ص 282 من الطبعة المصرية للتعريب عن أحمد شكرى « ولم يكن في استطاعة الأمير ابن السعود أن يمد لنا يد المساعدة المباشرة لقربه من الانكليز الذين كان في استطاعتهم إيصال الأذى إليه . إلا أنـه كان شخصيا نافعا جدا لنـا،إذ أرسل الجمال للجيش،وسمح بتصدير التجارة إلى سوريا » .

انتهت الحرب الكبرى وكـان حـظ العرب منها بتفرق كلمتهم وتنازع أمرائهم في داخـل الجزيرة ووفودهم تحت نير الاستعمار الجائر في سوريا والعراق وفلسطين . قـد علم الناس كلهـم أن الحسين بن علي هو السبب في الأمرين بخروجه من الجماعة ومحاولته جعل جميع الأمراء تحت سلطانه بمعونة الانكليز،أو بالحرى جعل الأمـة العربية جمعاء تحت امبراطوريتهم،وبهاته المحاولة نفسها خاب مؤتمر الكويت الذى انعقد بين أمراء العرب أخيرا لعقد حلف بينهم على قدم المساواة التى يأباها عليهم حسين . لم يبق بعد هذا كله من يرجى للنهضة العربية وزعامة العرب حقيقة إلا ابن السعود بشخصيته البارزة وصفاته الممتازة وسيرته الحكيمة العادلة وجيشه المرهوب ، فقام هذا الأمير وغايته الوحيدة التى جعلها نصب أعينه هى تطهـير جزيرة العرب مـن الأجانب وأذنابهم . وفي مقدمتهم الطاغية حسين ، ثـم جميع الأمراء المنخدعين وجمع شمـل الأمـة العربية بعقد حلف بـين أمرائها في الجزيرة وخارجها . والواقف عـلى منشوراته العامـة ومداولاته مـع أمراء الجزيرة يعلم هـذا ويتحققه ، فاخذ يسعى لهذه الغاية العظيمة ، ويهىء لها الأسباب، فرفض المرتب الانكليزى حتى لا يبقى لعدو يد عليه .

قالت جريدة دايلى مايل «إن ابن السعود نفسه كانت له جراية من الحكومة البريطانية قدرها 5000 لیرة انكليزية فى الشهر ، ولكنها قطعت عنه منذ عدة شهور » . (1)

ونشر منشورات في الموضوعات العامة بين فيها سياسته ورغبته في توحيد العرب وترقيتهم ، وأن بلاده مفتوحة لأهل العلم والعمل من أبناء العرب ، وفعلا قد وفد عليه العدد الكثير من الشبان المتعلمين من مصر والشام والعراق ، وأصبح متصلا بالعالم الخارجى اتصالا أدبيا مكينا ، بعد ذلك الانعزال التام،فبرهن بهذا على أنه سائر بأمته في الطرق التى تسير عليها الأمم الراغبة فى الحياة . (طرق العلم والتسامح ، وربط العلائق الودية السلمية مع الناس) . ولم يهجم هجومه الأخير على الحجاز إلا بعد اتفاقه على ذلك مع لجنة الخلافة بالهند ، كما هو مصرح به في خطابها الذى وجهته إليه ونشرته الأهرام،ومع حزب الاستقلال العربى بمصر ، ورؤساء قبائل الحجاز أنفسهم ، وبعد إنذار حسين وإبايته من الامتثال ، ثم ما وجه حملته على الحجاز حتى أرسل جندا إلى شرق الأردن فاصطدم بالقوات الانكليزية مصادمة عنيفة برهنت على أنه لا علاقة له بهم ، ولما دخل مكة وطرد آل حسين منها طلب من جمعيات الهند ومصر أن يأتمروا لتعيين شكل حكومة الحجاز،فبرهن بذلك على أنه لم يغز للغلبة والاستلاء ، وإنما حارب وتحمل المشقة لتطهير الحرمين الشريفين من الخائنين الآثمين ، وامتثالا لرغبة عموم المسلمين .

وقد جاءت الأنباء بتولية الشريف على حيدر على الحجاز ولا يتخذها إلا ولاية وقتية ريثما ينعقد مؤتمر الخلافة القادم فيرى رايه الفاصل .

---

(1) عن الزهرة .

بان لنا من جميع ما تقدم (1) أن الأمة النجدية لها من الصفات النفسية والأدبية والاجتماعية ما تستحق به السيادة والاستقلال والتقدم ، والقيام بجلائل الأعمال (2) وأن الحكومة النجدية مرتكزة على نشر الأمن والعدالة والتسامح وحب المعارف، وهذه الأربعة كما قال الأستاذ (فلندر زبترى) العالم المؤرخ المشهور هي أصول الحضارة والشروط اللازمة للتمدن الدائم الصحيح (3)،وان حركة الوهابين اليوم حركة سياسية إصلاحية ترمي إلى توحيد العرب بربط حلف بين أمرائهم المعتبرين،وتثقيفهم بالعلوم، وتفهيمهم بالحكمة حقيقة دينهم العظيم،حتى يصبحوا بإذن الله تعالى أمة حية تعرف ما لها من الحق في الوجود وما عليها من الواجب نحوه . ويمثلوا حقيقة تلك الأمة الكريمة التي دوخت العالم بسياستها ، ونشرت فى أقطاره خطها ولسانها،وأنارته بدينها ومدنيتها ، وكانت الواسطة الأمينة الفعالة بين التمدن القديم ، والتمدن الحديث ، ويرفعوا منار الإسلام بمدنيته الحقة الراقية فى هذا الزمان كما رفعوه كذلك فى سالف الأيام . ويجب أن نعلن بأن الفضل الأول فى هذا كله للرجل الكريم ، والبطل العظيم السلطان عبد العزيز عبد الرحمن آل فيصل آل سعود،الذى لا نشك أنه سيكون له « إن شاء الله تعالى » فى تاريخ العرب ما كان لمصطفى كمال فى تاريخ الترك ، فالأمة العربية اليوم تعتبر هذا الأمير العظيم زعيمها الحقيقى الوحيد ، وتعلق عليه الآمال الكبار ، والعالم الإسلامى ينظر إليه بعين العطف والاعتبار، شاكرا له خدمته الجلى وسلوكه السياسى النظيف ومقصده السامى الشريف ومقدار منزلته العالية التى نالها فى عين العالم عن جدارة واستحقاق (1) .

---

(3) عن الزهرة .

(1) النجاح ـ العدد 180 ـ 31 أكتوبر 1924 م .

1 ـ من هم الوهابيون ؟

2 ـ ما هي حكومتهم ؟ 3 ـ ما هي غايتهم السياسية ؟

4 ـ ما هو مذهبهم ؟

- 3 -

(4) قام الشيخ محمد عبد الوهاب بدعوة دينية ، فتبعه عليها قوم فلقبوا بالوهابيين . لم يدع إلى مذهب مستقل في الفقه ، فإن أتباع النجديين كانوا قبله ولا زالوا إلى الآن بعده حنبليين، يدرسون الفقه في كتب الحنابلة ، ولم يدع إلى مذهب مستقل في العقائد ، فإن أتباعه كانوا قبله ولا زالوا الى الآن سنيين سلفيين، أهل إثبات وتنزيه، يؤمنون بالقدر ويثبتون الكسب ، والاختيار ، ويصدقون بالرؤية ، ويثبتون الشفاعة ، ويرضون عن جميع السلف ، ولا يكفرون بالكبيرة ، ويثبتون الكرامة .

وإنما كانت غاية دعوة ابن عبد الوهاب تطهير الدين من كل ما أحدث فيه المحدثون من البدع ، في الأقوال والأعمال ، والعقائد، والرجوع بالمسلمين إلى الصراط السوي من دينهم القويم بعد انحرافهم الكثير ، وزيغهم المبين .

لم تكن هاته الغاية التي رمى إليها بالقريبة المنال ولا السهلة السبل . فإن البدع والخرافات باضت وفرخت في العقول، وانتشرت في سائر الطوائف وجميع الطبقات على تعاقب الأجيال في العصور الطوال . يشب عليها الصغير، ويشيب عليها الكبير ، أقام لها إبليس

من جنده من الجن والإنس أعوانا ، وأنصارا ، وحراسا كبارا من زنادقة منافقين،ومعممين جامدين محرفين ، ومتصوفة جاهلين، وخطباء وضاعين .

فما كانت ــ وهذا الرسوخ رسوخها ، وهذه المنعة منعتها ــ لتقوى على فعلها طائفة واحدة « كالوهابيين » في مدة قليلة،ولو أعدت ما شاءت من العدة ، وارتكبت ما استطاعت من الشدة .

قام الوهابيون لتحقيق هذه الغاية بحماس وشدة وجهل في كثير منهم ، فارتكبوا في سبيلها أمورا نفرت منهم النفوس .

وأتى جهالهم شنائع كانت من النكارة بمكان ، ووجدها أضدادهم سلاحا قويا في تشويه سمعتهم إلى اليوم ، وأسخطت عليهم العالم الإسلامي كله ، فكانت الخيبة تصيبهم من جراء سلوكهم القاسي ، وإن كانت غايتهم من أنبل الغايات . إن الغاية التي رمى إليها ابن عبد الوهاب ، وسعى إليها أتباعه ، هي التي لا زال يسعى إليها الائمة المجددون ، والعلماء المصلحون في جميع الأزمان،فلها ألف أبو بكر بن العربي ، العواصم من القواصم وسراج المريدين ، وألف الإمام الشاطبي الاعتصام ، وألف الشيخ ابن الحاج المدخل ، وغيرهم من الأئمة وكتبهم كثير ، وإليها يسعى حزب الإصلاح المعتدل الذى أسسه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، ورفع لواءه الشيخ رشيد رضا في مجلة المنار .

إن الدعوة إلى الحق لا تنجح إلا إذا كانت كما أمر الله تعالى ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن .

ولم تكن في الوهابيين كفاءة للقيام بتلك الدعوة العظيمة على هاته الطريقة الحكيمة فخابوا ، وبقيت غايتهم مقصورة عليهم ، ونهض بأعبائها الأستاذ الإمام والشيخ رشيد وحزبهما،فملأوا بها

الأرض وانتشر مؤيدوها في العالم الاسلامي أى انتشار، ولا يزالون بحمد الله في ازدياد .

بان بهذا أن الوهابيين ليسوا بمبتدعين لا في الفقه ولا في العقائد ، ولا فيما دعوا إليه من الإصلاح ، وإنما تنكر عليهم الشدة والتسرع في نشر الدعوة وما فعله جهالهم

وهنا لا أرى بدا من ذكر مسألة هي أعظم ما أظهروا فيه شدتهم وهي مسألة زيارة القبور ودعاء أهلها والبناء عليها .

زيارة القبور مشروعة ولا خلاف في ذلك بين أحد من المسلمين، وذلك مأخوذ من قوله وفعله صلى الله عليه وسلم ، المروي في الصحيح ، ودعاؤه لما خرج للبقيع ، مروى ثابت كذلك ولكن.

(١) هل تشد لزيارتها الرحال ؟ هذه مسألة اختلف فيها قديما ، والوهابيون من المانعين،وهي بعد مسألة علمية ظنية لا تستوجب تنسيقا ولا تبديعا .

(٢) وهل يدعى صاحب القبر كأن يقال مثلا ، يا فلان اقض لى حاجتي ! هذا شيء لم يثبت عن أحد من السلف أنه فعله . والدعاء عبادة (هذه مقدمة صغرى ، وهي لفظ حديث) وكل عبادة لا تكون إلا لله (هذه مقدمة كبرى ودليلها قطعي من الآيات العديدة) فالدعاء لا يكون إلا لله .

(هذه نتيجة هذا القياس من الضرب الأول من الشكل الأول) فلا نرى بعد هذا وجها لأن ينكر عليهم . والسكوت عن هذا أو نحوه أدى العامة إلى الغلو في الأولياء رضى الله تعالى عنهم ، غلوا أنطقهم بألفاظ الشرك ، وصدع منهم عقيدة التوحيد التي هي أساس الإيمان. فإذا دعوا قالوا يا رب يا فلان. وإذا أصابتهم نعمة من الله قالوا هذه من الله ومن فلان ، وإذا حلف أحدهم فإنه يحلف بالله وبفلان ، بل بلغوا إلى ما هو أشنع وأبشع . يأبون من الحلف كذبا

بشيوخهم ، ويكذبون في الحلف بالله ، والنهي عن الحلف بغير الله تعالى معلوم مشهور .

(3) وهــل يبنى عــلى القبور ، وتتخــذ عليهــا المساجد ، قــد ثبت عــن النبــى صــلى اللــه عليه وسلــم ثبــوتا لا شك فيــه ، النهى عن البناء عــلى القبور ، ولعن مــن اتخذوها مساجد،ونص الفقهاء مــن المذهب عــلى المنع مــن ذلك والأمر بهدم ما يبنى . (راجع كتاب الزواجر لابن حجر التيمى) .

وأساطين هذه البدعة وأنصارها هــم أرباب الزوايا ، وشيوخ الطرق . فلذا أردنا أن ننقل لهم كلام رجل عظيم شهير فى الطريقة الشاذلية ؛ بل هو شيخ طريقة ينسب إليه هو الشيخ أحمد زروق ، قال في شرحه على رسالة ابن أبى زيد ج 1 ص 28 من الطبعة الجمالية : «اتخاذ المساجد على مقبرة الصالحين ووقد القناديل عليها دائما أوفي زمان بعينه والتمسح بالقبر عند الزيارة ، وهو من فعل النصارى ، وحمل تراب القبر تبركا به، كل ذلك ممنوع بل يحرم» اهـ. ونقله الرهونى وسلمه (1) إننا والله لا نحاج إلى قول أحد مع ثبوت الحديث الشريف ، وإنما نجارى حالــة الناس الذيــن هجروا السنــة حتى صارت بينهم غريبة ، وأصبحوا منها بعيدين ، وهل بعد هذا وذاك نرى إخواننا أرباب القباب المضروبة ، والهياكل المنصوبة راجعين عــن الضلال البعيد ؟ إنى أشك فى ذلك بــل لا أكاد أطمع فيــه . فاللهم اهدنا إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم (1) .

---

(1) النجاح : العدد 7/181 نوفمبر سنة 1924 م .

بيـان لا لبس فيـه

« إجابـة لصـوت الواجـب »

جاءتنا المقالة للعلامة الأستاذ صاحب الإمضاء تحت العنـوان أعلاه ، فبادرنا بنشرها شاكرين .

سيدى مدير « المنتقد » ثبتك الله،سلام عليكم .

إنى وإن كنت أتشرف بأن أعد من خدمة كل مشروع عظيـم كمشروعكم ، فإنى لا أحب أن ينسب إلي جميع ما يقوم به غـيرى من العاملين ، وقد علمتم أن كثيرا ممن يقولون ولا يحققون نسبوا إلى هذا الحقير جميع ما ينشر فى صحيفتكم بإمضاءات صريحـة لكتاب علماء مشهورين ، لعل هذا الكوتيب لا يشق غبارهم ، وهذا يا سيدى غمط قبيح وكذب حبريت ، وجب علي أن أتبرأ منه على لسان صحيفتكم الصادقة ، كما أرغب منكم أن تنشروا إلي (1) هذا « البيان » لخدمة الدين ، وليعلم الخراصون أننى إذا أردت أن أكتب فإنى لا أكتم اسمى ، وهاكم البيان :

قد علم كل مؤمن أن لله من عباده أولياء ، وعرف كـل تـال للقرآن بفهم (من نص القرآن) أنهم أهل الإيمان والتقوى ، وأن جزاءهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وأن لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وأن أهل الولاية متفاوتون فيها بتفاوتهم فى إيمانهم وتقواهم اللذان(2) هما السبب إليها ، وأنه لاحظ لمن لا إيمان أو لا تقوى له فى شىء منها .

(1) كذا فى الاصل والظاهر : ان تنشروا لى .
(2) كذا فى الاصل والظاهر : اللذين .

هذا بيان القرآن الذى ما بعده بيان لحقيقة الولاية وحقها ، ولتفاوت أهلها فى منازلهم ، ولجزائهم المتفاوت كذلك عند ربهم ، بينته آية الولاية من سورة يونس بنصها ومفهومها وأسلوب نظمها ومكان الاسم الموصول بها .

فهؤلاء هم الذين لو أقسم أحدهم على الله لأبره ، وهؤلاء هـم الذين من آذى منهم وليا فقد آذنه الله تعالى بحرب .

ولقد كان أفضلهم من هذه الأمة (بإجماعها) سلفها ، وأهـــل القرون الثلاثة منها ، ثم من جاء بعدهم ممن اقتفى أثرهم وسلك سبيلهم ، وما كانت سبيلهم التى تواترت عنهم إلا سنة ذلك الرسول الأعظم ، علم بلا تكلف ، وعبادة بلا تنطع ، وزهـد بلا ترهب ، وإرشاد للخلق بنصوص الكتاب وأحاديث محمد صلى الله عليه وآله وسلـم .

ولقد كان فى طبقات هذه الأمة «بحمد الله» من أئمة العلـــم وشيوخ الزهد وولاة الحكم من ساروا على منهاجهم ، وبذلوا الجهد فى اللحاق بهم ، فكانوا على تخصيص كل منهم بما يسر له مشتركين فى أصل الاهتداء بهم ، والسعى إلى الغاية الشريفة التى يسعـى إليها جميعهم ، وهى نشر دين التوحيد والفطرة والإخاء والسلام .

مضوا فى سبيلهم ــ رحمة الله عليهم ــ لا يدعون لأنفسهم سلطة خاصة على الخلق ، ولا تصرفا فى الكون ، ولا علمـا بالغيب ، ولا يضمنون لأحد من أبنائهم أو أتباعهم فوز الجنة (1) ، ولا نجاة من النار ، ولا يسمعون كلامهم فى الاستدلال به بالكتاب والسنـة ، ولا يدعون لأنفسهم فى قول ولا عمل شيئا من العصمة ، بل هـم يصرحون بنفي هذه الدعاوى كلها ويتبرءون من أهلها ، ومن وقف على شيء من كلام أيمة العلم فى مثل « جامع » ابن عبد الله ، وشيء

(1) هكذا فى الاصل والظاهر : فوزا بالجنة .

من كلام شيوخ الزهد فى رسالة القشيرى عرف حقيقة ما نقول ، ووقف ثَم على ما يعسر علينا جلبه فى مختصر هذا المقال .

ثم لقد أدخلت على نمط الحكم الإسلامى الشورى بدعة الاستبداد الفردى التى أماتت ضمائر الأمم،وذهبت بكبريات الممالك .

كما أدخلت على مذهب أهل العلم بدعة التقليد العام الجامد التى أماتت الأفكار وحالت بين طلاب العلم معين السنة والكتاب بل صيرتهما ــ فى زعم قوم ــ غير محتاج إليهما من نهاية القرن الرابع إلى قيام الساعة ، لا فى فقه ، ولا استنباط ، ولا تشريع ، استغناء عنهما « زعموا » بكتب الفروع من المتون والمختصرات ، فأعرض الطلاب عن التفقه فى الكتاب والسنة وكتب الأئمة ، وصارت معانيها الظاهرة بله الخفية مجهولة حتى عند كثير من كبار المتصدرين .

وكما أدخل أيضا على طرق شيوخ الزهد التى ما دعا أهلها الأولون إلا إلى تهذيب الأخلاق وتكميل الصفات وتطهير القلوب وتحلية النفوس ــ من البدع والدعاوى ما أخرجها عن حقيقتها ، ورمى بها ضد غايتها ، وصير أكثر المنتمين إليها على غاية البعد والمضادة لما كان عليه أولئك الشيوخ الأخيار ، فترى أكثر شيوخ المنتسبين اليهم « على ما يحسبون » بدلا من ان يتنافسوا فى تحقيق أتباعهم يتنافسون فى تكثير أتباعهم ، وبدلا من أن يتصرفوا من أهل العلم بآداب السلوك وسير الصالحين يصدفون عنهم ، بل منهم من ينفر أتباعه منهم ، ويتغالون فى أولئك الأبرار بما يتبرأ منه الصالحون رضى الله عنهم ، فنسبوا لهم التصرف فى الكون ، والله قد بين فى غير ما آية من كتابه أن أشرف خلقه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، وزادوا فقالوا يعلمون الغيب ، والقرآن ينفى ذلك عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم،وزادوا ، وزادوا .. مما لا محل لتفصيله الآن .

وهذا كله ناشئ عن الإخلال بأصل النجاة والفوز ، وهو الرجوع إلى السنة والكتاب ، فإن إخواننا هؤلاء أخذوا بكل ما نسب من الأقوال والأفعال والأحوال لشيوخ الزهد جملة ، كما يؤخذ بما ثبت عمن ثبتت له العصمة ، أخذوا به عن غير تثبت في النقل ، ولا عرض على الكتاب والسنة وهدي السلف ، ولا وزن بميزان الشرع . وما أشد غضبهم وحميتهم عند ما تذكرهم بأن الشيخ الزاهد ، وإن فاق أباذر والإمام العالم ، وإن كان أعلم من أبي بكر وعمر ، غير معصومين من الخطإ في القول والعمل ، وأن الاجماع مشهور معلوم على أنه لابد من الرجوع إلى المعصوم ، فيكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آيات الله في إثبات هذا الأصل ولزوم العمل به ، وإن تركه هو سبب كل هلاك وضلال ! هذا ، والأصل المذكور تواتر معناه بالآيات والأحاديث وآثار السلف من أئمة العلم وشيوخ الزهد .

لا أذهب بالقارئ بعيدا ولا أحمله من هذا كثيرا ، بل أقتصر له على نقل واحد عن شيخ كبير عالم زاهد ، وهو سيدي أحمد التيجاني ، رضي الله عنه ، فلقد قال : « ما وجدتموه من كلامي موافقا للكتاب والسنة فاقبلوه ، وما وجدتموه مخالفا فاطرحوه » أو ما هذا معناه . فرحم الله هذا الرجل العظيم وأمثاله الصالحين ، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيرا ، فلقد بروا ونصحوا ونجوا بهذه الكلمة ومثلها من كل تبعة تورط فيها المتورطون من بعدهم من عند أنفسهم .

ثم من أعجب وأقبح حال الكثير من إخواننا هؤلاء (عفا الله عنهم) أنهم إذا قام أخوهم مسلم يدعو إخوانه المسلمين إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة وكلام الأئمة ويدعو المنتمين إلى شيوخ الزهد خاصة إلى اقتفاء آثار شيوخهم ، والرجوع بالطرق إلى ما أسست له وكانت عليه في زمانهم — إذا دعاهم أخوهم إلى هذا قابلوه

بالصلابة والعناد ، وسلقوه بألسنة حداد ، ورموه بالكفر والإلحاد ، وخرجوا فى إذايته عن حد المشروع والمعقول ، وقولوه ما لا يقول، وأقل ما له عندهم أنه أنكر الولاية ، ونفى الكرامة ، وحارب أهل النسبة ، إلى غير ذلك من التلبيس والتدليس والتخليط والتوريط « وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ » .

يرمون إخوانهم أهل الدعوة والإرشاد بهذا وهم يعلمون أنهم ما أنكروا عليهم شيئا مما انتسبوا إليه من الحق ، وإنما أنكروا عليهم شفقة ونصحا ما تورطوا فيه من الباطل ، وأنهم لا ينكرون أهل الولاية وسلوكهم ، وإنما ينكرون ما أحدثه المحدثون بعدهم . وكثيرا ما كان هذا منهم سببا فى إخراج الدعاة وإغضابهم حتى يقابلونهم بشدة النكير عليهم ، فتتسع شقة الخلاف بينهم ، وتحرم الأمة من ثمرة ذلك الإرشاد .

لا تبعة على الدعاة من ذلك ، فإنهم فى سبيل واجبهم يعلنون الحق ولا يبالون ، ما داموا يدعون إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادلون بالتى هى أحسن ، ولا ننسى أن من الحكمة الإغلاظ أحيانا على المعاندين والمتعنتين .

ولكن التبعة كل التبعة على الرؤساء : من الشيوخ والعلماء الذين ربما عرفوا ــ كثير منهم ــ الحق ثم سكتوا ، مدارين أو مجارين أو مراعين ، أو ...؟ وليست المداراة أو المجاراة أو المراءاة مما يقوم لهم شبه عذر عند الله والمسلمين .

بل الواجب عليهم أن يستمعوا القول فيتبعوا أحسنه ، وأن يكونوا قدوة للأمة فى قول الحق وقبوله ممن جاء به ، وأن يكونوا دعاة لها إلى ما دعاها القرآن إليه ولا إيمان إلا به ، ولا نجاة من الخسران إلا بسببه ، وهو : التواصى بالحق ، والتواصى بالصبر ،

وبذلك يؤدون أمانة العلم ، ويقومون بواجب النصيحة فى الدين ، وينالون رضى الله رب العالمين .

وأنا الحقير كواحد ممن ينسبون إلى شيء من العلم ، قد رأيت بعض الواجب علي بهذا البيان فى غير عنف ولا وجل ؛ أخا مشفقا ، لا عدوا مخاصما ، غير حامل بين جنبى لإخوانى المسلمين (علم الله) غير الحب والحنان والنصح والإخلاص ، وهذا هو الذى يحملنى على مصارحتهم بالحق الذى قد يغضب بعضهم ، ودعايتهم إلى أصلى السعادة الدنيوية والأخروية اللذين جاء بهما الإسلام ، وهما : التوحيد والاتحاد ، وإذا لحقنى فى هذا السبيل أذى من إخوانى فإننى موطد عزمى (إن شاء الله تعالى) على أن أقول لهم دائما ما قاله يوسف عليه السلام لإخوته : « يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » (1) .

(1) المنتقد ـ 23 صفر 1344 هـ ـ 1925/9/24 .

الفكـرة الاسـلامية

— 1 —

وقفة في صحيفة « الشهاب » على مثل لـ م. أشيل روبير تحت العنوان المذكور بترجمة إدارة الجريدة ، فرأيت أن أجيبـه بهذا المقـــال :

الشرق والإسلام اليوم هما الشغل الشاغل لأفكار زعماء السياسة وقادة الدين مـن الغربيين، يرون منهما تنبها حقيقيا لحالـة العالم ومركزهم فيـه ، يرون منهما حركة عامـة نحو الرقـي والإصلاح والتجديد ، يرون منهما نفورا شاملا لما كانا عليه في عصور مضت من جمود وخمول واستسلام .

يرون هذا كلـه أمـرا واقعا ، وحالا محسوسا ومشاهدا ، وإن تفاوتت أمـم الشرق والإسلام فيـه ، يرون هذا كلـه فيدهشون ويتعجبون ويأخذون في البحث فيه وذكر أسبابه ونتائجه،فلا يخلو غالبا كلامهم منه مهما خطبوا أو كتبوا .

ثم هم ليسوا سواء فيما يخطبون ويكتبون ، فمنهم من يحترمون أنفسهم ويحترمون التاريخ فلا يتكلمون إلا بعلم وإنصاف،فلا ياتى فى كلامهم غالبا إلا ما لابد منه من النقص الطفيف فى كـل كلام على موضوع كبير خطير ، ومنهم من يحسبون الشرق العظيم مهـــد الأديـان والمدنيات ـ كدائرة قطرهم ، ويحسبون الإسلام الديـن الكامل الجامع المرقى للعقول المزكي للنفوس المقوم للأعمال ـ أمرا

بسيطا يدركونه بما يدركون به رواية من رواياتهم ، فهؤلاء عندما يتكلمون عن الشرق والإسلام يهرفون بما لا يعرفون ، وإذا زاد أهل هذا القسم إن كانوا ممن ذاقوا لذة السيطرة في دائرة من دوائر المستعمرات كـ م. أشيل ، كان بلاء التاريخ والأدب بهم متضاعفا ، وخلطهم وتحريفهم فوق ما يتصور . النقطة التى أراد هذا الكاتب تحقيقها فى مقاله الطويل هى « أن المسلمين الشرقيين لهم تهيب وعداوة وحقد ضد الأمم الغربية المسيحية،فهم لشرقيتهم عدو مخطر لكل غربى ، ولإسلاميتهم عدو مخطر لكل مسيحى » .

لقد كان الإنسان إنسانا بغرائزه الطبيعية قبل أن ينتحل دينا أو ينتمى إلى وطن ، فمن الواجب على الناظر فى شؤون المجتمع الإنسانى الباحث فى أحوال الأمم أن يجعل لتلك الغرائز مقاما أوليا فى طريق تفكيره ، ومقدمات استنتاجاته ، ومساند أحكامه .

أول غريزة في الإنسان هى حبه لذاته . وجديرة هذه بأن تكون الأولى ، لأن بها حفظ ذاته وبقاء حياته ، وهو بهذه الغريزة يحب من أحسن إليه ويبغض من أساء إليه بالجبلة والخلقة .

والمسلمون الشرقيون ـ كأناسى ـ لا يخرجون من هذا القانون ، فهم يحبون من أحسن إليهم بل ومن يتوهمون فيه الإحسان ، ولا يبغضون إلا من يسىء إليهم وتدوم إساءته .

عاش النصارى واليهود والمجوس فى الشرق والغرب فى حجر المسلمين وتحت سلطانهم قرونا طوالا،فما أكرهوا على الإسلام ، ولا نصب لهم ديوان تفتيش ، ولا أرهقوا بالضرائب ، ولا اقتيدوا للموت فى سبيل الإسلام ، ولا انتزعت أراضيهم بأفانين الاحتيال ، ولا منعوا من قراءة دينهم ولغتهم بوجود المنع ، ولا أخذت أموال بيعهم وكنائسهم وتركت تعيش بالتقتير والاستجداء عاتية للخلاء والخراب ، ولا تعرض للطعن والتشهير بأديانهم وأعراضهم

وعظمائهم بالزور والبهتان ، ولا خصصوا بأحكـام استثنائية فى قانون العدل العام ، بل كانوا لهـم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، يبلغون من العلم والجاه والثروة تحت لـواء العدل الإسلامى حيث يستطيعون تبـوؤ الكتابـة والحجابـة والوزارة ، وأثـروا حتى استغرضهم الأمراء والأشراف راتعين فى بحبوحة الأمـن والمودة والمساواة للمسلمين فى أبواب العدل والإحسان ، اللهـم إلا أمرا واحدا فإن المسلمين استقلوا به وحدهم واحتازوه دون أهل ذمتهم أجمعين ، فقد كان المسلمون إذا داهـم الخطر ونزل الموت الزؤام ـ سواء كانوا هاجمين أو مدافعين ـ لا قوة بصدورهم وأبقوا أهل ذمتهم في مأمنهم موفورة عليهم راحتهم، يحمونهم بأنفسهم في مقابلة ما ياخذونه من الرجال القادرين منهم من القدر اليسير من المـال الذى يسمي جزية ، ويا حبذا المال اليسير تفدى به النفوس وتراح به الأبدان .

هكذا يصف لنـا التاريخ العادل حيـاة أهل الملل المختلفة مـع المسلمين،والسلطان سلطانهم،والدولـة دولتهم،إلا وقـائع فرديـة لا يخلو منها زمان ولا مكان ، ولا تنقص ما ثبت فى الأمر العام .

وهكذا كان المسلمون الشرقيون يحسنون ويحبون من هم إليه محسنون ويكتفون منه بالمسالمة ويرونها إحسانا،يكونون لـه عليه شاكرين .

فهل من المعقول أن يقال فيهم بعد هذا كله أنهم ـ وهم الأضعفون المغلوبون المملوكون ـ يبغضون من يحسن إليهم ، ويعادونه لمجرد مخالفته لهم فى شرقيتهم وإسلامهم ؟ كلا ! ثم كلا !

وإنما يقول من يعرف دخائل النفوس وطبائع البشر : « إنهم إذا كانوا يحبون لقليل الإحسان فإنهم لا يبغضون إلا لكثير الإساءة » ،

فليست المسألة مسألة شرق وغرب أو إسـلام ومسيحية ، وإنما هي مسألة إساءة وإحسان .

وسنبين في مقالنا التالى أن المسلمين لا يبغضون الأروبيين ، وأن الجزائريين خاصة لا يزالون مع دولتهم وجيرانهم محاسنين ومحسنين رغم تحريش المحرشين وتحريف المحرفين (1) .

● رد على مقال م. أشيل روبير ●

— 2 —

المسلم حبيب الانسانية ، مأمور بالعطف على أبنائها من أي ملة كانوا،وإلى أى وطن انتسبوا ، والقرآن يذكره بالأخوة الإنسانية فى كثير من آياتـه « خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِـدَةٍ » ... « وَالْأَرْحَامَ » ومن قتل نفسا ظلما فكأنه قتل جميع الناس ومن أحياها فكذلك ، ولا ينهاه دينه عن الذين لم يقاتلوه في الدين ولم يخرجوه مـن دياره « أن يبرهم ويقسط إليهم » . هذه هى التعاليم التى سار عليها أكثـر المسلمين مـع الأروبيين ، سواء كانوا غالبين أو مغلوبين أو محالفين . وإليك البيان :

فتح المسلمون أروبا من الأندلس فلم يرغموا أحدا على دينهم ، ولا عملوا عـلى إبـادة مـن نزلوا ديارهم مـن الاسبانيين وغيرهم المستعبدين لرؤساء دينهـم ودنياهم ، المتوحشين ـ حقيقـة ـ فى أخلاقهم وعوائدهم ، بـل كسروا قيـود تلـك العبودية الفكرية والبدنية،ومحوا أثر السيادة بالباطل ، وسووا بين الناس فى قانون العدل وسبل الحياة ، وتركوا الأهالى فيما عدا ذلك على ما اختاروه لأنفسهم من عقائد وعوائد .

(1) ش : ع 6 ـ ص 4 ـ 30 جمادى الاولى 1344 هـ ـ 1925/12/17 م .

لا يجذب الأمم المغلوبة إلى الأمم الغالبة مثل ما تشاهده فيها من خلق وإيمان ، وما تعاملها به من عدل وإحسان ، وهذا هو الذى يشاهده الأهالى من المسلمين الفاتحين بالأندلس وغيرها ، فينجذبون إليهم فيدخلون فى دينهم ، ويتكلمون بلغتهم ، ويتأدبون بآدابهم عن رغبة منهم واختيار ، فاستطاع المسلمون بذلك فى مدة قليلة أن ينشروا دينهم ولغتهم وآدابهم بين الأمم المختلفة وفى الأقطار الشاسعة ، بدون حاجة إلى إرساليات تبشيرية ، ولا أساطيل حربية ، ولا معاهدات سياسية ، ولا إرهاقات ومماكسات إدارية ، مما لا يستعمله من يريد حقيقة السعادة لبني الإنسان ـ ولو ليكون هو أسعدهم ـ ولا يثمر إلا خلاف المراد .

إن الأمم الغالبة المبغضة لغيرها تجدها نافرة منفرة ، فلا هى تتنازل عن الغلو فى تفوقها فتحب فيها المغلوبين ، ولا هم يرون فيها ما يجذبهم إليها من الكمال والعدل والإحسان ، فتبقى الفوارق قائمة أبدا ويستحيل معها الامتزاج .

فلو كان المسلمون يبغضون الأوروبيين لما استطاعوا أن يحولوا شبه الجزيرة الأندلسية إلى أرض عربية مسلمة فى زمن قليل ، كما لم يستطع غيرهم مثل هذا التحويل فى الزمن الكثير !

كانت أوروبا في القرون الوسطى المسماة بـ «القرون المظلمة» ـ في أحط دركات الجهل والهمجية، يتلاعب بعقولهم وأرواحهم القساوسة والملوك الذين ـ وإن كانوا مقدسين فى نظرهم ـ فليسوا أرقى منهم فى التفكير . فى تلك العصور المظلمة كانت المدنية الإسلامية تشع على الشرق من بغداد ، وتشع على الغرب من قرطبة ، وفيها فتح المسلمون بالأندلس (خصصتهم لأن حديثى مع أوروبا) مدارسهم ومكاتبهم لرواد العلم بلا ميز بين الأجناس والأديان ، وكان لأبناء أوروبا الذين كان منهم من صار بعد « بابا » فى رومة ـ ما كان لأبناء المسلمين .

إن الأمة المبغضة لأمة لا تسمح لأبناء المبغوضة أن يتناولوا من جميع أمور العلم ما يتناوله أبناؤها .

فلو كان المسلمون يبغضون الأروبيين لكانوا حرموهم من تلك العلوم التي عليها انبنت مدنية اليوم . هذه حالة المسلمين مع الأروبيين ، وهذا إحسانهم إليهم لما كانوا غالبين ، فهل أبغضوهم وأساءوا إليهم لما صاروا مغلوبين ؟

ألق نظرة على الجزائر التي دافعت دفاع الأبطال أيام الاستيلاء ، وشهد لها إذاك قواد الجيش الفرنسوي بالشجاعة والإقدام ، وكانت صاحبة المقام الأول في ذلك في تاريخ الاستعمار .

ألق نظرة عليها بعد أن ألقت السلاح بشرف ترها كيف تحولت بسرعة إلى الطاعة والانقياد ، وكيف امتزجت بالأمة الفرنسوية في التعاشر والتعامل حتى ملأت صفوف الجند الفرنسوي وصارت ذات الحظ الأوفر بعد ذلك في جميع حروب المستعمرات ، حتى إذا جاءت الحرب الكبرى وعم قانون الجندية على المسلمين ــ صلوا نارها مع الفرنسويين جنبا لجنب ــ أو هم الأولون ــ وقامت الأمة جمعاء تدافع عن الراية الفرنسوية بالنفس والنفيس ، ولا يزالون إلى اليوم يموتون تحت تلك الراية شرقا وغربا ، رغم ما يرون من التباطىء في إنجاز وعود قيلت لهم ، وما يسمعون ــ من مثل م. أشيل ــ من التحريش بأمتهم والنكران لجميلهم ، فهل يعد مثل هؤلاء مبغضين للفرنسويين !؟ لعل م. أشيل يحتج عليها بثورات وقتية موضعية كانت من بعد الاستيلاء ، فنقول له : على رسلك يا هذا ، فإننا نعلم أن كل تلك الحركات ما نشأت إلا عن أسباب خاصة ، ربما لا تسمح لنا الظروف ببيانها،لا عن مجرد البغضة التي تزعمها .

هذا موجز من إحسان المسلمين الجزائريين لإخوانهم الفرنسيين ، وهو نموذج لحسن طاعة المسلمين وانقيادهم إذا كانوا مغلوبين ، أما

إحسانهم اذا كانوا محالفين فإنه لم يعرف فى الأمم أوفى منهم عهدا ، ولا أرعى منهم ودا ، لا أذهب بك إلى التاريخ البعيد ، فبين يديك التاريخ القريب .

انشطرت الدولة العثمانية ـ وهى أعظم دولة إسلامية ـ فى الحرب الكبرى شطرين ، فكان الترك مع المانيا وأحلافها ، وكان العرب مع الحلفاء ، والجانبان من الأروبيين يشهدان بالوفاء التام لكل قسم من المسلمين لمن كان معه إلى آخر نقطة ، كما يشهد التاريخ بمقدار وفاء الأروبيين لأحلافهم من طائفتى المسلمين .

تأمل بعد هذا فيما ألقيناه عليك يا م. « أشيل » يا حضرة « الميسطراطور » المتقاعد ... تأمل بإنصاف ـ إن أمكنك أن تنصف ـ تجد أن المسلمين لا يبغضون الأروبيين لأنهم أروبيون ، وتجد أن ما حسبته بغضا للأروبيين إنما هو بغض لأعمال أمثالك من المستبدين،وأقوال أمثالك من الجاهلين المتعصبين الذين هم شياطين كل فتنة وتفريق بين الغربيين والشرقيين ، قطع الله دابر المفسدين من جميع العالمين (1) .

الفكرة الإسلامية

● رد على مقال م. أشيل روبير ●

— 3 —

قال م. أشيل : « ثم إن الشعوب الإسلامية من بحر الصين إلى المحيط الاطلانطيقى بعد تشبثهم بالروح الوطنى الخصوصى لهم ـ يخضعون للعروة الوثقى المنيعة وهى القرآن الكتاب المقدس ... » .

(1) ش : ع 7 ـ جمادى الثانية 1344 هـ ـ 1925/12/24 ـ ص 2 .

لكل فرد من أبناء الإنسان روابط مادية أو روحية تربطه بغيره تضيق وتتسع ، ويختلف مقدار شعوره بتلك الروابط والقيام بحقها والاستفادة منها بقدر رقيه وبساطته . هذه الروابط سلاح في يد الأفراد والأمم ، لها جهة نفع وجهة ضرر،أو لجلب نفع لا يضر بالغير ، أو ترجح منفعته على مضرته ، فتستحسن وتحمد وتعمل فى عكس ذلك فتستقبح وتذم .

إن الرابطة الدينية والرابطة الوطنية أعظم هذه الروابط وهما أنفعها وأخطرها فى آن واحد ، وما زالت أمم الشرق والغرب مشربة روحهما على تفاوت فى ذلك بحسب الأمكنة والأزمنة ـ ولن تزال .

ينعى م. أشيل على المسلمين خضوعهم للقرآن الذى هو أساس رابطتهم الدينية ، وينسى خضوع الغرب للإنجيل الذى هو أساس رابطتهم ، لا عيب على أهل أي دين أن تكون لهم رابطة من دينهم ، وإنما العيب إذا استعملوا تلك الرابطة للتنكيل بمن لا يدين بدينهم ، كما استعملتها أمم النصرانية من قديم .

دخلت أروبا النصرانية مقهورة بالحديد والنار ، وما تم خضوعها لها إلا بعد أجيال ، ثم جاءت تستعمل هذه الرابطة الدينية ضد الإسلام والشرق،فحملت حملاتها الصليبية التى كانت فى القساوة والشدة كحملات مجوس التتار ، ثم استمرت تحمل ذلك الضغن على الإسلام والشرق متوارثا فى الأصلاب والأرحام ، يسمعه اليوم كل من يسمع ، ويراه كل من يرى فى كثير من الأقوال والأعمال .

قال الفيلسوف الكبير الدكتور غوستاف لوبون ـ متأسفا ـ : « إن العقيدة الكاتوليكية المتوارثة فينا تجعلنا من ألد الأعداء للمسلمين » .

هاك كلمة صغيرة كبيرة من ذلك الإرث المشؤوم منقولة عن « البيان » ، هى تلك الأنشودة الطليانية للشاعر الطليانى الذائع الصيت « فرنسكوا كالابروا » سماها « الوطنية » ووقع تلحينها الموسيقى الطليانى الشهير « رليزوباريا » فجاءت آية فى الوضع والتلحين ، وانتشرت فى ايطاليا حتى عدت من جملة ما أبرزته أدمغة أرباب فنونهم ، وحفظها الكبير والصغير ، وتغنى بها الوجيه والحقير ، وطبعت منها نسخ عديدة وزعت على أفراد الجيش الطليانى يترنمون بها ، ويغذون أرواحهم بما حوته من المعانى الرقيقة والأفكار السامية ، وقد وجدت نسخة فى جيب جندى طليانى حر يتضرج بدمائه فى ساحة الحرب فى طرابلس الغرب . الأنشودة مؤلفة من أربعة أدوار ، والمهم منها هو الدور الثانى وهو :

1 ـ « ليمت الشعب الإسلامى التعس ،

2 ـ وليحارب هذا الدين الإسلامى ،

3 ـ الذى يضع المخدرات من النساء تحت تصرف السلطان ،

4 ـ إنى سأحارب بكل شجاعة لمحو القرآن ، وبذلك أموت طليانيا شريفا » هـ .

هكذا استعمل الغرب الرابطة الدينية وهو يقول إنه يخضع للإنجيل ـ الذى لا يأمر بالقتال ـ .

فهل استعمل المسلمون الذين يخضعون للقرآن رابطتهم الدينية هذا الاستعمال ؟ كلا ، ثم كلا .

فلن تجد فى تاريخهم مثل تلك الحملات الغامة ، ولا فى كلام أحد منهم مثل تلك الكلمات الجارحة الداعية إلى إبادة الدين المخالف وأهله من الوجود ، بل تجد منهم التسامح الذى يشهد لهم

بـه المؤرخون المسيحيون المنصفون . قال م. « رينيه ميليه » في خطبة ألقاها في أحد مؤتمرات افريقيا الشمالية المنعقد في باريس : « لزم مسلمو الأندلس التسامح مـع النصارى ومودتهم حتى في الدور الذى اضمحلت فيه دولتهم،وأخذ أمراء المسيحيين ينقصونها من أطرافها » .

بهذا السيد وأمثاله من المنصفين ـ يا حضرة الميسطراطور ـ نرجو الإخاء بين الشرق والغرب الذى نسعى اليه ويسعى اليه كل عاقل من الجانبين ، لما فيه من السعادة البشرية العامة ، ولولا أنت وأمثالك من المتعصبين لما كان منا ببعيد .

كما نعى م. أشيل على المسلمين خضوعهم للقرآن ، نعى عليهم تشبثهم بالروح الوطنى .

ونقول أولا :

والله قبيح وعجيب أن يكون أحد من أبناء فرنسا التى ألقت دروس الوطنية على أروبا والعالم بثوراتها الكبرى التاريخية ، والتى تفاخر ـ محقة ـ بمساعدتها بمالها ورجالها وعقلها وساعدها للوطنيين من اليونان والبولونيين والتشيكوسلوفاكيين والاميركانيين ـ ينعى على الناس أن يحبوا أوطانهم !!

وثانيا : أن العالم الغربى اليوم بلغت منه الروح الوطنية غايتها ، فمن المستحيل أن يبقى العالم الشرقى ـ مع ما بينهما من اتصال فكرى واقتصادى وسياسى ـ محروما من هذه الروح ، بل نواميس النمو الاجتماعى قاضية بأنها لابد أن تصل فيه إلى ما وصلت إليه فى أخيه ، فسريان الروح الوطنى فى المسلمين ـ كجميع الأمم الشرقية ـ أمر واقع لا أخالفك فيه .

إن ساسة الغرب يعلمون هذه الحقائق حق العلم . غير أن منهم مــن تغلب عليهم الروح الاستعمارية فيوجسون خيفة مــن تنبــه الشرق ويعاكسون نهضته ويحاولون قتل روح وطنيته فيكونون محاولين للمحال ، وفى الــوقت نفســه موجدين لأسباب الخــوف الحقيقية فى نفوس الشرقيين .

ومنهم من تغلب عليهم الروح الحكمية فيسايرون نهضة الشرق لتجرى فى روحه الوطنية فى مجرى الاعتدال ، ويحفظ أبنــاؤه أيادى الغرب ، ويعيش الجميع فى إخاء وهناء وسلام .

ولأي الروحين تكون الغلبة النهائية ؟

إذا لم نتشاءم مع المتشائمين ، ولم نتفاءل مع المتفائلين ، فإننا نقول : الجواب للمستقبل ، والعلم عند الله (١) .

(١)ش : ع 8 ـ 14 جمادى الثانية 1344 هـ ـ 1925/12/31 ـ ص 3 .

الفكــــرة الإسلاميـــــة

رد على مقال م. أشيل روبير

— 4 —

قال م. أشيل روبير : « كان الإسلام سببا فى تبديل فلسفة وفكرة الأمم الذين اعتنقوه . . » .

نعم ، تبدل كبير وعجيب ، ولكن لخير العالم ونفع الإنسانية . إذا شئنا أن ننظر آثار الإسلام الحقيقية فى الأمم التى اعتنقتــه فلتنظرها فى الأمة العربية التى نزل كتابه ــ القرآن ــ بلسانها ، وكان نبيه من أبنائها . فكانت أول من اعتنقه وتشرب روحه ، ثم تناولته الأمم من يديها .

كانت الأمة العربية قبيل الإسلام فى انحطاط وهمجية ، وتفرق وجاهلية ، يئدون البنات ، ويأتون المنكرات ، ويعبدون الأوثان ، وينكرون الرحمان ، بعيدين عن أسباب الملك والسيادة ، بعيدين عن أسباب الرقي والتمدن ، محرومين من شروط الرقي الفكــرى والتهذيب الأخلاقي ، ينقص أرضهم من أطرافها جيرانهم من دولة الفرس ودولة الرومان المسيطرتين على المناذرة بالحيرة ، وعــــلى الغساسنة بالشام . فلما اعتنقت هاته الأمة الإسلام اتحدت بعد تلك الفرقة ، وتهذبت بعد تلك الخشونة ، وأخبتت للتوحيد وتألهت بالطاعة بعد الشرك والإلحاد .

ولم يمض عليها العقد الثاني في الإسلام حتى قهرت فـارس والروم أعظم دول الأرض في ذلك العهد ، ولم يمض عليها قرن حتى مدت جناح ملكها من « نهر تاج » بالأندلس إلى نهر «الكانج» بالهند ، ركزت رايتها في قلب أوروبا فاستعمرت جانبا كبيرا من فرنسا وسويسرا حقبة من الدهر ، وبلغوا في سعة الملك في ظرف ثمانين سنة ما لم يبلغه الرومان في ثمانية قرون ، فسادوا العالم وساسوا أممه بالرحمة والعدل والإنصاف ، وشهد لهم المؤرخون المنصفون بذلك ، حتى قال بعضهم : « ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب » . ولم يمض عليها القـــرن الثاني حتـــى استخرجت كنوز الأمم المتقدمة من اليونان والفرس والهنـــد ، ونقلت إلى لغتها طب بقراط وجالينوس ، وهندسة إقليد ، وهيئة بلطليموس ، وفلسفة أفلاطون وأرسطـو ، بتصحيح واستدراك واستنتاج ، وبلغت إلى الطبقة الثالثة من الرقي في العلوم الطبيعية وهي طبقة الامتحان والتجربة .

قال العلامة سيديو المؤرخ الفرنسوي : « لما اشتغل العرب بالفلك التفتوا إلى العلوم الرياضية فأتوا بالعجب العجاب في الهندسة والحساب والجبر وعلم الضوء والميكانيكا ، وترجموا من ابتـداء خلافـة المأمـون هندسة افليدس ونبودوس وأبولونيوس وو .. وشرحوا مؤلفات ارشميدس في الكـــرة والأسطوانة وغيرهـا ، واشتغلوا قرونا بدقائق الهندسة ، وظهرت حميتهم في المناظرات العلمية خصوصا في المراسلات الرياضية ، وطبقوا الجبـر عـلى الهندسة ، وترجموا كتب هيرون الصغـــير في الآلات الحربيـة ، وقطيزبوس وهيرون الاسكندري في الآلات المفرغة للهواء والرافعة للمياه ، وألف حسن بن هيثم في استقامة النظـــر وانعكاسه في المرايا التي تحدث النار ، وألف الخازن في علم الضوء والنظر كتابا في انكسار الضوء وفي المحل الظاهر للصورة من المرايا المنحنية ،

ومقدار الأشياء الظاهرة ، وكبر صورتى الشمس والقمر إذا رئيا على الأفق عند الشروق والغروب .

ومعلوم أنهم ما كانوا قبل الإسلام فى شيء من هذا كله لا من العلم ولا من الملك .

أرأيت يا م. أشيل كيف كانت آثار الإسلام ـ الإسلام كما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ـ فى الأمة العربية وأين بلغت به ؟ ثم ألعلك تحسب ـ إن أذعنت لما تقدم ـ أن الإسلام كان خيرا وسعادة للعرب دون سواهم ؟ كلا ، ثم كلا . إن الإسلام الذى جعل الأمة العربية الواسطة الحية بين القديم والحديث ـ رمى بإشاعته الساطعة بواسطة العرب على أوروبا فأخرجها من الظلمات إلى النور . قال الأستاذ غوستاف لوبان : « إن العرب هم سبب انتشار المدنية ببلاد أوروبا » .

وقال دروى فى تاريخه : « بينما أهل أوروبا تائهون فى دجى الجهالة لا يرون الضوء إلا من سم الخياط ، إذ سطع نور قوي من جانب الملة الإسلامية من علوم أدب وفلسفة وصناعات وأعمال يد وغير ذلك ، حيث كانت بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وغرناطة وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة المعارف، ومنها انتشرت فى الأمم،واغتنم منها أهل أوروبا فى القرون المتوسطة مكتشفات وصناعات وفنونا عظيمة . لسنا ممن يفتخر بالعظم الرميم أو بالتوكل على المجد القديم ، وإنما ذكرنا هذا إحقاقا للحق وإثباتا لمجد العرب بفضل انتشار الإسلام فيهم بشهادة غير العرب وغير المسلمين ، وإفحاما لكل خصم عنيد وجاهل متعصب من الغربيين الذين قال فيهم الأستاذ لويجى رينالدى الطليانى : « وقد يحزننى ، والله ، كما يحزن غيرى ممن ينصفون أن يكون بيننا نحن الأوروبيين نفر يقودهم سوء الظن والجهل إلى احتقار العرب وحسبانهم من أمة أدنى من أمتهم ، وأن نرى كلمة عربى

عندنا تدل على معنى غير معنى التمدن ، وهذا بلا شك افتـــراء ونكران للجميل » .

فمما تقدم يستنتج كل منصف أن الإسلام يبدل العقول مـن الجمود إلى النظر ، والأفكار من الأوهام إلى الحقائق ، والأخلاق من الهمجية إلى الكمال ، والأمم من الانحطاط إلى المدنية والرقي ، كما فعل بالعرب الجاهلين ، وكفى بذلك دليلا على أنه دين الفطـــرة والكمال الإنساني ، وطريق السعادتين للخلق أجمعين ، بأمر الله رب العالمين » (1) .

الفكـــرة الإسلاميـــة

رد على مقال م. أشيل روبير

— 5 —

قال م. أشيل : « فوصل المسلمون بتحريض من أيمتهم ومشائخ طرقهم إلى تعصب غريب ضد الديانات الأخرى ، وصار غضبهم الشديد يجعلهم يعتقدون منع المسيحيين من الخوض في القرآن » .

التعصب حمية ذوى وصف ذاتي أو روحي يجمعهـــم لأنهـم مشتركون فيه ــ لبعضهم ، فيقومون بما ينفع مجموعهم ويدفـع عنه عادية غيرهم . وأصل التعصب بهذا المعنى لا يخلو منه ذو جنس ولا ذو دين ولا ذو فكرة ، وهو من الغرائز الفطرية زود بها الإنسان في المعترك الدنيوى على سنة الله الكونية المسماة بتنازع البقاء ، وهو كسائر الصفات والغرائز له طرفا إفراط وتفريط مذمومان ووسط محمود ، فبالتفريط فيه موت الشعور وانحلال الوحـــدة وتساقط أعضائها أشلاء يتغذى بها ذوو العصبيات الأخـــرى ،

(1) ش : ع 9 ــ 21 جمادى الثانية 1344 هـ ــ 1926/1/7 م ــ ص 4 .

والإفراط فيه ظلم وإرهاق واحتقار لذوى العصبيات الضعيفة ، ومشادة بقساوة ومكر وخيانة مع ذوى العصبيات القوية .

فالشرق والغرب والإسلام والمسيحية لم يخرج واحد منها عن هذه الفطرة الإنسانية،وبالضرورة لم تكن جميع أفرادها وأممها على رتبة واحدة فى هذه الغريزة من الإفـــراط والتفريـــط أو التوســـط .

لكن م. أشيل وأمثاله ـ لتعصبهم أو جهلهم ـ يجعلون كل تعصب من الغرب والمسيحية محمودا وكل تعصب من الشرق الإسلام مذموما، لا والله ، ما هذه الكليات فى مثل هاته الأحوال من أحكام العلماء المنصفـــين .

لنلق نظرة على التاريخ نزن بها الجانبين فى التعصب المذمـــوم والتسامح ، فإننا لا نجد الأمم الشرقية الإسلامية لما استولت عـــلى غيرها من أمم الأرض من جميع الملل ـ اجتاحت أمة من أرضهـــا ولو كانت من أحط الأمم ، ولا حملت أمة على الدخول فى دينهـــا بالسيف والنار ، ونجد فى الجانب الآخر أعمال البراطرة البيزنطيين فى نشر النصرانية ، تلك الأعمال التى تتبرأ منها المسيحية الحقة ، وأعمال اسبانيا فى اليهود والمسلمين .

قال م. رينيه ميليه فى خطبته التى نقلنا عنها سابقا : « ولـــو أعدتم النظر فى تاريخ القرن الرابع والخامس والسادس للمسيح لوجدتم البراطرة متوفرين على توحيد الدين وموجهين إليه كل قوى الدولة وفي ذلك كان تضعضع ملكهم وانقراضه ، فكم أهرقت دماء في سبيل كل عقيدة من العقائد المسيحية ، وكم من مقاطعة ضيعهـــا الامبراطور على إثر كل قرار كان يصدر من مجمع «نيقة» ، وأن مسألة طبيعة المسيح أو مسألة الأقاليم التى نعتقدها الآن بكـــل سكينة واطمئنان قد سالت من أجلها دماء غزيرة،ونشأت من الجدال فيها حروب هائلة » .

وقال أيضا : « وأن الاستيلاء على غرناطة الـذى يفتخـر بـه الاسبانيون الذى يحسبونه يجعل عصر فرديناند وإيزابلا ـ لـم يكن فى الحقيقة إلا عملا وحشيا بربريا لم أعهد فى التاريخ أقبح منه ، خصوصا وأن إمارة غرناطة لم تكن لتهدد اسبانيا فى شىء لاستلائها على ما حواليها من الأراضي والمدن ، وإنما كانت غرناطة عروسة اسبانيا وزينتها ـ ولابد أن يكـون لاكليروس الاسبانى أو الطليطلى رأي أن يحق هذا الجمال ويزيل هذه المدنية البديعة ، خدمة للمسيحية والمسيحية بريئة منه .

والأدهى من ذلك أن المسيحيين كانوا أعطوا وعودا قبل الدخول ولكنهم أخلفوها،وجمعوا الكتب الجليلة وأحرقوها،فتلذذوا بمنظرها، وظنوا أنهم بعملهم هذا قد قضوا على دين المسلمين وآدابهم . ثـم أنهم أمروا المسلمين أن يدخلوا فى المسيحية كافة ، ولما لم يجابوا إلى طلبهم جمعوهم زمرا وحبسوهم فى غرف واسعة ورشوهم بالماء إشارة إلى تعبيدهم وتنصيرهم ! ثم لما رأوا أن هـؤلاء المسلـمين المتنصرين لا يزالون يفتنون طمعوا فى أموالهم وصاروا يظلمونهم من آن لآخر . ومن ذلك ما وصل إلينا من أوامر فيليب الثانى الذى يحرم عليهم فيها لبس الثياب العربية ، واستعمال اللغة العربية ، والاستحمام فى الحمامات العامة ، والسبب فى هذا الأمر الأخير أن الكنيسة الاسبانية كانت ترى الاستحمام جرما لا يغفر !! » .

ولم يكن تعصب الكاتليكيين وفتكهم بالبروطيستانيين المخالفين لهم فى المذهب دون التعصب والفتك بالمخالفين فى الدين .

كما نجد هذا التعصب الديني في هذا الجانب كذلك نجد التعصب الجنسى فى إبادة أهل البلاد الأصليين بدعوى توحشهم ، كما فعل سكان أمريكا الأولين الذين أخذت أعمال الباحثين عن الآثـار ، واكتشافاتهم تدل على أنهم كانوا على حضارة وتمدن أيام كانت أوروبا فى همجية وتوحش .

أنا لا احكم على كل فرد من الغربيين المسيحيين بهذا التعصب الذميم ، ولكنني أقول : هو مظهر بارز في تاريخ القوم (ɪ) .

الفكـــرة الإسلاميـــة

رد على مقال م. أشيل روبير

— 6 —

أعيد اليوم قول م. أشيل : « فوصل المسلمون بتحريض مـــن أيمتهم ومشائخ طرقهم إلى تعصب غريب ضد الديانات الأخرى ، وصار غضبهم الشديد يجعلهم يعتقدون منع المسيحيين من الخوض في القرآن » . لأتمم الكلام عليه .

زعم هذا الرجل أن أئمة المسلمين (وأحسبه يعنى أئمة الجمعة) ومشائخ طرقهم من عوامل تعصبهم الغريب ضد الديانات الأخرى ، ونحن قد نفينا بالدليل البين التعصب المذموم عن الإسلام قطعا،وعن المسلمين في الأعم الأغلب قديما وحديثا في مقالنا السابق ، وبقي علينا أن نبين براءة هذين الصنفين من تحريضهم على التعصب ضد الأديان الأخرى .

من الخطباء من هم خطباء حقيقة يخطبون الخطب الحية فيما يرون ويسمعون ، وهؤلاء علماء شأنهم عدم الخروج عـن سنة القرآن الذي ينهى عن كل تعصب ذميم ، ومن الخطباء من قعد بهم قصورهم أو تقصيرهم عن إنشاء الخطب ، فهم يسردون في كل جمعة أوراقا محفوظة مرت عليها أجيال وقرون،لا حديث في أكثرها على الدنيا وشؤونها ، ولا شيء فيها مما يكون العصبية لا المذموم منهـا ولا المحمود .

ش : ع 10 ـ 29 جمادى الثانية 1344 هـ ـ 14 جانفي 1926 م .

هذه حقيقة حال أئمتنا وخطبائنا ، أما مشائخ الطرق فإن أياديهم البيضاء في خدمة الدولة وتمهيد الطرق لها ــ مما لا يجوز لرجل إدارى مثل م. أشيل أن يجهلها (1) ، ويزيد على الجهل بها فيرميهم بالتعصب والتحريض عليه ، ولئن جهلها هو فقد عرفتها لهم الحكومة التى لا زالت تحلى صدورهم وتطوق أعناقهم بأوسمة العلم والفضل والاحترام ، وإذا لم تكتف حضرته بهذا الدليل الإدارى فليرجع إلى كتاب م. « ليون روش » ونحوه ليعرف الدليل التاريخى ، ولا نخاله بعد ذلك يرمى حضراتهم بشيء من التعصب .

كانت الكتب المقدسة عند الأمم السابقة ــ ومنهم أهل الكتاب ــ مقصورة على الكِهنة ورجال الدين دون غيرهم من جميع المؤمنين بها ، فلا تصل إليها يد لامس ، ولا تفتح لذى فكر ونظر ، وبذلك توصل أولئك الرؤساء الروحيون إلى الاستبداد فى التشريع والتحجير على العقول ، والتصرف فى الأموال والأبدان ، وقد قاست أمم أروبا من اكليروسها ألوان العذاب فى العصور الطوال ، ولم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بعد أن كسرت ذلك النير وأوقفت سلطة أولئك الرؤساء عند حد محدود ، وما عرفت كتب الأناجيل إلا بعد أن نهض لوثر بإصلاحه المشهور .

بينما كتب الملل ــ كما ذكرنا ــ إذا أتى القرآن كتاباً هدى لجميع الخلق بلسان عربي مبين ، يخاطب العقل ويدعو إلى الفطرة، يقارع بالحجة ويدعو إلى التفكير ، يحارب الجمود ويحث على الاستدلال ، يقرر الحرية بأنواعها ، والأخوة بطبقاتها ، والمساواة بأتم وجوهها ، بين جميع الناس أمام الله والحق والعدالة ، يتلوه النبى صلى الله عليه وسلم على جميع السامعين ، ويأمر بإبلاغه للنذارة به إلى الناس أجمعين ، قد بين لهم ليفهموا ، ويسر ليذكروا وقرب ليتناول منه كل أحد على حسب استعداده ما يهتدى به أو يزداد فى اهتدائه ، فلا يرجع منه خائبا إلا من كان من المعرضين .

هذا هو القرآن الذى جاء ليقرأه كـل أحد ، ونشره المسلمون قديما وحديثا فى كل بلد ، ثم يقول فيه م. أشيل : إن المسلمين يعتقدون منع المسيحيين من الخوض فيه !

نعم ، يحمى المسلمون كتابهم من الأمم التى تكون معهم فى حالة حرب حذرا من أن يحملها تعصبها على أن تمسه بسوء ، كما يمقتون ــ مقتا أدبيا ــ كل من يخوض فيه بجهل ... وتعصب ... وعناد ... ولو كان من المصدقين به .

قـد خاض هذا الكاتب فى القرآن العظيم بجهله وتعصبه فى مقاله فجاء يصف تعاليم القرآن فى الحرب بالتعاليم القاسية !

وذكر منها آية الأنفال : « فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الْحَرْبِ » الآية ، وآية سورة القتال : « فَإِذَا لَقِيتُمُ الذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ » الآية ، وبنى عليهما أن المسلمين يرون مـن واجبهم إعلان الحرب ضـد الديانات الأخرى !

قد قدمنا قول بعض علماء أروبا أن التاريخ لـم يعرف فاتحا أرحم ولا أعدل من العرب . ومعلوم أنهم لـــم يكونوا كذلك إلا بتعاليم القرآن التى لم تخرج فى جميع أبواب المعاملات عن أصلي العدل والإحسان .

جـاء القرآن داعيا بالبرهان ، وجـاء بالقتال لحماية الدعوة وأهلها ، ودفع من يقف فى طريقها ، وأمر بقتال « الذِينَ يُقَاتِلُونَ » فخرج عـن ذلك الذين « يَجْنَحُونَ لِلسَّلْمِ » فتعقد معهم المعاهدات ويسالمون ، وخرج كذلك النسوة والعجزة من الشيوخ والصبيان والمرضى والزراع والرهبان ونحـوهم ما دامـوا لا يقاتلون ولا يعينون . فليس من قتال الإسلام المقذوفات الجوية والأرضية التى تصيب كل أحد بلا تمييز ، وتفعل ما تفعل من التدمير والتخريب. شرع القرآن قتال الذين كفروا عند اللقـاء فى المعركة بقوله :

« إِذَا لَقِيتُمُ الذِينَ كَفَرُوا » ، وأمر بالإحسان فى القتال بما يحصل به المقصود بدون تشويه ولا تعذيب وهو « ضَرْبَ الرِّقَابِ » لا كسر الرؤوس وفقأ العيون وقطع الأعضاء ، كل هذا يجتنب مهما كان إلى اجتنابه سبيل ، لأن القتل شرع للضرورة فيقدر بقدرها دون زيادة ما يستغنى عنه من الألم والتعذيب . ثم إذا ظهر الغلب بالإثخان والبلوغ للغاية الكافية فى القتل وجب ترك القتل والاقتصار على الأسر ، ثم إما أن يمن عليهم بالعتق لا فى مقابلة شيء ، وإما ان يفادوا بأنواع الفداء . فانظر إلى هذه الآية كيف قيدت القتل بوقت الملاقاة وجعلته على أحسن وجه وأسهله ، وأمرت بالانتهاء منه عند الاستغناء عنه ، وبينت حسن معاملة الأسير ، فإنك تجدها فوق كل ما تبجح به أروبا ـ وقد لا تنفذه ـ من قوانين الحروب .

الخيانة ونقض العهود يسببان كل شر وبلاء بين الأمم والأفراد، فلذا جاء القرآن بالتشديد على من يؤسر من الناقضين حتى يكونوا عبرة لغيرهم ، فـ « الذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ » هم المرادون بقوله فيهم بإثر ما تقدم : « فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ » الخ ، فـأمر النبى صلى الله عليه وسلم إذا ثقفهم وتمكن منهم أن ينكل بهم بالقتل ليرهب بذلك من خلفهم فيتفرقوا عن حربه ، وليست الآية فى جميع المحاربين ، ها هما الآيتان كما يفهمهما من يفهم العربية لا كما يفهمهما من لا يوثق بفهمه لبعض اللغة العامية . ها هما درتان فى جبين أصول المعاملة فى حروب الأمم ، حرب الرحمة والإحسان ، لا يضرهما أن تعشى عنهما عيون تقذى بالجهل عليها غشاوة .

ها أنت ذا يا م. أشيل لما خضت فى القرآن جئت تقلب حقائقه وتقول فيه كلمة السوء التى ما أزرت أخيرا إلا بك ، وما دلت إلا على قلة علمك ، أو لا يكون بعد هذا الأحسن والأليق بمثلك

ألا يخوض فيــه ما دام على هذه الحــال ؟ وانظر الآن إلى العلماء المنصفين من الأروبيين لما خاضوا فى القرآن بعلم وإنصاف كيف قــالوا ؟

قال كاريل : « إن القرآن كتاب لا ريب فيه ، وان الإحساسات الصادقة الشريفة والنوايا الكريمة ـ تظهر لى فضل القرآن ، لا ، بــل هــو الكتاب الذى يقال عنــه فى الختــام ـ وبــه فليتنافس المتنافسون ـ لكثرة ما فيه من الفضائل العديدة » .

وقال واشنطون ايرفنج : « القرآن فيه قوانين زكية سنية » .

وقال جيبون : « القرآن مسلم بــه مــن حــدود الاوقيانوس الاتلانتكى إلى نهر الكانج بأنــه الدستور الأساسى ، ليس لأصول الدين فقط ، بل للأحكام الجنائية والمدنية ، وللشرائع التى عليها مدار نظام حياة النــوع الإنسانى وترتيب شؤونه ـ إن الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعا فى أحكامها من أعظم ملك إلى أقــل صعلوك ، فهى شريعة حيكت بأحكام منوال شرعى لا يوجد مثلــه قط فى العالمين » .

هذا يا م. أشيل كلام أهــل البحث والتنقيب الذين يخدمون العلم بالعلم ، ويحترمون الحق للحق ، وهم مثلك غربيون مسيحيون يمكنك أن تقتدى بهم فى درجتهم فى الإنصاف إن لم يمكنك أن تقتدى بهم فى درجتهم فى العلم (1) .

(1) ش : ع 11 ـ 7 رجب 1344 هـ ـ 1926/1/21 م .

رد علـى مقال م. أشيـل روبـير

ـ 7 ـ

كنا نكتب مقالاتنا السابقة لبيان الحقائق وخدمـة التاريـخ متأيدين بالعلماء المنصفين من رجال الغرب ، فنقضنا كـلام هذا الكاتب عروة عروة .

وقد بقى من كلامه شىء كثير متعلق بشؤون سياسية حاضرة ، وأحوال جارية فى بعض أمم الإسلام أنحى فيه باللوم والشتيمـة ـ مع جهل ـ على الأمم الإسلامية عموما ، وأفراد منها خصوصا . وصور العالم الإسلامى الضعيف الأعزل المشتت بصورة الخطـــر المحدق بالعالم الغربى ـ القوى المسالم المتحد وحيث الدول الكبرى الاوروبية على الاتفاق السريع ضـده لا لأعرض لمناقشتك يا م. « اشيل » فى هذه المسائل السياسية ، فإن الكَلام فيها فى مثل هذه الظروف ثقيل على النفوس ، محرج للصدور ، وربما وجد أحدنا من حرية القول والنشر ما لم يجده الآخر ، وشرط المناظرة استواء المتناظرين فى امتلاك ساحات الميدان للجولان .

غير أننى لابد لى أن أنفث لك بكلمة واحدة : « أنه ما تقابلت أمة غربية وأمة شرقية إلا كان من الشرقيين عـــدد كثير فى أول صفوف الدولة الغربية فلم تنظر أنت وأمثالك ـ وأنتم قليل ـ إلى الشرقيين المحاربين فتجيش الصدور بمراجل الحقد ، وتتفجر الأفواه بحمم السباب ، وتعرضون عن الشرقيين الموالين المخلصين

ـ والشمال الافريقي الا فرنسي كله منهم ـ فلا تستدلون بأعمالهم على حسن نوايا الشرقيين المسلمين ؟؟ ولقد كان من العدل أن تنظروا بعينين ، ومن الكمال أن ترجحوا الاستدلال بالموالين ، على الاستدلال بالمعادين » .

ـ الخاتمة ـ

نحن اليوم في حاجة إلى الكتابات التي تقرب بين العنصرين المتساكنين في الجزائر اللذين تتوقف سعادتهما على تحابهما وتعاونهما.ولا شك أن مقال م أشيل صور المسلمين بصورة تبغض فيهم العامة من جيرانهم الفرنسيين ، فلذا رأيت من الواجب أن أبطله وأزيفه حتى لا يغتر به أحد ، ولما قمت بهذا الواجب بقي علي أن أنبه إخواني الجزائريين إلى أن أفكار هذا الرجل ليست إلا أفكار فئة قليلة من أمثاله ، لا كلمة لها في سياسة أمته غير راضين على قوله ولا مصدقين له فيه . فلنسر كعادتنا التي يفرضها علينا ديننا مع جيراننا:التعاون والتراحم والإحسان (1) .

(1) الشهاب : السنة الاولى ، العدد 12 ، ص 2 ، ع 1 ـ 3 ـ 1926 .
أعيانا البحث عن هذه الحلقة فانجدنا بها الدكتور عمار طالبي مشكورا .

المناظـــرة ـ والمهاتـــرة ...

دعانا ما نشاهده من حال شعبنا المنحطة انحطاطا لا يختلف فيه اثنان إلى العمل على ما فيه سعادته ورفعة منزلته ، فأسسنا بهــذه النية جريدة سياسية تهذيبية انتقادية . وليس هذا كـل ما يحتاج إليه الوطن ويبلغ بالشعب إلى مصاف الأمم ، ولكن اقتصرنا عـلى الأهم والأصل الذى تتفجر منه ينابيع السعادة الحقة .

عزمنا على خدمة الوطن من هذه الوجهة ـ وجهة الصحافـة ـ وبهذا البرنامج ونحن نعلم أن خدمة الأمة على هذا النحت ليست من مستطاع الفرد والأفراد القليلة ، ولكن أبرزنا عزمنا من القوة إلى الفعل ثقة بأن الأمة ـ وإن بلغت من الانحطاط ما بلغت ـ لا تخلو من أولى الإحساس والشعور بالواجب . وما ظهر مشروعنا فى عالم الوجود حتى رأينا من الأدباء والمفكرين أرباب الأقـلام البليغة والأفكار السامية ما شجعنا وحقق أملنا ، وأقام الدلـيل على أن المعدن الجزائرى معدن ذهبى لا ينقطع وإن دق .

تناول كتابنا تلك المواضيع الثلاثة فخدموها بضمير طاهر وقلم نزيه وفكر ثاقب . ولكن كان موضوع الانتقاد أسعد حظـا وأوفر نصيبا ، لأن أسبابه أكثر من أن تؤثر فيها المقالات القليلة ، ولأن شأنه أظهر من أن يعاند فيه ويتحزب ضد الكاتب فيه .

ومع ظهور شأن الانتقاد من ذاته ولسان الحال فيه أقوى عاضد للسان المقال ، فإن كتابنا لم يكتفوا بذلك كله،وجمعوا إلى تصوير الانتقاد بأصدق صورة النظر الصحيح والاستدلال بالكتاب العزيز

من غير تحريف لمعناه ، وبالحديث الشريف من غير تخليط فيه بل واقفين عند حد ما اتفق الأئمة على الاستدلال به ، لا تجد لديهم للموضوعات رواجا ، فتأثر من سلوكهم هذا طائفة حدثتها نفسها بمناهضتهم ، وعجزت عن أن تسلك سلوكهم في معارضتهم ، فكان شأنها دائرا بين تقويل الكتاب ما لم يقولوه ، وإساءة الظن بهم والقدح في أعراضهم ، ومحاولة نقض أقوالهم بالأحاديث الموضوعة وتحريف معنى الآيات الكريمة .

فمن الأول تدليسهم على العامة بأن كتابنا أنكروا الولاية وطعنوا في الأموات ، فهبوا يذبون عن الأولياء ويغارون على العظم الرميم ، وحشوا مقالاتهم في هذه السبيل بما لا ترضاه الفضيلة ، ولا تجيزه الأمانة ، ولا تحله أي شريعة .

ومن الثاني ما وقف حياته على نشره الرشيد ، وعضده «صهيب» الجديد ، إلى غير ذلك من الألقاب التي شمر صحلها عن ساعد الجد للسباب ، وتستروا خشية الفضيحة بين العبيد . ولم يبالوا بما يلاقونه يوم الوعيد ، فترى الواحد منهم إذا جلس في مجالس العقلاء أنكر ما يأتيه أصحاب الألقاب الجديدة من النبز واللمز والاعتياض عن جادة المناظرة بترهات الهاترة ، وإذا خلا مع من يرضيه هذا السلوك ممن أقصدتهم سهام الحق فلم تشوهم رضى لرضاهم،ولو كان في رضاهم سخط الله تعالى ومقت العقلاء ، فكان على عكس ما قال الشاعر الحكيم :

اتق الله فأغبى الورى من أغضب الرب وأرضى الورى

ومن الثالث الاستدلال بآية : « وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ » في غرض ليست الآية منه ، وحملها عليه من باب تحريف الكلم عن مواضعه ، والاستدلال بمثل : « أفضل الأعمال جلوسك بين يدي ولي » الخ ، وهو موضوع لا يتجرأ على الاستدلال بأمثاله من الموضوعات إلا من له حاجة في نفسه يريد الوصول إليها باسم الدين

هذه سبل ثلاثة سلكتها تلك الطائفة لإيقاف حركة المصلحين المخلصين لدينهم وشعبهم، فهل جاراها كتابنا فى ذلك، وعاملوها بما عاملتهم به وقابلوها بالمثل ؟

لا ، بل ذهبوا فى سبيلهم هونا وقالوا لها سلاما ، وكتبوا على أنفسهم أن لا يجيبوا إلا من أناب إلى فضيلة المناظرة وتاب من رذيلة المهاترة .

إن الخطة التى رسمها كتابنا للسير عليها إزاء هاتيك الطائفة لتنم عن حكمة ورزانة هم جديرون بهما .

فإن معارضيهم ما أرادوا بمعارضتهم بتلك الطرق الدنيئة إلا تحويل وجهتهم عن غايتهم الشريفة إلى الاشتغال بتزليف أراجيفهم التى ليس لها تمرة ، ولا فى الاعتناء ببيان قيمتها شىء من خدمة الأمة .

إن لمشروعنا مبادىء صحيحة ، ولنا غاية شريفة ، فما علينا إلا أن نسير على تلك المبادىء إلى تلك الغاية بضمائر طاهرة، وأقلام نزيهة، حتى نكون قد قمنا بواجبنا الوطنى بصدق وإخلاص ، ونترك لمن بعدنا نموذجا صالحا وتراثا طيبا وثمرة سائغة .

ومن عارضنا فى سيرنا بفكر ونظر وقصد حسن قبلنا صوابه وأعلنا بالامتنان له وأوضحنا خطأه وشكرناه على حسن قصده .

ومن سلك معنا سبيلا من تلك السبل الثلاثة أعرضنا عنه، وتركنا للعقلاء الحكم عليه ، وفوضنا للجيل المقبل النظر فى صنيعنا وصنيعه، والتمييز بين ما أهديناه له وما أهداه له اخصامنا.

فلنثبت على سيرنا ، وليثبت الأخصام على سيرهم إن شاءوا ، وليعمل كل على شاكلته ، فكل ميسر لما خلق له .(1)

ش : ع 15 ـ 5 شعبان 1344 هـ ـ 18 فبراير 1926 م .

مؤتمر مكة :

يا جمعية الحرمين ما هذا السكوت ..؟!

أرسل ملك الحجاز فى 12 رمضان الماضى البرقية الآتية إلى ملوك العالم الإسلامى وأمرائه وجمعياته العلمية والدينية ، والذى أرسلها إليه من الجزائريين هو العالم الفاضل الشيخ مصطفى شرشالى قاضى بلدة تيزى وزو ، كما وقفنا على ذلك فى جريدة « أم القرى » وجريدة « الأهرام » ، ونظن سبب توجيه البرقية إليه شهرة اسمه بمكة المكرمة بسبب المدة التى كان أقامها بها ، ولصفته الشرعية ، ولكونه عضوا لجمعية الحرمين الشريفين .

وها هى البرقية بنصها نقلا عن الجريدتين المذكورتين :

« خدمة للحرمين الشريفين وأهلهما ، وتأمينا لمستقبلهما ، وتوفيرا لوسائل الراحة للحجاج والزوار ، وإصلاحا لحال البلاد المقدسة من جميع الوجوه التى تهم المسلمين جميعا ، ووفاء بوعودنا وعهودنا التى قطعناها على أنفسنا ، وميلا منا فى تكاتف المسلمين وتعاضدهم فى خدمة هذه الديار الطاهرة ــ رأينا الوقت المناسب لانعقاد مؤتمر عام يمثل البلاد الإسلامية والشعوب الإسلامية يكون فى 20 ذى القعدة سنة 1344 ، وقد أرسلنا الدعوة لكل من يهمه أمر الحرمين من المسلمين وملوكهم، وأملي أن مندوبيكم يكونون حاضرين فى التاريخ المحدد .

والله يتولانا جميعا بعنايته .

ملك الحجاز سلطان نجد ، عبد العزيز »

كنا نشرنا مقالا خاطبنا فيه هاته الجمعية أيام جلسته الأخيرة بالجزائر ، وذكرناها فيه بالواجب عليها فى شأن تمهيد طريق الحج ومؤتمر الخلافة ومؤتمر مكة ، ثم لم نسمع منها إلى اليوم صوتا ولم نر لها عملا ، وها نحن اليوم نعيد تذكيرها وخصوصا بهذا المؤتمر الذى سيفصل فى أمر الحرمين الشريفين الذى تضيف الجمعية نفسها إليهما ولم يبق لتاريخ انعقاده إلا قليل .

أيتها الجمعية الموقرة ، إن سكوتك هذا عن القيام بالواجب عليك جناية على نفسك ، وعلى الأمة ، وعلى فرنسا نفسها .

إن فرنسا تبذل الأموال والجهود لتحسين سمعتها بالشرق وبالعالم الإسلامى خصوصا ، وما يقول الناس ؟ وما تكتب الجرائد؟ عندما يرون أمم شمال افريقيا الإسلامية ــ دون غيرها من المستعمرات الابريطانية مثلا ــ متعطلة عن الحج غير ممثلة فى هذا المؤتمر الدينى المحض الذى يحق لكل أمة مسلمة ويجب عليها أن تحضره لتعلقه بالأرض المقدسة عند جميع المسلمين والمشاعة بينهم.

إن لفرنسا بالشرق والعالم الإسلامى منافسة كبرى ومزاحمة جبارة تعمل دائما باقتدار وبراعة على تضعيف نفوذ فرنسا وتشويه سمعتها ، وسواء أحببنا أم كرهنا فإن الحقيقة هى أنها كثيرا ما فازت عليها ! ولا سبب لذلك إلا قصور أو تقصير من بعض الممثلين فى الخارج ، وبعض الرسميين ــ مثلكم ــ فى الداخل .

أيتها الجمعية الموقرة: إننا لا نحب أن تكونى ــ باسمك الشريف ــ ثقلا على كاهل الجزائر تحمل منته ، ولا تجنى ثمرته .

أيتها الجمعية الموقرة ؛ إن جمعية تسمى ــ جمعية الحرمين الشريفين ــ ولا تشتغل بشأن الحرمين الشريفين،مهزلة سياسية ينزه عنها مركزك الذى هو دينى فيما يظهر لنا .

فإما أن تعملى بمقتضى اسمك فتؤدى الواجب عليك نحو نفسك ونحو المسلمين ونحو فرنسا نفسها ، وإما أن تبدلى اسمك مما شئت، وتريحى نفسك وتريحينا من عناء الخطاب ومرارة العتاب . ونحن لك فى كلتا الحالتين من الشاكرين باحترام .[1]

[1] ش : ع 26 ـ 30 شوال 1344 هـ ـ 13 ماى 1926 م .

في بحـــر عـــام

« أعمـالنـا وآمـالنـا »

نحن اليوم على عتبة السنة الثانية في حياتنا الصحافية ، ننظر إلى مستقبل مملوء بالآمال ، وإلى ماض ما فيه إلا قليل من الأعمال ، غير أن ما حققناه رغم كل الصعوبات في هذه السنة من قليـــل العمل ، يبعث فينا الرجاء القوي في أن نحقق مع الأيام ــ بإذن الله ــ كثيرا مما لنا من الأمل .

في السياســة :

قد تأسست هذه الصحيفة على أن تخدم الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية ، فكانت في جميع مواقفها ترمي بنفسها في سبيل الأمة حيث تعطب وحيث تسلم ، وكانت في جميع مواقفهـا متشبثة بالجمهورية الفرنسوية،مستصرخة عدلها وإنسانيتهـا ، مستعينة بها على كل من يخرج عن مبدا الحرية والأخوة والمساواة .

غير أن هذه الصحيفة كان لها من الصدق والصراحة والحـــزم والصرامة ما لم تعرفه الجزائر قبلها ، فكان غير مستغرب أن يثير الشكوك فيها رغم صراحتها ، وأن يخلق لها أضدادا ومنافسين . وقد لقيت من جراء ذلك ما لقيت مما كان ــ عند ضعاف العزائم ــ عذرا كافيا في النكوص أو السكوت .

من حسن صنع الله للأمة أن يكون على رأس إدارتها رجال أهل خبرة ورزانة ، يتعمقون في البحث عن الأمور إلى قراراتها . ولقد

كان من هؤلاء أفراد فى هذا القطر ، وأولئك كانوا محل رجائنا فى أن تفهم الحكومة غايتنا وحقيقتنا ، ونحن بعد أن أمضينا سنة كاملة بالصدق والصراحة فيما قدمناه من مبدئنا ـ لا نشك أنهم قد حققوا ذلك الرجاء .

إننا سنثابر على مبدئنا،آملين أن نكون من أقوى العاملين على الاتحاد الأخوى الفرنسوى الجزائرى المبنى على أساس الجمهورية وكلماتها الثلاث الخالدات ، وإننا نعلم أننا نجد من الحكومة على ذلك استحسانا وتأييدا ، وأننا لا نجد من الجزائريين عليه إلا معينا ونصيرا ، وإذا وجدنا معرقلات فى ذلك فإنها لا تكون إلا من حزب الاستعمار بشرهه واثرته وأنانيته ، ومن كثير ممن بيدهم السلطة خارج المدن الذين ينفذون باسم فرنسا ما ليس من مبادئها فيتركون أثرا سيئا فى القلوب ، ونحن فى سبيل الاتحاد الأخوى المنشود سنكون لجميع هؤلاء من ألد الخصوم .

فى التهـذيـب :

من المعلوم أنه لا يكون تهذيب إلا بإنارة العقول ، وتقويم الأخلاق ، وتطهير العقائد ، وقد كان فيما نشرناه لكتابنا ونقلناه عن غيرنا جانب وافر فى تحصيل ذلك .

قد رأينا ـ ونحن أمة مسلمة ـ أن نسعى لتهذيبها من طريق الإسلام ، ولم نشك قط أن الإسلام ليس هو ما تمثله بسيرة مجموعها وأفرادها ، وأن الإسلام إنما هو فى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما كان عليه سلفها من أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية على لسان الصادق المصدوق ، فصمدنا ندعو الأمة إلى الرجوع إلى هذه الأصول،وطرح كل ما يخالفها من قول وعمل واعتقاد .

لقد كان يسهل الرجوع إلى هذه الأصـــول التى معرفتها مـــن ضرورات الإسلام ـ لو كانت بقيت لها صورتها الحقيقية فى الأذهان، ومعناها الحقيقى فى القلوب ، وبقيت كذلك متداولة متناقلة بين الناس ، ولكن ـ ويا للأسف ـ لم يكن الأمر كذلك لا فى كثـــير ولا فى قليل .

أما السلف فكل من مات ممن تقدم هؤلاء الأحياء فهو سلف ..! وكل ما جاء عنهم فهو حق ، سواء أوافق أم خالف كلام السلـــف ، وتفضيلهم على السلف إذا سلم منه أحد فلا يسلم إلا القليل المتعلمون.

وأما السنة فكتبها مجهولة ومهجورة ، ولا يسمع الناس إلا صحيح البخارى عند احتباس الغيث ! نعم ، ما أكثر ما تجد فى أيدى العامة وأشباه العامة الضعيف والموضوع المأخوذ من كتب القصص والمناقب والحكايـــات .

وأما الكتاب أصل الهداية والميسر للذكر ـ فقد اتخذه القوم ـ والله ـ مهجورا ، وزعموا الاحتجاج به والدعوة إليه قولا منكورا ، وقالوا : إننا لا نفهمه ! فجاءوا ظلما وزورا .

هذه حالة السواد الأعظم إلا القليل النادر، وما أخفاه فينا ! ومع هذا فلقد كانت هداية العامة قريبـــــة لولا ساداتهـــا وكبراؤها ، والذين لا يعيشون إلا على جهلها ، ومن لهم غرض فى بقائها على حالهـــا .

صدعنا ـ رغم هذه الحالة ـ بعقيدتنا ، ونشر دعوتنا إلى مبدئنا، فلبى الدعوة علماء وكتاب ، ووقف فى وجهها قوم آخرون ، فكانت معركة قلمية دامت سبعة أشهر، واتسعت دائرتها حتى تقحمها كل من حدثته نفسه بالكتابة ، ومن لم يعرف اسمه قبلها على صحيفة ، وكثر سلاحها حتى استعملت فيها سهام الوشايات والرمي بالكفـــر والضلالات، بله المعاصى والمنكرات ، ولقد كانت تستمـــر كذلك

ـ والإثم على فاعله ومعينه ـ لولا ما عرض مما اقتضى تحويل الدعايا الإصلاحية من ذلك المجرى إلى أساليب أخرى ، فغير « الشهاب » أسلوبه وهو ثابت على مبدئه ، راسخ في عقيدته ، قد زعزع عقائد كانت تحسب من صميم الإيمان ، ونسف صروحا مشيدة من الخرافات والأوهام ، ووضع الأساس للإصلاح الدينى فى هاته الديار ، وزرع البذرة الأولى لتطهير العقائد وتحرير الأفكار ، وهو يأمل أن يستمر على تشييد ما أسس،وتنمية ما بذر، حتى يتفيأ ظلال بنائه ، ويجتنى ثمار غرسه جميع إخوانه المسلمين الجزائريين ، وما ذلك على العاملين المخلصين ـ بإذن الله ـ ببعيد .

الانتقاد :

لا يكون إصلاح إلا بالانتقاد ، فلذلك وجدنا أنفسنا فى خطتنا مضطرين إليه ، وقد كانت منا انتقادات سياسية واجتماعية وأدبية ودينية . وقد كانت وجهتنا الأولى فى النقد الدينى هى الاعتقادات، ولقد كان همنا الأول تطهير عقيدة التوحيد من أوضار الشرك القولى والفعلى والاعتقادى ، فإن التوحيد هو أساس السلوك، ولذلك ابتدئى بـ : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ » قبل « اِهْدِنَا » فى فاتحة القرآن العظيم.

هنا اصطدمنا بزعماء الطرق وشيوخ الزوايا الاصطدام المعروف ، لأنه إذا خلص التوحيد توجه الناس إلى ربهم الذى خلقهم وتركوهم،واعتقدوا فيهم أنهم مخلوقون مثلهم لا يضرون ولا ينفعون،إلى غير هذا مما ينتجه التوحيد الصحيح من تحرير العقول والأرواح والقلوب والأبدان .

إننا نصرح أمام الله والناس أن هؤلاء القوم إخواننا فى الدين والوطن ، نحب لهم ما نحب لأنفسنا،ونكره لهم ما نكره لها ، وإننا إذا قلنا كلمة الحق فإنما نقولها على وجه النصح الذى فرضه الله على المسلمين ، غير زارين عليهم فى شخصياتهم،ولا قادحين فى شأن

من شؤونهم الخاصة بهم ، والحكم فوق الجميع هو كتاب الله وسنة رسوله وعمل سلف الأمة الصالحين . وإذا رضي إخواننا بهذا الحكم – قولا وتطبيقا – فإننا نرجو رجاء قويا حصول الخير العميم للجزائريين ، وأن يكونوا هم من أقوى أنصاره المؤيدين .

الخلاصة :

إن « الشهاب » سيسير على خطته ،ثابتا على مبادئه ، مراعيا مقتضيات الحال والزمان والمكان بسياسة حكيمة ، وتهذيب راق ، وانتقاد نزيه ، يوالي الحق والإنسانية ، وينصر أنصارهما من كل جنس ودين ، ويعادي الباطل والوحشية،ويحارب أنصارهما من كل جنس ودين ، يمجد الحرية والعدل والأخوة من كل إنسان ، ويمقت الاستبداد والظلم والشقاق من كل إنسان ، وله من ثقته بالله ثم بنفسه وأنصاره خير معين وأقوى نصير (1)

« النخبة »

(1) ش : ع 32 – 11 ذي الحجة 1344 هـ – 1926/6/24 م – ص 1 .

شيوخ الأمس واليوم

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

الشيوخ المتقدمون رحمهم الله كانوا فى مجموعهم أهل علم وصلاح ،علموا الناس وذكروهم،وماتوا ولم يتركوا من حطام الدنيا إلا القليل أو لم يتركوا شيئا ، فرحمهم الله وجازاهم الله خيرا ، لا نذكرهم إلا بخير ، ولا نتعرض لهم إلا بوزن ما جاءنا عنهم من الأقوال والأعمال والأحوال بميزان الكتاب والسنة ، فما وافق قبلناه وما خالف طرحناه ؛ ونحن فى ذلك موافقون لوصاية أكبر الشيوخ الزهاد المتقدمين الإمام الجنيد رحمه الله لما قال : أمرنا هذا مقيد بالكتاب والسنة .

ولوصاية كبير من أشهر المتأخرين الشيخ التجانى رحمه الله تعالى لما قال :«اعرضوا ما جاءكم عنى على الكتاب والسنة فما وافق فاقبلوه وما خالف فاضربوا به عرض الحائط». وقد قال إمام الأئمة ونجم السنة مالك بن أنس رحمة الله عليه:كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر . يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، أما شيوخ اليوم فإنهم أعرضوا عن العلم وأقبلوا على جمع الحطام، وأعرضوا عن الكتاب والسنة وأقبلوا على كتب منسوبة إلى المتقدمين،متمسكين بكل ما فيها من غث وسمين ، ودعوا إلى طرقهم المتعددة المتشعبة كل يرى طريقته على الحق وغيرها على الباطل ، فأحدثوا العداوة والفرقة بين المسلمين،وأنسوهم الوحدة الإسلامية التى تجمعهم .

فهؤلاء إخواننا فى الإسلام . نحب لهم ما نحب لأنفسنا،ونكره لهم ما نكره لأنفسنا ، كما يفرضه علينا الإسلام . فلهذا ندعوهم بدعاية الله إلى كتاب الله وسنة رسول الله وما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة . فنقول لهم : يا أيها الجاهلون المتقدمون أن التقدم لا يكون إلا بالعلم فتعلموا وتقدموا . ويا أيها المتكاسلون عن العمل المنتظرون لأوساخ الناس والآكلون لأموالهم بالباطل اعملوا واكدحوا وكلوا خبزكم بعرق جبينكم،وتقوتوا من كد يمينكم،ويا أيها المعرضون عن كتاب الله وسنة رسوله ارجعوا إلى دينكم من الكتاب والسنة فإنه لا نجاة إلا بهما ، ولا خير إلا فيهما، واجعلوهما حجة على غيرهما،ولا تجعلوا غيرهما حجة عليهما . ويا أيها الذاهبون فى سبل متعددة متباينة اعدلوا عن بنيات الطريق،واسلكوا الجادة،ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، فإنكم ما دمتم على هذه النسب المتباينة يضلل بعضكم بعضا ، وينفر بعضكم من بعض،لا يرجى لكم اتفاق ولا اتحاد . فارجعوا إلى اسم الإسلام الذى يجمعنا ، وطريقه الوحيد المستقيم الذى كان عليه محمد وأصحابه والصالحون أسلافنا ، وكتابه النور والتذكرة والتبصرة الذى نجتمع عليه ونتفق على الاهتداء به ويطمئن قلب كل مؤمن إليه .

هذه دعوتنا لإخواننا ، هؤلاء الذين اتخذوا دينهم لعبا ، وذهبوا فيه طرائق قددا ، ونحن لا نضمر ــ والله يشهد ــ لأحد المسلمين بغضا ولا حقدا ، بل لا نلطوى لهم إلا على الحب والشفقة والإخلاص. رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ .

قاله وكتبه خادم العلم وأهله صبيحة الأحد 22 شوال 1345 ببلدة تلمسان حماها الرحمان الرحيم،بطلب من الأخ فى الله سيدى

محمد بوصالح وجماعة من المحبين فى الله . راجيا فى ذلك ما يرجوه
كل داع إلى الله ودينه القويم،والسلام (1) .

(1) الشهاب العدد 99 ، يوم الخميس 2 ذى الحجة 1345 هـ 2 جوان 1927 م .

دعـــوة إلى الحسنـــى

فهـــل مـــن مجيـــب ؟

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (قرآن كريم) .

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقـــره، التقوى ههنا ـ ويشير بيديه إلى صدره ، ثلاث مـــرات ـ بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرامٌ دمه وماله وعرضه » (حديث شريف) .

مهما اختلفت مذاهب المسلمين وتشعبت طرقهم وكثرت فرقهم، فإنهم ـ بحمد الله ـ متفقون على أصل دينهم الذى لا يكون أحد من أهل الدين إلا به . ذلك الأصل الذى بينه حديث جبريل فى بيان الإيمان والإسلام والإحسان لما جاء يعلم المسلمين دينهم . فكلهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وكلهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضـــان ويحجون البيت متى استطاعوا إليه سبيلا ـ أو يقرون بذلك وإن لم يفعلوا ـ وكلهـم يقولون بلسان المقال أو بلسان الحال : رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم رسولا . فقـــد حفظـوا ـ بفضل الله ـ مما لم يحفظ منه غيرهم : من الخلاف فيما يكون به المسلم مسلما، قد كان من مقتضى تفاوت النظار فى القوة الفكرية من أصل الفطرة ، وتباينهم فى العدة العملية بحسب الزمان والمكان

والبيئة ـ إن اختلفوا ، كما قد كان من مقتضى عوامل سياسية داخلية فى تاريخ الإسلام ، ودسائس أجنبية من جمعيات سرية تعمل على هدمه متسترة باسمه ـ إن افترقوا ، ولقد كان افتراقهم السبب الأول الأقوى لجميع البلايا والمحن الداخلية والخارجية التى لحقتهم فى جميع أجيالهم أيام قوتهم وأيام ضعفهم ، وإن فى تاريخهم لعبرة،وإن فى أنبائهم لمزدجرا .

حق علينا ـ معشر الجزائريين ـ اليوم أن نتدبر تلك العبر، وأن نزدجر عما فى مصائب الفرقة من خطر ، فقد قامت بين كتابنا خلافات فى مسائل دينية ؛ أدت إلى افتراقات حزبية حتى خرجت ببعض الكتاب من الجانبين إلى مراعاة بسهام التشاؤم وقذائف السباب مما لا ترضيه مروءة ؛ ولا يسيغه عقل ولا دين . لا نريد ـ ونحن فى موقف الدعوة إلى الحسنى ـ أن نذكر من المبادىء ولا من صاحب القسط الأكبر من ذلك الفحش والبذاء ؛ مما يعيدنا إلى ما نود طرحه والإعراض عنه، وإنما نقول لجميع الكتاب من الجانبين بلسان الدين والأخوة الإسلامية،هاته الكلمة : اقلعوا عن المهاترة والمشاتمة والمغامزة والملامزة مما هو حرام بإجماع المسلمين، واسلكوا فى المناظرة طريق القرآن الكريم بيان لقول الخصم بدون تعرض لشخصه وإقامة للحجة التى ترده عليه مع حسن السلوك والقصد فى الوصول إلى الحقيقة ، والإذعان لها إذا ظهرت على أى لسان ، ومع الشعور بأن الراد والمردود عليه إخوان يريد كل واحد منهما أن يهدى أخاه إلى ما يراه خيرا له،ويصرفه عما يراه شرا ؛ لأنه ـ كما يأمره ، الإسلام ـ يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكرهه لها،فإن من لم يحسن القصد والسلوك يكون خابطا أو مرائيا ؛ ومن لم يكن ذا إذعان للحقيقة يكن معاندا ، ومن لم يشعر قلبه روح الأخوة ينقلب عدوا مؤذيا،ومن اتصف بهذه

الصفات أو بعضها كان شرا وبلاء ــ والعياذ بالله ــ على نفسه وعلى غيره في قوله وعمله وكتابته .

نقول هاته الكلمة الحقة البارة لجميع الكتاب،راجين أن يقبلوها ويعملوا بها ، وإننا سنكون أول عامل بها . فلا ننشر ــ كما لم ننشر ــ يخرج عن دعوتها (1) ، ونحسب أن سيكون العمل بها ــ إن شاء الله تعالى ــ سببا في زوال الفرقة إن لم يكن سببا في إزالة الخلاف (2) .

(1) كذا في الاصل والواضح :ما يخرج عن دعوتها .

(2) الشهاب العدد 102 . 23 ذى الحجة 1345 هـ 23 جوان 1927 م .

تحت راية القرآن :

أخ جديد في الاسلام (1)

في يوم من أواخر شهر رجب الماضي (1346) ، زارني في إدارة جريدة (الفتح) شاب فرنسي ، في الثامنة والعشرين من عمره ، يحمل إلي كتابا من صديقي الشيخ عبد الحميد بن باديس ، قائد الحركة الفكرية في الجزائر ، وزعيم النهضة الإصلاحية هناك .. وهو يثني في كتابه الثناء الأوفى على حامل كتابه : (المسيو جان مرسال بوسار) . ويقول : إنه من أسرة سرية ، وبيت وجيه .. وقد شرح الله صدره للهداية الإسلامية ، فأنس بها وتشربتها نفسه .. فعزم على أن يهاجر بعقيدته هذه إلى بلد بعيد عن أسرته .. فاختار الإقامة في القاهرة ، ليعيش فيها ساعيا لدنياه وآخرته معا ، وهو أهل للثقة والكرامة ..

ذلك أول عهدي بصديقي السيد (يحيى عز الدين) ـ أخينا الجديد في الإسلام ـ وهو الشاب الفرنسي ، الذي نعلن في (الفتح) أنه يعلم اللغة الفرنسية .. ومن الأهمية بمكان أن تعرف رأيه في حالة المسلمين الحاضرة ، بالقياس إلى ما عرفه من فضائل الإسلام ، التي حببت إليه هذا الدين ، وجعلته يؤثره على غيره .. فهو يرى أن من حق الإسلام على المسلمين أن يكونوا هم أنفسهم مسلمين ، (حقا وصدقا) ليكونوا قدوة لغيرهم في الإقبال عليه ، والانتفاع بمبادئه وتعاليمه .. أما الذي هم عليه الآن فهو الغفلة العميقة ،

(1) الحقنا هذا الفصل بآثار الامام لتعليقه عليه وأدرجناه في باب (الاصلاح) .

والسبات الطويل .. يسيرون في طريق الهلاك ـ الذى هرب منـه (المسيو جان بوسار) .. لاجئا إلى طريق النجاة ، الذى شرعه الإسلام .. « وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً .. » والمسيو جان بوسار ، أو السيد يحيى عز الدين ـ كما يريد أن نسميه الآن ـ يعد محاضرة طويلة ، سيلقيها عما قريب ، في نـادى جمعية الشبان المسلمين ، عن الأسباب التى حملته على أن يكون واحدا منهم .. وماذا رأى في الإسلام مما حببه إليه ، وجعله يؤمن بتعاليمه .. ولعل هذه المحاضرة ستكون طويلة فيلقيها في يومين .. يوجه الكلام فى أحدهما إلـى المسلمين ، داعيا شبانهم وشيوخهم إلى أن يكونوا مسلمين حقـا .. ليحسنوا إلى الإنسانية كلها ، وينقذوها من شر مستطير ، أوشكت أن تقع فيه ..

ويوجه الخطاب فى اليوم الثانى إلى غير المسلمين ، معارضا بين ما كان فيه وما صار إليه .. موازنا بين حقائق الحياة كما كان ينظر إليها قبل إسلامه ، وكما صار ينظر إليها بعد إسلامه ..

ذلك هـو الشاب المهذب ، العميق التفكير ، الذى أعـرب بثلاث كلمات قالها بين يدي فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمود قراعة ، فى محكمة مصر الشرعية ، يوم السبت رابع رمضان ، سنة 1346 .. وهـــى :

ـ « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله » .

ـ « وأن سيدنا عيسى عبد الله ورسوله .. » ثم قال :

ـ « برئت من كل دين يخالف دين الإسلام .. وأشهد على نفسى بذلك .. » .

فأصدرت المحكمة الشرعية بذلك إعلانا رسميا .. (سجـل فى وزارة الحقانية ، طبقا للإجراءات الجارى بها العمـل ..) وبذلك

أصبح السيد يحيى عز الدين عضوا فى الاسرة الإسلامية .. منذ نحو أسبوعين .. وكان كذلك بنظر نفسه وبنظرنا أيضا ، منذ أكثر من شهرين ..

فأهنئه بما كتب الله له من الخير ، وما يسره له من الهدى ، وارجو الله أن ينفع بإيمانه المسلمين ، وأبناء الإنسانية جميعا ..

(محب الدين الخطيب ــ مجلة الفتح) .

تعليق (الشهاب) :

هكذا يفقه الإسلام من ينظره بالعلم والإنصاف من الغربيين ، فيفوز بهدايته .. بينما أبناء الإسلام الذين مضت على إسلامهم قرون فيه .. لا يحملون منه إلا اسمه ، لجهلهم بحقيقته ، وعدولهم عن طريقته .. ومن جميل الاتفاق أننا يوم تناولنا صحيفة «الفتح» الهادية من البريد وقفنا فى صحيفة (لاديبيش) على خبر من لندرة فيه أن خمسين من سراة الانقليز أسلموا بمناسبة زيارة جلالة أمان الله خان لانقليترا .. وهكذا ينتشر دين الله بلا دعاية ولا تبشير ..

وللأخ المجاهد الأستاذ محب الدين الخطيب ، صاحب (مجلة الفتح) الهادية ، شكر الإسلام والمسلمين ، والجزاء الأوفر من رب العالمين (1) ..

(1) الشهاب الاسبوعى عدد 142 ــ 21 شوال 1346 هـ ــ 12 افريل 1928 ..

يتكلمون بما لا يعلمون

إن الجاهل بالشيء جاهل به،ولو كان من أعلم الناس بغيره ، وما علمه بما علم برافع جهله فيما جهل . إن هذه لحقيقة من الوضوح بمكان . ولكن يحتاج إلى تكرار ذكرها بقدر ما يتكرر من وقـوع مخالفتها . إن الناس قسمان : الجاهلون بكل علم ، والعالمون وليس منهم من يعلم كل علم . ومن العجيب أن أهل الجهل أعرف بجهلهم فلا يتكلمون فيما لا يعلمون . وأما أهل العلم فكثير منهم يتجاوزون حدود علمهم فيتكلمون بما لا يعلمون . فكأن الجاهلين آيسوا من العلم ولم تكن لهم شبهة فأحجموا،وكأن هؤلاء اغتروا بما عندهم فقالوا فيما غاب عنهم فأقدموا،وذلك هو الغرور المبين .

قد لا أكون ـ أنا كاتب هذه السطور ـ سالما من هذا العيب ، ولكن ذلك لا يمنعني من أن أذكره لأحذره وأحذر منـه . خصوصا إذا رأيت شره قد مس العزيزين علي : ديني ، ووطني ، وقد رأيـت ذلك هذه الأيام من ثلاث جهات فأردت أن أعرض لها في هذا الفصل :

الجهـــة الاولى :

نشرت « مجلة الرابطة الشرقية » في عددها الثالث من المجلـد الثاني مقالا بإمضاء (علوى) عرض فيه كاتبه للخلاف الواقع بين العلويين الأشراف الحضارمة ، والإرشاديين في جاوة وسنغافورة، وقبل أن يدخل في موضوعه ذكر « الجزائر » لينظر بها فقال :

« إليك نبأ عن الجزائر،فإن في أرجائها حركة تحسبها حركـة

نهوض لشعبها العربي الذى ... إلى صورة مشوهة من العجمة بالعسف والجهل وعدم المعونة على سلوك سبيل الحياة .

وتدهش إذ تعلم أن الحركة الجزائرية بمظاهرها من نقاش على صفحات الصحف والمجلات هي حركة مفاضلة بين شيخين من شيوخ الطرق الصوفية هنالك ، أيهما أصح نسبا وأنفذ أمرا وأقدر على الكرامات والخوارق » .

الحقيقة التى يعلمها كل أحد أن هذه الحركة الأدبية ظهرت واضحة من يوم برزت جريدة « المنتقد » المعطلة بقرار وزيرى ، فمن يوم ذلك عرفت الجزائر من أبنائها كتابا وشعراء ما كانت تعرفهم من قبل . ولم تكن الجريدة أسست للدفاع عن أحد ، وإنما أسست للمبدأين اللذين لا يزالان مكتوبين على سفر هاته المجلة إلى اليوم . ثم كانت مخاصمات ضرورية فى مبدأ كل نهوض،ثم تقررت المبادىء وعرفت الخطط ورجع الجميع ـ فى الغالب ـ إلى العمل فى دائرة الإخاء والتسامح والتفاهم بالحسنى . ولم تكن قط فى الجزائر هاته الصورة التى ذكرها الكاتب من الخصومة على المفاضلة بين شيخين،ولكن صاحبنا تخيل فخال ، وجازف المقال . وبدل أن يقتصر فى كتابته على جاوة التي يعرفها ـ إن كان يعرفها ـ جاوزها إلى الجزائر التى لا يعرفها فكان من الخاطئين .

الجهة الثانية :

كتب الأستاذ سلامة موسى فى كتاب « تاريخ الفنون وأشهر الصور » فى فصل « الفنون الإسلامية » يقول : « وقد نزع الإسلام نزعة توحيدية،وجعل للتوحيد المقام الأول فى الإيمان،فتأثرت الفنون من هذه الناحية بحذف كل ما يختص برسم الإنسان أو الحيوان أو نحت تماثيلهما . وذلك لأن الصور والتماثيل تومىء إلى الأوثان التى يخشى على التوحيد منها . ولكننا نجد أمتين

إسلاميتين هما : الفرس ، ومصر (مدة الفاطميين) تسامحتا بعض التسامح فى الرسم والنحت،حتى كانت ترى فى قصور الفاطميين مناظر الرقص والصيد والغزلان ، وكانت كتب الفرس وقصورهم تزين أيضا بصور الحيوان والنبات . ولكن هذا لا يطعن فيما نثبته من معارضة الإسلام لهذين الفنين،بل هو أجدر أن يؤيد ما قلناه ، وذلك لأن فارس ليست سنية،وكذلك مصر أيام الفاطميين كانت شيعية . والتشيع نوع من الانشقاق عن الإسلام،وخروج على جمهور المسلمين » .

لا شك أن حضرة الكاتب يجهل أن جمعا كبيرا من علماء الإسلام لا يمنعون من الصور ما كان مثل رقم فى ثوب ، وإنما يمنعون ما كان تمثالا تام التصوير ، وليس جهله بهذا هو الذى يدعونا إلى الإنكار عليه . ولكن قوله : « والتشيع نوع من الانشقاق عن الإسلام » هو الجدير بكل إنكار . فقد حسب نفسه لما عرف شيئا من تاريخ الفنون أنه عارف بمذاهب الإسلام ، فحكم على الشيعة بالانشقاق عنه . وهذا الكاتب لم يكفه أن ينفى — فى أكثر ما يكتب — عن الإسلام كل ما يحسبه فضيلة،حتى جاء يحاول أن ينفى عنه أمما كاملة من أبنائه،ونعوذ بالله من سوء القصد وقبح الغرور.

الجهة الثالثة :

قوم من بنى جلدتنا مرقوا من جنسنا — وهم أحرار فيما يفعلون ، ورفضوا شريعتنا — وهم أحرار فيما يفعلون . ثم نصبوا دعاية لهذا الرفض وهذا المروق،يزعمون أن ما فعلوه مما لا يأباه الإسلام ، ويرمون كل من لم يوافقهم بالجمود والتعصب .

ليعلموا — أولا — أن كاتب هذه السطور وبنى دينه وجلدته يحترمون جميع الأجناس البشرية ، ويقدرون الحق والعدل فى جميع القوانين الأممية ، ويدعون لهؤلاء السادة وما اختاروه

لأنفسهم،غير أنهم ينكرون هذه الدعاية المريضة التي يتقول فيها على الإسلام بغير علم،ويرمى فيها علماءه بالجهل والتعصب والجمود.

أيها السادة ــ مع احترامى لكم ولما اخترتموه لأنفسكم ــ أقول لكم بغاية الصراحة : إنكم تجهلون أصول الإسلام،لأنكم لم تتعلموها، وانكم ــ بضرورة ذلك ــ مخطئون فيما تنسبونه إليه ، وان الناس لعلمهم بذلك منكم ، لا يغترون بشيء مما تقولون .

خير لكم ــ أيها السادة ــ أن تسلكوا في دعايتكم مسلك البيان للمنافع الدنيوية التي تحصل للناس بموافقتكم ــ إذا كانت ثــم منافع ــ وتضربوا الأمثال لذلك بما حصل لكم بالفعل من الميزان كان قد حصل ، وتدعوا أمر الدين والفتوى لأهلهما ، وأنتم لــو سلكتم مسلك الدعاية بالدنيا لما عرضت لكم ، ولكن لمــا أخذتم تدعون باسم الدين لم يسعنى إلا تنبيهكم بهذه الكلمات ، وعساكم ــ لما كنتم ترغبون من علماء الدين أن يجاوبوكم ــ أن تتلقوا منى هذه الآيــة القرآنية الكريمة ، وهذا الحديث النبــوى الشريف ، كتحقيق لرغبتكم واعتبار لهــا . وثقــوا مـــع ذلك باحترامى لأشخاصكم ، وتقديرى لمــا هنالك بيننا مـــن روابط شخصية أو عمومية هى غير ما نحن بصدده .

قال اللــه تعالى : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُــمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » وأين الرفض من هذا التسليم .

وقال سيدنا ومولانا محمد ــ صلى اللــه عليه وآلــه وسلم ــ : « .. ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتهى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين،لا يقبل اللّٰه منه يوم القيامة عدلاً ولا صرفــاً » رواه مسلم والبخارى فى صحيحهما مـــن طريق عـــلى ابن أبى طالب كرم الله وجهه .

ثبتنا اللـه بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفى الآخرة إنـه
الحليم الكريم (1) .

(1) ش : ج 1 ، م 6 ، غرة رمضان 1348 هـ ـ فيفري 1930 م .

مـا هكـذا عهدنـا أدب صروف

وقفت في جزء فيفرى الماضي من مجلة « المقتطف » الكبرى على مقال من قلم تحريرها تحت عنوان « مفاخر اور الكلدانيين » جاء فيه قول كاتبه : « لقد جاء في بعض الخرافات العربية القديمة أن عاصفة من الرمل طمرت مدينة عاد فأصبحت بعد العاصفة ولا عين لها ولا أثر » .

لا نشك أن كاتب المقال ليس مسلما ، كما لا نرتاب أنه لا يجهل أن قصة عاد من قصص القرآن ، فتعبيره عنها بالخرافة مـن سوء الأدب الذى مـا عهدنا في المرحوم الدكتور صروف الذى كان في علمه وفلسفته وشدة تحقيقه دينـا صحيح التدين محترما لكتب الأديان ، هذا من الوجهة الأدبية . وأما من الوجهة العلميـة فإن الحكم على قصة مشهورة متواترة عند أمة بأنها خرافة بدون بحث ولا تدليل ليس من شأن العلماء المحصلين .

ثـم ـ بعد هذا ـ نقول في تحقيق هذه القصة القرآنية ـ إن القرآن العظيم كما يسلك في أدلته العقلية أقرب طريق وأوضحه، كذلك يسلك في تذكيره أصدق المواعظ وأبلغها . وإنه كان يخوف العرب أن يحل بهم ما حـل بالأمم قبلهم ، ولقد خلت قبلهم أمـم كثيرة جاءتهم رسلهم بالبينات فكذبوا فأخذهم الله بالعذاب الشديد، ولكن القرآن كان يذكرهم ويخوفهم بمن هم أقرب الأمم إليهم ممن كانوا في أرضهم العربية ، قـد تواترت لديهم أخبارهم ، ومثلت أمامهم آثارهم من قوم عاد سكان الأحقاف،وقوم ثمود سكان الحجر.

وقد كان للتذكير بأحوال تلك الأمم التى هى فى أرضهم ومن جنسهم أبلغ الأثر فى نفوسهم ، كما كان من حديث عقبة بن ربيعة الذى رواه أصحاب السير : تلا عليه النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حم فصلت إلى قوله:صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ، فأمسك عتبة بيده على فم النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وناشده الرحم أن يكف . وما كان محمد الرجل العظيم ، والمصلح الحكيم ، والرسول الكريم ليجعل تذكيره الذى يريد التأثير به على سامعيه مما لا حقيقة له،ولو أنه خاطبهم بما لا يعرفونه من أخبار تلك الأمم وتيقنوه لأسرعوا إلى تكذيبه فيما يقول . فسكوتهم ـ وهم أسرع الناس إلى مجادلته بالباطل ـ دليل قاطع على أن القصة كانت عندهم مما هو معلوم بالقطع من تواتر الخبر ، ومشاهدة الأثر (1) .

(1) ش : ج 3 ، م 6 ، غرة ذى القعدة 1348 هـ ـ ابريل 1930 م .

بواعثنا ـ علمنا ـ خطتنا ـ غايتنا

رأينا ـ كما يرى كل مبصر ـ ما نحن عليه معشر المسلمين من انحطاط في الخلق، وفساد في العقيدة، وجمود في الفكر، وقعود عن العمل، وانحلال في الوحدة، وتعاكس في الوجهة، وافتراق في السير. حتى خارت النفوس القوية وفترت العزائم المتقدة، وماتت الهمم الوثابة ودفنت الآمال في صدور الرجال، واستولى القنوط القاتل واليأس المميت، فأحاطت بنا الويلات من كل جهة، وانصبت علينا المصائب من كل جانب.

رأينا هذا كله كما رآه المسلمون كلهم، وذقنا منه الأمرين مثلهم، ففزعنا إلى الله الذي لم تستطع هذه الأهوال والمصائب كلها أن تمس إيماننا به، وتزعزع ثقتنا فيه، فاستغثنا واستجرنا واستخرنا وتوسلنا إليه جل جلاله بالإيمان وبسابق آلائه، وجأرنا إليه بأسمائه، فهدانا ـ وله المنة ـ إلى النور الوضاء الوهاج الأتم، والمنهاج الواضح الأقوم، هدانا إلى سنة سيدنا الأكرم، وقدوتنا الأعظم، سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

عرفنا ـ مما هدانا إليه ربنا ـ الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والهدى الذي ما بعده إلا الضلال، وسبيل النجاة التي ما في مخالفتها إلا الهلاك، والدواء الذي بدونه لا تبرأ النفوس من أدوائها ولا تظفر بالقليل من شفائها، فحمدنا الله على ما هدانا، وعقدنا العزم على المحافظة على هذه النعمة وشكرها، وما شكرها إلا في العمل بها وبنشرها، وأشفقنا على أنفسنا من تبعة

الكتمان،وما جاء فيمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه من ضعف الإيمان ، فأخذنا على أنفسنا دعوة الناس إلى السنة النبوية المحمدية،وتخصيصها بالتقدم والأحجية،فكانت دعوتنا ــ علم الله ــ من أول يوم إليها،والحث على التمسك والرجوع إليها،ونحن اليوم على ما كنا سائرون،وإلى الغاية التي سعينا إليها قاصدون،وقد زدنا من فضل الله ، أن أسسنا هذه الصحيفة الزكية . وأسميناها (السنة النبوية المحمدية) لتنشر على الناس ما كان عليه النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ في سيرته العظمى ، وسلوكه القويم، وهديه العظيم ، الذى كان مثالا ناطقا لهدى القرآن،وتطبيقا لكل ما دعا القرآن إليه بالأقوال والأفعال والأحوال،مما هو المثل الأعلى فى الكمال،والحجة الكبرى عند جميع أهل الإسلام،فالأئمة كلهم يرجعون إليها ، والمذاهب كلها تنطوى تحت لوائها ، وتستنير بضوئها ، وفيها وحدها ما يرفع أخلاقنا من وهدة الانحطاط،ويطهر عقيدتنا من الزيغ والفساد،ويبعث عقولنا على النظر والتفكير ، ويدفعنا إلى كل عمل صالح،ويربط وحدتنا برباط الأخوة واليقين، وييسر بنا فى طريق واحد مستقيم،ويوجهنا وجهة واحدة فى الحق والخير،ويحيى منا النفوس والهمم والعزائم،ويثير كوامن الآمال، ويرفع عنا الاصر والاغلال،ويصيرنا ــ حقا ــ خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

فها نحن اليوم نتقدم بهذه الصحيفة للأمة كلها على هذا القصد وعلى هذه النية : عملنا نشر السنة النبوية المحمدية وحمايتها من كل ما يمسها بأذية . وخطتنا الأخذ بالثابت عند أهل النقل الموثوق بهم ، والاهتداء بفهم الأئمة المعتمد عليهم ، ودعوة المسلمين كافة إلى السنة النبوية المحمدية دون تفريق بينهم . وغايتنا أن يكون المسلمون مهتدين بهدي نبيهم فى الأقوال ، والأفعال ، والسير والأحوال ، حتى يكونوا للناس كما كان هو صلى الله عليه وآله وسلم مثالا أعلى فى الكمال .

والله نسأل التوفيق والتسديد فى القصد والقول والعمل لنا وللمسلمين أجمعين (1) .

(1) (السنة) السنة الاولى ، العدد الاول ، الاثنين 8 ذى الحجة 1351 هـ ــ 1932 م

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

في عـامهـا الثـانـي

تمهيـــد :

كنا نعلم من يوم تأسيس هذه الجمعية رغم تفاؤلنا ، ما ستلقاه مثل كل مشروع عظيم من صعوبات وعقبات ، ولكننا ما كنا نحسب أن حظها من ذلك يكون (1) إلا من خارجها،ولكن الواقع جاء بخلاف ذلك،وكانت مصاعب الجمعية ومتاعبها من داخلها ، حصلت نفـــرة بين أعضاء مجلس الإدارة ورئيس لجنة العمل فأدت إلى ما أدت إليه من فرقة وفتنة وقى الله شرها . وقد علم الناس حقيقة الحال من البيان الرسمي الذى نشره مجلس إدارة الجمعية إثر انتخابه مما لا حاجة إلى اعادته،وإن كنا سنشير إلى أشياء منه لزيادة البيان .

بأي نية ذهبت للاجتماع العمومي : ذهبت عازما على إصلاح ذات البـين،وعلى تسيير انتخاب الجمعية عـلى مقتضى قانونها الأساسى والوقوف معه مهما كان الحال . وعرفت من الاجتماعات التى كانت قبل يوم الانتخاب ومن محاولاتي الخاصة أن الصلح غير ممكن،وأنه لـم يبق علي إلا المحافظة على الجمعية قبل كـل شيء،وكنت رغم ما يأتيني من أنباء بما يدبر من أمور ، مطمئنا على الجمعية،لأنني كنت أعتقد أن الاجتماع العمومي سيضم جمعا عظيما مـن أهـل العلم، وحسبي بعلمهم هاديا لهم إلى ما فيه خير وسداد للجمعية والأمة . فدخلت صبيحة الاثنين 18 محرم الماضي إلى نادى الترقى وأنا على هذا الاعتقاد .

---

(1) كذا في الاصل والواضح (لا يكون) .

ماذا كان يدبر للاستيلاء على الجمعية :

كان رئيس لجنة العمل قد سعى سعيا شديدا في تكوين عدد كثير ممن يوافقونه على القائمة التي يقدمها للانتخاب ، وكانت مكاتبات لبعض الجهات في الحث على القدوم يوم الانتخاب، وأصبح مكتب الدعاية منعقدا على الساعة الخامسة في مدرسة السلام، يديره رئيس لجنة العمل وشيخ زاوية بمستغانم ـ كما اعترف لي بذلك رئيس اللجنة في الحديقة العمومية أمام جماعة ـ وأصبحت الوصولات توزع على كل من يقال فيه طالب ليأتي للجمعية العمومية وينتخب من كتبت أسماؤهم في ورقة سلمت له .

نكتة المسألة :

القائمة التي أعطيت من طرف السيدين المذكورين فيها ثلاثون شخصا، الاعضاء الأقدمون مع ضرب على أسماء بعضهم وزيادة عليهم، والسيد رئيس اللجنة هو أحد الثلاثين وحضرته ـ بلا مؤاخذة ومع الاحترام ـ ليس من أهل العلم ولا من الطلبة ، وإذا كانت الأعمال والأقوال هي التي تدل على القصود والنوايا فلا نكون ظالمين إذا استدللنا بهذا العمل على ما يدل عليه، مفوضين العلم بذلك والجزاء عليه إلى الله تعالى .

كيف كنا وكيف كانوا :

بينما كان السيدان يعملان عملهما ويقويان حزبهما، كنا تاركين للمسألة حالها تسير بطبيعتها، ولو كنا على شيء من سوء النية أو القصد إلى الاستيلاء بالأغلبية لكنا دعونا تلامذتنا دعوة عامة للحضور ـ وهم كثر وكلهم من أهل العلم ـ فملأوا نادي الترقي والشوارع المتصلة به، ولا فخر، ولكن ما كنا ـ والحمد لله ـ لنقصد إلى التكثر ولا إلى العصبية والتحزب وإحداث الفرقة بين الناس .

صبيحة يوم الاثنين وما صبيحة الاثنين :

اكتظ النادى على سعته بالناس،وألقيت خطـــاب الافتتـــاح والترحيب،وعرفت الجمع بأن المنتخبين لابد أن يكونوا من أهـل العلم،كما تنص عليه المادة السابعة من القانون الأساسى للجمعية التى تقول : « الأعضاء العاملون هم الذين يصح أن يطلق عليهـم لقب عالم بالقطر الجزائرى،بدون تفريق بين الذين تعلموا ونالوا الإجازات بالمدارس الرسمية الجزائرية،وبين الذين تعلموا بالمعاهد العلمية الإسلامية الأخرى » وعرفت الجمع بان مجلس الإدارة عين لجنة لتقيد أسماء من ينطبق عليهم هذا الوصف المذكور فى المـادة، وأنها تقبل من كانت له شهادة أو كان باشر التعليم أو كان يشار إليه بالعلم فى قومه،وأنه بعد تقييد أسماء المنتخبين يكون الانتخاب. وهنا قامت القيامة واضطربت أركان القاعة بالضجيج،وأبى القوم إلا الانتخاب فى الحين دون اعتبار للمادة القانونية،ولا اعتبـــار لتقييد أسماء المنتخبين ، واستمر ذلك الاضطراب وذلك الهياج إلى قرب الزوال فافترقنا ـ بعد أن وقفنا على شفا حفرة من الهـلاك فأنقذنا الله منها ـ على أن نجتمع مساء على الساعة الثانية بعـد الـزوال .

لـوازم واستنتاجـات :

عرفنا بما رأينا فى ذلك الجمع وما سمعنا فيه أن أهل العلم قد حشر فيهم من ليس منهم،وكان معهم من لم يتخلـق بأخلاقهم،ولا تأدب بآدابهم،وأن ما وقع صباحا سيقع مساء،وأن ذلك مفض ولا محالة إلى عاقبة سيئة،ربما قضت على الجمعية،وعلى النادى الـذى نحن ضيوف فيه،وأن المسؤولية تكون على رئيس الجمعية،فلزمنى إذاً أن أخبر إدارة الشرطة لترسل أعوانها لحفظ النظام فأعلمتها، وعرفت بما رأيت وما سمعت أنه يراد الاستيلاء على الجمعية بطريق

غير مشروع،وبعدد كثير لا تنطبق عليه المادة القانونية ، ولذلك فر من فر من الوقوف أمام اللجنة،وهي لجنة تعريف وسؤال لا لجنة امتحان ، فلزمني أن أحافظ على شرف الجمعية العلمية من أن يسيطر عليها غير أهل العلم .

مساء الاثنين :

ما جاءت الساعة الواحدة بعد الزوال حتى امتلأت سقائف النادى ورحابه والدرج المصعدة إليه ـ فما أكثر العلماء فى ذلك اليوم ـ وبقى الناس فى انتظار الساعة الثانية لفتح باب النادى،وجاء أعوان الشرطة،وفتح النادى،وعاد الحال إلى ما كان عليه فى الصباح، ولما رأيت الأمر لا يزيد إلا هياجا وارتباكا أعلنت بارتفاع الجلسة، ووقف الشرطة محافظين على النظام حتى خرج الناس . ولا والله ما أهان الشرطة أحدا،ولا زادوا على إسكاتهم للغوغاء وحفظهم للنظام،وأحسب أنه لولا وجود الشرطة عند الإعلام برفع الجلسة لكانت وجوه خاصة رأيتها ثم تفعل ما لا تحمد عقباه . ولا أشك أن التهويل الذى أثاره بعض الناس فى بعض النشريات على استدعاء الشرطة والتقبيح لذلك أمام الفكر العام،والتعدى بالباطل على أعوان الحكومة،ورميهم بأنهم أهانوا العلماء ، لا أشك أنهم ما حملهم على ذلك إلا شدة تأسفهم على ما فاتهم من كيد دبروه،كانوا ينفذونه لولا وجود أعوان الشرطة ، مع ما يقصدون من الحط من مقام الجمعية . فنحن بقدر ما تقولوا على أعوان الشرطة وسبوهم، نشكرهم على حفظهم للأمن والنظام وقيامهم بواجبهم،ونعترف بأنه لولاهم ـ بعد حفظ الله ـ لكانت الجمعية فى خبر كان .

يوم الثلاثاء :

أصدرت الجمعية منشورا ونشرت فى الصحف الفرنسية بما وقع،وأعلمت أن الانتخاب يكون من الغد يوم الثلاثاء،فجاء الناس

صبيحة الثلاثاء،وكان الانتخاب مساءها على ما هو مبين بالصحف وبيان الجمعية . وكان يوم هدوء ونظام وتأمين . وشاهد أعــوان الشرطة ورجال الخفية الفرق بين يوم الاثنين الذى حضرته الغوغاء ومن حشر فى أهل العلم،ويوم الثلاثاء الذى لم يحضره أولئك ــ ولا أعنى بكلامي هذا أن كل من تخلف عن يوم الثلاثاء فهو ليس من أهل العلم،كلا ــ فقد تخلف بعض أهل العلم الذين لم يستطيعوا بما شاهدوا من فظاعة يوم الاثنين أن يعودوا إلى الاجتماع،أو لــم يحسبوا يوم الثلاثاء إلا مثل يوم الاثنين .

كيف كان الترشيح للانتخاب :

قدم مجلس الإدارة القديم قائمة هــذه صورتها : الشيــوخ : ابن باديس ، الإبراهيمي ، العقبى ، الميلى ، العمودى ، الفضيــل (من مجلس الإدارة القديم وكانوا حاضرين) ، المهاجى (منه وكان غائبا لقدومه من الحج) ابن عربية ، أبو اليقظان ، خير الدين ، التبسى ، المكى ، القاسمى (هؤلاء جــدد وكانــوا حاضرين) أبو عبد الله البوعبدلى (جديد وكان غائبا واعتذر ببرقية يقول فيها : اعتبرونى معكم فى كل شىء)،وأعلن للمنتخبين أن لهــم الحرية فى أن ينتخبوا القائمة كلها،أو يرفضوها كلها،أو يختاروا بعضها دون بعض،فجرى الانتخاب على الوجه القانونى على تفاوت فى عدد الأصوات،وفاز الشيوخ المذكورون إلا واحدا فاز عليــه الزاهرى بنحو العشرين صوتا .

عناصر مجلس الإدارة :

لقد جاء مجلس الإدارة مؤلفا من جميع عناصر الأمة الجزائرية ممثلا لها خير تمثيل،ففيه من العلماء المنتمــين للزوايا كالمهاجى وأبى عبد الله والفضيل،وفيه من العلماء الموظفين كابن عربيــة القاضى والعمودى الوكيل الشرعى،وفيه من علماء القبائل الفضيل

وفيه من علماء الإباضية أبو اليقظان ، أفبعد هذا يقول قائل يلتزم الصدق : ان الجمعية إنما تمثل طائفة .

رئاسة الجمعية :

شاء الإخوان أن يجددوا لهذا العاجز حمل مسؤولية الرئاسة رغم امتناعه، والله لقد كنت أود لو صرفت عني، ووالله لولا خوفي من عظيم المسؤولية عند الله ما قبلت من إخواني ذلك، رغم شدة احترامي لإرادتهم ، وتقديري لإشارتهم ، فالله نسأل لنا ولهم أن يعيننا جميعا على القيام بقوة وأمانة وإخلاص بهذا العبء الثقيل (1) .

(1) ش . ج 8 ، م 8 ، غرة ربيع الثاني 1351 هـ ــ أوت 1932 م .

« عبداويون » ! ثم « وهابيون » !

ثم ماذا ؟ لا ندري . والله !

لما قفلنا من الحجاز وحللنا بقسنطينة عام 32،وعزمنا على القيام بالتدريس،أدخلنا فى برنامج دروسنا تعليم اللغة وأدبها،والتفسير، والحديث،والأصول،ومبادىء التاريخ،ومبادىء الجغرافية،ومبادىء الحساب،وغير هذا،ورأينا لزوم تقسيم المعلمين إلى طبقات،واخترنا للطلبة الصغرى منهم بعض الكتب الابتدائية التى وضعتها وزارة المعارف المصرية،وأحدثنا تغييرا فى أساليب التعليم،وأخذنا نحث على تعلم جميع العلوم باللسان العربى والفرنسى،ونحبب الناس فى فهم القرآن ، وندعو الطلبة إلى الفكر والنظر فى الفروع الفقهية والعمل على ربطها بأدلتها الشرعية،ونرغبهم فى مطالعة كتب الأقدمين،ومؤلفات المعاصرين ، لما قمنا بهذا وأعلناه قامت علينا وعلى من وافقنا قيامة أهل الجمود والركود وصاروا يدعوننا (1) للتنفير والحط منا « عبداويين » دون أن أكون ـ والله ـ يوم جئت قسنطينة قرأت كتب الشيخ محمد عبده إلا القليل،فلم نلتفت إلى قولهم ، ولم نكترث لإنكارهم ، على كثرة سوادهم،وشدة مكرهم، وعظيم كيدهم ، ومضينا على ما رسمنا من خطة،وصمدنا إلى ما قصدنا من غاية،وقضيناها عشر سنوات فى الدرس لتكوين نشء علمى لم نخلط به غيره من عمل آخر،فلما كملت العشر وظهرت

(1) كذا فى الاصل،والأظهر يدعون .

ـ بحمد الله ـ نتيجتها،رأينا واجبا علينا أن نقوم بالدعوة العامة إلى الإسلام الخالص،والعلم الصحيح،إلى الكتاب والسنة وهدي صالح سلف الأمة،وطرح البدع والضلالات ومفاسد العادات،فكان لزاما أن نؤسس لدعوتنا صحافة تبلغها للناس،فكان المنتقد،وكان الشهاب. ونهض كتاب القطر ومفكروه في تلك الصحف بالدعوة خير قيام، وفتحوا بكتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلـم ـ أعينا عميا،وآذانا صما،وقلوبا غلفا ، وكانت هذه المرة غضبـة الباطل أشد،ونطاق فتنته أوسع،وسواد أتباعه أكثر،وتمالأ على دعاء الحق الجمود والبدعة،وعليها بنيت صروح من الجاه ، ومهما جرت أنهار من المال ، وأصبحت الجماعة الداعية إلى الله يدعون مـن الداعين إلى أنفسهم « الوهابيين »،ولا والله ما كنت أملك يومئذ كتابا واحدا لابن عبد الوهاب،ولا أعرف من ترجمة حياته إلا القليل، ووالله ما اشتريت كتابا من كتبه إلى اليوم ، وإنما هي أفيكات قوم يهرفون بما لا يعرفون،ويحاولون من إطفاء نور الله ما لا يستطيعون، وسنعرض عنهم اليوم وهم يدعوننا « وهابيين »،كما أعرضنا عنهم بالأمس وهم يدعوننا « عبداويين »،ولنا أسوة بمواقف أمثالنـا مع أمثالهم من الماضين .

ولما كان من سنة القرآن الحكيم التنبيه على مشابهة اللاحقين من الناس للسابقين في منازعهم وأهوائهم وكثير من أحوالهم،حتى كان التاريخ يعيد نفسه بإعادة ذلك منهم،وجاء ذلك في مثل قوله تعالى : « كَذَلِكَ مَا أَتَى الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ » وقوله : « تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ » وغيرها ، لما كان هذا من سنة القرآن فتحنا هذا الباب من الصحيفة تحت عنوان : « التاريخ يعيد نفسه » لننشر فيها ـ ما أمكننا النشر ـ قصصا عن حياة رجال السنة المصلحين مع دعاة البدعة المبطلين ، تزيد العالم المصلح ثباتا على الحق،والقارىء الصادق تبصرة في الأمـــر،و « لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ » .

ولسنا نقصد في وضع قصصنا إلى وضع تأليف،ولا نخص هذا النقل بكاتب معين أو كتاب مختص ، وبين أيدينا الآن كتـــاب « الاعتصام » لمؤلفه علامة المعقول والمنقول أبي إسحاق الشاطبي المالكي المتوفى سنة 790 ، فرأينا أن ننقل منه الفصل التالى الـذى يذكر فيه أبو إسحاق ما رمي به من مثل ما رمينا به،حتى كأنا فى زمان واحد ، قال رحمه الله :

فلما أردت الاستقامة على الطريق وجدت نفسي غريبا في جمهور أهل الوقت،لكون خططهم قد غلبت عليها العوائد،ودخلت على سننها الأصلية شوائب من المحدثات الزوائد،ولـــم يكن ذلك بدعا في الأزمنة المتقدمة فكيف في زماننا هذا ، فقد روي عن السلف الصالح من التنبيه على ذلك كثير كما روي عن أبى الدرداء ــ رضى اللــه عنه ــ أنه قال:لو خرج رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ عليكم ما عرف شيئا مما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة ، قال الأوزاعي:فكيف لو كان اليوم ، قال عيسى بن يونس : فكيف لو أدرك الأوزاعى هذا الزمان . وعـــن أم الدرداء قالت : دخـــل أبو الدرداء وهو غضبان فقلت : ما أغضبك ؟ فقال : « والله ما أعرف فيهم شيئا من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعا » وعـــن أنس بن مالك قال : « ما أعرف منكم ما كنت أعهده على عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ غير قولكم : لا إله إلا الله » . قلنا بلى يا أبا حمزة ؟ قال : قد صليتم حتى تغرب الشمس أفكانت تلك صلاة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ، وعن أنس قال : لو أن رجلا أدرك السلف الأول ثم بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئا ، قال : ووضع يده على خده ثم قال : إلا هذه الصلاة، ثم قال : أما والله على ذلك لمن عاش فى النكر ولم يدرك ذلك السلف الصالح فرأى مبتدعا يدعو إلى بدعته ، ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياه فعصمه الله من ذلك ، وجعل قلبه يحن إلى ذلك السلـف

الصالح ، يسأل عن سبيلهم،ويقتص آثارهم ، ويتبـــع سبيلهم ، ليعرض أجرا عظيما ، وكذلك فكونوا إن شاء الله .

وعن ميمون بن مهران قال : لو أن رجلا أنشر فيكم من السلف، ما عرف غير هذه القبلة .

وعن سهل بن مالك عن أبيه قال : ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة ، إلى ما أشبه هذا من الآثار الدالة على ان المحدثات تدخل فى المشروعات ، وأن ذلك قد كان قبل زماننا، وإنما تتكاثر على توالى الدهور إلى الآن .

فتردد النظر بين ـ أن أتبع السنة على شرط مخالفة ما اعتــاد الناس فلابد من حصول نحو مما حصل لمخالفى العوائد لا سيما إذا ادعى أهلها أن ما هم عليه هو السنة لا سواها ، إلا أن فى ذلك العبء الثقيل ما فيه من الأجر الجزيل ـ وبين أن أتبعهم على شرط مخالفة السنة والسلف الصالح ، فأدخل تحت ترجمة الضلال،عائذا بالله من ذلك،إلا أنى أوافق المعتاد،وأعد من المؤالفين (1) ، لا من المخالفين فرأيت أن الهلاك فى اتباع السنة هو النجاة ، وأن الناس لن يغنوا عنى من الله شيئا،فأخذت فى ذلك على حكـــم التدريج فى بعض الأمور ، فقامت علي القيامة،وتواترت علي الملامة،وفوق إلى العتاب سهامه ، ونسبت إلى البدعة والضلالة ، وأنزلت منزلة أهل الغباوة والجهالة،وإنى لو التمست لتلك المحدثات مخرجا لوجدت ، غير أن ضيق العطن،والبعد عن أهل الفطن ، رقى بى مرتقا صعبا ، وضيق علي مجالا رحبا،وهو كلام يشير بظاهره إلى أن اتباع المتشابهــات لموافقات العادات أولى من اتباع الواضحات ، وإن خالفت السلف الأول .

---

(1) هكذا فى الاصل ، ويبدو أن أصل العبارة : واعد من المؤالفين .

وربما ألموا فى تقبيح ما وجهت إليه وجهتى بما تشمئز منه القلوب،أو خرجوا بالنسبة إلىٰ بعض الفرق الخارجة عن السنة شهادة ستكتب ويسألون عنها يوم القيامة ، فتارة نسبت إلى القول بأن الدعاء لا ينفع ولا فائدة فيه ، كما يعزىٰ إلىٰ بعض الناس ، بسبب أنى لم التزم الدعاء بهيئة الاجتماع فى أدبار الصلاة حالة الإمامة ، وسيأتى ما فى ذلك من المخالفة للسنة وللسلف الصالح والعلماء .

وتارة نسبت إلي الرفض وبغض الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ بسبب أنى لم ألتزم ذكر الخلفاء الراشدين منهم فى الخطبة على الخصوص إذ لم يكن ذلك من شأن السلف فى خطبهم ، ولا ذكره أحد من العلماء المعتبرين فى اجزاء الخطب . وقد سئل (أصبغ) عن دعاء الخطباء للخلفاء المتقدمين فقال : هو بدعة فلا ينبغى العمل به ، وأحسنه أن يدعو للمسلمين عامة . قيل : فدعاؤه للغزاة والمرابطين،قال ما أرى به بأسا عند الحاجة إليه،وأما أن يكون شيئا يعمد إليه فى خطبته دائما فإنى أكره ذلك . ونص أيضا عز الدين ابن عبد السلام على أن الدعاء للخلفاء فى الخطبة بدعة غير محبوبة.

وتارة أضيف إلي القول بجواز القيام على الأئمة وما أضافوه إلي من عدم ذكرى لهم في الخطبة ، وذكرهم فيها محدث لم يكن عليه من تقدم . وتارة أحمل على التزام الحرج والتنطع في الدين ، وإنما حملهم على ذلك أنى التزمت فى التكليف والفتيا الحمل على مشهور المذهب الملتزم لا أتعداه وهم يتعدونه،ويفتون بما يسهل على السائل ويوافق هواه ، وإن كان شاذا فى المذهب الملتزم أو فى غيره .

وأئمة أهل العلم على خلاف ذلك،وللمسألة بسط فى كتاب « الموافقات»،وتارة إلى معاداة أولياء الله ، وسبب ذلك أنى عاديت بعض الفقراء المبتدعين المخالفين للسنة ، المنتصبين بزعمهم لهداية

الخلق ، وتكلمت للجمهور على جملة من أحوال هؤلاء الذين نسبوا أنفسهم إلى الصوفية ولم يشتبهوا بهم .

وتارة نسبت إلي مخالفة السنة والجماعة ، بناء منهم عــلى أن الجماعة التى أمر باتباعها ــ وهى الناجية ــ ما عليه العموم ، ولم يعلموا أن الجماعة ما كان عليه النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان.وسيأتى بيان ذلك بحول اللــه ، وكذبوا علي فى جميع ذلك وأوهموا والحمد لله على كل حال .

انتهى كلام أبى إسحاق وسننقل عنه فى العدد الآتى ما ذكره من حال بعض الأئمة الذين كانوا قبله ووقع لهم ما وقع له (ت) .

كلمة كفر لو درى قائلها

لما كتبنا فى الجزء الماضى فى تحقيق العبادة الشرعية ، تحرينا الاستدلال بالكتاب والسنة وهدى الصحابة ، لأن المسألة مسألة دينية، وهذه هى مأخذها، ولأنها جرى فيها خلاف،والله تعالى يقول:

« فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » فقال أحد الكاتبين فى جريدة (أتى البيوت من ظهورها) فسمى استدلالنا بالكتاب والسنة ، وهدى الصحابة إتيانا للبيوت من ظهورها،وهى كلمة مصادمة للآية القطعية المتقدمة ، وغيرها . ولعل الكاتب لم يتفهمها، ولم يدر مقتضاها،وإلا فما كان لمسلم أن يقولها ، ثم إذا كان الكتاب والسنة وهدى سادات الأمة ظهورا للبيوت، فما هى ــ يا صوفى الزمان ــ أبوابها ، ما عندنا ــ والله يا أخى ــ إلا هذه التى جعلتها ظهورا للبيوت ، فإذا كانت لا ترضيكم ــ والله يهديكم ــ فــ « لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ » (1) .

---

(1) ش : ج 2 ، م 9 ، غرة شوال 1351 هـ ، فيفرى 1933 م .

إنكار العلماء المتقدمين

على المبدعين المبتدعين

كلما قام دعاة الإصلاح بالإنكار على البدع الفاشية والضلالات الرائجة ، بينوا قبحها وضررها بالبراهين الساطعة ، وأفحموا أهلها بالأدلة القاطعة ــ صاح المتعيشون عليها فى أتباعهم المغترين بهم : « لو كان ما نحن عليه باطلا لأنكره العلماء المتقدمون قبل أن ينكره هؤلاء « العصريون »،لكن المتقدمين رحمهم الله رأوه وسكتوا عليه،وأقروه ورضوا به،ومضى على ذلك الزمن الطويل وعاش عليه الجيل بعد الجيل » وقالوا مثل ما قال الأولون : « مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ »،« إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ » ولما كان هذا قد يغر الجاهل وشبه الجاهل فيحتسب أن الأمر كما ذكروا، وأن العلماء المتقدمين سكتوا وما أنكروا ــ أردنا أن ننقل لقراء « السنة » بعضا من إنكار أهل العلم على هؤلاء المتسمين بالفقراء،الدعين لطريقة الزهد،المتمسكين بالبدعة،ليعرفوا سنة العلماء فى الرد عليهم،والتقبيح لحالهم، والتحذير من ضلالهم،فيعلموا أن العلماء الإصلاحيين المعاصرين ما جاءوا إلا بما يفرضه عليهم الدين من نصح المسلمين،وارشاد الضالين،والذب عن سنة خاتم الأنبياء والمرسلين ــ صلى الله عليه وعليهم وسلم ــ .

إنكار الامام القشيري
صاحب الرسالة القشيرية
من أهل القرن الخامس

قال في وصف المتشبهين بالصوفية المنتحلين لطريقتهم المباينين لسلوكهم : « فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ، ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام، واستخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلاة ، وركضوا في ميدان الغفلات ، وركنوا إلى اتباع الشهوات وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات ، والارتفاق بما يأخذونه من السوقة وأصحاب السلطان .

إنكار أبي بكر الطرطوشي المالكي
من أهل القرن الخامس والسادس

قال في خطبة كتابه الذي ألفه في إنكار البدع والمحدثات، وعندنا نسخة خطية مكتوبة نحو القرن العاشر :

« ثم ازداد الأمر إدباراً،حتى بلغنا أن طائفة من إخواننا المؤمنين ـ وفقنا الله وإياهم ـ استنزلهم الشيطان واستغوى عقولهم في حب الاغاني واللهو وسماع الطقطقة والتغبير واعتقدته من الدين الذي يقربها إلى الله عز وجل،وجاهرت به جماعة المسلمين، وشاقت به سبيل المؤمنين ، وخالفته الفقهاء والعلماء وحماة الدين، « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً » فرأيت أن أوضح

الحق وأكشف عن شبه أهل الباطل بالحجج التى تضمنها كتاب الله تعالى وسنة رسوله،وأبدأ بذكر أقاويل العلماء الذين تدور الفتيا عليهم فى أقاصى الأرض ودانيها،حتى تعلم هذه الطائفة أنها قد خالفت علماء المسلمين فى بدعتها،والله ولي التوفيق » .

إنكار الإمام أبى حيان الأندلسى
من أهل القرن السابع والثامن

قال في الجزء الرابع من تفسيره الكبير ص 310 — وهو يصنف متصوفة زمانه مما ينطبق على أمثالهم فى زماننا : « ولو عاش الحسن إلى هذا الزمن العجيب الذى ظهر فيه ناس يتسمون بالمشايخ، يلبسون ثياب شهرة عند العامة بالصلاح،ويتركون الاكتساب، ويرتبون لهم أذكارا لم ترد فى الشريعة يجهرون بها فى المساجد، ويجمعون لهم خداما يجلبون الناس إليهم لاستخدامهم ونتش أموالهم،ويذيعون عنهم كرامات،ويرون لهم منامات يدونونها فى أسفار،ويحضون على ترك العلم والاشتغال بالسنة،ويرون الوصول إلى الله بأمور يقررونها من خلوات وأذكار لم يأت بها كتاب منزل ولا نبى مرسل ، ويتعاظمون على الناس بالانفراد على سجادة ، ونصب أيديهم للتقبيل ، وقلة الكلام ، وإطراق الرؤوس ، وتعيين خادم يقول : « الشيخ مشغول فى الخلوة » رسم الشيخ ، قال الشيخ رأى الشيخ ، الشيخ نظر إليك ، الشيخ كان البارحة يذكرك ، إلى نحو من هذه الألفاظ التى يخشون بها على العامة ، ويجلبون عقول الجهلة ، هذا إن سلم الشيخ وخادمه من الاعتقاد الذى غلب الآن على متصوفة هذا الزمان من القول بالحلول أو القول بالوحدة ، فإذ ذاك يكون منسلخا عن شريعة الإسلام بالكلية،والعجب لمثل هؤلاء كيف ترتب لهم الرواتب،وتبنى لهم الربط،وتوقف عليهم

الأوقاف،ويخدمهم الناس فى عروهم عن سائر الفضائل ، ولكن الناس أقرب إلى أشباههم منهم إلى غير أشباههم.وقد أطلنا فى هذا رجاء أن يقف عليه مسلم فينتفع به .

إنكار الإمام أبى إسحاق الشاطبى المالكى
من أهل القرن الثامن

قال فى كتاب الاعتصام (ا : 216) يصف « فقراء » زمانه بالأندلس : « فهذه مجالس الذكر على الحقيقة وهى التى حرمها الله،أهل البدع من هؤلاء الفقراء الذين زعموا أنهم سلكوا طريق التصوف وقلما تجد منهم من يحسن قراءة الفاتحة فى الصلاة إلا على اللحن فضلا عن غيرها،ولا يعرف كيف يتعبد،ولا كيف يستنجى أو يتوضأ أو يغتسل من الجنابة ، وكيف يعلمون ذلك وقد حرموا مجالس الذكر التى تغشاها الرحمة،وتتنزل فيها السكينة،وتحف بها الملائكة،فبانطماس النور عنهم ضلوا فاقتدوا بالجهال أمثالهم، وأخذوا يقرأون الأحاديث النبوية والآيات القرآنية فينزلونها على آرائهم لا على ما قال أهل العلم فيها،فخرجوا على الطريق المستقيم ».

إنكار الإمام القلصادى المالكى
من أهل القرن التاسع

قال فى كتابه : « لباب الأزهار اليمنية على الأنوار السنية » ص 35 : « وكم من سنة دثرت،وبدعة أقيمت،وتوصل عليها بدلائل، وذلك بسبب علماء السوء،لأن البدعة فى الغالب لا يحدثها عالم، لكن إذا وقعت ينصرها من كان له غرض فاسد،ويقيم الدليل على

صحة ذلك،ويحدث لذلك أتباع على ما هو مشاهد معلوم » وقال فيه ص ١٥١ : « وليس المراد بالذكر إدامته باللسان وعدم التحلى بـــه، وذلك من تلبيس إبليس،ويحسبون أنهم على شيء » .

إنكار الشيخ عبد الرحمن الأخضرى الجزائرى
من أهل القرن العاشر

لهذا العالم الصالح قصيدة تعرف بالقدسية مشهورة،وصــف فيها هذه الطائفة وصفا كاسفا فاضحا،صورهم على الصورة التى يعرفها منهم كــل من عرفهم،ولا يستطيع أن ينكــرها أحــد حتى المتعصب لهم ، ومما قال فيهم :

وظهرتْ فى هـــذِهِ البلادِ طائفةُ البلـــعِ والازدِرَادِ

... الخ

إنكار الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطينى
من أهل القرن الحادى عشر

قال فى كتابه « مشهور الهداية ، فى التعريف بحال من ادعى العلم والولاية » :

« فلما رأيت الزمان بأهله تعثر،وسفائن النجاة من أمواج البدع تتكسر،وسحائب الجهـــل قد أضلت،وأسواق العلــم قــد كســدت واضمحلت،فصار الجاهل رئيسا،والعالم فى منزله يدعى من أجلها خسيسا،وصاحب أهل الطريقة قد أصبح وأعلام الزندقة على رأسه لائحة ، وروائح السلب والطرد من المولى عليه فائحة ــ تمسكوا من دنياهم بمناصب شرعية ، وحالات كانت قدما للسادات الصوفية،

فأوهموا على العامة بأسماء ذهبت مسمياتها،وأوصاف تلاشت أهلها منذ زمان وأعصار،لبسوا بانتعالهم لها على أهل العصر أنهم من أهلها ــ وربما صارت الطائفة البدعية مقطعا للحقوق،وقسما يقسم بهم فى البر والحقوق ــ أعلنوا بأن سوابق الأقدار منوطة بإرادتهم،وتأثيرات الأكوان صادرة عن اختيارهم،فزادت بهم العامة شغبا إلى شغبهم،وتشويشا دخل فى قلوبهم،واتخذت أتباعهم ألقابا باسم الشيخوخة ــ وزادت فى إفصاح أحوالهم والحمل على بثها وإبدائها ما أحدثوه من أن من مات منهم بنوا عليه وشيدوا بناءات،وجعلوا عليهم قبابا من العود وألواحا منقوشة بأسمائهم وما اختاروا من الالقاب التى لا تصلح لهم ــ وهى من أوصاف ساداتنا العلماء العاملين والصلحاء الفاضلين،وصيروا ذلك لغابر الدهر بحيث أنهم لبسوا على العامة فى الحياة وعلى من سيكون بعد الممات».

إنكار الشيخ مصطفى العروسى

من أهل القرن الثالث عشر

هذا العالم هو محشى شيخ الإسلام زكريا شارح الرسالة القشيرية قال ــ ينقل الأستاذ الميلى فى تاريخ الجزائر (2 : 263) : « إنى بذلا للنصيحة أحذرك من متابعة مشايخ هذا الوقت،ممن لا يثمر الاجتماع بهم خلاف المقت،إذ هم قطاع طريق الله على عباده،وأعداء الأولياء الداعين إلى سبيل رشده،حيث لا همة لهم إلا جمع الغرض الفانى،ولا سعي لهم إلا فى تجريد القاصى والدانى،أزاحهم الله من جميع البلاد،وأراح منهم الدواب والعباد ... فعليك يا أخى فى مثل هذا الوقت بخاصة نفسك،وتباعد عمن بهم تزيد قاذورات رجسك،وتابع هدى سيد المرسلين،وإمام كل النبيين والمرسلين، فكافيك التمسك بالقرآن،والتمسك على طريق سيد ولد عدنان،

ولا تغرنك ـ لو فرض ـ خوارق العادات،فإنها كما تكون للكرامة توجد لقصد الإهانة ، فهذه وصيتى إليك قد ذكرتها شفقة عليك، دعاني لذكرها رعاية المقام،فتقبلها منى وعليك السلام » .

بان بهذا لمن عرف وأنصف أن الحق لم يعدم أنصارا فى سائر الأزمان،وأن الارض لا تخلو من قائم لله بحجة على مر الأيام،وأن الطائفة القائمة على الحق التى تحيي من سنة النبى صلى الله عليه وسلم ما أمات الناس لن تزول من على وجه الارض،ولا تزال ظاهرة لا يضرها من خالفها أو خذلها حتى يأتي أمر الله،والحمد لله رب العالمين (1) .

(1) (السنة) السنة الاولى العدد 4 ، 6 محرم 1352 هـ ، 1 ماى 1933 م .

طلب الآخرة وحدها مذموم فى الإســلام

غلو الصوفية بجعل الكمال عدم طلب الدنيا والآخرة

كنا بينا نحن وغيرنا على صفحات هذه المجلة أن العبادة الشرعية موضوعة على الرجاء والخوف،وأن الطمع فى فضل اللــه لا ينافى إخلاص العبادة لــه ، وذكرنا الأدلة الكثيرة على ذلك مــن الكتاب والسنة،وكانت أدلة ثابتة صريحة غير قابلة للتأويل ، وبينا بها أن من زعم أن العبادة تتجرد عــن الرجاء والخوف ، فقد زعــم باطلا، وأنه لا يجد آية واحدة ولا حديثا صحيحا واحدا يستدل بــه على دعواه ، فالعبادة المتجردة عن الرجاء والخوف ليست العبادة التى جاء بها الإسلام .

ثــم لما اطلع أخونا فى اللــه شيخ الإسلام الأستاذ محمد رشيد رضا على ما دار فى المسألة بيننا وبين خصومنا ، كاتبنا بموافقته على ما قلنا ، وذكر لنا ما كان كتبه هو فى المسألة فى الجزء الثانى من تفسير المنار الشهير ، وها نحن ننقل ما كتبه الأستاذ فى المسألة عند تفسير قوله تعــالى : « رَبَّنَــا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً » الآيــة ، إفادة لقرائنا،شاكرين لفضيلته عنايته وتنبيهه .

قال أحسن الله جزاءه :

« ولــم يذكر فى التفسير من لا يطلب إلا حسنة الآخرة ، لأن التقسيم لبيان ما عليه الناس فى الواقع ونفس الأمر بحسب داعى الجبلة وتأثير التربية وهدى الدين . ولا يكاد يوجد فى البشر من

لا تتوجه نفسه إلى حسن الحال فى الدنيا مهما يكن غاليا فى العمل للآخرة ، لأن الإحساس بالجوع والبرد والتعب يحمله كرها على التماس تحقيق ألم ذلك الإحساس ، والشرع يكلفه ذلك بما يقدر عليه من أسبابه ، وقد جعل عليه حقوقا لبدنه ، ولأهله،ولولده ، ولرحمه . ولزائره ، وإخوانه ، وأمته ، لا تصح عبوديته إلا بدعاء الله تعالى فيها .

وفى الآية إشعار بأن هذا الغلو مذموم خارج عن سنن الفطرة ، وصراط الدين معا . وما نهى الله أهل الكتاب عن الغلو فى الدين وذمهم على المتشدد فيه إلا عبرة لنا ، وقد نهانا عنه نبينا ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ، فى حديث أنس عن البخارى ومسلم أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ دعا رجلا من المسلمين قد صار مثل الفرخ المنتوف فقال له : « هل كنت تدعو الله بشىء ؟ » قال نعم كنت أقول : اللهم ما كنت معاقبى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا . فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : « سبحان الله،إذا لا تطيق ذلك ولا تستطيعه ، فهلا قلت : « رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » ودعا له فشفاه الله تعالى .

وأبعد من هذا فى الغلو أن بعض الصوفية سمع قارئا يتلو قوله تعالى : 3 ، 152 «مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ» فصاح أواه ، فأين من يريد الله ؟ وهو قول حسن الظاهر قبيح الباطن ، فالآية خطاب لخيار الصحابة ، وهو وشيخه من الصوفية لم يبلغوا مد أحدهم ولا نصيفه ، فإرادة الدنيا والآخرة بالحق إرادة لمرضات الله تعالى،وعمل بسنته وبشرعه ، والمراد بالدنيا فيها الغنيمة فى الحرب ، وبالآخرة الشهادة فى سبيل الله ، فهل يظن بجهله أن من شهد الله تعالى لهم بأنهم بذلوا أنفسهم فى سبيله ونصر رسوله وآثروا الشهادة فى القتال على الغنيمة أنهم

لا يريدون الله ؟ وقد ورد في الصحيح أن الآية كانت أكثر دعاء النبي – صلى اللـه عليه وآله وسلم – فهـل يدعي ذلك الصوفي وأمثاله من الغلاة أنهم أشد حبا منه لله وطلبا له عز وجل ؟

(أقول) : كلا، إنما هي فلسفة خيالية من خيالات وحدة الوجود البرهمية الهندية ، قد شغل بها أفراد عن فطرة الله وشرعه معا ، فجعلوها أعلى مراتب العبودية ؛ وتأولوا لهـا بعض آيات الكتاب العزيز كقوله تعالى : « يُرِيدُونَ وَجْهَهُ » وما إرادة وجهه تعالى إلا الإخلاص له في كل عمل مشروع من مصالح الدين والدنيا وتحرى هداية دينية فيه ، لا تخيله من إرادة وجهه تعالى هو الوصول إلى ذاته بعد التجرد من كـل نعمـة في الدنيا والآخرة جميعا ، فإن الاتصال بتلك الـذات العليـا القدسية التي لا تدركها العقـول ولا تدنو من كنهها الأفكار ولا الأوهام ، ما لم يتعلق به تكليف ولم يرد به شرع ، بـل إدراك كنه الذوات المخلوقة لـه تعـالى فـوق استطاعة خلقه ، وإنما أعلى مراتب معرفة الله تعالى في الدنيا هي معرفة كل شيء به ، ومعرفته في كل شيء وبكل شيء ، ودعاؤه بكل اسم مـن أسمائه بما يناسب تعلقه بشؤون عباده ، وبهذا فضـل جمهور أهل السنة خيار البشر على الملائكة الذين يعبد كـل منهم ربه عبادة خاصة ، والمؤمن الكامل من يعرف حق ربه على عباده ، وما شرعه من حقوق بعضهم على بعض ، والقيام في كل ذلك بذكره وشكره وحبه والتوكل عليه والإخلاص له ، وأعلى مراتب معرفته في الآخرة هو مقام الرؤية بتجليه الأعلى في جنات عدن ، والاشتغال بذكر الجزاء عن العمل الموصل إليه جهل لا علم ولا معرفة » .

(1) ش : ج 12 ، م 9 · غرة رجب 1352 هـ – نوفمبر 1933 م ·

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

جواب الرئيس للشيخ قدور الحلوى

إلى جانب المكرم المحترم سيدى قدور الحلـوى،السلام عليكـم ورحمة الله . وبعد،فقد وقفت فى بعض الجرائـد عـلى تقديمكم استعفاءكم لنا من عضوية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومن رئاسة لجنتها الدائمة بالجزائر، احتجاجا على البرقية المنشورة فى بعض أعداد (الدفاع) الأخيرة بغير استشارة ولا موافقـــة غالب أعضاء الجمعية ، وتحرجا مما نشر فى مجلة الشهاب من مقال منقول عن مجلة المنار الإسلامى .

فأما استعفاؤكم من عضوية الجمعية فقد قبلته . وأما استعفاؤكم من رئاسة لجنتها الدائمة فهو واقع منكم فى غير محله،إذ حضرتكم لـم تكونوا رئيس اللجنة فى يـوم مـن الأيام،ورئيسها معروف منشور اسمه مع أعضائها فى عدد (السنة) الذى نشر فيه الاجتماع العام الماضى،ومن العجب أن يخفى عليكم هذا . وأعجب منه أن لا يعرف عضو فى جمعية مركزه فيها ، وأما البرقية المنشـــورة فى (الدفاع) فهى برقية احتجاج على لجنة م. ميرانت الوزارية التى ذهبت لتطعن المسلمين الجزائريين الطعنة النجلاء فى مسألة المساجد والمكاتب والصحافة . وهى مسائـل جمعيـــة العلماء المسلمـين الجزائريين التى كتبت فيها صحفها ـ أيام كانت لها صحافـــة ـ ونشرت فيها بياناتها،ووجهت فيها برقيات احتجاجها،قبل تكوين

هاته اللجنة ، أتريد من الجمعية أن تسكت عن الاحتجاج لما احتج القطر كله بالمظاهرات والبرقيات مع جميـع الجهات والطبقات ؟ أفتخرج الجمعية عن إجماع المسلمين فى مسائل هى المقصودة بها بالذات ؟ وأما توجيه البرقية باسم الجمعية فلاعتماد الرئيس على التفويض المعطى له من المجلس الإدارى فى القيام بالدفاع عـن الجمعية فى جميع مسائلها . وقد علم كل أحد أن هذه المسائل هى مسائل الجمعية التى ما زالت تدافع عنها،وتضطهد فيها،ومن أجلها. على أن أكثر أعضاء المجلس الإدارى قد خاطبوا الرئيس يستحثونه على القيام باحتجاج ، وستسمع يوم الاجتماع العـام الآتى كيف يكون التصويت على تلك البرقية وغيرها بالإجماع،ليعلم كل أحد أن هذه الجمعية متضامنة فى جميع أعمالها،لا يشـذ عنها إلا مـن شذ . وأما جعلكم تحرجكم مما نشر بمجلة (الشهاب) السبب الثانى لاستعفائكم،فهو عجب آخر من حضرتكم،إذ مجلة الشهاب معروفة بخطتها الإصلاحية مستقلة بها من يوم نشأتها قبل وجود الجمعيـة بسبع سنوات،فكيف تحملون مسؤوليتها على الجمعية .

فاما ما تهجمتم به على الجمعية فى بقية مقالكم،ولخصتم به ما كان يتقوله غيركم عن الجمعية وأنتم من أعضائها،دون أن يحملكم على الخروج منها ، فإنا لا نجيبكم عنه،لأنا فرغنا منه قبل اليوم مـع أناس بينت حقيقتهم الأيام،وضربهم الله بالتفرق والخذلان ، فأين هم ، وأين صحافتهم اليوم ، وتلك عاقبة الظالمين،ونهايـة كيـد الخائنين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (1) .

(1) ش : ج 7 ، م 10 ـ غرة ربيع الاول 1353 هـ ـ 14 جوان 1934 م .

المجتنيات من الجرائد والمجلات

نصيحة الأستاذ الإمام لأهل الجزائر وتونس

للمشاركة فى حفلة الذكرى الثلاثين (1) التى أقامها إخواننا المصريون للأستاذ الإمام، نشرنا صورته وقدمناها هدية للقــراء ، وننقل هنا بمناسبة ذلك نصيحته التالية عن المجلد الحادى عشر من (المنــار) .

من يعرف الأستاذ الإمام يعرف أن كـل حادثة فى جميع أوقاته نصح وتعليم ، فمجالسه ومسايره يستفيد علما وحكمة فى كل أمر من أمور الدنيا والآخرة ، ولذلك نعتقد أن الذين عرفوه واجتمعوا به فى رحلته الأخيرة الى الجزائر وتونس قد سمعوا منه نصائــح لا تحصى ، ولكن النصيحة العامة الشاملة التى كان يشافه بها أهل العلم والدراية فى القطرين هى :

« 1 ــ الجد فى تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طرقهــا القريبة التى أرشد إليها فى الخطاب الذى ألقاه فى تونس .

« 2 ــ الجد فى الكسب وعمران البلاد من الطرق المشروعــة الشريفة مع الاقتصاد فى المعيشة .

« 3 ــ مسالمة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة . وبهذا الأخير يتم لهم كل ما يريدون من مساعدة الحكومة الفرنسية لهــم على ما قبله ، فإن الحكومات فى جميع الأرض يضيقون على البلاد الــتى

يستعمرونها ما داموا يعتقدون أن أهلها ساخطون عليهم ، أو لهم ضلع مع حكومة أخرى ، وهذا الإعراض عن السياسة لا ينافي مخاطبة الحكومة فيما يرونه ضارا بهم من القوانين والمعاملات ، فإذا لم تكشف ضلامتهم بعد الالتجاء إليها في كشفها كانوا معذورين إذا سخطوا وتربصوا بها الدوائر » (1) .

(1) ش : ج 6 ، م 11 ـ غرة جمادى الاولى 1354 هـ ـ أوت 1935 م .

التقريـر الأدبـي

الذى ألقاه رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في افتتاح اجتماعها السنوى العام

صبيحة يوم الأحد 16 جمادى الأخيرة 1354هـ/الموافق 15 ـ 9 ـ 1935 م

بسـم اللّـه الرحمـٰن الرحيـم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمـام المرسلين ، صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، وعـلى آلـه وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فباسم الله تعالى ثم باسم جمعية العلمـاء المسلمـين الجزائريين ، أفتتح هذا الاجتماع الرابع للجمعية والمؤتمر الدينى العلمى لهيئتها العمومية ، ثم أرحب بكم شاكرا لكم إقبالكم عـلى الجمعية وعضدكم لها ، بوفودكم على اجتماعها ، كما أشكر أولئك الإخوان الذين حبستهم الأعذار ، فاعتذر من يحسن منهم الكتابة بالكتب ، والبرقيات ، واكتفى الأميون منهـم بهبـات الأرواح ونبضات القلوب .

أيها الإخوان : لقد كانت السنة الماضية ، وهى الرابعة مـن سنوات الجمعية ، سنة ممتازة فى حياة الجزائـر . تحركت فيها الجزائر حركة الألم ، وحركة الأمل ، حركة ألم أورثه الجمود من

ناحية ، والغفلة من ناحية ، وأسباب أخرى من نواح أخرى ، فطال عليه الأمد حتى أنهك الروح ، والجسد ، وحركة أمل بعثه الشعور بالحياة وثقة برجال ممن بيدهم الحل والعقد ، أولهم كلمة مع من بيدهم الحل والعقد ، فارتفع صوت الجزائر حتى سمع الصم ، وإن قل المجيب،وظهر رسمها على صفحات الأيام ، وإن اختلف تلوينه باختلاف أذواق الدساسين ونزعاتهم ، وإذا ذكرت الجزائر ـ أيها الإخوان ـ فقد ذكرت الجمعية فهي ـ ولا نكـــران ـ الممثلـــة للجزائريين من ناحيتها الروحية والأدبيـــة،وما كتب كاتب في صحيفة من كبريات الصحف وصغرياتها عن الجزائر إلا كان حديثه عن الجمعية في طالعة كلامه ، وإذا ألغينا تهاويل مقصودة وأنبـــاء مقلوبة يبقى الاعتراف للجمعية بمكانتها ، وأن صلاح الجزائـــر ، وإرضاء الجزائر معظمه في مساعدة الجمعية على ما تقوم به مـــن تربيـــة وتهذيـــب .

لقد أبدت الجمعية الم الأمـــة وألمها من ناحيتها الخاصة بها بما نشر لها وبما أبرقت من برقيات وما ارسلت من كتب ، وقد أبدت ما لها من أمل يوم قابل رجالها وزير فرنسا م. ريفي وسمعت منه ما قوى ذلك الأمل .

وكم كان يسرني ـ وأنا رجل مسلم طبعتني تربيتي الإسلامية على الاعتراف بالجميل أو(1) استطعت أن أذكر لكم اليوم شيئا مـــن تحقق ذلك الأمل ، لكن بغاية الأسف لا أستطيع أن أقول لكم إلا أنه لم يتحقق شيء منه ، فالمساجد ما تزال موصدة الأبواب في وجوه الوعاظ والمرشدين،والمكاتب العـــربية ما زالت تلقـــى العراقيل السديدة ، وصحيفة الجمعية ما تزال في نطاق المنع والتحجير، وما يزال رجال مـــن أشخاص الجمعية البارزين تحت الرقابة والشدة

(1) هكذا في الاصل والظاهر : لو استطعت .

بغير ذنب ، غير أننا لا نقطع حبل الرجاء ما دام على رأس الإدارة رجل عالم خبير يقدر العلم وأهله ، وبما انفسح أمامه المجال للعمل في عهد الولاية الجديدة ، ومع ذلك فإنني إبقاء لصوت الحق أرفع باسم جمعكم هذا إلى المراجع العليا الاحتجاج على بقاء هاته الحالة التي يحال فيها بين علماء الإسلام ومساجد الإسلام ، ويحال فيها بين الأمة وتعلم دينها في أماكن دينها،ويعرقل فيها المسلمون على تعليم أبنائهم ، لغة وعقائد وآداب دينهم . ويخنق فيها صوت جمعية دينية علمية فيحال بينها وبين الصحافة التي هي الأداة المشروعة المعترف بها لكل جمعية لنشر دعوتها والدفاع عن نفسها.

ثم مع هذه الحالة وضيقها،فإن الجمعية قامت بحمد الله بما استطاعت من واجباتها ، فالدروس العلمية في بلدان عديدة يقوم بها رجال الجمعية للطلاب،والمدارس القليلة المسموح بها يتولاها رجال من الجمعية لتعليم الصغار ، وقد قام رجال مجلس الإدارة في آخر السنة برحلات في العمالات الثلاث،فوفدوا على خمسين بلدة ونيف،فألقوا فيها دروس الوعظ والارشاد على الجموع الكثيرة من الناس،فأحيوا بما نشروا من الهداية نفوسا،وأنعشوا أرواحا،وفتحوا عيونا وآذانا،وبعثوا ـ من الخير ـ آمالا،وبذروا بذور الرحمة والمحبة بين جميع السكان .

واليوم ـ وقد قطعنا المرحلة الرابعة من سيرنا ـ فإننا نستعين الله تعالى على التقدم للمرحلة الخامسة بإيمان ثابت،ويقين صادق، وقصد للخير صحيح.ونحن نجدد لكم عهد الله على السير بالجمعية أو مع الجمعية على خطتها الدينية العلمية،لنفسر العلم والفضيلة، ومحاربة الجهل والرذيلة ، والقرآن إمامنا،والسنة سبيلنا،والسلف الصالح قدوتنا،وخدمة الإسلام والمسلمين وإيصال الخير لجميع سكان الجزائر غايتنا ، فلنسر موحدين متحدين على هذا الصراط

المستقيم لخير الجميع،والله مع العاملين المخلصين ، والحمد لله رب العالمين (1) .

(1) سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص : 74 ـ 67 .
12 جمادى الاخيرة 1354 هـ ـ 15 سبتمبر 1935 م .

العناية بهلال رمضان وثبوته

قياما بالواجب حسب عادة الجمعية،كاتب مكتب الرئاسة جميع رؤساء الشعب فى القطر كله بالكتاب التالى :
حضرة الأخ الكريم : السلام عليكم ورحمة الله ،

وبعد : فالمرغوب منكم أن تقوموا بأنفسكم أنتم ومن معكم بالعناية برؤية هلال رمضان ، وقد ثبت دخول شعبان بالثلاثاء، فتجب مراقبة الهلال ليلة الاربعاء الآتية،إذ هى ليلة الثلاثين فإذا رؤي فليبادر بإعلام أقرب محكمة شرعية لديكم،ولتعلمونا إلى مكتب رئاسة الجمعية على تيلفون : 15 ــ 25 (خمسة وعشرين خمسة عشر) . وليكن تلقى الخبر دائما باثنين من اثنين إلا إذا لم يره إلا واحد فليتلق عنه اثنان وليبلغ الخبر على الوجه المذكور، إذ قد يكون شخص آخر رأى فى ناحية أخرى فتلفق الشهادة ، فاذا لم ير ليلة الاربعاء فتصدروا له ليلة الخميس،ولتعملوا فيه كما بينا.

هذا وقد طلبنا من مدير إدارة البريد فى العاصمة أن يأمر بإبقاء التيلفون مفتوحا إلى الساعة العاشرة .

والمرغوب أن تعرفونا بعدد التيلفون الذى نخاطبكم عليه فى حين اتصالكم بكتابنا هذا إما ببرقية وإما بالتيلفون .

إننا نؤكد عليكم فى القيام بهذا الأمر الدينى العظيم ، والله يتولانا وإياكم والمسلمين بالتوفيق والتأييد .

والسلام عليكم من أخيكم : رئيس الجمعية عبد الحميد بن باديس

البصائر : السنة 1 العدد 1 ــ 1 شوال المبارك 1354 هـ ــ 17 ديسمبر 1935 م .

العناية بهلال رمضان

وفاء بالوعد وإتماما للفائدة ننشر لقرائنا الكرام نقلا عن الشهاب الأغر ما يتعلق بهذا المبحث قال :

فجاءت الأجوبة من عندهم كلهم بالكتب والبرقيات باستعدادهم لتنفيذ ما خوطبوا به وتعيين محال مخاطباتهم .

ولما كان مساء يوم الثلاثاء انتصب بمكتب الرئاسة رئيس الجمعية وهيأته من الأعضاء لتلقي الأخبار، فوردت عليهم نحو مائة تيلفون من جميع جهات القطر تسأل عن الرؤية،وتخبر بوجود الغيم المتكاثف،وهطول المطر في بعض الجهات .

كما انتصب بالمحكمة بجوار مكتب الرئاسة فضيلة الشيخ القاضي الشيخ محمد بن الساسي في ثلة من أهل العلم حسب عادته، من يوم نهضت الجمعية بهذا الواجب،وكان فضيلته من أول من لبى دعوتها ونهض به معها .

أكمل شعبان ثلاثين وفي مساء الاربعاء رأى الهلال بقرية أم البواقي جمع كثير من الناس ، وأخبرتنا بذلك هيأة الشعبة ولم نحتج إلى إعلان الخبر، لأن رمضان قد يثبت بعد ـ قطعا ـ بكمال شعبان،ثم من الغد جاءتنا الأخبار من جهات عديدة بأنهم رأوه ليلة الخميس .

إدارة البريد

كاتب رئيس الجمعية مدير البريد بالعاصمة يرغب منه أن يأمر ببقاء التيلفون مفتوحا بالمراكز الصغرى التي يغلق فيها باكرا ـ إلى الساعة العاشرة من ليلة الاربعاء ـ وقد كلمتنا بعضها متأخرة فنظن أنه أمر بذلك ، فنشكره .

الإصــــلاح

أمـس واليــــوم

أول من نادى بالإصلاح الديني علما وعملا نداء سمعه العالم الإسلامى كله فى عصرنا هذا هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وأول من قام بخدمته بنشرة إسلامية عالمية هو تلميذه حجة الإسلام السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار، رحمهما الله، وجازاهما عن الإسلام والمسلمين خير ما جازى به المجددين لهذا الدين .

ومن عدل الله وحكمته أن كان مبعث هذه الدعوة الإصلاحية هو مصر ، مصر التى هى مبعث أكثر البدع والضلالات الاعتقاديـة والعملية، من يوم انتصبت فيها دولة الفاطميين، فرسخت فيها البدع الطرقية وغير الطرقية ــ والطرق حيثما كانت فهى تكأة وملجـأ البدع والخرافات ــ وصارت الخطة الطرقية من الخطط الإسلامية فى الحكومات المصريــة التى تحميهــا وتؤيــدها، فصارت البــدع والضلالات رسمية فى نظر المسلمين وغير المسلمين، وجاء الأزهر وأهل الأزهر ــ إلا قليلا ــ على ديــن الدولة وهوى العامة يقرون تلك البدع والضلالات بسكوتهم، بل بمشاركتهم العملية، وتأييدهم الفعلى والقولى، وما ينتشر عنهم من كتب وتلاميذ .

أما الجامعان اللذان يذكران مع الأزهر بشمالنا الافريقى وهما الزيتونة بتونس، والقرويون بفاس ــ فهما ــ إلا قليلا ــ كما قال الأول :

فما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذى لا تصبحينا

وكيف يكون حال العالم الإسلامى ومراكزه العلمية الدينية فى ذلك الضلال المبين .

جاءت الدعوة الإصلاحية ـ ومصر والعالم الإسلامى على تلك الحال ـ فاصطدمت بقوة ما كانت تثبت لها لولا قوة الحق والإيمان، ومضى ثلث قرن أو يزيد والدعوة الإصلاحية تنتشر وتتقدم، وتنقص البدع والضلالات من أطرافها،ولكنه لم تقم فى أمة إسلامية هيئة علمية منظمة تعلن الدعوة إعلانا عاما،وتصمد للمقاومة،غير مبالية بما يؤيد البدع والضلالات من سلطان دينى وسلطان دنيوى ـ غير الأمة الجزائرية،فكان من علمائها الأحرار المستقلين الذين لا يعيشون على الوظيف،أولئك الذين نهضوا بالدعوة الإصلاحية منذ بضع عشرة سنة،وجاهدوا فيها لله،وصبروا، وأسسوا لها أعظم مؤسسة دينية ـ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ـ حتى أصبحت الدعوة الإصلاحية ـ والفضل لله والحمد لله ـ ثابتة الأركان،مشيدة البنيان، باسقة الافنان، دانية الثمار،وارفة الظلال ـ لا على الجزائر وحدها بل على الشمال الافريقى كله .

لم يبق للمتشبثين بالبدع والضلالات والأوهام والخرافات من شبهة يتمسكون بها ويستندون إليها إلا طرقية مصر وعلماء مصر ورجال الأزهر . وكانت ـ لا كانت ـ شبهة لبس بها الشيطان كثيرا، وأضل بها العوام وأشباه العوام،وأيد بها حزبه،وشغب بها على حزب الله . وكنا على اليقين من أن الله سيزيل هذه الشبهة ، ويزيح هذه المحنة،ويؤيد العلماء المصلحين فى الأزهر، فيصبح الأزهر ـ حجة للمصلحين ، ومصدر هداية للمسلمين ، وقد حقق الله الرجاء وأصبح الأزهر اليوم يؤلف من رجاله ـ الرسميين ـ لجانا للقيام بالإصلاح الدينى علما وعملا ، ومن ورائه الحكومة

المصرية تؤيده وتسنده،كما تراه فى المقال التالى الذى نقلناه من جرائد مصر . فمـا أعظمها بشرى نـزفها للمسلمين ولقرائنا فى ختـام هذه السنة الحادية عشرة مـن عمر مجلتهم،فتكون أعظـم ما نهنيهم به فى هذا العيد،عيد النحر السعيد،راجين من الله المزيد. « كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ » . آمين،والحمد لله رب العالمين (1) .

(1) ش : ج 12 ، م 11 ـ غرة ذى الحجة 1354 هـ ـ مارس 1936 م .

احتفال جمعية التربية والتعليم الإسلامية بالحجاج

وتعرض الحكومة لها بعد إذنها

جرت عادة الجمعية أن تحتفل بالحجاج،وكانت تحتفل بهم في (نادى الاتحاد)،وكان يضيق عن أفواج الراغبين فى السلام على الحجاج والتبرك بهم،فرأت هذا العام أن تحتفل بهم فى الجامع الكبير، فذهب السيد « الحاج إدريس » المحامى، كاتبها العام والنائب البلدى،والسيد « حسين بن شريف » أمين ماليتها،والنائب البلدى، فطلبا الإذن من الكاتب العام بدار العمالة فأذن لهم،وبعد هذا الإذن أصدرت الجمعية منشورا على الناس يوم الثلاثاء هذا نصه :

جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة

تكريم حجاج بيت الله الحرام

تبتهج النفوس وتنشرح الصدور بقدوم وفد الله وحجاج بيته المحرم ، حديثى عهد بتلك الديار المطهرة ، والآثار الكريمة ، فيود كل مسلم أن يراهم وان يلتمس الخير من الاجتماع بهم .

لكن ذهاب أفواج الناس إليهم فى بيوتهم فيه ما فيه من التثقيل عليهم ، والكلفة لأهلهم ، والسرف المذموم فيما يضطرون لتقديمه لقاصديهم ، حتى ليكاد يقارب الذى ينفقونه عند قدومهم مما أنفقوه فى حجهم . وهذا كله من الحرج والتكلف والتبذير التى نهينا عنها .

فالجمعية تدعو إخواننا المسلمين ان يقلعوا عن هذه المنهيات ، وأن ينكفوا عن الذهاب إلى الحجاج في بيوتهم إلا من كان من أقاربهم .

والجمعية قد عزمت على تكريم الحجاج مساء يوم الجمعة القابلة إثر صلاة العصر بالجامع الكبير إن شاء الله تعالى .

فهي تدعو جميع المسلمين إلى الإتيان إليهم والتبرك بهم .

وبهذا نكون قد اجتمعنا بوفد الله في بيت الله ، وسلمنا مما نهى عنه الله . فيتضاعف إن شاء الله الأجر ، ويتكاثر المغنم ، ويتجلى جمال المظهر ، ويحسن عند الله وعند الناس الأثر .

جمع الله قلوبنا على الحق ، وأقوالنا على الصدق ، وأعمالنا على العدل والإحسان ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عن الجمعية الرئيس : عبد الحميد بن باديس

وفي صبيحة الاربعاء استدعت الإدارة السيد « الحاج ادريس » والسيد « حسين »،ولغياب السيد الحاج إدريس ذهب مكانه مع السيد حسين السيد « محمد الشريف » ابن الأبيض المحامي والنائب البلدي والعضو في الجمعية فأخبرهما الكاتب العام بالرجوع في ذلك الإذن لعدم جواز الاجتماع في الجامع ، فأعلماه بما أصدرته الجمعية من الإعلان بالاجتماع للعموم بناء على إذنه المتقدم ، وبعد مراجعة طويلة أوقف الأمر النهائي على مراجعة عامل العمالة السيد البريفي .

في مساء الاربعاء سافرت إلى (عنابة) لمقابلة الحجاج صبيحة الخميس،فلما نزلت بدار السيد « الحاج الخوجة » رئيس شعبة جمعية العلماء أخبرني أن الشو بريفي يسأل عن قدومي،وأمره أن يخبره

عني بمجرد قدومي ، ولما أخبره إذ ذاك بقدومي طلب حضوري لديه مع السيد الخوجة على السابعة صباح الخميس . ولما ذهبنا إليه في الموعد أخبرني بأن السيد البريفي يمنع من إقامة الاحتفال بالجامع، وينكر إعطاء الإذن، فأجبته بأن الناس سوف يجتمعون لأجل المنشور الذى وزع عليهم بعد إذن خليفة البريفي ، وأما الاحتفال فلا يقام .

رأيت بعد خروجي من عند السُّو بريفي أن هذا الأمر لا يجوز السكوت عليه، فليس من اللائق بإدارة محترمة أن تضطرب هذا الاضطراب ، ولا من اللائق بجمعية محترمة أن تعامل هذه المعاملة، وعلمت ما يتركه هذا العمل في قلوب المسلمين من الأثر السيء والكدر التام، فبادرت إلى إرسال برقية إلى دار العمالة بقسنطينة ومثلها إلى دار الولاية العامة، ذكرت فيها أن المنشور ما كان إلا بعد الإذن ، واستنكرت الرجوع في الإذن ، وأعربت عن الاستياء الذى يحصل من منع المسلمين من إقامة احتفال ديني محض في مسجدهم، ونصحت بالرجوع عن المنع في صالح الجميع .

قفلت الى قسنطينة مساء الخميس ومكثت صبيحة الجمعة انتظر جوابا عن برقيتي فلم يات عنها جواب .

لما صليت عصر الجمعة جاءني جماعة من المسلمين فذكروا لي أن الجامع الكبير قد غص بالناس، وأنهم في انتظارك، وأنهم لا يتفرقون إلا إذا أتيت ، فذهبت إلى الجامع الكبير فوجدت رؤساء الشرطة ورجالها قد اكتنفوا بابي الجامع ، ووجدت الجامع غاص الرحاب بالناس ، فشققت طريقي إلى المحراب حيث وجدت جمعا من الحجاج أربعة عشر أو أكثر فسلمت ، ثم توجهت للناس فبشرتهم بما لهم عند الله باجتماعهم في بيته لإكرام وفده ، ثم أعلمته بمنع الحكومة من إقامة الاحتفال الذى هو عبارة عن تلاوة آيات من القرآن العظيم، وإلقاء خطاب ديني فيه تذكير وتشويق وتبشير ، ولأجل أن

أخفف على الناس ما أصابهم من الألم من صدمة المنع ـ قلت لهم : حسبكم أن عملكم قد وقع عند الله ، وأن نتوجه كلنا بالدعاء إليه وإخواننا الحجاج يدعون الله لكم ، وبعد الدعاء قام الحجاج ووقفوا عند باب بيت الصلاة فسلموا عليهم وصافحوهم مهنئين متبركين.

الملاحظــــات

1 ـ ما كان رجوع عامل العمالة في الإذن الذى أعطاه خليفته إلا بعد سعي من المفتى « ابن الموهوب » وتحريش وتهويل ، وقـد علم السيد « ابن الابيض » لما خاطبه السيد البريفى لغيبتى فى « عنابة » أن المسألة أثارتها الناحية الرسمية فى الجامع الكبير .

2 ـ برهنت الأمـة باجتماعها الهائل بالجامع الكبير عـلى أنها تعرف قيمة الناس، فلـم تلتفت إلى ما نشرته صحيفة معلومة مـن الصد والتثبيط . ولا ما نشره فى أوراق ووزعها من لم يجسر أن يصرح باسمه تحت أوراقه ...

3 ـ مـا يـزال بعض الرجال فى الادارات يغتـرون ببعـض الرسميين الذين لا قيمة لهم عند الامة حتى يوقعوهم فيما لا ينبغى.

إنا نود أن تعرف الحكومة مقدار تعلق الأمة بمساجدها،ورغبتها فى عمارتها بأمور دينها ، فترجع عـن معارضتها فيهـا ، ومنعها منها ، فتكسب شيئا من قلوبها وصادق شكرها (1) .

عبد الحميد بن باديس

رئيس جمعية التربية والتعليم الاسلامية بقسنطينة

---

(1) البصائر : ع 14 ـ 18 محرم 1355 هـ ـ 10 أبريل 1936 م .

معـــاذ اللـــه

ظن المتستر وراء (الطالب الزيتونى) أنني لم أجبه ترفعا عنه ، ومعاذ الله من هذا معاذه . وإنما لم أجبه لأنه تستر وراء إمضاء مستعار فى مخاطبة من يكتب بإمضائه الصريح،وليس من العدل أن ينازل الرجال من يختفى وراء الحجال ، فـإن أردت أن تجاب ، فارفع الحجاب ، وسلام عليك يا أستاذ ! (1)

عبد الحميد

البصائر : السنة 1 ، العدد 24 ـ 29 ربيع الاول 1355 هـ ـ 19 جوان 1936 م

من آثـار جمعية العلماء فى تهدئة الأفكار

نشرت جمعية العلماء المسلمين على الأمـة الجزائرية منشورين فى أيام الحادثة (1) ، تحضها على ملازمة الهدوء والسكون وتدعوها إلى الثقة بالعدالة الفرنسوية،وهذا نص المنشور الأول :

نداء من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أيها الشعب الكريم !

ها أنت اليوم استيقظت من نوم عميق ، وفتحت عينيك للحياة ، ونهضت للعمل مع العاملين .

فتقـو بالاتحاد،وتسلـح بالإيمان،وتـدرع بالصبر ، وتحصن بالثبات ، سر بهدوء ونظام فى طريق الحق والخـير ، إلى منزلتك اللائقة بك من الحياة بين الشعوب .

كن حذرا كن يقظا .

اعرف أصدقاءك من أعدائك .

وما أصدقاؤك إلا الذين يحترمون الإنسانية فى جميع أجناسها وجميع أديانها،ويرحمون الضعيف وينصرون المظلوم ، ويقاومون الظلم والاستعباد .

(1) هى حادثة اغتيال الشيخ كحول سنة 1355 هـ ــ 1936 م .

وما أعداؤك إلا الذين وقفوا لك في طريق الحياة والتقدم منذ عرفتهم وعرفوك ، فسدوا عليك أبواب الرزق والعلم ، وسلبوك الحرية والثروة ، واستغلوك كما تستغل الحيوانات العجماء بـــل أشد وأشر .

وها هـــم اليوم يريدون خدعك ، ويحاولون استعمالك آلـــة لأغراضهم ضد أصدقائك الإنسانيين .

أيها الشعب الكريم :

كن ـ كلك ـ مع الحكومة الفرنسوية الممثلة للشعب الفرنسى الديمقراطى أصدق تمثيل .

كن كلك ضد كل متعصب ضد أي جنس وأي دين .

كن متحدا،فبالاتحاد ـ فقط ـ تبلغ غايتك الشريفة الإنسانية.

كن مستيقظا منظما ، لتبرهن على أنك شعب لا تريد إلا العيش والحرية والسلام .

ارفـــع عقيرتك بالاحتجاج ضد جميع الذين يستعملون العنف والقسوة والأساليب الشيطانية الخفية ليحدثوا الفتنة والشغب ضد فرنسا والجزائر .

ناد من كل قلبك : لتحيى الجزائر ! لتحيى فرانسا الشعبية !

ليسقط الظلم والاستعباد ! ليسقط أضداد الأجناس وحريـــة الأديان والأفكار !

عن الجمعية : الرئيس عبد الحميد بن باديس

وهذا نص المنشور الثـــانى

أيها الشعب الكريم :

كبر على أعدائك أن يروك فرحا مسرورا بمؤتمرك العظيم ، ووفدك إلى باريس ، وبلوغ صوتك إلى الحكومة الفرنسية وأحزاب

الجبهة الشعبية،ورجوع وفدك يحمل الآمال الصادقة ، والثقة التامة من تلك الحكومة وتلك الأحزاب .

كبر على أعدائك كل هذا،فأخذوا يدبرون لك المكائد ، وينصبون لك الأشراك ، فكانت تلك الجناية المنكرة على الإمام (ابن دالى)،ثم كانت تلك التهمة الشنيعة على الأستاذ (الطيب العقبى) .

كل ذلك لأجل أن يثيروك فيخرجوك عن النظام والسكينة ليصوروك بالصورة التى يريدونها لك من القبح والفساد ، ولأجل أن يزيلوا ثقتك بالجبهة الشعبية حكومتها وأحزابها ، ويوهموك أنه لم يصبك فى أيامهم ما أصابك فى أيامها،فيفصلوك عنها لتقع فريسة بين أيديهم .

أيها الشعب الكريم :

ارفع صوتك بالاحتجاج ضد كل إجرام وكل كيد .

أعلن مقتك للكائدين المكارين .

دم على ثقتك بالجبهة الشعبية حكومتها وأحزابها .

ثق بأن عين العدالة الفرنسية ستفضح الكائدين .

عن الجمعية الرئيس : عبد الحميد بن باديس

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

شكـــر وتقـــدير

كانت حادثة اعتقال الأستاذ (الطيب العقبى) فى ظاهرها محنة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثرت ما تؤثره المحن المفاجئة من حيرة لم تذهب بالصبر، واضطراب لم يزلزل العقيدة .

ولكنها كانت فى حقيقتها نعمة عظيمة لا يقوم بها الشكر، فقد أحدثت فى العالم المتصل بالجزائر روحا جديدة من العطف على

الجمعية،والتنبه لمكانتها،والتأييد لهـا،والانتصار لمبادئها الحقـة ، وكانت موحدة لشعور سكان الشمال الافريقى على الخصوص .

وقد أحدث طرفا الحادثة وهما الاعتقال والإفراج ، ضجة أسف عامة ، وهزة فرح شاملة ، نطقت بهـا مئات البرقيات والرسائل التى وردت على الأستاذ وعلى مركز الجمعية ، وعبرت عنها الصحف العربية والفرنساوية .

فجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تتقدم بالشكر الجم للجرائد التونسية على موقفها الشريف فى هذه الحادثة،واعتنائها المضاعف، واهتمامها بإظهار الحقيقة،وللجرائد الباريزية على انتصارها للحق، وللأمم التى أظهرت عطفها على الجمعية ، وشاركتها فى الأسف عند نزول الكربة،والفرح عند انجلائها،مقدرة للجميع إحساسهم،سائلة رب العباد أن يديم على الكل ستره العميم وفضله الشامل (1) .

عن الجمعية الرئيس : عبد الحميد بن باديس

تنظيم الاجتماع العام والدعوة إليه

بسم الله الرحمن الرحيم

قسنطينة فى .... سنة 1355 هـ ــ 1936 م

فضيلة الشيخ

رئيس شعبة الجمعية بــ ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فإن الاجتماع العام للجمعية يكون صبيحة الأحد 11 رجب 27 سبتمبر بنادى الترقي بعاصمة الجزائر ، فالرجـاء منكـم أن

(1) البصائر : العدد 32 ــ 10 جمادى الثانية 1355 هـ ــ 28 أوت 1936 م .

تحضروه أنتم وبعض أعضاء مجلس ادارة شعبتكم ، هذا على سبيل اللزوم،ثـم من تيسر له القدوم من بقية الأعضاء،هذا عـلى سبيل الرغبة الأكيدة .

وقد وجهنا لكم عددا من أوراق الدعوة لتوزعوها بعناية عـلى إخواننا أعضاء الجمعية لديكم،ممن ترون منهم تيسر القدوم .

واللـه يستعملنا وإياكم فى طاعته ، ويتولانا وإياكم بجميل عفوه وجزيل بره .

والسلام عليكم ومن أخيكم رئيس الجمعية (1) .

عبد الحميد بن باديس

« ورقـــة استـدعــاء »

للاجتماع العام الذى يقع بنادى الترقى بالعاصمة صبيحة الأحد الثانى من رجب 1355 هـ ـ 27 سبتمبر 1936 م .

أيها الأخ الكريم ...

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد،فالمجلس الإدارى للجمعية يدعوكم للحضور للاجتماع العام فى الزمان والمكان المذكورين أعلاه،ويؤكد عليكم فى الدعوة، راجيا لكم التوفيق والتيسير .

والسلام من أخيكم رئيس الجمعية .

عبد الحميد بن باديس

---

(1) البصائر : السنة الاولى العدد 36 ـ 9 رجب 1355 هـ 25 سبتمبر 1936 م .

استصحب هاته الورقة معك عند القدوم :

فالمرجو من كل من لم يصله كتابه من رؤساء الشعب أو بطاقته من الأعضاء أن يعتبر النص المنشور هنا موجها إليه . وأن يسعى جهده لحضور هذا الاجتماع وعدم تفويته ما استطاع ووجد إلى الحضور سبيلا.والله الميسر والهادى إلى سواء السبيل .(1)

(1) البصائر : السنة الاولى العدد 36 ـ 9 رجب 1355 هـ 25 سبتمبر 1936 م .

الإسلام دين علم خالد

ألف الاستاذ محمد فريد وجدى كتابا تحت هذا العنوان بحث فيه في الوحي والدين والإسلام ، فوفى البحث حقه . وقد كان بعض المعجبين بالأستاذ أطلعني على الكتاب،فوقفت فيه على أشياء أنكرتها،منها : تعبيره عن موجد الكون بروح الكون،وجعله الحياة الإنسانية قبسة من الحياة الوجودية ، ويعني بالحياة الوجودية ما عبر عنه بروح الكون،وهذا صريح في أن الروح الإنسانية مأخوذة من الله تعالى، جل الله عن ذلك ، وكيف يؤخذ الحديث من القديم ؟ ومنها زعمه عن الموجودات (ص 12) أنها سابحة في روح الوجود سبح النينان في المحيط الزاخر ، منه وجدت،وبه تحيا، وفيه تفنى ، وكما كان تعبيره عن موجد الكون بروح الوجود من العبارات الحلولية الموهمة أن الموجد سار في الموجودات ، فقد (1) تعبيره هنا بأنها سابحة فيه وتفنى فيه، مقتضيا أنها حالة فيه،وكلا الأمرين محال باطل اعتقاده . حاشا الأستاذ أن يكون قصده . ومنها زعمه أن في الناس علماء منتهون (2) (ص18) لا يتطلبون أن ياخدوا الدين آدابا وأخلاقا،ولا ان يتعلموا منه أسلوبا في الحياة ولا دستورا في المعاملات ، ثم يقول عنهم (ص 20) إن هؤلاء العلماء الأعلام يرون أن لا حاجة بهم إلى الأديان المعروفة،هم هكذا ويسميهم بالعلماء الأعلام !

(1) هكذا في الاصل والظاهر : فكذلك .

(2) هكذا في الاصل والصواب : منتهين .

رأيت هذا فى الكلام واستنكرته ونبهت الإخوان عليه ، ثم رأيت لحجة الإسلام الأستاذ رشيد رضا بحثا مستفيضا فى هذا الكتاب ومؤلفه (ص 3) (*)

(*) ش : ج 7 ، م 12 ـ غرة رجب 1355 هـ ـ أكتوبر 1936 م .

الهيئة الشرعية بالعاصمة

كنا في السنوات الماضية لما يثبت الهلال في جهة قسنطينة ونحاول الاتصال ـ تيلفونيا ـ بمفتي العاصمة أو قاضيها لا نجد إلى ذلك سبيلا، حتى نرغب من بعض الفضلاء من إخواننا الجزائريين الذين نخاطبهم كالسيد ابن صيام، والسيد ابن المرابط ـ أن يذهبوا إليهما ويعلموهما فلا يجدون منهم عناية، لأن الذي كان يسيطر على الهيئة الدينية هو إمام الجامع الكبير المعروف، وكان بقلبه مرض من قسنطينة ومن جمعية العلماء، فلا يريد أن يقبل كل ما يأتي من قسنطينة، وإن كان من محكمة الشيخ القاضي وبحكمه، لما فيه من دخل من عناية الجمعية ، حتى أنه في السنة الماضية خوطب هو نفسه من محكمة الشيخ القاضي فأبى إلا العناد، كما نشرناه وعلمه الناس في وقته .

أما في هذه السنة ـ والحمد لله، فقد قطع الله اليد الظالمة، وانقذ منها الهيئة الدينية، فتألفت الهيئة الشرعية من فضيلتي الشيخ القاضي ، والشيخ المفتي، وغيرهما، وتصدت للعناية بأمر الهلال، وجلست بمحلها ليلة الاربعاء لانتظار الأخبار، وشاهد الناس بالعاصمة مظهرا من العناية الدينية لم يشهدوه من قبل . فنشكر الهيئة على ما قامت به، ونرجوها الاستمرار في هذا المنهج الحميد الذي هي أهله .

(رجاء من أصحاب الفضيلة القضاة والمفاتى)

ندعو فضيلاتكم ــ باسم الدين والأخوة فيه ــ إلى القيام بهــذا الواجب العظيم فينصبوا بمحلاتهم ليلة الثلاثين لتلقى الأخبـــار بعضهم من بعض وليتلقى الأخبار من الناس .

(رجــاء مــن الأمــة)

إن ليلة الثلاثين هى ليلة الجمعة،فيجب لرؤية الهلال وعلى كل من رأى وتحقق أن يرى غيره ــ إن كان معه ــ ويبادر برفع رؤيته إلى أقرب محكمة إليه . ومن المحتمل القوى أن يرى هلال شوال ليلة الجمعة إذا لم يمنع منه غيم،لأن علماء الفلك متفقون على أن هلال رمضان كان استهل نهار الثلاثاء،وما منع من رؤيته ليلـــة الاربعاء إلا عموم الغيم،ويؤيد قولهم شيوع رؤيته ليلة الخميس .

(إلى رؤســاء شعــب الجمعيــة)

نرجو من إخواننا رؤساء شعب الجمعية أن يحثوا الناس على هذا الواجب كما هى عادتهم ــ شكر الله لهم ــ فبفضل الله ثم بعنايتكم انتشرت هذه الروح من العناية الدينية والتعاون المشروع المحمود، وتلك هى غاية الجمعية،وقد وصلنا إلى معظمها والحمد لله ، ونرجو من الله المزيد،فنعم المولى ونعم النصير (1) .

---

(1) البصائر : السنة الاولى ، العدد 2 ــ 15 شوال 1354 هـ ــ 10 جانفى 1936 م.

المجلـــة الـزيتونية

يحق لى ـ وأنا تلميذ من تلامذة الزيتونة ـ أن أغتبط بالمجلة الزيتونية غبطة خاصة .

ويحق لى ـ وأنا جندى من جنود الإصلاح الإسلامى العام ـ أن أسر سرورا خاصا بتعزز معاقل الإصلاح بها .

ما كنت لأنسى أربع سنوات قضيتها بالزيتونة ، شطرها متعلما وشطرها متعلما ومعلما ، فكان لى منها آباء وإخوة وأبناء ، فأكرم بهم من آباء،وأكرم بهم من إخوة،وأكرم بهم من أبناء .

مضت بضع سنوات حالت فيها الأعمال المتوالية بينى وبـــين زيارة ذلك المعهد الشريف وأهله الكرام ، ولقد كان ـ علم الله ـ شذى مجالسنا بذكره ، ونعيم أرواحنا بذكراه ، وما أعرف صائفة حل بنا معشر خدمة الإصلاح ـ بها البلاء واستحكمت حلقاته مثل الصائفة الماضية ، بما كبدت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وما نصب لها ولرجالها من أشراك لولا دفع الله وحفظه ، وما أعلم صائفة هاج بى الشوق إلى جامع الزيتونة مثلها ، ولقد علم رفاقى أنه كان صبابة وهياجا لا شوقا معتادا . وأى واجبات هى من حقوق الجزائر غالبت ذلك الشوق فغلبته فلم أستطع براحا ، وأى ألم هو كنت ألقاه بين سلطان الواجب وصولة العاطفة ، لكن الله الذى أرانا فنونا من لطفه فى تلك الصائفة عجل بما سكن ذلك الشوق ، وأنعش الروح ، وشرح الخاطر ، فأطلع علينا (المجلة الزيتونية) من سماء تلك الديار ، مشرق الشموس،مطلع الأقمار،وقد ازدانت

غرتها بأسماء أربعة من خيرة الشباب العلماء العاملين : الأستاذ محمد الشاذلي بن القاضي، والأستاذ محمد الهادى ابن القاضي ، وكنت تلقيت قسما من البلاغة على المنعم والدهما ، والأستاذ محمد المختار بن محمود ، والأستاذ الطاهر القصار ، وكنت مررت يوم امتحان شهادة التطويع أمام المنعمين والديهما مع غيرهما، وقد اضطلع هؤلاء الأساتذة الأربعة بالمجلة وتحريرها وإدارتها وماليتها، وأمدهم الأستاذ الاكبر شيخ الجامع بتأييده الرسمي، ووازرهم في العمل أمثالهم من الشباب العلماء وأصحاب الفضيلة الشيوخ الكبراء، مثل العلامة أستاذنا شيخ الإسلام المالكي ابن عاشور، والعلامة أستاذنا الشيخ الصادق النيفر، والعلامة الأستاذ الشيخ عبد العزيز جعيط، والعلامة الأستاذ الشيخ البشير النيفر وغيرهم . فكانت المجلة الزيتونية تمثل تمثيلا صحيحا جامع الزيتونة بشيوخه وشبانه، فتتجلى فيها الجرأة والرصانة ، والنشاط والتؤدة . فتسير ـ ان شاء الله ـ إلى غايتها في قوة وسلام .

كانت أول دعوة للإصلاح الإسلامي أعلنت في هذا الشمال الافريقي على لسان الصحافة ـ هي دعوتنا منذ بضع عشرة سنة في جريدة (المنتقد) الشهيدة، وفي خلفها (الشهاب)، وما كان ينتظر من جامع الزيتونة المعمور في جلاله وثقل تقاليده أن يخف لتأييد تلك الدعوة، فكنا نعذره بالسكوت حينا ، ونأمل أن يأتي يوم يأبى عليه الحق فيه إلا أن يقول كلمته، ويرفع صوته، فيدوى له هذا الشمال ، وكنا نستعجل هذا الفينة بعد الفينة بما نلوح ونصرح به من عتب واستنجاد ، حتى جاء هذا العام المبارك فجاءت (المجلة الزيتونية) تعلن الإصلاح، وتحمل رايته، وتدعو إليه باسم جامع الزيتونة المعمور، فكان فوزا مبينا للإصلاح والمصلحين، ونصرا عظيماً للإسلام والمسلمين .

وقد صدر العدد الأول بمقال الافتتاح بقلم رئيس التحرير

الأستاذ محمد المختار ابن محمود،وخطاب لصاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع،وخطاب الأستاذ محمد الشاذلي بن القاضي صاحب المجلة،وكلها صريحة فيما ذكرناه من تقدم جامع الزيتونة والمجلة الزيتونية لميدان الإصلاح الإسلامي العام . وها نحن ننقل فيما يلي دررا منها نحلي بها جيد هذا المقال :

قال الأستاذ رئيس التحرير : « ونحن إذا تأملنا حالة المسلمين في هذا العصر ، من كل قطر ومصر، وجدناهم قد نبذوا تعاليم الإسلام ظهريا ، وتجافوا عنه كبرا وعتيا ، فسوق المفاسد والضلالات في رواج،وظلام الشرك يوشك أن لا يكون له انبلاج ، فكان لزاما على علماء الدين في جميع النواحي أن يشمروا عن ساعد الجد ، وينفقوا كل ما لديهم من مال وجاه وكد ، ويرفعوا أصواتهم بإرشاد الناس ، من جميع الاجناس ، حتى يملأ صوتهم الفضاء ، ويصل إلى عنان السماء ، فينفذ إلى قلوب أعمتها الضلالة، وأتت عليها الجهالة ، وبذلك يتميز السبيل القصد عن الجائرات من السبل ، وما تكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ويصرع الباطل وإن شاع،ويظهر الحق وتعلو كلمة الله في جميع البقاع » .

« وسيكون في المجلة باب بعنوان (الوعظ والإرشاد) وهو من أعظم أبواب المجلة،حيث سيكون مجالا فسيحا لإرشاد الناس وتنبيههم إلى مواقع الخطأ فيما هم سائرون عليه،حتى يقلعوا عنه ويرجعوا إلى هدى الإسلام » .

« وسيكون شعار المجلة في جميع أعمالها وفي مختلف أطوارها ، الإصلاح الديني ومقاومة كل حركة ترمي إلى الإلحاد أو إلى التعصب الديني أو المذهبي،ومقاومة البدع بجميع أنواعها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا » .

وقال الأستاذ الأكبر أستاذنا المالقي ـ في بيان مهمة مشيخة الجامع الأعظم التي تسعى لتحقيقها ـ : (خامسا) إرشاد العلماء

للعامة وإنقاذهم من وهدة الجهالة التى لا يعـــذر صاحبها،وذلك بالوعظ والإرشاد فى الجوامـــع ، والمجتمعات العامة،وتعهدهـــم بالموعظة كما كان عليه سلف الأمة.ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » .

وقال الأستاذ صاحب المجلة : « وليس هذا هو كل ما يتطلب منا القيام به،فإن أمامنا مهمات كثيرة تتطلب رجالا مصلحين أمثالكم هى اليوم فى طي الذهول أو النسيان » .

✡ ✡ ✡

نحن نسجل بغاية السرور والغبطة ومع صادق الرجاء وعظيـم الأمل ، التصريحات الجليلة التى لا تصدر إلا من قلوب أفعمت بالخير، ونفوس تشعر بالواجب ، وهمم تريـــد النهوض بإرث النبـــوة والرسالة،من إنقاذ الخلق وهدايتهـــم إلى الصراط المستقيـــم . وخصوصا تصريحات مولانا الأستاذ الأكبر،فقد بين أن من مقاصد مشيخة الجامع القيام بالوعظ والإرشاد فى الجوامع والمجتمعـات، وان تلك هى سيرة السلف الصالح . وطبع كلامه بكلمة إمام دار الهجرة التى هى شعار « الشهاب » .

وهذا الذى بينه فضيلته هو ما قامت وتقوم به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،وهو ما لقيت وتلقى فى سبيله كل عرقلة وشر من طرف الإدارة الظالمة الغاشمة المتعرضة لتربية المسلمين تربية إسلامية إنسانية صحيحة ، فليتكل فضيلته على الله،وليقدم الشبان العلماء من أبناء الزيتونة إلى سيادين الوعظ والارشاد فى الجوامع والمجتمعات فى جميع نواحى المملكة ــ لا العمالة ! ــ التونسية . وليوطن إخواننا من الأساتذة أنفسهم على ما يلقونه من البـــلاء وما تمطرهم به سحب الظلم والجهل من أنواع الأذى.وفقهم اللـــه وأعانهم على تعجيل ما عزموا عليه .

وبعد، فإن اسم الزيتونة اسم إسلامي علمي تاريخي عظيم فيجب أن تكون « المجلة الزيتونية » ممثلة له مجددة لعهده . وإن في تعاون أساتذة الجامع : شبابهم وشيوخهم على النهوض بها ما يحقق ذلك إن شاء الله . وإنني أقترح على اخواني القائمين بها أن يضموا إلى قلم تحريرها رجالا من الزيتونيين الذين يعرفون بعض اللغات الغربية، ولهم خبرة بحركات العصر من وراء البحر، فإن العلوم والآداب والفنون تراث الإنسانية كلها، لا تستقل فيها أمة عن أمة، وأكمل الأمم إزاءها من تحسن كيف تحافظ على حسنها وتستفيد من حسن غيرها (1) .

وسلام عليكم أيها الرفاق ، من أخ مشتاق .

عبد الحميد بن باديس

(1) ش : ج 10 ، م 12 ـ غرة شوال 1355 هـ ـ جانفي 1937 م .

المجلـــة التونسيـــة

اجتمعنا بالاستاذ مبارك الميلي في شهر رمضـــان الماضي ودار الحديث على النهضة الاصلاحية التي ظهرت بجامع الزيتونة المعمور وكان من ثمارها المجلة الزيتونية . فأخبرني الأستاذ أنه كتب لها تقريظا وأرسله إلى ادارتها . وكنا نحسب أنه يصدر بجزء شوال، ولما اجتمعت بالأساتذة أصحاب المجلة بشهـر شـــوال أخبروني باتصالهم بالتقريظ واعتذروا عن تأخره بكثرة المواد، وذكروا لي أنهم سينشرونه ـ مع تعليق على شيء فيه ـ في جزء ذي القعـدة، فصدر الجزء ولم ينشر فيه . فلما اجتمعت بالأستـاذ الميـــلي في العشرين منه تذاكرنا أمر التقريظ وتأخر نشره، وسألته هل فيه ما جعل نشره على الإخوان ثقيلا ؟ وطلبت منه أن يطلعني عليـه وأن يأذن لي في نشره، فأعطانيه فلم أجد فيه إلا كل ما يسر ويفيد فبادرت بنشره (1) .

(1) ش : ج 12 ، م 12 ـ غرة ذي الحجة 1355 هـ ـ فيفري 1937 م .

دعوة جمعية العلماء الجزائريين وأصولها

1 ــ الإسلام هو دين الله الذى وضعه لهداية عباده ، وأرسل به جميع رسله ، وكمله على يد نبيه (محمد) الذى لا نبي من بعده .

2 ــ الإسلام هو دين البشرية الذى لا تسعد إلا به،وذلك لأنه :

أولا ــ كما يدعو إلى الأخوة الإسلامية بين جميــــع المسلمين ، يذكر بالأخوة الإنسانية بين البشر أجمعين .

ثانيا ــ يسوى فى الكرامة البشرية والحقوق الإنسانية بــين جميع الأجناس والألوان .

ثالثا ــ لأنه يفرض العدل فرضا تاما بين جميع الناس بلا أدنى تمييــز .

رابعا ــ يدعو إلى الإحسان العام .

خامسا ــ يحرم الظلم بجميع وجوهه وبأقل قليله من أى أحــد على أى أحد من الناس .

سادسا ــ يمجد العقل ويدعو إلى بناء الحياة كلها على التفكير .

سابعا ــ ينشر دعوته بالحجة والإقناع لا بالختل والإكراه .

ثامنا ــ يترك لأهل كل دين دينهم يفهمونــه ويطبقونــه كما يشاؤون .

تاسعا ـ شرك الفقراء مع الأغنياء فى الأموال،وشرع مثـل القراض والمزارعة والمغارسة ، مما يظهر به التعاون العادل بـين العمال وأرباب الأراضى والأموال .

عاشرا ـ يدعو إلى رحمة الضعيف فيكفى العاجز، ويعلم الجاهل، ويرشد الضال،ويعان المضطر، ويغاث الملهوف، وينصر المظلـوم، ويؤخذ على يد الظالم .

حادى عشر ـ يحرم الاستعباد والجبروت بجميع وجوهه .

ثانى عشر ـ يجعل الحكم شورى ليس فيه استبداد ولو لأعدل النـاس .

3 ـ القرآن هو كتاب الإسلام .

4 ـ السنة ـ القولية والفعلية ـ الصحيحة تفسير وبيـان للقـرآن .

5 ـ سلوك السلف الصالح ـ الصحابـة والتابعين وأتبـاع التابعين ـ تطبيق صحيح لهدى الإسلام .

6 ـ فهوم أئمة السلف الصالح أصدق الفهوم لحقائق الإسـلام ونصوص الكتاب والسنة .

7 ـ البدعة كل ما أحدث على أنه عبادة وقربة ولم يثبت عـن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فعله،وكل بدعة ضلالة .

8 ـ المصلحة كل ما اقتضته حاجة الناس فى أمر دنياهم ونظـام معيشتهم وضبط شؤونهم وتقدم عمرانهم مما تقره أصول الشريعة.

9 ـ أفضل الخلق هو (محمد) صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه :

أولا ـ اختاره الله لتبليغ أكمل شريعة إلى الناس عامة .

ثانيا ـ كان على أكمل أخلاق البشرية .

ثالثا ـ بلغ الرسالة ومثل كمالها بذاته وسيرته .

رابعا ـ عاش مجاهدا فى كل لحظة من حياته فى سبيل سعادة البشرية جمعاء حتى خرج من الدنيا ودرعه مرهونة .

10 ـ أفضل أمته بعده هم السلف الصالح لكمال اتباعهم له .

11 ـ أفضل المؤمنين هم الذين آمنوا وكانوا يتقون،وهم الأولياء والصالحون،فحظ كل مؤمن من ولاية الله على قدر حظه من تقوى الله.

12 ـ التوحيد أساس الدين ، فكل شرك ـ فى الاعتقاد أو فى الفعل ـ فهو باطل مردود على صاحبه .

13 ـ العمل الصالح المبني على التوحيد به وحده النجاة والسعادة عند الله،فلا النسب ولا الحسب ولا الحظ بالذى يغنى عن الظالم شيئا .

14 ـ اعتقاد تصرف أحد من الخلق مع الله فى شيء ما شرك وضلال ، ومنه اعتقاد الغوث والديوان .

15 ـ بناء القباب على القبور،ووقد السرج عليها،والذبح عندها لأجلها،والاستغاثة بأهلها ضلال من أعمال الجاهلية،ومضاهاة لأعمال المشركين،فمن فعله جهلا يعلم،ومن أقره ممن ينتسب إلى العلم فهو ضال مضل .

16 ـ الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف،ومبناها كلها على الغلو فى الشيخ والتحيز لأتباع الشيخ وخدمة دار الشيخ وأولاد الشيخ إلى ما هناك من استغلال .... ومن تجميد للعقول وإماتة للهمم وقتل للشعور،وغير ذلك من الشرور ..

17 ـ ندعو إلى ما دعا إليه الإسلام،وما بيناه منه من الأحكام، بالكتاب والسنة وهدى السلف الصالح من الأئمة، مع الرحمة والإحسان،دون عداوة أو عدوان .

18 ـ الجاهلون والمغرورون أحق الناس بالرحمة .

19 ـ المعاندون المستيقلون أحق الناس بكل مشروع من الشدة والقسـوة .

20 ـ عند المصلحة العامة من مصالح الأمة يجب تناسي كل خلاف يفرق الكلمة،ويصدع الوحدة،ويوجد للشر الثغرة ، ويتحتم التآزر والتكاتف حتى تنفرج الأزمة وتزول الشدة بإذن الله ، ثم بقوة الحق وادراع الصبر،وسلاح العلم والعمل والحكمة .

« قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِيَ : أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » .

عبد الحميد بن باديس

بقسنطينة بالجامع الاخضر اثر صلاة

الجمعة 4 ربيع الاول 1356 هـ (1)

---

(1) البصائر . السنة الثانية ، العدد 71 ـ ربيع الثاني 1356هـ ـ 18 جوان 1937م

تعطيل التعليم ، والتنكيل بالمعلمين

ماذا يراد بالقرآن في هذه الديار ؟

هاك ما وقع لدينا أيها الأستاذ : ذلك أن أربعة من مؤدبي الصبيان بقريتنا (خميس مليانة) قد عانوا في هذه الطريق ما عانوا مما لاقوه من حكومة القرية من الحكم عليهم أولا بخطيئة قدرها خمس فرنكات مع التصريح لهم بغلق المكاتب، ثم أشاروا عليهم بطلب الرخص ، فنهضوا لطلبها، وأحضروا كل اللوازم القانونية ، وبلغت مصاريف تلك اللوازم ما يقرب من ثلاثمائة فرنك . وقع ذلك منذ ثلاثة أشهر . فإذا بالإذن جاءهم بأن يغلقوا المكاتب وإلا يلزمهم ما يلزم المجرمين من تجويزهم في «البرسيف»، وقد ردوا عليهم كل اللوازم مكتوبا عليها «ريفوزى» من الحكومة . وهاك أسماء الأربعة : معروف عرايبى عبد الرحمن، مطاى عبد القادر بن أحمد ، بختارى قويدر بن الحسين ، بورزامة العيد بن حارمح ».

كتاب مؤرخ بـ ١٥ ربيع الثاني و ١١ جوان

هذا قليل من كثير مما علمناه ومما لم نعلمه ، لأن كثيرا من المعلمين من يسكتهم اليأس أو الخوف . اقتصرنا على هذا القليل مما نعلم ، لأنه مما رفضت فيه الرخص هذه الأيام، والأمة كلها تضج بالألم والشكوى مما يلاقيه تعليم القرآن والإسلام ولغة القرآن والاسلام من الضغط والاضطهاد . فكأن الإدارة تطبق علينا المثل العربي : « إن ضج فزده وقرا » .

قالوا : إنما أريد بقانون 8 مارس التنظيم . وقالت الأمة : إن ما سبقه وما لحقه يدل على أنه سيكون آلة للتعطيل والتنكيل، فمثل هذه الحادثة التي نشرناها لأي القولين يدل ، وعلى أيهما يبرهن ؟

لما قابل نوابنا الوالي العام منذ أيام صرح لهم بأن الكتاتيب القرآنية الصغيرة سيصدر الإذن بفتحها . ولما قابله الشيخ الهادي الزروقي مع بعض النواب مرة أخرى ، وأخبره الشيخ بالمكاتب القرآنية الكثيرة التي أغلقت في دائرة بجاية،صرح له جناب الوالي بأنه لا علم له بذلك،في شيء من الاستنكار لغلقها ثم تقع مثل هذه الحوادث !

هل نستنتج من هذا أن الإدارات الصغرى المحلية هي التي تتولى التصرف في هذه المسألة الخطيرة بلا رقيب ولا حسيب ؟ أم نستنتج منه أن هنالك أصلا مقررا يؤمر بتنفيذه دون حاجة إلى مراجعة أكبر مسؤول بوجه عام،أم ماذا ؟

مهما يكن من شيء فإننا نقول ونكرر : إن مسألة حرية تعليم القرآن والإسلام ولغة القرآن والإسلام ـ مسألة هي كبرى المسائل عند المسلمين . وكفى دليلا ما قام عليها من شكوى واحتجاج من جميع الجهات،مما لم يقع مثله لغيرها ، فلا يجوز بحال ، أن تترك على هذه الحال ، بل يجب أن يجاب فيها المسلمون بما لهم من حق طبيعي وشرعي في تعلم دينهم ولغة دينهم،في دائرة القانون العام المنفذ بإنصاف وإخلاص على جميع السكان . فعسى أن يكون من الرجل العظيم المسؤول عن الجزائر ما يوده محبو الخير والصفاء للجميع (1) .

---

(1) البصائر : ع 119 ـ 25 ربيع الثاني 1357 هـ ـ 24 جوان 1938 م .

حول كارثة سوف الأليمة :

سـوف قبـل الإصـلاح وبعـده

عرف أهل سوف من قديم بالتدين والتشدد فى العقيدة والتفانى فيها . وقد شطرتهم الطريقة التيجانية والطريقة القادريـــة إلى شطرين بلغت العداوة والبغضاء ما بينهما مبلغها ، حتى انعدمت المصاهرات بينهما أو كادت ، وحتى صار من كان من فريق لا يصلى خلف من كان من الفريق الآخر . وفى بلدة الرقيبة ــ إلى اليوم ــ مسجد قسم بشطرين،وضرب فيه بحائط بين المصلين،حتى أنه ليسمع كلا الفريقين إمام الآخر ، فلا تسأل عن التخليط والتشويش . هذا وأكثر من هذا يقع بين أولئك المؤمنـــين المخلصين فى إيمانهـم، الجاهلين بحقيقة ما هم به مؤمنون ، وشيوخهم المدعون فيهم مقامات أكابر عباد الله الصالحين يرون ذلك ولا يغيرونه ، بل يؤكدونـه بما يبثونه من الدعاوى المتغالية فى فضائل طريقتهم،ومن ينتسبون اليه،وما تتضمنه تلك الدعاوى من الحط من الفريق الآخر وزيغه وضلاله ، فيزداد أولئك الأتباع الجهال المغرورون المخدوعون غلوا فى طريقتهم، ومقتا للطريقة الأخرى، ويزداد الجفاء والقطيعـــة، وما ينشأ من الجفاء والقطيعة بين أولئك المساكين من الجانبين .

فلما ارتفعت دعوة الإصلاح بالجزائر كان فى طليعة رجالهـا نبهاء من أبناء سوف المثقفين،وعلمائها المستنيرين، فدعوا إخوانهم بسوف إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان

عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ، والخلف الناصح من أيمة المسلمين، وإلى التواصل والاتفاق،وطرح التقاطع والافتراق،فاستجاب لهم كثير من أهل سوف وتلقوا دعوة الإصلاح بذلك الإيمان القوى واليقين الثابت والتدين المتين ، وأخذ عددهم يزداد،وأخذ ذلك التقاطع يزول،وأخذت تلك الأحقاد تنطفيء،وأخذ الناس يتقاربون ويتواردون ، حتى الذين استمروا على اتباع شيوخ طريقتهم قللوا مما كانوا عليه بما رأوا من تسامح المصلحين ووصلهم من يقاطعهم،وتجاوزهم عمن يظلمهم،وما كانوا يسمعون من العلماء المصلحين من الدعوة بالقرآن والهدى النبوى الكريم . وقد كان أعظم مظاهر الإصلاح فى قمار حيث سعى المصلحون وجدوا فى بناء مسجد عظيم وتأسيس مدرسة للتعليم . وقد ظهرت قوة الإصلاح بسوف يوم زارها وفد جمعية العلماء فى الشتاء الماضى وحل بجميع بلدانها،وكانت الاجتماعات العلمية الدينية تقدر بالمئات والألوف .

هكذا كانت سوف قبل الإصلاح،وهكذا صارت بعده . وها هى قد أصيبت بكارثتها الأليمة وابتلى فيها المصلحون على الخصوص أشد البلاء ، فكانت كما ينتظر من أهل الدين والإيمان صبرا وجلدا وثباتا ويقينا . ثم براءة من كل ما حاول الكائدون أن يرموها به من تهم الثورة والانتقاض . ومحال على من استنار قلبه بالدين الخالص أن يعيش في ظلام ، ومحال على من تذوق طعم الإيمان الصادق أن يكون منه إلا الخير والإحسان (1) .

(1) البصائر : ع 122 ـ 17 جمادى الاولى 1357 هـ ـ 15 جوليت 1938 م .

الـزوايــا وغـايـاتهـا

كفــى بهـم شهــداء عــلى أنفسهــم

عرفنا مما كتبه الأخ الشيخ حمزة بوكوشة فى عدد 146 مــن « البصائر » ردا على بعض الناس، أن ذاك المردود عليه زعــم أن جمعية الزوايا تبنت القانون الأساسى لجمعية العلماء ، وتمنــى كذلك ــ ضلة ــ أن تحل محلها . فدعاه الأستاذ بوكوشة إلى نشر القانون الأساسى لجمعية الزوايا ليحكم القراء هل هو موافق لقانون جمعية العلماء أو مخالف لــه مخالفة إنجيل يوحنا للقرآن الكريم. ولما كان القانون الأساسى للجمعية الطرقية بقسنطينة قد وقع إلينا منذ أكثر من سنة،رأينا أن ننشره ليطلع عليه القراء ويعرفوا منه غاية هؤلاء الناس وما إليه يعملون .

علم الناس كلهم أن غاية جمعية العلماء هى تعليم الناس أمــر دينهم وتفقيههم فيــه وتهذيبهم به وإصلاح ما فسد مــن شؤونهم العامة والخاصة إصلاحا إسلاميا مستمدا من الكتاب والسنة وهدى صالح سلف الأمة بلسان هذا الدين الكريم ، اللسان العربى المبين، إلى هذا دعت وفيه جاهدت ، ومن أجله والاها من والاها وعاداها من عاداها ، ومن جرائه هى تلقى الأذى والعنت والبلاء الشديد ، ويلقى خصومها الولاية والرعاية والمدد والتأييد ...

فأما كبراء الزوايا وجامعتهم فها هى غايتهم كما هى فى الفصل الثامن من قانونهم :

« غاية هذه الجمعية هي أولا المحافظة على نفوذ الزوايا والطرق، وعلى شهرتها وسمعتها ومكانتها » .

النفوذ ! والشهرة ! والسمعة ! والمكانة ! فهل أبقوا من مظاهر السلطان والسيادة والكبرياء والعظمة والاستيلاء شيئا ؟ هذه هي غايتهم : أن يبقوا سادة على الناس،وأن يبقوا الناس مستعبدين لهم.

أين هي التربية ؟ أين هو التعليم ؟ أين هو نشر الإسلام ؟ أين هي مقاومة المفاسد والشرور ؟ أين هو الوعظ والإرشاد ؟

هذه كلها أمور لا ذكر لها عندهم ، لأنهم يخافون منها على سلطانهم ، ويخافون من ذكرها على أنفسهم ممن يبتغون عندهم ما يبتغون .

نعم من غايتهم في بقية الفصل السابق قولهم :

« وثانيا الاهتمام بجيوش الفقراء المنتشرين في المساجد والزوايا وإصلاح حالهم » .

نحن نعلم أن ذكر الطعام والشراب لا يغضب عليهم أحدا .... إذ هو شعبة من شعب « سياسة الخبز » المتبعة .... وليتهم صدقوا فيما وعدوا وقاموا للمسلمين بهذه الناحية ، ولكننا لا نرى في مدينة من المدن ولا في قرية من القرى ولا في مدشر من المداشر شيئا من ذلك . نعم في بعض من الزوايا قليل من الفقراء في حالة تعيسة يربح بهم أضعاف ما ينفق عليهم .

تكفي الإشارة بهذا الإيجاز إلى غايتهم،كما شهدوا بها على أنفسهم ، فإن أعمالهم وأقوالهم ومواقفهم كافية في بيان حقيقتهم وغاية قصدهم . وقد بقيت فيما نشرناه من قانونهم بقايا من فضائحهم لا تخفى على قرائنا الألباء .

فهذه الغايات وما وراء هذه الغايات،وتلك الخفيات وما وراء

تلك الخفيات ، هي التي اخرجت رؤساء الزوايا من جمعية العلماء بعد أن كانوا من المؤسسين لها والواضعين لقانونها الأساسي الباقي إلى اليوم ، وبعدما قضوا عامها الأول في عضويتها ، وهي هي التي باعدت بينهم وبين العاملين لنفوذ الإسلام وشهرة الإسلام وسمعة ومكانة الإسلام،لا لغيره من الأفراد والجماعات،كائنا من كان ذلك الفرد،وكائنة من كانت تلك الجماعة .

ووالله لو أن هؤلاء الناس استقلوا في إرادتهم ، وتحرروا في عملهم من مسيريهم ، وطرحوا عنهم الأغلال التي وضعوها باختيارهم في أعناقهم ، وجعلوا نشر العلـم وخدمة الإسـلام أقصى غايتهم ـ لمددنا لهم يد الأخوة والاتحاد .

« فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُـوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ » (1) .

(1) البصائر : ع 148 ـ 22 ذى القعدة 1357 هـ ـ 13 جانفى 1939 م .

القسم الثاني

السياسة

القسم الثاني

السياسة

نحن قوم مسلمون جزائريون ، في نطاق ـ مستعمرات الجمهورية الفرنسوية ، فلأننا مسلمون نعمل على المحافظة على تقاليد ديننا التي تدعو إلى كل كمال إنساني ، ونحرص على الأخوة والسلام بين شعوب البشر ، وفي المحافظة على هذه التقاليد المحافظة على أهم مقوماته قوميتنا وأعظم أسباب سعادتنا وهنائنا ، لأننا نعلم أنه لا يقدر الناس أن يعيشوا بلا دين. وأن الدين قوة عظيمة لا يستهان بها ، وأن الحكومة التي تتجاهل دين الشعب تسيء في سياستها وتجلب عليه وعليها الأضرار والأتعاب ، بل ربما حصلت لها هزاهز وفتن،كما أصاب حكومة هيريو في العهد القريب ، ولا نعني بهذا أننا نخلط بين الدين والسياسة في جميع شؤوننا ، ولا أن يتداخل رجال الدين في سياستنا ، وإنما نعني اعتبار الدين قواما لنا ، ومهيعا (1) شرعيا لسلوكنا ، ونظاما محكما نعمل عليه في حياتنا ، وقوة معنوية نلتجيء إليها في تهذيب أخلاقنا ، وقتل روح الإغارة والفساد منا وإماتة الجرائم من بيننا ، فلهذا لا نألوا جهدا في خدمته بنشر مبادئه الحقة العالية ، وتطهيره من كل ما أحدثه فيه المحدثون ، والدفاع عنه من أن يمس بسوء من أهله أو من غير أهله .

عبد الحميد بن باديس

(1) طريقا واضحا .

(2) المنتقد ـ ع 1 ـ 11 ذي الحجة 1343 هـ الموافق لـ : 2 جويلية 1925 م .

الحــرب الــريفية

شاءت الأقدار أن يبرز العدد الأول من جريدة « المنتقد » ونار الحرب الريفية تشتعل لظاها ، ويستطير شررها ، وتشغـل أنباؤها أسلاك البرق وأكياس البريد ، وتمـلأ صفحات الجرائد والمجلات بالشرق والغرب .

وقـد عرف الناس تفاصيل أخبارها ، وما بقـى لنـا إلا كلمة مختصرة مجملة نشارك بها الكتاب .

أسبابها : سبب هذه الحرب في ظاهرها نزاع على الحدود ؛ فالأمير ابن عبد الكريم يرى أن فرنسا قد احتلت شمال وادى ورغة ، وهو خارج عن منطقتها ، ويرى ذلك الاحتلال مضرا به سياسيا واقتصاديا، وترى فرنسا أنه داخل فى منطقتها ، وأنها إذا لم تحتله تخشى من هجوم الأمير الريفى عـلى منطقة احتلالها،واحتلاله واحتلال مدينة فاس ، ومبايعته سلطانا على المغرب بتمامه . فأصبح احتلال وادى ورغة كاحتلال الريـن ، هذا لخشية الهجـوم الألمانى وذاك لخشية الهجوم الريفى .

موقف الدول إزاء هذا الحرب :

قد وقفت انكلترا وايطاليا فى الظاهر موقف المحائـد المتفرج ، منتظرة منتهى العراك ، غير أن المطلع على السياسة الدولية والتناحر الاستعمارى لا يشك أن هاتين الدولتين لا تسمحان لفرنسا بـأن تزداد شيئا تتقوى بـه فى شمال افريقيا والبحر المتوسط . وأمـا

اسبانيا فإنها لما يتقنت أن فرنسا لا تطمع في الريف الذى هو موضوع بمعاهدة دولية في منطقة نفوذ اسبانيا ، رضيت بالتعاون مع فرنسا لقهر الريف ، فهي تحاول أن تنال بالتعاون ما عجزت عنه وحدها .

موقف أحزاب الأمة الفرنسوية إزاء الحرب :

لقد كانت أحزاب اليمين ـ وسياستها معروفة ـ معضدة لفكرة الحرب من أولها . ووقف الاشتراكيون في أول الأمر وقفة المعارضة حتى أقنعتهم الحكومة بأن فرنسا مدافعة غير هاجمة ، وأنها لا تنوي أخذ شيء من أرض الريف ، وأنه من واجب شرفها أن تحمي سلطان فاس ورعيته من سلطة الريفيين ، وتأكدت موافقتهم لما رجع م. بانلوفي من رحلته إلى المغرب ، وأقنعهم بأن الحرب وطنية !. وأما الحزب الشيوعي فإنه أعلن بمعارضته من أول الأمر ووالى الهجمات على الحكومة ، وصرح خطباؤه بأن الحرب استعمارية محضة حركها الحزب المالى والحزب العسكرى ، وصرح بوجوب الانجلاء عن أرض الاحتلال ، وتجاوز المعارضة في البرلمان إلى المظاهرات في الشوارع ، ونشريات الأوراق في تشذيب الحرب وتثبيط المقاتلين في فرنسا والمستعمرات .

هذه الحرب في نظر الناس : فاجأت هذه الحرب الناس مفاجأة على منظر غريب ، فإن القوتين المتقاتلتين فيها لا نسبة بينهما ولا مناسبة فإن الريف أمة قليلة ضعيفة ، وفرنسا أول دولة حربية في العالم اليوم . ثم مع ذلك طالت مدة النضال ، واحتاجت فرنسا إلى استعمال الكبراء من قوادها ، والشيء الكثير من عدتها ، والاستعانة بجارتها، كل هذا والحرب إلى اليوم لم تظهر نتيجتها . رأى قوم أن أعداء فرنسا من البلشفيك والألمان وجدوا منفذا إلى مصادمتها ومعاكستها، ويزيد قوم فيقول : إن بعض أحبابها غير مخلصين لها ، مدفوعين بعامل المنافسة ، ويد أصحاب رؤوس الأموال منهم .

ثم إن من الناس ــ حتى الفرنسويين أنفسهم ــ من يستنكر الحرب في هذه الظروف ألتى تواجه فيها فرنسا أزمة مالية ، وتحتاج فيها إلى اليد العاملة من أبنائها .

ويقول قوم : إنها مظهر من مظاهر العراك العنيف القائم بين الشرق والغرب اليوم .

ويرى قوم : أنها ما هى إلا حرب بين الاستعمار والاستقلال ، وأنه إذا اعترف للأمير عبد الكريم بالاستقلال نزع غيره من الشمال الافريقى منزعه ، وفى ذلك خطر كبير على الاستعمار . وهكذا تختلف الأنظار والأفكار ، والحقيقة يكشفها المستقبل ، ومصير الأمر بيد الله .

ومهما يكن من شيء فإننا نقول : إن الحرب حرب شعواء ، كانت فوق ما ظننت ، فرع فيها النبع بالنبع ، ولقى فيها بنو دارم آل مسمع .

ورأينا : أن فرنسا اليوم تواجه أزمة مالية شديدة ، وفى حاجة إلى اليد العاملة من أبنائها ، بل إن القوة العسكرية لإرهاب عدوها القوي الحقيقى الالمانى ، ففى خيرها « وخيرنا مرتبط بخيرها » أن تنهى هذه الحرب بصلح عادل شريف ، وتتساهل فى مفاوضة الأمير ابن عبد الكريم الذى نعتبره زعيما ثائرا ، وهو فى الحقيقة صاحب الحق الشرعى فى أرض الريف ــ كما صرح به م. بانلوفى عند مروره بمالقه ــ لما قال : « وإنى أكرر القول بأنه ينبغى لفرنسا واسبانيا أن تتفقا مع ابن عبد الكريم لأنه صاحب السلطة الشرعية بلا منازع » . وأما مسألة استيلاء عبد الكريم على المغرب إذا اعترف باستقلاله ، والخوف من ثوران الشمال الافريقى فبعيدة عن الصواب ؛ فإن الأمير أعقل من أن يغامر تلك المغامرة العقيمة ورعايا فرنسا أصدق لها وأعرف بخيرهم أن يقابلوها بالعدوان (1)

(1) المنتقد ــ ع 1 ــ 1943/12/11 هـ ــ 1925/7/2 م .

مبادؤنا وغايتنا وشعارنا

بسم الله ، ثم باسم الحق والوطن ، ندخل عالم الصحافة العظيم شاعرين بعظمة المسؤولية التي نتحملها فيه ، مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون ، والمبدأ الذى نحن عليه عاملون ، وها نحن نعرض على العموم مبادئنا التي عقدنا العزم على السير عليها ، لا مقصرين ولا متوانين ، راجين أن ندرك شيئا من الغاية التي نرمي إليها بعون الله،ثم بجدنا وثباتنا وإخلاصنا، وإعانة إخواننا الصادقين في خدمة الدين والوطن .

مبدؤنا السياسي :

نحن قوم مسلمون جزائريون ، في نطاق مستعمرات الجمهورية الفرنسيوية ، فلأننا مسلمون نعمل على المحافظة على تقاليد ديننا التي تدعو إلى كل كمال إنساني ، ونحرص على الأخوة والسلام بين شعوب البشر وفي المحافظة على هذه التقاليد المحافظة على أهم مقومات قوميتنا وأعظم أسباب سعادتنا وهنائنا ، لأننا نعلم أنه لا يقدر الناس أن يعيشوا بلا دين ، وأن الدين قوة عظيمة لا يستهان بها ، وأن الحكومة التي تتجاهل دين الشعب تسيء في سياسته وتجلب عليه وعليها الأضرار والأتعاب ، بل ربما حصلت لها هزاهز وفتن كما أصاب حكومة هيريو في العهد القريب . لا نعني بهذا أننا نخلط بين الدين والسياسة في جميع شؤوننا ، ولا أن يتداخل رجال الدين في سياستنا ؛ وإنما نعني اعتبار

الدين قواما لنا ، ومهيعا (1) شرعيا لسلوكنا ، ونظاما محكما نعمل عليه في حياتنا ، وقوة معنوية نلتجيء إليها فى تهذيب أخلاقنا وقتل روح الإغارة والفساد منا وإماتة الجرائم من بيننا ، فلهذا لا نألو جهدا في خدمته بنشر مبادئه الحقة العالية وتطهيره من كل ما أحدثه فيه المحدثون، والدفاع عنه من أن يمس بسوء من أهله أو من غير أهله (2) ولأننا جزائريون نعمل للم شعب الأمة الجزائرية وإحياء روح القومية فى أبنائها وترغيبهم فى العلم النافع والعمل المفيد حتى ينهضوا كأمة لها حق الحياة ، والانتفاع فى العالم وعليها واجب الخدمة والنفع للإنسانية .

وإننا نحب الانسانية ونعتبرها كلا،ونحب وطننا ونعتبره منها جزءا ، ونحب من يحب الإنسانية ويخدمها،ونبغض من يبغضها ويظلمها .

وبالأحرى نحب من يحب وطننا ويخدمه ، ونبغض من يبغضه ويظلمه ، فلهذا نبذل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائرى وتحبيب بنيه فيه ، ونخلص لكل من يخلص له ، وتناوىء كل من يناوئه من بنيه ومن غير بنيه .

ولأننا مستعمرة من مستعمرات الجمهورية الفرنسوية نسعى لربط أواصر المودة بيننا وبين الأمة الفرنسوية وتحسين العلائق بين الأمتين المرتبطتين بروابط المصلحة المشتركة والمنافع المتبادلة من الجانبين ، تلك الروابط التى ظهرت دلائلها وثمراتها فى غير ما موطن الحرب والسلم .

إن الأمة الجزائرية قامت بواجبها نحو فرنسا فى أيام عسرها ويسرها ، ومع الأسف لم نر الجزائر نالت على ذلك ما يصلح أن

---

(1) طريق مهيع : بين منبسط .
(2) تقدمت هذه الفقرات فاتحة لهذا الباب .

يكون جزاءها ، فنحن ندعو فرنسا إلى ما تقتضيه مبادئها الثلاثة التاريخية « الحرية والمساواة والأخوة » من رفع مستواها العلمي والأدبي بتعميم التعليم كل ممت الحديث (1) .

وتشريكنا تشريكا صحيحا سياسيا واقتصاديا في إدارة شؤون وطننا الجزائري ، إن لفرنسا ما يناهز القرن في الجزائر ولا أحد ينكر ما لها من الأيادي في نشر الأمن وعمارة الأرض وجميع وجوه الرقي الاقتصادي . غير أنها – ويا للأسف – ليست لها تلك الأيادي ولا نصفها في تحسين حال الأهالي العلمي والادبي ، مع أن الذي يناسب سمعة فرنسا ومبادئها، ويصدق ما ينادي به خطباؤها، ويكون أجمع للقلوب عليها هو أن تعنى بالعباد كما تعنى بالبلاد .

إننا نسعى بكل جهدنا لتحقيق هاته الأمنية التي هي حقنا وفيها سعادة الجميع .

إن الأمة الجزائرية أمة ضعيفة ومتأخرة فترى من ضرورتها الحيوية أن تكون في كنف أمة قوية عادلة متمدنة لترقيها في سلم المدنية والعمران، وترى هذا في فرنسا التي ربطتها بها روابط المصلحة والوداد ، فنحن نخدم للتفاهم بين الأمتين، ونشرح للحكومة رغائب الشعب الجزائري، ونطالبها بصدق وصراحة بحقوقه لديها، ولا نرفع مطالبنا أبدا إلا إليها، ولا نستعين عليها إلا بالمنصفين من أبنائها .

وفي جدنا وإخلاصنا وشرف الشعب الفرنسوي وحريته ما يقرب كل أمل بعيد .

(1) في الاصل محو مطبعي . وعبارة غير واضحة .

مبدؤنا التهذيبي :

كما تحتاج الأبدان إلى غذاء من المطعوم والمشروب ، كذلك تحتاج العقول إلى غذاء من الأدب الراقي والعلم الصحيح ، ولا يستقيم سلوك أمة وتنقطع الرذيلة من طبقاتها وتنتشر الفضيلة بينهم إلا إذا تغذت عقول أبنائها بهذا الغذاء النفيس ، فنحن ننشر المقالات العلمية والأدبية وكل ما يغذي العقول من منظوم ومنثور من صحف الشرق والغرب وأقلام كتاب الوطن،ونقاوم كل معوج من الأخلاق وفاسد من العادات،ونحارب على الخصوص البدع التى أدخلت على الدين الذى هو قوام الإخلاص فأفسدته .

وعاد وبال ذلك الفساد علينا،وتأخرنا من حيث يكون تقدمنا، وسقطنا بما لا نرتفع إلا به ، لما شوهناه بإدخال ما هو ضده عليه ، ونحسن ما كان من أخلاق الأمم حسنا وموافقا لحالنا وتقاليدنا ونقبله ، ونقبح ما كان منها قبيحا أو مباينا لمجتمعنا وبيئتنا ونرفضه،فلسنا من الجامدين فى جحودهم،ولا مع المتفرنجين فى طفرتهم وتنطعهم ، والوسط العدل هو الذى نؤيده وندعو إليه .

مبدؤنا الانتقادى :

فى الهيئة الاجتماعية أشخاص تقدموا للأمة وتولوا،أو يريدون أن يتولوا،قيادتها وتدبير شؤونها الاجتماعية،سياسية أو اقتصادية أو علمية أو دينية ، ولهم صفات خاصة بأشخاصهم وشؤونهم فى أنفسهم وأعمال فى دائرتهم وحدهم،وصفات بها يباشرون من شؤون الأمة ما يباشرون،وأعمال تتعلق بأحوال العموم .

فأما صفاتهم الشخصية وأعمالهم الخاصة فلا يجوز لنا أن نعرض لها بشيء ، وأما صفاتهم وأعمالهم العمومية فهى التى نعرض لها وننقدها،فننتقد الحكام والمديرين والنواب والقضاة والعلماء والمقاديم وكل من يتولى شأنا عاما من أكبر كبير إلى أصغر صغير

من الفرنسويين والوطنيين ، ونناهض المفسدين والمستبدين من الناس أجمعين،فننصر الضعيف والمظلوم بنشر شكواه والتنديد بمظالمه كائنا من كان ، لأننا ننظر من الناس إلى أعمالهم لا إلى أقدارهم ، فإذا قمنا بالواجب فلإشخاصهم منا كل احترام .

وسنسلك في انتقادنا طريق الحقيقة المجردة والصدق والإخلاص والنزاهة والنظافة في الكلام ، وننشر كل انتقاد يكون على هذه الصفات ، علينا أو على غيرنا ، على مبدأ الإنصاف الذي لا يتوصل للتفاهم والحقائق إلا به .

هذه مبادؤنا،وهي مبادىء الصحافة الحرة الصادقة التي هي قوة لا غنى لأمة عنها ، ولا رقي لأمة ناهضة في هذا العصر بدونها .

هذه مبادؤنا وسيرضى عنا بها الأحرار المفكرون أصحاب الصدور الواسعة والقلوب الكبيرة من الوطنيين والفرنسويين ، وسيغضب بها علينا المستبدون الظالمون والدجالون المحتالون وصغار الأدمغة وضيقو الصدور من بغاث البشر .

ونحن بين الجميع لا نخدم إلا الحق والوطن والدين،ولا نسمع إلا لصوت الواجب،ولا نسترضى أقواما ولا نستغضب آخرين،قائمين حسب الجهد بالواجب الصحافي الشريف،صامدين إلى غايتنا السامية وهي :

« سعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية »

صارخين دائما بشعارنا الرسمي وهو :

« الحق فوق كل أحد،والوطن قبل كل شيء »

وعلى الله ثم على اجتهادنا وإخلاصنا ومناصرة أنصار المبادىء الحرة الاعتماد والاتكال (1) .

(1) المنتقد ـ ع 1 ـ 1943/12/11 هـ ـ 1925/7/2 م .

هل تخشى عاقبة الصلح أم تحمد ؟

كثير من الأمة الفرنسوية من يود تعجيل الصلح في حرب الريف، ورئيس الوزراء نفسه صرح مرارا برغبته في ذلك ، وقد قدمت فعلا شروط الصلح المتفق عليها بين فرنسا واسبانيا للأمير ابن عبد الكريم ، وهي منافية تماما لما صرح مرارا بلزومه من استقلال الريف التام ، والمتطلعون على مجاري الأمور لا يشكون في رفضه لهذه الشروط،واستمراره على القتال بشدة ونشاط، ما دامت تحت يده جنوده . وإذا استمرت الحرب إلى أيام الشتاء فإنها بلا شك تزداد صعوبة على الجنود الفرنسوية التي تلاقي الآن من صعوبات الطبيعة مشاق عظيمة ، فكيف إذا جاءت الثلوج،وسالت الوديان، وانقطعت المسالك ؟ لا شك أن التكاليف المالية والعسكرية تكون كثيرة ومتعبة ، وتستمر سنة أخرى شهباء حمراء ، ربما ضعضعت الميزانية وزادت في سقوط الفرنك . هذه الملاحظات كلها توجب على الحكومة السرعة التامة في تعجيل الصلح ولو بشيء من التضحية والتسامح ، غير أن كثيرا ممن يرغبون في الصلح يعلمون شرط ابن عبد الكريم الأساسي وهو الاستقلال التام ، يخافون ويخوفون من هذا الاستقلال وسوء عاقبته ، ويقولون : إن استقلال الريف يهدد مستعمراتنا بشمال افريقيا ، ففي يوم ما ينهض ابن عبد الكريم لتأسيس امبراطورية من تجمع الشمال ، ويقولون : إن استقلال الريف تعقبه ثورة عامة بجميع الشمال ، وسواء علينا أكانوا يقولون عن اعتقاد حقيقي أو لمقاصد أخرى ، فإنا نرى هذه الأقوال من التخوفات المبنية على كثير من الأوهام ، أن الريف تلك

القطعة الصغيرة من الأرض التى لا زالت لـم تستثر نفسها ولـم تؤسس على وجـه لائـق بهذا العصر نظمها،لا يمكن أن يحـدث عقلاؤها أنفسهم بتأسيس امبراطورية مـن أمـم مختلفة الأخلاق والعوائد وكثير من الأحوال . ولا يكون مجرد الاشتراك فى الدين كافيا فى هذا التخوف، فـإن أمما إسلامية عديدة وقوية متجاورة بالشرق ولم تحدث ولن تحدث نفسها بالانضمام لتكون ملكا واحدا.

وأما التخوف من الثورة العامة فإنها ولا شك فكرة خيالية دساسة مخلوقة من حماة سوء الظن وصديد الاستعمار .

إن أهالى شمال افريقيا الذين لـم يكف فى حسن الظـن بهـم محاربتهم لأبناء دينهم وجنسهم وما قدموه من النفوس والأموال فى الحرب الكبرى وهذه الحرب نفسها ، ومنهم أكثـر جنودها ، ليست لهم فكرة ثورية ، رغم حرص المتحرصين المغرضين ، ولو كانت لهم فكرة ثورية لظهرت أيام أطلقت قنابل قوبان وبروزلو على شاطىء سكيكدة وعنابة ، ولو كانت ثم فكرة ثورية لبادر بها المراكشيون ، وهـم أقرب من غيرهم إلى الريف . وأما القبائل الثائرة فهى قبائل كالريفية لـم يتم خضوعها من قبـل ، ووقعت أخيرا بـين المطرقة والسندان ، فهذا كله يحقق لمن ينصف أن أهالى شمال افريقيا سواء استقل الريف أم لم يستقل ليسوا كما يصورهم المهولون .

وبعد هذا البيان يحق لنا أن نقول : الصلح خير مخشى العاقبة على أى وجه كان ، بل محمود العاقبة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا لفرنسا دولة السلام . (1) « الجزائرى »

---

(1) المنتقد : ع 7 ـ 13 ـ 8 ـ 1925 م .

بيـان شـروط الصلـح

قـال م. بافلوفى : إن شرط ابن عبد الكريم الاعتراف بالريف قبل الدخول فى أدنى مذاكرة شرط يجدد قبوله فتح كامل المسألة المغربية فى الحين بصورة مخطرة . ما هو هذا الخطر ؟ إذا أردنا أن نعرفه وجب أن نلقـى نظرة عـلى المسألـة المراكشية فى تاريـخ الاستعمار .

كانت افريقيا فى الربع الأخير من القرن الماضى ميدانا للمنافسة الدولية الأوربية ومطامعها ، وخصوصا بين الفرنسويين والانجليز الذين كانوا أسبق من غيرهم وأقوى .

وأما الالمانيون فـإنهم ما دخلوا هذا الميدان إلا مؤخرا لسياسة بزمارك الذى كان يقول عن نفسه إنه ليس رجل مستعمرات . وأما ايطاليا فإنها كانت أقـل الدول نجاحا وأكثرهم خيبة وأضرارا فى طريق الاستعمار .

وكانت مراكش تتنازعها مصالح ثـلاث دول أوربية : اسبانيا وفرنسا وأنكلترا . وأما ألمانيا فلـم تكـن لها مصلحة فيها،وإنما كانت تـدس الدسائس لتعرقل النفوذ الفرنسوى،ومثلهـا ايطاليا التي لم تنطفىء نيران أحقادها من يوم خروج تونس من قبضتها ، وهى منها على رمية سهم .

وكانت انجلترا أيضا تعمل على منع فرنسا مـن تكوين مملكة كبرى بشمال افريقيا ، غير أنها عقدت مع فرنسا فى 18 أفريل 1904

العقد الذى تخلت بموجبه فرنسا لأنكلترا عن مصر، وتخلت هي لفرنسا عن مراكش ، وأصبحت كل واحدة منهما مطلقة اليد في جهتها ، وما بقي بعد هذا على فرنسا إلا ترضية ايطاليا وكف يد الدسائس الالمانية التى صرح امبراطورها في زيارته لطنجة بأن حكومته لن توافق على أى تغيير فى إدارة تلك البلاد بدون رضاها ، فكان مؤتمر الجزائر الاول 1906 وفيه رضيت ايطاليا بإطلاق يدها في طرابلس والنمسا بمقاطعتى البوسنا والهرسك،فكانا بهذا الرشوة عوينى على حليفتهما ألمانيا ، فكان نصيبها الفشل التام ، وقرر المؤتمر احترام استقلال مراكش ، وتكليف فرنسا بالمحافظة على النظام ، ومعنى هذا فى قاموس السياسة الاستعمارية إطلاق يدها للاستلاء حسبما يقتضيه الحال . خابت ألمانيا فى هذا المؤتمر ورجعت كاضمة على حقد تتحين الفرص لتظهر أثره . فلما أرسلت الجيوش الفرنسية لاحتلال عاصمة مراكش ، أعادت ألمانيا احتجاجها وعززته بإرسال مدفعية إلى أغادير لحماية المصالح الالمانية ، ودعا هذا إلى عقد مؤتمر الجزائر الأخير 1911 ، وفيه تقرر إطلاق يد فرنسا في مراكش،وأسكتت ألمانيا بتنازل فرنسا لها عن جزء من الكونغو الفرنسوية ، وقد كانت فرنسا تحاول أن تعطى مراكش كلها ، ولكن انكلترا سدت السبيل فى وجهها،فرأت أن فرنسا إذا وقفت بسبتة حول مضيق جبل طارق أمكنها يوما ما قفل المضيق في وجه بريطانيا ، وفى ذلك تلاشى نفوذها فى البحر الأبيض المتوسط وانسداد طريق الهند العزيز عليها ، فحملت المؤتمر على إعطاء جبل الريف وهو نحو العشر من مملكة مراكش لاسبانيا ، تلك الدولة الضعيفة التى لا تخشى واحدة من الدولتين العظيمتين جوارها ، وقد لاقت من هذه العطية الصغيرة الكبيرة ما هو معروف .

هذه هى المعاهدات والالتزامات الدولية العامة التى يقول

م. بانلوفی ان شرط ابن عبد الكريم مضاد لها ، ولا يمكن لفرنسا واسبانيا أن تتخلصا منها بإزاء الدول .

إن إيطاليا ما تسوغت من طرابلس التی طارت لها فی المؤتمر إلا الحنظل،والتی لا تزداد علی الأيام إلا طمعا فی تونس ، ونفوذا بين أبنائها العاملة هناك ، ننتظر بفروغ صبر الفرصة الملائمة لطرح مسألة القسمة الاستعمارية من جديد علی بساط النظر ، ولا شك عندها أنها تفوز يوم ذاك بتونس ، وهذا أعظم خطر يخشی علی الاستعمار الفرنسوی العظيم ، وربما جر هذا إلی حرب أوربية، وهذا أعظم الأخطار كلها علی بنی الإنسان .

هذه هی الصورة الخطرة التی عناها م. بانلوفی فی تصريحه ، وهی كما تری بمكان من الاعتبار . وبعد هذا ، فهل يحدث ما يحمل أوربا علی غض النظر عن المعاهدات كما فعلت فی لوزان ؟ وهل تغلب علی عقول الساسة الحكمة والتبصر فيعملوا علی تجنب هذه الأخطار فی سبيل السلام .

فكل الجواب لمستقبل الزمان (1) .

(1) المنتقد : 1925/8/25 .

الانتخابات وتمثيل الأمـــة

لا ينمو النبات ويزهو إلا إذا كان فى نطاق واسع مـــن الفضاء والهواء والمنبت،يجد فيه الحرية للنمو والازدهار ، وبقدر ما يضيق نطاقه يكون ما يصيبه من اليبس والذبول .

هكذا الإنسان-تنمو مداركه وتتجمد ، وتقوى إرادته وتضعف ، وتحسن أعماله وتقبح ، بقدر ما يكون له من الحرية الصحيحة فى الحيـــــاة .

فلهذا كان الإنسان ـ شعبا وفردا ـ متعشقا للحرية بطبعه،لأنها شرط كماله ، والكمال محبوب فى فطرة الإنسان . ليست الحريـــة إلا « السلطة على إتيان كل شىء لا يضر بالغير » ، فإذا لابد من نظام تعرف به حقوق النفس من حقوق الغير ، ويوصل كل أحد إلى حقه ويوقفه عند حده ، ولابد أيضا من هيئات لتشريع القانون وتطبيقه وتنفيذه .

ولا تسلم حرية الشعب والفرد من الأذى وكرامته من المساس إلا إذا كانت هاته الهيئات منه لا من غيره . والطريق الموصل إلى تكوين هذه الهيئات هو الانتخاب العام الحر الذى تعرب فيه جميع طبقات الأمة عن إرادتها فى اختيار هيئاتها .

ولهذا كان حق الانتخاب طبيعيا للأفراد ، ولكنها لا تتوصل إليه إلا بالتدريج ، وبالرغم من جميع المعرقلات فانه لا يزال يتسع نطاقه بين الأمم إلى اليوم ، شأن كل شىء طبيعى فى هذا الوجود . الهيئات

المنتخبة من الشعب كما تكون حاكمة عليه بإرادته كذلك هي في الوقت نفسه ممثلة لقوميته ونفسيته ورغائبه وأفكاره ، ولا يكون تمثيلها له صحيحا إلا إذا كانت منه ، تحس بإحساسه ، وتشعر بشعوره ، وتألم بألمه ... وتكون فوق ذلك منتخبة انتخابا حرا ... لا دخل ليد سلطة فيه ... فالانتخاب والنيابة القومية إذاً هما الكفيلان بحرية الأمة وتمثيلها ، وبهما تعرف درجة الأمة في الرقي ، ومنزلتها بين الأمم .

هذه الحقيقة يعرفها العلماء بالعلم ، وتدركها أفراد الشعوب الحية بالفطرة ، فهي تبذل في تحقيقها كل عزيز وغال .

أما الشعوب المستعبدة فإن طول استعبادها يفسد عليها فطرتها ، ويميت شعورها حتى تجهل ما لا يجهله أحد ، وتزهد فيما لا يزهد فيه مخلوق ... ولا يكون هذا في عامة سوادها فقط ، بل يكون حتى في أفراد متعلمين منها فتنقلب عليهم الحقائق ... ويقبلونها ويكابرون بل يحاربون من يريهم شيئا من الحقيقة ويدعوهم إليها .

إن هذين الحقين المقدسين ـ الانتخاب والتمثيل ـ قد ازداد شعور الأمة بهما ومعرفتها بضرورتهما بعد الحرب العالمية الكبرى ، فتوسع في حق الانتخاب ، وأعطيت النساء حق التصويت في كثير من الأمم ، ولم تبق من أمم أوروبا الكبيرة لم تمنح المرأة هذا الحق الأمة الفرنسوية !

حتى الدول الاستعمارية شعرت بوجوب هذين الحقين ولزومهما لمستعمراتها . فأدخلت انكلترا عليهما تحسينا في الهند لم تكتف به الأمة الهندية ، ولا يزال مثار القلاقل إلى اليوم ، ومنحت ايطاليا طرابلسا دستورا أهليا محضا يرأسه ممثلها هناك ، وأدخلت فرنسا بعد النهضة الدستورية على النظام التونسي إصلاحات لا تزال غير مقبولة ولا كافية عند حزب الأحرار الدستوريين ، ومنحت

الجزائريين ـ بعدما ماتت الآلاف المؤلفة من أبنائهم فى الدفـــاع عنها ـ حقوقا طفيفة فى الانتخابات للمجالس البلدية والعماليـة والمجلس المالى ضيقة النطاق فى التصويت أقلية قليلة فى التمثيل ، ما كانت الجزائر لترضى ببقائها على نقصها، ولا الأحرار الفرنسويين ليطول تركهم لها على حالها .

إن الحجـة التى يتذرع بها الاستعماريون لإبقائها على حالها أو إزالتها هى عدم أهليتنا وكفاءتنا ، والبرهان القاطع الذى نقض به ظهر هذا الباطل هو ما نظره من حســـن سلوكنا فى الانتخابات ، وحسن اختيارنا لمن يمثلنا منا ...

فكل من يتدخل فى الانتخابات من العامة أو الحكام بوجوه غــير قانونية ... حتى يشوش على الأمة سيرها ، وكل مـــن يدعوها إلى تمثيل الأكفاء منها أو من يحسبهم أكفاء ... من غيرها ... فهــو ظالم للأمة ، غاش وخائن لها .

فيا أيتها الأمة الجزائرية المحبوبة ، أقدرى هذين الحقين قدرهما، واسعي فى نيل غايتهما ، وبرهني لأحرار فرنسا بحسن استعمالهما على استحقاقك لاستكمالهما (1) .

(1) المنتقد : 15 أكتوبر 9125 .

★ النــاكــرة للمعــــروف ★

هكذا يقول الكاتب ريجينالدكان في جريدة « الطان » كبـــرى جرائد باريس ولسان الحكومات الفرنسوية في الفصل الذى نقلناه عنها بالعدد الماضى . أكثر الكتاب الغربيين ينظرون إلى الشرق كجسد واحد ، فإذا رأوا ما يكرهونه ... من أمة من أمم الشرق،رموا به الشرق عامة غير مفرقين بين موال ومعاد ، ولا محارب ومسالــم . فيكون هذا منهم فى وقت واحد دليلا على تعصبهم الذى أعمامهم عن التمييز ، ومنها لروح التضامن الشرقى الذى منه يخافون،وإيــاه يحاذرون ، ويكونون بهذا التعصب الممقوت ظالمين في الحكم وجالبين للخطر ... الخطر فى زعمهم من هؤلاء الكتاب . هذا ريجينالدكان المذكور ، فهو يعلم أن فى افريقيا الشمالية أمما كثيرة موالة لأُمته فى الحرب والسلم . وأن جنودها وأموالها وصادرتها المتنوعة ـ بها كان الانتصار فى الحرب الكبرى التى أخذت النفوس والأمــوال وتركت الوعود ... والآمال ... ويعلم أيضا أن الحرب الافريقية التى تواجهها فرنسا واسبانيا اليوم ـ إنما يصلى نارها فى الأكثر أبناء افريقيا الشمالية الناكرة للمعروف !!

إننا نعرف جميل فرنسا ، ولا تجهل فرنسا الديمقراطية جميلنا أيضا ، لكن أمثال هذا الكاتب المتعصب يتجاهلونه ، فلتسمح لنا فرنسا أن نعرفه بشيء منه .

إذا كانت فرنسا رقت البلاد اقتصاديا ترقية استثمرتها الفئــة الاستعمارية قبل كل أحد ، وإذا كانت فرنسا رقت الحالة الأدبية

على قلة حظ الأهالي منها ، فإننا دفعنا ثمن ذلك بأبنائنا وأموالنا ، وهل شيء أعز من الأرواح والأموال ؟. قال البريفي م. بورد في خطاب ألقاه بعين البيضاء : « إن قطرة من الدم الفرنسي لا تغسلها دماء القطر الجزائري !! » له الحق في أن يعتبر بني قومه هـــذا الاعتبار ، كما لنا الحق أن نقول : إن اعتبارنا لأبنائنا لا يقل عن اعتباره لقومه وقد بذلناهم لفرنسا ، فهل بعد هذا يقال عنا أننا ناكرون للمعروف ؟ ! نحن نعلم أنه لا يقول هذا فرنسوي منصف ، وإن تمشدق به المتمشدقون .

ألا فليعلم م. ريجينالدكان أن الأمة الجزائرية العربية تفعـــل المعروف ولا تمن به ... وإن لم تنل ما تستحقه من الجزاء عليه ، وأنها تعرف المعروف وتقدره وتجازي عليه . فليعرف إن شاء أن يعرف ، وليهرف بعد ما شاء أن يهرف (1) .

(1) المنتقد : العدد 16 ــ 25 أكتوبر 1925 .

خطبــة الـــوالى العــام
فى مجلس النيابة فى مصالح الأهالى كان لهــا تاثـــير حسن
(عــن التقــدم)

ألقى م. فيوليت الـوالى العام للقطر الجزائرى بمجلس النيابة المالية الخطاب الذى يلى :

قــد سمعت باستفادة كبــيرة بيانات السيد الدكتور بوردير ، وطلب منى إفادة العائلات الكثيرة،وطلب منى أيضا إفادة المرأة فى حالة الوضع . أما أنا فإنى مستعد للقيام بالنفع للكبار والعائلات الكثيرة وللنوافس فى وقت واحد،على شرط أن تبذلوا لى السعة .

فلى مع الاهتمام بهذا الشأن أن أقول لكم : لماذا تبتدئى القوانين الاجتماعية فى التنفيذ بالجزائر ؟ ذلك لمــا ظهر لى من أنها مسألة سياسية عامة ، واسمحوا لى أيضا أن أقول لكـم إنها مسألة تخص الشفقة والعدالة ، ومن المستحيل أن تبقى الجزائر فى العالم أجمع محرومة من قوانين الاجتماع « حسن جدا » .

أرادوا الابتداء ــ وقيــل لى ذلك ــ ولكن لماذا لا يقــع الابتداء بقانون العائلات الكثيرة ؟ إنــى لا أبتدئى بهــذا القانون لأنــــه يستلزم طلب 40 مليونا تصرف فى سبيله ، وقد قيل لى أيضا لمـــاذا لا تبتدئون بإسعاف النوافس الذى يستلزم مصروفا أقل ؟ وعليــه كما يجب ابتدائى بتجربة استعمال قانون إسعاف النوافس ، وأعتبر بصفة أساسية أن جميع القوانين الاجتماعية تنفــذ فى الجــزائر

بالإسعافات الطبيــة ، وحيث تــوجد دواع حقبــة لهــذا المسلك لا يستدعي الحال أن يقع الابتداء بتنفيذ قانون العائلات الكثيرة .

وهنا وجدت أمامي ملاحظات م. كيتولى الذى قال لى إن له مدة أربعة عشر سنــة وهو مشتغل بالقوانين الاجتماعية . وبالنظر إلى شفقة م. كيتولى ولطفه تتحقق أنه كان يعمل بإخلاص . وأنكــم لتشكرون الإدارة إذا حققت محاولة الأربعة عشر سنــة بمساعى الوالى العام التنفيذية لوجود السمة اللازمة فى قرار يعرض عــلى المجلس .

قد عرضتم مسألتين فى هذا الشأن الضمان أو الإسعاف ، وأنتم تعلمون إحساساتى . ولماذا لم يقبلوا فى فرنسا الضمان ؟ وبهــذا الاعتبار يكون فى الجزائر أيضا . لماذا لم يقبلوه فى فرنسا ؟ لحــق بسيط وهو الواجب مــن المضمون نحو قانون الضمان فــإن حمله ثقيل لا سيما من جهة الأداء المالى . أما فى الجزائر فإن فى أعماق الدواوير نساء فى حالة بئيسة للغاية ، ولا يستطعن بحال أن يؤدين الضريبة الضمانية ، ومنهن من لا تستطيع تحصيل قــوت يومها . فقولوا لى بصراحة هل تستطيع المرأة من هذا النوع أن تؤدى ضريبة الضمان لا سيما إن لم تكن تابعة لمستخدم ؟ هذا هو أمر الضمان . والآن نتفرغ للكلام عــلى شــأن الإسعاف الذى أطلب مــن مجلس النيابة المالية قبولــه بالإجماع ، وقــد سمعت بمحاولة بعضكم فى تأسيس هيأة القوابل والممرضات ، وهو عمل حسن ، أؤكد لكم من جهتى أنه يجب تعميمه على سكان القطر الجزائرى ، سواء فى ذلك الأروبيون والأهالى . تعلمون جيدا شدة حاجتنا إلى الأطباء وقلتهم فى الدوائر المختلطة ، فيلزم مع هذا أن بالجزائر كما بكل موطن من المواطن هيأة من الممرضات الجزائريات لإسعاف المرضى ، والبحث عــلى الأمراض المعدية ، ومعالجة الأمراض الخفيفــة ، واستدعاء الطبيب فى الحالات الخطيرة .

لما لاقتكم الصعوبات فى استحضار الهيأة الطبية الكافية جئتم تتساءلون هل يمكن بثلاثين امرأة حفظ صحة مائة ألف صبي ؟ ولكنى أقول لكم ببساطة : أعطونى هذا المقدار حتى يصير كل طبيب متبوعا بثلاثين امرأة ممرضة . فى أى وقت يستدعى الطبيب ؟ ففى الجزائر وفى فرنسا أيضا لا يستدعون الطبيب إلا عند حدوث الخطر ، وفى البادية فى فرنسا لا يستدعون الطبيب إلا عند الإياس من المريض .

وما تعطيه عملية إقامة مصلحة الإسعاف بالممرضات هو مقاومة الأمراض المعدية كالسل ، والزهرى ، والحميات ، وقد يعطين الإرشادات للأمهات فى معاملة أولادهن الصحية . وقد يقال الحق هو هذا ، لأن نسوة الصليب الأحمر والبعثات الانكليزية ، قمن منذ زمان بهذا العمل بلا متعاونات محلية فكيف تصبح النتيجة عندما تنظم هيأة الممرضات المتجولات لإسعاف المرضى وبالأخص النوافس ؟

لقد مضت أربعة عشر سنة فى الدرس ، ولكنه درس طويل بلا عمل ! تيقنوا أيها السادة أن فى حصول هذه المصلحة نفعا جليلا يعطى لهؤلاء القوم المخلصين نحو فرنسا برهانا على حنو وشفقة فرنسا عليهم ، وهذه المصلحة لا تتكلف إلا ببضعة ملايين ، وهو شيء قليل بالنسبة لجلب قلوب خمسة ملايين من الأهالى ، وقد لا تساوى هذه القلوب صرف بعض الملايين (تصفيق حاد فى مقاعد نواب الأهالى) فاعلموا أيها السادة أنى لهذا أرى أن هذا العمل من واجبى ، وأخاطب فى هذا إنسانيتكم وشفقتكم ، فتتأملون معى بأسف فى موت أربعين فى المائة من أطفال الأهالى ، وذلك لعدم وجود الوقت والوسيلة للحصول على معرفة أسباب موتهم ، وليس

فيكم واحد يرفض اللحوق بى لنفعهم ، إنكـــم لا ترفضون ذلك لكونكم كلكم رجالا ذوى قلوب رحيمة . فلنعمل جميعا للصالـح العام المقيم للوفاق والاتحاد .

(1) الشهاب : العدد 8 ـ 14 جمادى الثانية 1344 هـ ـ 31 أكتوبر 1925 .

حول خطبة الوالى العام

(المدرجة فى العدد الماضى)

لما فازت عصبة الشمال استبشرت جميع الأمم التى كانت لنظر فرنسا لما تعرفه من سيادة الروح الديمقراطية فى أحزاب هذه العصبة ، وعلمت أن الأغلبية سترسل من أفرادها من ينشر مباديها فى إدارة تلك الأمم ، وكذلك كان ، لم يكن أولئك الأفراد متساوين فى القيام بما أنيط بهم لأسباب ليس بيانها الآن من غرضنا ، فلم يتحقق على يدهم ذلك الأمل .

إذا نظرنا فى سير أولئك الأفراد بخبرة وتجرد فإننا نقول نحن ـ معشر الجزائريين ـ إن الرجل الذى أرسل إلينا وهو م. فيوليت كان أحسنهم وأمثلهم .

زار م. فيوليت مواضع كثيرة من الجزائر وأدرك ببصره الثاقب حالة الأمة الجزائرية التعيسة،رغم ما تقدمه إليه الدوائر فى احتفالات الاستقبال من مناظر الأهالى المزخرفة بالزينة الوقتية التى ما وراءها إلا البؤس والشقاء ، والتى لولا إخلاص الأهالى الذى يثير نشاطهم وفرحهم باستقبال واليهم ـ لما أمكنها أن تستر حقيقة تعاستهم ولو مؤقتا .

رأى هاته الحالة فجاء يعمل على تداركها حتى « لا تبقى الجزائر فى العالم أجمع محرومة من قوانين الاجتماع » .

وجد أمامه أعمالا فى صالح الأهالى ، ولكنها أعمال طالت مدتها

وعقمت نتائجها كأعمال م. كيطولى التى ما وسع الوالى العام إلا أن يصفها بأنها درس طويل بلا عمل .

أعرب جانبه عن تأثر شديد من حالة الأمة الجزائرية وعن استعداد تام للعمل وسرعة التنفيذ إذا بذل له المجلس المالى القدر الكافى من المال .

قد علم جنابه أن أغلبية المجلس ــ وهى استعمارية طبعا ــ ضنينة بالمال فى مصالح الأهالى أصحاب القسط الأكبر فى دخل الخزينة !! ورأى نواب الأهالى أقلية ضئيلة فى المجلس ــ فجاء بذلك اللسان الفصيح والقلب الرقيق يستعطف « إنسانيتهم وشفقتهم » ويذكرهم بأن « المسألة تخص العدالة والشفقة » وأن هذه المصلحة تكون برهانا لدى الأهالى المخلصين ، على « حنو وشفقة فرنسا عليهم » وأن فى ذلك « جلب قلوب خمسة ملايين ، وأن هذه القلوب تساوى أكثر من بضعة ملايين » .

وذكرهم أخيرا بالأمر المحزن المدهش وهو « موت أربعين فى المائة من أطفال الأهالى » .

وافق النيابة على طلب الوالى العام وصوتت على ثلاثة ملايين وستمائة ألف يصرفها فى نظام الممرضات وإعانة الحوامل .

هذا الموقف الشريف الذى تشكر فيه الأمة الجزائرية الوالى العام ــ يجب ان يكون قد ألفت نظره إلى ضرر جعل نواب الأهالى أقلية بذلك المقدار مما كان سببا أصليا فى فوات مصالح أهلية عديدة لم يقبض لها مثل حضرته أو لم يكن لغيره مثل تأثيره ، فرجاؤنا أن يكون رفع عدد نواب الأهالى فى جميع المجالس من أول برنامج أعماله .

وهذه ملاحظات على ما يريده جنابه من الإصلاح .

إن موت الأربعين في المائة ناتج في الأكثر عن عدم الوجـد وسوء الحال،بدليل أن الموت والمرض في أبناء الفقراء أكثر منهما في غيرهم ، ولأكثر الحوامل دراية بما يليق بأولادهم ومحافظة طبيعية عليهم إذا وجدوا لذلك سبيلا بالمال ، فنرى أن يكلف الحكام القياد كل قائد بما في دواره من الحوامل الفقيرات يعينهن ، فيعطين الإعانات المالية في أيام الحمل ومدة الرضاع ، ونرى أن هذا أنفع من محاولة لتعليم المرضات وتكثيرهن .

لأنهن مهما كثرن فلا يستطعن الذهاب كما يلزم لرؤوس الجبال وبطون الأودية حيث تقيم الحوامل الأهليات ، فتذهب أموال كثيرة في تنظيم إدارة الممرضات ورواتبهن من غير تحصيل على المقصود.

ولا ننسى أن نقول هنا لجناب الوالي العام الذي رأينا منه هذا الحزم والشفقة : إنه اذا كان يموت من أبناء الجزائريين أربعون في المائة موتا جسديا ـ فإنه يموت منهم نحو الألف في الألف موتا فكريا ، فما نلاقيه من داء الجهل أكثر مما نلاقيه من داء الموت ، وأن الأمة الجزائرية لتحفظ له ودا تاريخيا إذا استعمل حزمه ونفوذه في محاربة هذا ، كما استعملهما في محاربة ذاك (1) .

(1) الشهاب : ع 9 ـ 21 جمادى الثانية 1344 هـ ـ 7 جانفي 1926 م .

سياسة وخز الدبابيس

لا ننكر أننا معجبين بالآداب الفرنسية، ولا ننكر أننا مع المعجبين فوق ذلك بالصحافة الفرنسية الكبرى ، وما لها من بديع نظام ، ومهرةأقلام ، وجرأة وإقدام ، لهذا يؤلمنا ويزعجنا ويملأ أنفسنا حسرة واشفاقا أن نرى الآداب الفرنسية وأن نرى الصحافة الفرنسية الكبرى تنحط أحيانا إلى دركة الهذر واللغو والسخافة ، وتنغمس في خمأة التعصب المقوت المظلم،فتنكر على غيرها ما تستحسنه لنفسها ، وتعتبر الفضيلة عندها رذيلة عند غيرها . ثم تلجأ فوق كل ذلك إلى باب الاختلاق والإفك والبهتان،فتتهم الأبرياء، وهى تعلم أنهم أبرياء ، وتقلب الحقائق،وهى تعلم أنها تقلب الحقائق ، وما ذلك إلا خدمة لغايات انتفاعية ، ودفاعا عن مصالح مادية لبعض الهيئات التى تغذى صناديق تلك الصحف الكبرى .

وهكذا يقع التدليس والتلبيس على الشعب الفرنسى ، فيبقى بفضل صحافته الكبرى المتحاملة عن غرض أو عن استئجار ، جاهلا حقيقة ما يجرى بالبلاد المرتبطة مع وطنه ارتباطا وثيقا ، غالطا فى حكمه عليها ، غير متصور حقيقة ميولها وعواطفها وآمالها وآلامها .

وكلامنا اليوم مع أم الصحف الباريسية الكبرى ، العجوز الوقورة،جريدة الطان . فقد سولت لها النفس الأمارة بالسوء أن تسود مقالا عن الجزائر والجزائريين بمناسبة الاجتماع الذى عقدته

بباريس لجنة البحر المتوسط الجديدة ، وهي التي تجمع نواب الوزارات ورجال الحكم في مستعمرات فرنسا وبلاد الحماية والانتداب ، ومهمتها النظر في المشاكل المشتركة التي تهم سياسة فرنسا الاستعمارية لكي تتوحد تلك السياسة،وتسير في خطة متماثلة بكل الأقطار التي يخفق على أرضها العلم،الذي يقولون إنه يمثل بأحمره وأبيضه وأرزقه الحرية والأخوة والمساواة .

فلتحريش أعضاء هذه اللجنة ، ولحملهم على سلوك سياسة الشدة والعنف والجبروت مع الرجال الذين دانوا بطاعة فرنسا ما يزيد عن القرن ، وسقطوا في كل ميادين القتال ألوفا مؤلفة حول رايتها ، ولأجل غايتها ، ولتشويه الحقائق وإلباس الحوادث غير لباسها الطبيعي ، كتبت الطان مقالها المأسوف له والمتحسر عليه ، ونشرته في عددها الصادر يوم 20 فيفري السالف .

فهي تقول وأنف الحقيقة راغم : إن المهيجين الذين هدأ فورانهم أثر زيارة مسيو ريني قد عادوا فجأة إلى ميدان الإثارة ، ومن الممكن أن يقودوا الأمة إلى فاجعة كفاجعة قسنطينة المؤلمة .

فالدكتور ابن جلول يتهم في جريدته (الانطانت) الإدارة الفرنسية بأنها تريد أن تغمر الجزائر في ميدان النار والدماء .

ويؤيده في هذا الطريق ابن باديس،والطيب العقبي،وهما على رأس جمعية العلماء التي لمت في نادى الترقي شمل الذين اتفقوا على نسف نفوذ فرنسا باستعمال شتى الطرق . وفي كل مكان نجد نشاط دعاة المذهب الوهابي وأعوان الجامعة العربية الذين يدينون بفكرة شكيب أرسلان ، والذين يتلقون تعاليمه من لوزان على طريق القاهرة . ومن أهم مطالبهم حرية الوعظ في المساجد،وحرية التعليم بدون مراقبة .

فمن ناحية يقع الحث على عدم دفع الضرائب . ومن ناحية أخرى تجمع الأموال الطائلة لشراء الديار، رغم أنها تستعمل مراكـــز دينية ، وأنها فى الحقيقة تستعمل مركزا لتهذيب الناشئة تهذيبا إصلاحيا متعصبا . ثم وقع استغلال موت الأمير خالد سليل الأمــير عبد القادر ، وقد توفى بدمشق، فوقعت الدعوة لإقامـــة صلوات عمومية لاستنزال الرحمة على روحه .

وهنالك الشيوعية وهى لا تستـــدرج الناس باســـم المذهب الشيوعى . إنما تستدرجهم باسم المصالح المختلفة، فتجذب إلى الحزب الشيوعى مستخدمى السكك الحديدية، ورجال المراسى والعملة . وجمعية كوكب شمال أفريقيا الشيوعية ترسل أفلاما سينمائيـــة تظهر النظام الشيوعى فى أبدع صوره . فناحية قسنطينة وتبسة وهى القريبة لتونس، والتى يمكن للدعاة أن يتجولوا بسهولة بينها وبين البلاد التونسية ، وناحية تلمسان ، وهى مركز التعصـــب الدينى الحاد ، هما الناحيتان اللتان تحوم حولهما الريب بشـــدة، واللتان سيدلى مسيو لودو عنهما ببيان أمام اللجنة العليا) .

هذا كلام جريدة الطان .

ولقد كنا نمر كراما بهذا اللغو لو أنه صدر من صحيفة صغيرة، أو جريدة لا تمثل طبقة ممتازة من كبار الفرنسيين ، أما وقـــد صدرت هذه الأقوال المستهجنة من صحيفة الطان ، فالسكوت عنها يعد خورا (1) إن لم يعتبر جريمة .

فلنأخـذ أقـوال الطـان من أولها ، ولنعمل بها معول الحقيقة ـ وللحقيقة معاول هدامة فى بعض الأحيان ـ ولننقل نحن أقوالنا التى تخالف أقوالها على خط مستقيم . ثُـمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِـينَ .

---

(1) خورا . ضعفا .

نقول نحن إن الهيجان الذى تريد الطان أن نجعله موجودا الآن بالجزائر ، لا وجود له إلا فى المخيلة المريضة المخروفة التى أملت ذلك الفصل . نعم،هنالك استياء عمومى فى طبقة الفلاحين الذين لم يجد أكثرهم من الإعانة الموعود بها إلا ما يجده الصادى (2) فى السراب (3) . وهنالك استياء فى الرأي العام من إبطاء الإصلاحات الموعود بها،والتى أجمعت الأمة على المطالبة بها . وهنالك تذمر عمومي من الحالة الحاضرة سواء من ناحيتها السياسية أو من ناحيتها الدينية والاقتصادية .

إنما الهيجان الذى تصوره الطان كأنه الغول المهاجم لابتلاع الأرواح ، إنما الهيجان التى (4) تقول بأنه سيكون من نوع حوادث قسنطينة المؤمة ، فذلك ما نفى (5) وقوعه بكل قوة وبكل شدة ، ولن يكون إلا إذا عملت يد المحرشين الأجانب الاوروبيين على إثارته وتهيئة أسبابه ، خدمة لأغراضهم الخاصة . والرأي العام الإسلامى لا يتبع كل ناعق ، ولا يقدم بسهولة مثل هذه الأعمال إلا إذا استثير وأمعن فى استثارته ولم يبق فى قوس صبره منزع .

ثم لنتول الدفاع متطوعين عن النواب وهم الأغنياء عن دفاعنا ، فمتى كانوا مهيجين أو دعاة للفتنة والاضطراب ، وهم الذين بحت أصواتهم فى المناداة بوجوب التآخي والتضامن مع الفرنسيين لأجل الإحراز على نفس الحقوق الفرنسية ، بواسطة فرنسا وحدها ، ولو بتضحية بعض الشخصية الإسلامية ــ وهذا ما لا نوافق عليه نحن ــ وأقوالهم أمام وزير الداخلية ، وكتاباتهم كلها على هذا المنوال .

---

(2) الصادى : العطشان .

(3) السراب : ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحر كأنه ماء .

(4) صوابه : الذى .

(5) صوابه . ننفى .

لكن هؤلاء السادة قد ألفوا منذ أمد طويل سياسة البنى وِي وِي (1) أولئك الذين لم يرتفع لهم صوت ولم تنبس لهم شفة بكلمة في مجال الدفاع عن الحقوق . فإن هم سمعوا كلمة المتذمر، وإن هم شاهدوا حركة المستاء ، نادوا بالويل والثبور، وقالوا إن هذه إلا حركات ضد فرنسا قد نضجت في القلوب وانفجرت بها الصدور .

ثم ما شأن جمعية العلماء في هذا الأمر ؟ ـ إن سمحت الطـان لنفسها بحشر ابن جلول في ميدان التهييج السياسى ـ وهو بـرىء منـه ـ فالرجل على كل حال رجل سياسة ، ويمكـــن مصادمته ، ويستطيع النضال عن نفسه في هذا الميدان . أما جمعية العلمـاء المسلمين، وهى الدينية التهذيبية البحتة ، وهى البعيدة كل البعـد عن السياسة والسياسيين ، وهى التى لا علاقة لها مع الشعب إلا فى ميدان الإصلاح الدينى، والتهذيب الاجتماعى، ورفع الأمية عـــن القوم ، فما أسخف الطان وما أسخف ذوى السخائم الذين أملـوا على الطان تلك الأقوال في شأنها !

هذه الجمعية جمعية العلماء صحفها منشورة ، وأقوالها مأثورة ، وأعمالها مشهورة ، فليأت هؤلاء الأفاكون (2) بكلمة أو قول أو فعل يمكن بـه اتهام الجمعية أو أفراد الجمعية أو القائمين بأمر الجمعية بانهم يعمدون إلى التهييج، أو يعينون على التهييج ـ هذا إن فرضنا جدلا أن الهيجان موجود .

وإن طالبت الجمعية بإلقـاء الوعظ في المساجد ، فقديما كانت المساجد مفتوحة في وجه علمائها ودعاتها ، وقديما عقدت الجمعية مجالس الدعوة والإرشاد تحت رعاية ورئاسة رجال الحكومة والبلدية، فهل يستطيع أحد من رجال البوليس أو من رجال البلدية أو الحكومة

(1) عبارة جارية فى الجزائر تطلق على الذين يوافقون على كل شىء يصدر مـن الفرنسيين بكلمة نعم (وِى) .
(2) الافاكون : الكذابون .

الادعاء بأن الجمعية قد حادت ولـو مرة واحدة في كل حياتها عـن سلوك طريق الإرشاد العلمي الديني،سواء بالمساجد أو المجتمعات العامة،وأشارت على الناس ولو من طرف خفي بتأييد المهيجين،وإعانة الهيجان ؟

هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين !

ثم ما شأن الأمير شكيب ارسلان ، وما شأن الوهابية ، وما شأن الجامعة العربية في كل هذا ؟

إنهم يعلمون علم اليقين أنه ليس في الحركة الإصلاحية ولا في الحركة السياسية في القطر الجزائرى ، من أصبع خارجي كيفما كان أمره،ومهما كان مصدره ، ولقد قامت لديهم الأدلة والبراهين على ذلك . وتالله لو أنهم وجدوا برهانا ولو ضعيفا على خلاف ذلك ، ولو وجدوا حجة ولو واهية على وجود أى شىء من هذا القبيل ، لكانوا قد بطشوا بنا قبل اليوم بطشا ، ولكانوا قد محقوا هيأتنا من عالم الوجود ، بعد محق أشخاصنا .

لكن ولاة الأمور قد علموا جلية الأمر ، وتميز لهم خبيث القول مـن الطيب ، وتأكدوا أن ليس في حركتنا الدينية ولا في الحركة السياسية من يد خارجية . وإننا لنتحداهم تحدى القوي المؤمن بحقه أن يأتونا ــ حكومة وأفرادا ــ بما يثبت للناس خلاف هذا . ونكون عندئذ محجوجين،ويكون لهم الحق في كل ما يفعلون .

فإن لم يفعلوا ، ولـن يفعلوا ، فمثل هذه الأقوال التى لا قيمة لهـا ، والتى لا يقصد بها إلا حشر أسماء مفزعة في ميدان البحث قصد التهويل والتهويش ، ليست لهـا من قيمة أى قيمة ، وأنهـا لتزيد الذى يأتي بها في حديثه سخفا عـلى سخافته ، وضعفا عـلى ضعفه .

وقالت الطان : إننا نريد حرية التعليم دون مراقبة . لقد غلطت الطان وغلط الموعزون لها غلطا فاحشا . فنحن نطلب حرية التعليم العربي حقا ، إنما نحن نقبل كل مراقبة ، فأعمالنا العلمية والتهذيبية تقع علنا في وضح النهار،وليس ما نخشاه ولا ما نكتمه. ولو تفضلت الطان وهيأتها الظاهرة والخفية بتعيين مراقب من قبلها للتعليم العربي الحر ، لرحبنا به ولحبذنا تعيينه ، ولاعتقدنا أنه سيكون مقنعا لجريدته بفساد النظرية التى تدافع عنها اليوم .

أما ما أشارت اليه الطان من آمر ابتياع الديار،فإنها تقصد به الدار التى ابتاعتها جمعية التربية والتعليم ، والتى قامت بفضل جهود الأمة وتضحياتها المثمرة . فتالله لو أن كاتب الطان شاهد الأمة وهي تجود بما لديها من مال قليل . وشاهد تلك الدار وما تحتويه ، لخجل من نفسه،ولندم على قوله،ولكفانا مؤونة الرد عليه ... أسست فرنسا فى بلادنا وأسست جمعياتها مآت الآلاف من المعاهد والديار التى من هذا القبيل،فقال قائلهم إن الفرنسيين لم يعملوا شيئا مذكورا فى هذا الميدان ، وطالبوا بالمزيد . ولم يتجاوز ما أسسه الجزائريون أربعة أو خمسة من هذه الديار ، فأصبحت هذه الديار متهمة،وأصبحت خطرا على المجتمع ونفوذ فرنسا . نؤكد للطان أننا نريد أن نخرج من هذه المعاهد ناشئة مهذبة تعمل جهدها لكى تكون بعيدة عن مثل هذا التعصب الممقوت .

ومن أعجب العجب استشهاد الطان الرصينة ــ عادة ــ على صحة أقوالها بالدعوة التى انتشرت فى البلاد الجزائرية لإقامة الصلوات العامة أو حفلات الذكرى للأمير خالد رحمه الله .

فتالله إن هذا لمؤلم ، ومؤلم جد الألم .

إذا سلمنا لصحيفة الطان المرتبطة برجال الدين ، أن تستهجن (1)

(1) تستهجن : تستقبح .

مسلكنا الديني ، وإذا سمحنا لكتاب الطان الذين أشبعوا روح الحرية أن يقاوموا مطالبنا في الحرية ، وإذا سمحنا للذين يدعون الموت في سبيل تحرير الشعوب أن يقاوموا إحراز هذا الشعب أى حـق من حقوقه الضئيلة ، إذا سمحنا مكرهين بكل هذا ، فكيف نسمح لجريدة أمة أقامت في مختلف بلادها فوق الألف تمثال لتخليد ذكرى عظمائها في ميادين الحرب والسياسة والقلم والفن ، أن تقاوم أمتنا عندما رأت أن تقيم ـ لا التماثيل ـ إنما صلوات عامـة وابتهال للـه أن يتقبل خالد برحمته ورضوانه ؟

حتى الاعتراف بالجميل ، وحتى ذكر الموتى يجب أن ننساه لكى يرضى عنا هؤلاء السادة أصحاب المنطق المستقيم .

اسمعوا ! إننا لن نرضيكم أبدا،وإننا لن نعمل عـلى إرضائكم . إننا لن نخشاكم أبدا، ولن نعمل عملا يوقعنا تحت طائلة أيديكم . نحن سائرون عـلى منهاجنا،وفي طريقنا ، لا يضرنـا صراخكم،ولا ينفعنا سكوتكم . فقولوا ما شئتم ، فلن تنالوا منا منالا،ولن نتزعزع عن عقيدتنا . إنما ننصحكم نصيحة خالصة أن لا تعودوا لمثل هـذا العمل الممقوت ، فسياسة وخز الدبابيس تنتهي غالبا بفقد الشعب لصبره ، وإخراج الحليم عن حلمه . وإننا لنسد في أوجهكم هـذا الباب إلا إن كسرتموه،والأمر بعدئذ لله (1) .

---

(1) ش : جزء 12 ، مجلد 11 ، غرة ذى الحجة 1354 هـ ـ مارس 1926 م .

خطـاب الـوالى العـام للقطـر الجزائـرى

بالنيابـــة الماليـــة

المسالـــة الأهليـــة

تعريب «الشهاب» ببعض تصرف

أيهـا السـادة :

حسن الالتفات والعدل ، لا أريد أن أزيد أن كل سر السياسة ـ على رأي ـ هو في ذين الصفتين ، وقد مضى قولى لكم أن من المحتم على الرأي العام الإنصاف بلسطان الإنصاف .

ثم إنى أعتقد أني أكون منتهكا للشرف حقا إن أنا استطعت نسيان أن لا حق لى فى التحكم لأي حزب ولا لحزبى أيضا . فباسم الجمهورية أنا لا أستطيع التحكم إلا لفرنسا ، لأن من واجبى السهر على منع محاككات الأحزاب المضرة بالوطن ، والعمل لإزالة أسباب الاصطدامات وسوء المفاهمة بين الأجناس ، إذ لا يخلو من مثل هذا المودة الراسخة بل حتى الأخوية .

حقا إن المسألة الأهلية لفى غاية الإشكال ، أولا . رجال يعجب رقيهم ، ولا تعزب عن النباهة الفرنسوية معرفتهم ، صاغتهم أنظمة فرنسا ، فلها الحق إذاً فى الافتخار بهم . أما من الطرف الآخر فسواد من الرجال ـ فرنسيون هم كذلك ـ إلا أنهم لا يزالون متمسكين بالعوائد المحترمة ، ومحافظين ، بغيرة ، عليها ، راضين

فى ذلك بالأفكار الغربية . وبين الجمعيتين رجال آخرون توسعوا فى سن أنظمة لأنفسهم يسيرون عليها ، ونراهم ساعين أيضا فى تليين العوائد القديمة كى تلاقى الحياة العصرية .

فهذا الاختلاف مع دقته لا يعظم أمام اعتبار فرنسا له بدرايتها وبتبصرها ؛ فرنسا التى تحترم ما احترم من العوائد وتمتنع من المفاجأة بالتغيير

تحتم الآن عن وطننا سلوك سياسة خاصة تفهم هؤلاء الذين صبغوا بالصبغة الحقة ، والقريبون منها والبعيدون ومن هم أبعد . فالتفكير فى تمتع الآخرين مثلا بالحقوق المدنية قبل بلوغهم كلبا درجة الرجل الاقتصادى أمر لا تدركه الأفهام ، ولا يقبله انتظام ، بل يكون مخيفا .

فإن النفوذ الغربى لا يقبل – بدون خطر – إلا من الأفكار المهيئة لأتباعه ، فلا يدركها ولا يحدث فيها دورانا كالذى يحصل لمن يبدل مناخا بآخر ، وأقول فيه ما قاله (رومان دولاند) فى النفوذ الونيريانى : « خصب من غير شك ، غني بالحياة وبالتفكير غير أنه صعب النقل الى الأجناس الأخرى » .

طول الزمان موجب ولا شك لتولد النهوض ، لكن مع العمل والنظام ومشيئة القدر ، دبيب روح الحياة فى الشعب كله ألزمه محاولة الخروج من الظلمة والبدء فى الاستيقاظ ، وهذا دائما هو وقت الشدائد والمحن .

يكون الفوز حليفنا أن يثبت دائما أعمالنا على أسس التبصر والرزانة ، وكنا لا ننسى اتباع كلمة المظيم (بيطهوفان) : «السمو الحقيقى هو الإحسان» .

لا يفتح المريض عينيه إلا بالتدريج فيرى فرنسا ماثلة أمامه لا تتوارى عنه ، بل هى حاضرة أبدا بقواعد وتراتيب ، وبذلك

النظام الذى هو أساس الأمن والرقي ، وهى تعرف كيف تــوزع إحسانها وفكرتها الشريفة حين يلزم ذلك .

حيفا لمن لا يعرف من السياسة إلا الترهيب . فمثل ألمانيـــــا امبراطورية 1914 قد بين لنا جليا أن الترهيب لا يوجب احتــرام القائم به ، ولئن تحب يلزم أن تحترم ، وأنت تحب أنت أيضــا بصدق وحرارة .

إنكم فهمتم هذا ، أيها السادة ، حيث وافقتمونى على إنشــاء « مساعدة الرضعاء » وعلى جلب إصلاحات تامة للإعانة الطبية ، هاته الأمور التى طالما قدمتم نفيس طلباتكم فى التحصيل عليها .

ثم إنى لا أحتاج إلى أن أقول لكم بأي اعتناء وبأي نشـــــاط سأسلك سبل العمل بالسنن التى وضعناها أخيرا ، ولنا الحــق فى انتظار نتيجة عظيمة ماديا،وأتمنى أن تكون أعظم أدبيا .

بالعمل وبالهناء وبالتعاون بين كل الأجناس التى تعمر وتسعد فــوق هذه الأرض الافريقية تحت رعاية السلام الفرنسى ، أطلب منكــم تقوية ثقتنا فى المستقبل وهجــر الفشــل . ستضع لجنــة المستعمرات ـ بطلب منى ـ قانونا جديدا لملكية العقار ، وسيأتى هذا القانون الأمتين الباسلتين الاروبية والأهلية بأتم وسائل العمل والنجــاح .

إذا ، فما يخص هــذا الوطن ، أيهــا الســادة ، ليكون كصورة منعكسة لأم الوطن ؟

فلو اتفقت فلسفة الرجال وإرادتهم بالقضاء على أسباب الكسل والخمول ، وعملت بتدبــير مكتب لإخضــاع الطبيعة التى كثــيرا ما تبخل بمنافعها ، ولو دفعتنا الأيام للمنافسة السامية الخالية من سوء الظن ، والتى تشيد لنا سبل التعاون الصادق الذى لا أدع أيدى الجهلة أو المجرمين تصل بسوء إليه ما دمت واليا ، ولو عمل الكــل

اروبيين وأهليين بقلب واحد ناشدين غاياتهم الشخصية ومعتقدين أشرف اعتقاد نحــو الوطن . ولــو تكلفنا معرفة ما قاله (رنان) : « معرفة النفس هي أول كلمة مــن المعلومات البشرية وآخرها » ، ولو علمنا أن العمــل يبعث في الشخص حماسة وشرفا يجعلانه حائزا على سر التعاضد الذي يسهل الاجتهاد والشرف والبذل وحتى التضحية ـ لكانت الجزائر أكثر وثوقا بغدها الزاهر .

والآن يستطيع وطننا الجميل أن يظهر بعجب ويفخر ما وصلت إلى تشييده أيدي وأفكار وقلوب شرذمة من الفرنسيين متجاسرين وثابتين ومولين وجوههم شطر اليـــد الممدودة بإخلاص إليهم ، وشطر رجال يفقهونهم ويمدون يد المساعدة نحوهم (1) .

(1) الشهاب : ع 20 ـ 18 رمضان 1344 هـ ـ 1 أفريل 1926 م .

حول خطاب سمو الوالى العام

- 1 -

إن المواربة من رجال الحكومات التى تنزه سمو الوالى عنهـا ، والمداجاة من رجال الأمم التى برآنا الله منهما ـ هما السبب فى سوء التفاهم وضعف الثقة ـ إذا كانا ـ من الطرفين ، وبهذيـن تضيع مصالح الحكومات والأمم معا .

نحن قد رأينا من الوالى الحالى حرية فى الفكر وصراحة فى القول حتى عرفنا دخيلة نفســه نحونا معشر الجزائريين ، ونحن نحب ـ كما هو مبدؤنا ـ أن نعلق على خطاباته دائما بمثل تلك الحرية وتلك الصراحة حتى يعلم دخيلة أنفسنا .

ونؤكد لحضرته أننا نعرب عن فكر السواد الأعظم من الأمة ، ذلك أن السواد الذى لا يحسن أكثره الإعراب عن نفسه ، ولا يريد أقله ولا يمكنه ذلك الإعراب ...

ونرى أنفسنا فى مثل هذا الوقت كما خدمنا شعبنا بإعــلان مطالبه كذلك خدمنا الحكومة بتعريفها برغائب الشعب الذى هى مسؤولة عن حالته ، ونرجو من وراء ذلك أن تحصل الثقة والتفاهم والتعاون بين الطرفين ، تلك الأصول الثلاثة التى لا هناء لحكومة ولا سعادة لأمة إلا بها . « حسن الالتفات والعدل » .

كل ـ السياسة ـ كما قال ـ هو فى هذين الوصفين ، وكل ما تتمناه الأمة الجزائرية هو العمل بمقتضاهما .

نريد الالتفات قبل كل شيء إلى « الإنسان » الجزائرى،إلى حالته العقلية المنحطة ، إلى حالته الأخلاقية الفاسدة ، بسبب قلة مدارس التعليم والتهذيب الحقيقية والمجازية المفتحة لأبناء الجزائريين ، إلى حالته الصحية بسبب قلة أو عدم المستشفيات فى كثير من القرى والإسعافات الطبية ، فى حالته الاقتصادية بفقد المدارس الفلاحية وعدم الإعانة لصغار الفلاحين .

نريد العدل فى العلم حتى يوحد برنامج التعليم،فلا يبقى برنامج تعليم الجزائرى برنامج خاص كأنه مخلوق خاص !! نريد العدل فى الإسعافات الطبية حتى نرى المستشفيات مفتحة حيث يكثر الأوروبيون كما هى حيث يقلون.أو حيث لا يكونون ، ونرى اعتناء بما هو موجود منها اعتناء يصير لها قيمة ونفعا .

نريد عدلا فى عمارة الأرض حتى لا نرى الأرض تنزع من قوم وتعطى لآخرين ، وحتى لا نرى إيثارا فى منح الأرض لقوم على قوم،وحتى لا نرى القروض الفلاحية تتقتر على الفلاح الأهلى الضعيف وتوسع على غيره القوي كأنها تعمل فى ذلك بفلسفة : تسمين السمين وتهزيل الهزيل ! نريد عدلا لا نرى معه الأوروبى الأجنبى من الأمة الفرنسوية يجد فى الجزائر ما لا يجد فيها ابنها المعدود من العائلة الفرنسوية .

صرحنا ولا زلنا نصرح أننا رأينا منكم من يوم قدومكم فى جميع خطاباتكم ـ حسن التفات نحو الجزائريين ، ورأينا منكم سعيا فى شيء من التنفيذ ، ولم نر من نشطكم على أفكاركم التى التى صرحتم بها ولا ساعدكم حقيقة على السرعة والتوسع فى تنفيذها ، بل رأينا من ثقلت عليه كلماتكم ، وبعد لأى وافقكم على مشروع « مساعدة الحوامل والرضعاء » .

لا نجهل أن الروح « الديمقراطية » والنفس « الاشتراكى »

اللذين نفثتم بهما فى خطاباتكم السابقة ـ لا تتحملهما الـروح الاستعمارية المستولية على أكثرية الفرنسويين بالجزائر ، فطبما وقعت مصادمة ، ثم لن يكون القوم على مباديهم الاستعمارية أشد منكم محافظة على مباديكم الاشتراكية الديمقراطية ، فإذا كنا نشك أن تزعزعوهم فإنا لا نخاف ـ بثقتنا فيكم ـ أن يحولوكم ، ولكم عليهم بعد قوة الحق وعصبة الشمال .

« أنا لا أستطيع التحكم إلا لفرنسا » .

نحن الجزائريين لما يمكن لنا حزب يدافع عن حقوقنا الحيويـة حتى يصطدم بالأحزاب الأخرى ويطمع فى مناصرة الوالى العام ، وإنما الأحزاب والمصادمات والاستنصارات في الأحزاب الفرنسوية وهى التى كثيرا ما تعتمد على الحكومة والولاية والإدارات فى جلب مصالحها ولو أجحفت بحقوق الجزائريين ، وكثيرا كثيرا ما تجـد آذانا صاغية وقلوبا مستمعة ، فهذه الأحزاب هى التى إذا سمعت هذه الكلمة من الوالى العام ربما ساءتها وخففت شيئا من غلوائها وأوقفتها إلى وقت ما عند حد الاعتدال .

أما نحن فهذه الخطة هى بغيتنا ، فإننا نريـد الحكـم لفرنسا بالروح الفرنسوية وروح الأخوة والعدالة والمساواة ، وننفر من كل ما يخالف هذه الروح ، ونمقت كل من يعمل عملا أو يحكـم حكما يدنس طلعتها ويشوه سمعتها كائنا من كان ، فلهذا نسجل هذه الكلمة بمداد الثناء والإعجاب لجناب الوالى العام (1) .

(1) الشهاب : ع 21 ـ 25 رمضان 1344 هـ ـ 8 افريل 1926 م .

حول خطاب سمو الوالى العام

— 2 —

« حقا إن المسألة الأهلية لفى غاية الإشكال » .

هنا ذكر الخطاب أقسام الأمة الثلاثة : الذين « صاغتهم فرنسا ولها الحق ان تفخر بهم » وهؤلاء — كما تقتضيه المقابلة — هم الذين لم يبق لهم تمسك بالعوائد المحترمة ولا محافظة عليها ، والذين لا يزالون متمسكين بالعوائد المحترمة ومحافظين بغيرة عليها ، وهذان طرفان ، والذين كانوا بينهما وهم الذين سنوا أنظمة لأنفسهم للسير عليها مع سعيهم فى تليين العوائد القديمة كي تلاقى الحياة المصرية .

ليس من سياسة فرنسا — فيما نعلم — أن تخلع الأمة الجزائرية جميع تقاليدها — عامة — وتصبح فرنسوية محضة ، وليس من سياستها كذلك أن تبقى الأمة الجزائرية متمسكة بجميع عوائدها حتى الضارة منها الناشئة عن جهل بدينها ودنياها ، تلك التى تبقى بها منحطة فى أخريات الأمم ، بل سياسة فرنسا — فيما نحسب — هى ترقية الأمة الجزائرية — محافظة على مقوماتها القومية ، وتقاليدها النافعة الملائمة — مخلصة لفرنسا،عاملة معها كعضو منها .

فالفئة القليلة التى لم تبق لها محافظة ولا اعتبار لجميع تقاليد الأمة الجزائرية — لا يمكن أن تساعد فرنسا على تنفيذ سياستها

التى ذكرناها فى الأمة الجزائرية ، ولا يمكن للأمة بالطبـــع أن تتخذها قدوة أو تنصاع لإرشاداتها .

والسواد الأعظم من الأمة هو الفريق الذى لا يزال شديـــد التمسك بجميع تقاليده الضار والنافع منها ، الصحيح والفاسـد فيها ، من جراء الجهل الفاشى فيـــه ، والزعامـــة الروحيـــة « الآفريلية .. » المتسلطة عليه ، وعلى فرنسا من بقائه على حالته هاته مسؤولية كبرى .

والفريق المعتدل الذى يحافظ ـ من تقاليد الشعب ـ على مـا هو صحيح ونافع ومعقول ، ويتلقى المدنية العصرية والثقافـــة الفرنسوية بالقبول ـ هو الذى يمكن حقيقة أن تثق به الأمـــة وتحتذيه ، وفى مقدرته أن يساعد فرنسا على إنهاض الشعـــب حسب سياستها التى ذكرنا . فهو الجديـر بتأييـد الحكومـة له ، والإعراض عن كل عثرة يلقيها فى سبيله فريق الطفرة أو فريق الجمــــود .

أقسام ثلاثة فى الأمة ! ولا بدع فى وجودها فيها ، فلا تكـاد تخلو من مثلها أمة من الأمم فى مثل هذا الموقف ؛ موقف التطور والانتقـــال .

وإن مما يلفت النظر ويستحق الإعجاب أن هـذه الأقســـام كلها ـ كما يستفاد من الخطاب ـ ولد فيها طول الزمن النهوض ، ودبت فيها روح الحياة ، وبدأت فى الاستيقاض محاولة الخروج من الظلمة ، واضعة ثقتها وأملها فى فرنسا .

فإذا سارت بهم فرنسا بسياسة « المحافظة على القديم النافـع ، والمبادرة بالإصلاح المفيد » بلغت بالأمة الجزائرية مبلغا تكـون به فرنسا قد زادت خمسة ملايين من الأشخاص الأحياء العاملـين فى مجموعها ، وتكون حينئذ تفتخر بأمة كاملة لا بفئـة قليلة ...

كل أمة لابد أن تكون فيها أحزاب ، وتوجد فيها طبقات وأقسام بضرورة اختلاف الأنظار والأفكار .

ثم لابد أن يوجد تفاوت ـ وقد يكون عظيما ـ بين الطبقات والأفراد في درجة المدنية والتهذب ، بضرورة اختلاف القابلية والاستعدادات والمؤثرات .

غير أن هذا الاختلاف ـ وإن عظم ـ لا يبعد فردا أو طبقة عن الحق الطبيعي الذى تستحقه الأمة كلها ، ماديا كان ذلك الحق أو أدبيا ، كما لا يبعده عن عطف حكومته ورعايتها ، لأن الحكومة للشعب يجب أن تكون كالشمس للموجودات على ظهر البسيطة ، ترسل أضواءها وأشعتها للهداية والنفع ، لا تفرق بين حيوان راق وحيوان منحط بل بين حيوان وجماد .

نعم ، تستوى طبقات الأمة وأفرادها هكذا إذا كانت قد تساوت فى أداء واجبها نحو حكومتها .

والأمة الجزائرية أمة قامت بجميع واجباتها جميع طبقاتها وأفرادها نحو فرنسا فى جميع الظروف والأوقات .

الأمة الجزائرية لما نادت فرنسا : « إن المدنية فى خطر ، إن الحرية والإخاء يريد أعداء فرنسا القضاء عليهما » ، قامت الأمة الجزائرية تدافع عن هذه المبادىء السامية،لم يتخلف عن ذلك منحطها عن مترقيها ، فشاركت فى الحرب ، وشاركت فى النصر .

هذه الأمة تريد أن تعطى الحق الطبيعي من التهذيب والاقتصاد والسياسة ـ عاما كما كان قيامها بالواجب عاما ، وترى أن طلبها هذا من الحق الواضح الذى لا إشكال فيه (1) .

(1) الشهاب : ع 22 ـ 2 شوال 1344 هـ ـ 15 أفريل 1926 م .

حول خطاب سمو الوالى العام

ـ 3 ـ

« فالتفكير فى تمتع الأخيرين (البعيدين عن الصبغة الحقـة) مثلا بالحقوق المدنية قبل بلوغهم كليا درجة الرجـل الاقتصادى ـ أمر لا تدركه الأفهام ، ولا يقبله النظام ، بل يكون مخيفا » .

من المعروف فى تاريخ الأمم والأجيال أو الناس فى كل جيل وكل أمة يختلفون فى درجات المدنية والرقي، فتوجد فيهم الطبقات المنحطة ، وأكثر ما تكون فى دواخل البادية ، وتوجد فيهم الطبقة الراقية ، وأكثر ما تكون فى المدن والقرى .

والبادية ـ كما هى مصدر غذاء الحاضرة المـادى كذلك هى مصدر غذائها الاجتماعى والفكري ، فلا تزال الباديـة تدفـع بالأفراد والجموع منها الأقوياء الأبدان المتان الأخـلاق السالمى الفطر ، إلى الحاضرة فيجددون فيها ما أضعفته المدنية من أبدان ، وما أفسدته من أخلاق ، وما شوهته من فطرة ، ولا تزال الحاضرة ـ فى مقابل ذلك ـ تبعث بأشعـة علومها وتهذيبها إلى الباديـة فتنيرها وتستحث أهلها على اللحاق بطبقات الراقين المتمدنـين . هكذا كان الحال ولا يزال بينهما دواليك .

ولما كانت الطبقات المنحطة ضرورية فى الوجود ، ومادة صالحة للتكوين الراقى ، ـ كانت المدنيات الراقية وفى مقدمتها المدنيـة

الإسلامية ـ لا تفرق فى الحقوق المدنية بين طبقة وطبقة ، فتسوى فيها بين الأمير فى قصره ، والجبلى فى كوخه .

إن الأمة الفرنسوية يوم دكت صرح الاستبداد وشيدت بناء الحرية لم تخل من طبقات منحطة لا يد لها فى ذلك المجد ، ولكن انحطاطها لم يحرمها من التمتع بالحقوق التى وضعها إخوانها الآخرون ، لأن الأمة أمة واحدة براقيها ومنحطها .

إن أولئك الأبطال الأحرار الفرنسويين الذين أعلنوا « حقوق الرجل » لم يفرقوا بين المنحطين والراقين من أمتهم ، وأدركته أفهامهم بالضرورة أن الأمة لا يلحق أدناها بأعلاها إلا إذا تمتعت بحقوق مدنية واحدة ، وأدركت أفهامهم بالضرورة أن الحقوق المدنية يستحقها الإنسان من حيث أنه إنسان ، بقطع النظر عن رقيه وانحطاطه ، وأدركت أفهامهم بالضرورة أن حرمان الطبقات المنحطة من الحقوق المدنية هو العلة الكبرى فى بقائها فى انحطاطها، فكيف تحاول ترقيتها وتترك علة الانحطاط فيها ؟ ! أدركت أفهامهم هذا فأعلنوا تلك الحقوق عامة للأمم والطبقات ، غير خائفين ولا وجلين، فيا لها منقبة كبرى خلدوها للأمة الفرنسوية، وغاية سامية نصبوها لأنظار جميع الأمم ، وحجة واضحة أقاموها على كل أمة ساقت لأحضانها الأقدار أمة أخرى .

فى كل عام تدف إلينا دافة من بادية اسبانيا فنرى .. نرى الهمجية المتجسمة والانحطاط التام ، فكريا وأخلاقيا ، واجتماعيا، انحطاطا لا نرى مثله إلا فى أحط طبقاتنا ، ثم لم يمنعهم ذلك من التمتع بالحقوق المدنية التى يتمتع بها أرقى اسبنيولى متمدن . وكذلك كل أمة لم تخل من مثل هذا الصنف على تفاوت فى عدده وانحطاطه ، ولكنها كلها متفقة اتفاقا كليا على إعطائه جميع الحقوق المدنية التى يتمتع بها الآخرون ، دون أن يخل ذلك بنظمها ، ولا يثير عليها مخاوف فى شؤونها .

فالأمة الجزائرية المخلصة لفرنسا والملقاة عهدة تمدينها على كاهل فرنسا ـ مستحقة بجميع طبقاتها ـ لنيل الحقوق المدنية حتى الطبقات المنحطة ، كما هو الشأن فى جميع الأمم ، وفى ذلك المساواة التى هى عين النظام ، والعدل الذى هو أساس الأمن والسلام (1) .

(1) الشهاب : ع 23 ـ 9 شوال 1344 هـ ـ 22 أفريل 1926 م .

حول خطاب سمو الوالى العام

– 4 –

« النفوذ الغربى لا يقبل – بدون خطر – إلا من الأفكار المهيئة لاتباعــه » .

للغرب أخلاقه وعوائده وتقاليده الموروثة عن الأجيال السالفة المميزة له عن أمم الشرق ، وليست مدنيته الحاضرة مبنية عليها ، ولا سيادته على الشرق بسببها ، وليس من مصلحة الشرق أن يقلده فيها ، ولا بممكن له – والواقع شاهد – ذلك الحمل ، ولا سيما ما دام الغرب محتفظا بامتيازاته ناظرا إلى الشرق ذلك النظر الخاص .

وللغرب أيضا العلم المثمر ، والعمل المستمر ، والنظام الشامل، والتهذيب العام ، وحرية التفكير والقول والعمل

وهذه هى هى أسس مدنيته وأسباب سيادته ، وهى هى الــتى يجب على الشرق أن يحتذيه فيها ويسابقه إلى غاياتها ، وهى هى التى يجب على كل أمة غربية لها نظر على أمة شرقية تريد حقيقة حياتها لتكون عضودا لها – أن تفتح لها السبيل إليها وتمكنها منها .

فإذا كان « النفوذ الغربى » فى الخطاب بالمعنى الأول فقد قلنا كلمتنا فيه ، وإن كان بالمعنى الثانى – وهو الذى نرجحه – فإننا لا نشك طرفة عين أن الجزائر تقبله بغبطة وامتنان .

إن العلم والعمل والنظام والتهذيب أصول أربعــة محبوبــة ومحترمة لدى الشعب الجزائرى المسلم بفطرته الإسلامية – وإن

كان متقاعسا عنها بانحطاطه في الرتبة المدنية . وها هي صحفه، وها هم نوابه ينادون في كل فرصة بلزوم تعميم هذه الأصول ، فكيف يمكن أن يظن بهم أنهم غير متهيئين لقبولنا ؟ ! أو يخشى خطر من تنفيذها ؟!

ها أنا ذكرت الأصول الاربعة . وأما الأصل الخامس وهو الحرية المحبوبة ، الحرية التي هي أول حق طبيعي للإنسانية ، الحرية التي كتب أجداد سمو الوالي اسمها بحروف حمراء على صحيفة الكون ــ فإني سكت عنها لأنها عزيزة على من يطلبها ، عزيزة على من يعطيها ، يعشقها الأول ويرى في نيلها السعادة والأمن والمحبة ، ويقدسها الثاني ويرى في منحها الضرر والخطر، فنحن نتساهل شيئا فيها ــ على محبتنا إياها ــ إذا كنا نجاب إلى تعميم الأصول الأربعة ، ونحن نلح كل الإلحاح في طلبها وخصوصا الأصل الأول الذي هو العلم ينبوع الحياة وأساس كل تقدم ، فلا تهدأ خواطرنا ولا تطمئن قلوبنا حتى نراه إجباريا على الجزائريين كما هو إجباري على الأجناس الأخرى من سكان القطر .

« لا يفتح المريض عينيه إلا بالتدريج » ..

ما هذا المرض الذي لازم الجزائر أمام طبيبها النطاسي فرنسا نحو قرن ؟ ! قد ترقت أمم أحط منها من الحضيض إلى الأوج في هذه المدة، فما الذي قعد بها هي ؟ أشذوذ في خلقتها ؟ أم شيء آخر ؟ لا ، لا ، إن سياسة التدريج المتثاقلة المتباطئة المتريثة لمصلحة أحزاب ــ لا لمصلحة فرنسا ــ هي السبب في طول علة هذا المريض.

أمر عظيم ثقيل على النفوس قد تلقته الأمة الجزائرية مسرعة غير متثاقلة . أمر عظيم نفذ في الجزائر في مدة أقل بكثير من المدة التي نفذ فيها بفرنسا ! ــ هو التجنيد الإجباري العام ــ ما دعتها الحكومة إليه إلا أجابت في أزمات شديدة وأوقات حرجة .

فهذه الأمة التي أجابت إلى داعي الموت في سبيل فرنسا بكل سرعة لا شك أنها تجيب إلى داعي الحياة الحقة بكل سرعة وشكران .

« السمو الحقيقي هو الإحسان » .

حيفا لمن لا يعرف من السياسة إلا الترهيب . مثل هاته الكلمات الذهبية التي سمعناها كثيرا من سمو الوالي هي سياسته الشخصية وسياسة الأحرار المفكرين من الفرنسويين ، وهي السياسة التي نتحقق أنه عامل على تطبيقها وتذليل الصعاب في سبيلها ، ولكن مع الأسف أن كثيرا من المباشرين للتنفيذ يسمعونها،ولكنهم قلما يعملون بها ، فعسى أن تلتفت حضرته إلى مراقبة المنفذين في العمل بها والسير على مقتضاها .

« القانون الجديد للكية العقار » .

ننتظر بفروغ صبر هذا القانون الذي نرجو أن تكون قواعده مبنية على التسوية بين الأجناس المتساكنين في التملك ، ومعتبرا فيه جانب صغار الملاكين بالبادية الذين كثيرا ما خرجت من أيديهم أملاكهم بوجوه مجحفة وغير عادلة ، ولما كان هذا القانون سيوضع بطلب من حضرته فإن لنا مزيد الثقة والآمال فيه .

« لا أدع أيدي الجهلة والمجرمين تصل اليه بسوء ما دمت واليا » .

وقد برهنت الجزائر في أيام الحرب والسلم على حسن جوارها وصدق رغبتها في التعاون مع جميع الأجناس المساكنين لها في وطنها ، وإذا كانت بعض الاضطرابات السياسية الموضعية فليست هي المتسببة فيها بل جناها غيرها وجنت هي آلامها ووجد كثير من المسيطرين السبيل بها إلى اضطهاد كثير من أبنائها بالنفي والسجن الإداريين حتى أصبحت كما قال الشاعر العربي :

غـيري جنَى وأنا المعذَّب فيكـم   فكأننـي سبـابـة المتنـدم

وها هي الشهادة على ما قلنا من براءتها من فـم حضرة الوالى نفسه قال : أتحقق بكل الأسف بمناسبـة الدسائس الشيوعيـة بالجزائر ـ أن العاملين على نشرها بين الأهـالى المسلمين هـم فرنسيون » ـ نقلا عن جريدة الريبوبليكان القسنطينية فى عددها الصادر فى خامس أوت 1925 .

ونحن مع شكرنا لحضرته على سهره على أمن الجزائر وهنائها . نلفت نظره إلى ما يجرى من العسف فى كثير من الجهات بهذه المناسبـة .

كلمـة ختاميـة :

إن ثقتنا بأحقية مطالبنا ، وبإخلاصنا لحكومتنا ، وبعدالة سمو الوالى وأمثاله من الأحرار الفرنسويين ـ هـى الـتى تدفعنا إلى المصارحة بآرائنا المعربة عن رغبة الأمة الجزائرية ، وقد بسطناها فى مقالاتنا هاته على وجه الإجمال ، ورجاؤنا من حضرته ومن أولى الأمر أن يعيروها جانب الاهتمام ، فإن القيام بها عمل عظيم يحبب فرنسا إلى القلوب ، القلوب التى لا يفتحها إلا المودة والإحسان ، وينشر لها من الذكر الجميل فى الشرق ما يكون أفعل من ملايين الجنود ، ويزرع فى الجزائر من المودة والثقة ما تنبنى عليه السعادة والهناء والتقدم لسكان القطر أجمعين (1) .

(1) الشهاب : ع 24 ـ 16 شوال 1344 هـ ـ 29 أفريل 1926 م .

مظاهر العداء ـ نحو المخلصين !!

ومؤتمرات الحيف في القرن العشرين !!

كل يـوم قطيعـة وعتـاب   ينقضى عهدُنا ونحن غضاب !!

كثيرا ما نرى مظالم من مستعمرين فنقول : وقائع فرديـة .
وكثيرا ما نراها في الدوائر المختلطة فنقول : غطرسة إدارية .
وكثيرا ما نراها في مجالس قضاء فنقول : أحكام استثنائية !

أما اليوم فإننا أمام مظالم منظمة ، يديرها رجـال مدنيـون منتخبون انتخابا عاما ثم مختارون اختيارا خاصا من بين المنتخبين، أولئك هم رؤساء البلديات « الاميار » في مؤتمرهم المنعقد أخيرا بالجزائـر .

فلنا الحق أن نعد عداءهم عداء عاما موجها نحونا ، ونحمـل مسؤولية أعمالهم على جميع الجالية الفرنسوية ما دمنا لم نر منها إنكارا لها في صحفها .

كل واحد من هؤلاء قد شـارك الأعضاء الأهالي في بلديتـه زملاءهم الفرنسويين في التصويت لـه حتى كان رئيسا للجميع . فالشرف والمروءة والأمانة تقضي على كل واحد منهم أن لا يشارك بصفته ميرًا فيما هو ظلم وإهانة للأهالي منتخبيـه ، ولكـن أنّى يتذكـر هـذا قـوم قد سيط بدمهم ما سيط مما أنساهم وجـود للأهالي ! بل وأنساهم أنفسهم أنهـم فرنسيويون وأنهـم باسـم فرنسا يعملون .

قرروا فى مطالبهم عدم إعطاء الأهالى حق التمثيل بالبرلمان الفرنسوى حتى لا تفضح أعمالهم أمام نواب الأمة الفرنسوية الحقيقيين هناك فيضطروهم إلى احترام حقوق الأهالى ـ وهذا أمر ليس فى طبيعتهم الاستعمارية استعدادا لقبوله بحال ! ـ .

قرروا فى مطالبهم إبطال الحق الممنوح للأعضاء الأهالى بالبلديات فى انتخاب رؤساء البلديات « الاميار » لأن نفوسهم الجبارة تأبى أن تتنازل للأعضاء الأهالى وتسألهم أصواتهم حتى كأنهم اضطروا إلى مراعاتها فى أعمالهم .؟!

قرروا فى مطالبهم غرامة خاصة بالأهالى،يطالب بها كل من بلغ 25 سنة من العمر !. إلى غير هذا من مطالبهم التى كانت سهاما مفوقة إلى مصلحة الجزائرى وكرامته ، وتعاميا عن حقه ومزيته .

على رسلكم أيها القوم ، لقد ذهبت بكم شهواتكم إلى شر غاية ، وهوت بكم أغراضكم فى مكان سحيق .

ما بالكم يا عقلاء ؟! العلم والعالم والأمم القوية والضعيفة تتقدم بسرعة إلى الأمام ، وأنتم ـ المختارون من المختارين ـ تتدهورون فى سياستكم وأعمالكم ، وتزيدون أن تدهوروا فرنسا العظيمة معكم ، وتجرونا نحن فى آخر الموكب ـ إلى الوراء ..!!

أنسيتم أنكم فى القرن العشرين ..؟

أنسيتم أنكم بعد حرب هزت العالم والأمم هزة فتحت العيون إلا عيون أهل الأغراض والأهواء ..! ـ وفتحت الآذان ـ إلا آذان النفعيين الصماء ـ ونبهت كل حي إلى ما له من حق فى الحياة . وذهبت بعروش الظالمين المستبدين العتاة ؟؟

أتجهلون أن الجزائر بما بذلت لفرنسا من نفس ونفيس ، وما أقامته من براهين الإخلاص ، ـ صارت لا يقنعها إلا مساواتها بأبنائها ، ونيلها جميع حقوقها ؟؟

أتجهلون أن ما أعطى لنا من حقوق قد استرجع كثير منها ــ ليس في نظرنا ونظر الحق والعدالة كفاء ــ ألما سفك ويسفك من دمائنا إلى اليوم في سبيل راية الحرية والعدالة والمساواة ؟؟

إذا كان ذلك الدم في « عينكم » معشر الأميار رخيصا ، فهــو ــ ومجد العروبة ــ في نظر التاريخ والإنسانية شريف غال .

أحسبتم أن الجزائريين اليوم ــ وهم يعدون عضوا في فرنسا ــ يسكتون لكم عن هذا العداء ، ويصبرون لكم على هذا الضيم ؟!

أخطأ ظنكم يا مغرورون ..! إن الجزائريين اليوم قــد هبوا ، تحفزهم شهامة عربية ، وتهديهم إلى الغايات الحميدة ثقافة إسلامية وثقافة افرنسية ، وتكلؤهم ثقتهم بإخلاصهم وما بذلوه من الخدمة للدولة ، وسيكونون شجا في حلوقكم الواسعة لالتهام المستضعفين ، وقذى في عيونكم التي عميت عــن حقــوق الجزائريين وإحسانهم وإخلاصهم وهي كالشمس أمام العالمين .

أم حسبتم أن فــرنسا ــ التي راعيتم مصلحتكم قبــل مصلحتها وخدمتم غايتكم دون غايتها ــ ترضى منكم هذا العداء الظالم والحيف الممقوت ؟؟ خاب ظنكم في مرغمة القياصرة ومحررة الشعوب .

أيها المؤتمرون ائتمار العداء والحيف ! نحــن ــ كجزائريين ــ وإن كنا نرى عملكم هذا بعين المقت والسخط ــ فإننا نشكركم أولا على أن أبديتم لنا عن دخائل أنفسكم ، فكنا منكم على اليقين ، وثانيا على أن أقمتم لنا العذر الواضح عند فرنسا العظيمة إذا كلنا لكم بكيلكم ورددنا عليكم بمثل سهامكم ، فلا يبقى شك أنكــم أنتــم بأعمالكم السيئة المبغوضون لا فرنســا التي تنطــوى عــلى محبتها القلوب ، وثالثا على أنكم ربما كنتم سببا في تحريك نوابنا عــلى الاجتماع بالحق وللخير لمقاومة اجتماعكم المعروف ...

ونحن ــ كقوم مرتبطين بفرنسا يحبون لها الخير ــ نصارحكــم

بإنكار آخر وتقبيح لنياتكم الاستعمارية البحتة التي تؤذون بها سمعة فرنسا ، وتخلقون لها بها الأعداء فى العالم الشرقى والإسلامى،وتعرقلون مساعيها التمدينية فى العالم،وتجرون عليها وعلى الشعوب المرتبطة بها البلايا والمحن .

فها أنتم أولاء لا فرنسا خدمتم ، ولا جيرانكم راعيتم ، فما أحقكم بالبغض وتعجيل الجزاء من الجانبين .

يا أيها الرجل الحر الممثل لفرنسا الحرة ،

يا أيها الرجل الذى نعتقد ونصرح (والشهاب لا يتملق) أن الجزائر لم تر واليا مثله .

يا جناب الوالى العام مسيو فيوليط ؛

إننا نأسف على أن ينقضى علينا نحو القرن ونحن فى قطيعة متجددة من مثل هؤلاء المؤتمرين وعتاب من ناحيتنا .

إننا نعلم أن هؤلاء غير فرنسا التى خدمناها وأخلصنا لها ، إن فى الجزائر نفسها وفى رجال إدارتها ـ وأنتم أعظمهم ـ من لا يقل سخطه عليهم من سخطنا .

إننا نجتمع باسم فرنسا وباسم الجزائر وباسم الإنسانية على أعمال هؤلاء وأمثالهم التى تصدع القلوب وتفرقها ، وتبطل ما نسعى إليه من جمعها وتأليفها ، بين بنى الإنسان على العموم المتساكنين فى وطن واحد على الخصوص .

إننا عليكم وعلى أمثالكم من الأحرار الفرنسويين نعلق الآمال فى تطهير طريق الإخاء الفرنسوى الجزائرى من هذه الأشواك .

افعلوا تشكروا وتخدموا فرنسا وأبناءها المخلصين (1) .

(1) الشهاب : ع 29 ـ 21 ذو القعدة 1344 هـ ـ 3 جوان 1926 م .

المسألة الأهلية

فى خطابات سمو الوالى العام

خطابات رؤساء الحكومات هى مظهر أفكارهم السياسية ومجلى مقاصدهم بالأمم التى يسوسونها ، والأعمال التى ينوون إنجازها . وأهم مسألة فى نظرهم هى التى تجدها متكررة فى خطاباتهم فى جميع المناسبات .

وإذا نظرنا إلى خطابات والينا العام م. فيوليط ــ سواء فى المجلس المالى أم فى منافسات أخرى ــ رأيناها دائما لا تخلو من ذكر المسألة الأهلية بأساليب عديدة من أساليب الذكر ، فيدلنا هذا على أن لسموه بهذه المسألة كبير اعتناء ومزيد اهتمام .

نعم ــ والحق يقال ــ لم نر فى جميع الولاة من يضاهيه فى اعتنائه بالمسألة الأهلية بالنسبة لقصر مدته .

قد أصبح الأهالى اليوم بفضل جرائدهم لا يخفى عليهم ما يقال فيهم فى الخطابات الرسمية وغيرها ، فهم على علم بالعواطف الشريفة التى تتجسم فى كثير من خطابات سموه نحوهم ، وهم يقدرون دائما تلك العواطف ــ والمسلم العربى من طبعه معرفة الجميل ــ ولذا كان لسموه منزلة عالية فى قلوبهم ، وكان لخبر تجديد ولايته لستة أشهر أخرى رنة فرح وسرور عندهم ، راجين أن تنجز أمور كثيرة من مصالحهم ــ كالفصل فى مجلة الأحكام بما يرضيهم ــ فى أيام ولايته .

إن وجود مثل سموه على رأس إدارة عليا فرصة سعادة تخطو بها

الأمة الجزائرية بنت فرنسا خطوات إلى الأمام ، وربما كان بعد هذه الفرصة ما تقف بـه الأمة حيث هي برهة من الزمن . فإنه بوجود أفراد على رأس إدارة عليا في الحكومة تكون سعادة أو شقاوة وحياة أو موت .

هذا « كانْت » الفيلسوف الذى غيرت فلسفته أساليب التفكير فى القرن الثامن عشر ، هذا الفيلسوف الكبير عاش حرا مرتاحا أيام فردريك الأول ووزير معارفه المتسامح ، وعاش عيشة ضغط وتعب لما استقال ذلك الوزير وخلفه وزير متعصب أحمق ، ومات فردريك وخلفه ولـده .

وسعادة الأمم بحكامها وشقاوتها بهم ، أمـر عليه مـن شواهد التاريخ الماضي والجارى ما لا يفى بحصره عدد، فلذا كان للجزائريين أن يبتهجوا بتجديـد ولايتـه ويتمنوا طولهـا والإسراع بإنجـاز مصالحهم فيها .

أصلان عظيمان فى الحياة الاجتماعية يدور عليهما اهتمام سموه بالمسألة الأهلية فى خطاباته هما : الصحة والتعليم .

فأما الصحة فإن أبناء الجزائر اليوم يقفون كل موقف يقفه أبناء فرنسا الآخرون ، فصحتهم صحة عضو من الجسم الفرنسوى وقوتهم قوة فيه . والقيام بأمر الصحة محتاج إلى اهتمام كبير مـن الحكومة العليا وجميع الإدارات ، وحقيق بأن تخصص له فى الميزانية حصة وافرة للقيام بجميع فروعه . ولقد ابتدأ سموه مـن هذه الفروع بالعناية بالحوامل والرضعاء ، ولقى مـن أجل ذلك بالمجلس المالى معارضة شديدة مـن نواب المستعمرين ..! وبعـد لأي نفذ طلبه بأغلبية نواب الأهالى ونواب عقلاء منصفين من إخواننا الفرنسيين، وفى المجلس المالى الأخير خصص لهذا المشروع قسطه فى الميزانية، وقـد طلب توزيع إعانات مالية على الحوامل ، وكـاد يفوز بطلبه لولا تأخر عضوان أهليان من سكان العاصمة عن جلسة التصويت ..!

وأما التعليم فإن الجزائريين لا يسعدون ولا تسعد بهم فرنسا إلا به ، فهو وحده الذى يعرفهم أنفسهم ومصالحهم وفضل فرنسا عليهم . ولقد عرفت فرنسا هذا ، ولذا شيدت معاهد العلوم وفتحتها لأبنائها من فرنسيين وجزائريين ، ونعرف أفرادا ممن وكلت إليهم أمور الأهالى يعلمون هذه الحقيقة ، فكثيرا ما ينشطون بمساعيهم الأهالى على التعليم ، فلا عجب إذن أن يكون من أول ما يهتم به م. فيوليط مسألة التعليم .

يرمى سموه فى خطاباته إلى لزوم تعليم الأهالى التعليم الفكرى والتعليم الصناعى ، ولا حياة للإنسان إلا بفكره ويده ، ولا نشك أن سموه ـ وهو يرى ما شيدته فرنسا من المدارس الثلاثة لتعليم العربية والفرنسوية ـ يرى أن من مصلحة الأهالى أن يتعلموا لغتهم العربية ولغتهم الفرنسوية، وأنهم ـ لكونهم عربا جنسا وفرنسويين سياسة ـ لا يطيرون فى سماء المدنية مع أبناء فرنسا ولأجل فرنسا إلا بهذين الجناحين .

وقد كان من باكر أعمال سموه فى هذا السبيل دار التعليم الصناعى التى شرع فيها بالعاصمة وينتظر أن يعقبها بأعمال أخرى فى التعليم الفكرى والصناعى .

إن « الشهاب » يعلن شكره لهذا الوالى الذى يهتم بالجزائريين حسب مبادئ فرنسا الحقيقية رغم كل معارض ... ومعاكس ... وندعو نوابنا إلى تأييده فى مشارعه الخيرية ، والأمة إلى المسارعة إلى حياض العلوم والمعارف باللغتين ، وإلى الصنائع والفنون بجميع أنواعها ، حتى يبرهنوا على أنهم أمة تقدر العلم والعمل ، وتبادر إليهما اذا وجدت السبيل إليهما (1) .

(1) الشهاب : ع 37 ـ 2 محرم 1345 هـ ـ 12 جويلية 1926 م .

عيد الحرية

14 جوليت

بالأمس احتفلت الأمة الفرنسوية في مشارق الأرض ومغاربها بعيد الحرية وذكرى هدم الباستيل .

بالأمس نبض قلب كل فرنسوى بذكرى آبائه الذين ماتوا لحياته ، وسفكوا دماءهم لحفظ دمه .

بالأمس اهتزت أعصاب كل فرنسوى لذكرى تلك الثورة التى كانت صراعا هائلا بين الحرية والاستبداد ، ورجال العلم ورجال الكهنوت ، فحقت الغلبة على الظالمين .

بالأمس ذكر العالم المتمدين كله بالإجلال والاحترام ذلك اليوم الذى أشرقت فيه شمس الحرية فى عروس العواصم « باريس » وانبعثت كهرباؤها منها فى أسلاك القلوب والعقول تقوض عروش الملوك وتعلى صروح الأمم .

وإذا كان هذا العيد عيد الأمة الفرنسوية لأنه خط فى التاريخ بدماء أبنائها ، فإنه عيد الإنسانية جمعاء لأنه مبدأ عتقها ، عيد الأمم كلها لأنه ينبوع شعورها ويقظتها .

وإذا كان عيد الأمم كلها فأحقها به الأمة التى ربطتها بفرنسا روابط متينة،وامتزج دمها بدمها فى مواطن الموت والشرف ، تلك هى الأمة الجزائرية التى أخلصت لفرنسا إخلاصا شهد به العالم .

يا فرنسا أم الحرية ،

إن الجزائريين الذين يشعرون معك فى أفراحك وأحزانك ، يحتفلون معك بعيد حرية أبنائك ـ يريدون منك ما يجعلهم يشعرون بأنهم أحرار مساوون لإخوانهم الآخرين .

يريدون منك حرية العلم ، فتستوى برامج التعليم الابتدائى لأبناء فرنسا الجزائريين والفرنسويين ، ويلغى البرنامج الخاص بأبناء الأهالى الذى هو تلقين بلا تفكير ! وحفظ بلا قواعد ! ويسوى بين الجميع فى رواتب المتعلمين ، وينشط الجميع على دخول جميع فروع التعليم .

يريدون منك حرية العمل ـ السياسى ـ فيسوى بينهم وبين إخوانهم الفرنسويين فى عدد النواب فى جميع مجالس القطر ، فإنه إذا كان الجميع أبناء فرنسا فلا أقبح من هذا التمييز الذى ينوب فيه العدد الكثير عن العدد القليل والعدد القليل عن العدد الكثير !

يريدون منك حرية العمل ـ العمرانى ـ فيسوى بينهم وبين المعمرين فى القروض الفلاحية والتنشيطات الإدارية وتوزيع أراضى الاستعمار، أو على الأقل لا تنزع أرض من قوم وتعطى لقوم.

يريدون منك حرية الدين ، فتترك لهم محاكمهم الشرعية لأحكامهم الشخصية ، ويوكل إلى عدد معتبر منهم وضع المجلة الشرعية لما اقتضى الحال لزوم التنقيح والترتيب .

يريدون حرية حقيقية فى التفكير والنشر ، فينظر فى أقوالهم كما ينظر فى أقوال إخوانهم الفرنسويين بعين الثقة والنصفة لا بعين الريبة والحذر ، فإن الجزائريين ـ وخصوصا مفكريهم ـ يعتقدون أنهم لا يترقون إلا بفرنسا ومدنيتها ، ويرون أنهم بذلوا جميع ما عندهم لها ، وينظرون أن تبذل لهم جميع ما عندها، وفى سبيل تحصيل ما عندها يقف بينهم وبينها أقوام نفعيون لا

يبالون بفرنسا ولا بالجزائريين أمام مصالحهم ، وهؤلاء الذيـــن يمنعون كلمة الجزائريين الطيبة الخالصة أن تصل إلى فرنسا ، أو يقبلونها ويوصلونها مفيدة ضد المقصود ، كما يمنعون خير فرنسا أن يصل إلى الجزائر ، أو يتنقصونه ويقيدونه حتى لا يصل منه إلا القليــل .

هؤلاء يا فرنسا يا أم الحرية أضر علينا وعليك من جميع الناس.

هذه أمانينا نعرضها عليك ـ يا فرنسا المحررة ـ وقد فرغنا من عيد الحرية اليوم ، وسننظر ما ننال منها في مثله الآتي بعـد عام . وكل آت قريب (1)

(1) الشهاب : ع 38 ـ 5 محرم 1345 هـ ـ 15 جويلية 1926 م .

البحـر الأبيض المتوسـط

بحـيرة خطـرة

لم تزل شواطىء هذا البحر مجالا للتجارة والفاتحين في أزمنة التاريخ إلى اليوم ، ولم يزل كذلك معتركا بين قوى دول الأرض . فأنكلترا ترى مستقبلها متوقفا على حرية الملاحة فيه لتتوصل إلى مستعمراتها في الهند ، ولهذا السبب تحافظ بكـل قواها عـلى سيادتها في مصر وامتلاكها لقناة السويس . وتعزيز مركزها في مالطة . واستلائها على جبل طارق ، وتأبى أن يقرب من جبـل طارق نفوذ لدولة قوية كالنفوذ الفرنسوى .

أما فرنسا فإنها لا ترى بعين الرضى هذا النفوذ البريطاني الذى يقف حائلا بينها وبين مستعمراتها في الشمال الافريقي الـذى تستمد منه مؤنها وجنودها في أى حرب يمكن نشوبها في أوروبا .

وأما ايطاليا التى بها مياه هذا البحر من أكثر جهاتها ، فإنهـا ترى نفسها صاحبة الحق الأكبر ، ويصرح مسيطرها موسولوني بأن « البحر الأبيض بحيرة ايطالية » ، فهو لذلك يطمح دائما إلى الاستيلاء على تونس ، ويمانع من ازدياد امتداد النفوذ الفرنسى على شواطيه من جهة المغرب الأقصى .

* * *

هذه الصورة المصغرة توريك تصادم هذه الدول الكبرى في هذا البحر واصطدام مصالحها فيه . وقد مضى عراك شديد بـين

الأختين اللاتانيتين في سياسة هذا البحر أثارته مسألة تونس، وهدأ بعض الشيء يوم سلمت إحداهما لأختها في طرابلس والأخرى في المغرب الأقصى ، ثم عاد بعد انتهاء الحرب الكبرى ، فإن فرنسا لما رأت الخطر الاقتصادي يهدد رعاياها في البلاد التونسية قامت تريد إكراه الإيطاليين على التخلي عن جنسيتهم بدلا من أن تجيبهم إلى المطالب التي كانت وعدت بها دولتهم قبل اشتراكها في الحرب لتحملها على خوض غمراتها ، فأثار ذلك ثائرة الرأي الإيطالي العام ، ولا زالت صحفه إلى الآن توالي حملاتها الشديدة على فرنسا بما لا يخلو من تأثير سيء على العلاقات الودية بين الأختين ! والمسيطر الايطالي يقف اليوم وقفة المساوم ، والمعروض مسألة تونس والحبشة وطنجة والمغرب الأقصى . وما دام التعويض ممكنا فإنه لا تعسر ترضيته (1) .

« الجزائري »

(1) الشهاب : ع 41 ـ 16 محرم 1945 هـ ـ 26 جويلية 1926 م .

الأزمة المالية

وسقوط الوزارة

لا تزداد حالتنا المالية اليوم إلا تحرجا ، ولا تأتي وزارة لتحل عقدة منها إلا تزيد بسقوطها عقدة فيها ، ولقد صرحت لجنة الخبراء في تقريرها الذى وضعته لإصلاح المالية بخطورة الأزمة التي تعانيها البلاد ، وأنها لا تحل إلا بالتدابير التي وضعتها على ما فيها من شدة وما ينشأ عنها من نتائج مؤلمة كغلاء المعيشة وارتفاع نفقات الإنتاج ، وإنقاص الصادرات وزيادة عدد العاملين العاطلين ، وإفلاس بعض الشركات ، وما يصحب ذلك من الارتباك الاقتصادى والاجتماعي ، وصرحت بأن العمل سيكون شاقا ، وأن الغاية المقصودة ليست قريبة المنال .

رغم شدة هذا التقرير ولزوم الارتباكات التي لا مندوحة من وقوعها عند تنفيذه كما اعترف به الخبراء أنفسهم ـ فإن اللجنة وكثيرين على رأيها ـ يرون أن كل إصلاح يتم على غير أساس التقرير لا يأتي بالفائدة المنشودة ، ورغم هذا التأكيد فإن الوزارة لم يمكنها العمل به لعدم موافقة بعض أعضائها على كثير من الآراء الواردة فيه ، ولعدم وجود أكثرية معتبرة تعتمد عليها ، ولو عملت به لكانت تعرضت لسخط فريق كبير من نواب الميسرة والميمنة ، وعرضت البلاد لأخطار التقلبات والمناورات البرلمانية التي يحتمل وقوعها إذ ذاك .

تقلد م. كايو الوزارة وهــو مخالف لهذه اللجنة فى كثير مــن نصائحها ، وقدم برنامجه المــالى لمجلس الأمة ففاز باثنين وعشرين صوتا وهى أكثرية ضئيلة فى مثل هاته الأحوال الصعبة والمسائل الكبيرة المعقدة ، فكان ذلك نذير شؤم على وزارته،وعلامة سقوطها من قريب ، وتأكد القرب يوم خذل مجلس الشيوخ م. كايو برفضه الاعتمادات التى طلبها لسد بعض أبواب العجز ، ولذا لــم نعجب يوم جاءنا نبأ سقوط الوزارة عند أول صدمة لقيها م. كايو عندما أراد تنفيذ برنامجه . ونــرى أن مجلس النواب ما دام فى حالتــه الحاضرة لا يمكن أن يكون أكثرية قوية تعتمد عليها وزارة جريئة تقدم عــلى العمل بحــزم وصراحة ، وتحمل الأمــة على شيء مــن التضحية . (1)

(1) الشهاب : ع 40 ـ 12 محرم 1345 هـ ـ 22 جويلية 1926 م .

م. هيريو

كيف صعد ؟ وكيف نزل ؟

قضت تنافسات الأحزاب واضطراب المبادى فى البرلمان الفرنسى أن تستمر الوزارات فى صعود ونزول ، وأن تسقط كل وزارة عند أول مباشرة للعمل والتنفيذ ـ التنفيذ الذى لابد أن يكون شديدا ومؤلما .

جاء م. كايو يحاول منع سبب إسقاطه عند شروعه فى تنفيذ برنامجه ، فأراد أن يسلخ البرلمان عن سلطته،ويغل أيدى المعارضين، ويتقى عاقبة المصادمات الحزبية بما طلب من تخويل سلطة واسعة لوزارته .

هال م. هريو وحزبه هذا الطلب وتوجسوا منه خيفة ، ودخلتهم منه ريبة كبيرة ، فتخلى عن رياسة المجلس وهبط بنفسه للميدان لينازل الوزارة كزعيم حزب ، وقد فاز فى هذا النضال وأسقط وزارة بريان .

خاف م. هريو وحزبه ـ والفاشيستية تعقد مؤتمراتها ، وألسنة كثيرة تنادى بضرورة زعيم ذى صرامة ـ خافوا مع هذا أن يؤدى منح هذه السلطة إلى استبداد الوزارة ، وأن تلد الوزارة حينئذ ديكتاتورا (زعيما مسيطرا) ويكون ذلك قضاء مبرما على عصبة الشمال وانتصارات 11 ماى التى تولى قيادتها م. هيريو ، وبها كان رئيسا على البرلمان .

لِم.هيريو أن يخاف الديكتاتورية ، فهذه الفترة من الزمن تدعى بحق في العالم السياسى بفترة المسيطرين ، ففى ايطاليا وفى اسبانيا وفى البرتغال وفى بولونيا وفى اليونان وفى تركيآ وفى إيران مسيطرون قد عزلوا البرلمانات عن حقوقها وأصبحوا ولهم وحدهم الأمر والنهى فى طول البلاد وعرضها .

هل ذلك نافع أم ضار ؟ ذلك أمر آخر ، ولكنه على كل حال قد كان . كان فى بلاد ما كان فيها ، حتى بلغت ما بلغته فرنسا من الأزمة المالية ، والارتباكات الحزبية ، وعجز جميع الأحزاب عن القيام بإنقاذ البلاد .

قد تكون وزارة بريان التى سقطت بعيدة عن هذا ، بصفات أعضائها الديمقراطية ، إلا أن قيام الماريشال بلسودسكى الديمقراطى الذى عضدته أحزاب الشمال فى بلونيا حتى قلب الحكومة ـ قيامه مسيطرا مع هذا كله بقرب مسيطر فرنسى من بين أولئك الديموقراطيين .

فاز م. هيريو بغايته ، وألف وزارته بسرعة ، وجاء يدعو إلى تضحية وطنية ... تغنى عن القرض الخارجى ، وهذه التضحية الوطنية التى لا يشك أحد أنه لابد منها هى التى ـ فى الحقيقة ـ أسرعت بسقوط وزارة م. هيريو بسرعة تضاهى سرعة تأليفها . تتجه الأنظار ـ ونحن نكتب هاته السطور ـ إلى وزارة اتحاد ملى تشترك فيها جميع الأحزاب ، فإذا وفق البرلمان إلى تأليف هذه الوزارة كانت الأزمة فى طريق الحل بالغة ما بلغت التضحيات اللازمة (1).

(1) الشهاب : ع 41 ـ 16 محرم 1345 هـ ـ 26 جويلية 1926 م.

الوفـــود فى بـاريـس

كنا رغبنا من السيد المولود بن باديس ـ الأفوكا ـ أن يكاتبنا عما يشاهده من ملاقات الفرنسويين للوفود وما يلاحظه من أمور ، فتفضل وأرسل لنا كتابا هذا نصه مع بعض الديباجة :

أول ما يذكر هو القبول الذى شاهدناه من الحكومة ومن الأمـة بالأخص ـ مراعاة ـ اعتبار ـ إظهـار الوداد والفـرح ـ والفرح الذى شاهدناه من الأمة شيء مؤثر جدا جدا . وذلك فى المظاهرات الرسمية وفى الأزقة من جميع طبقات السكان ، وما توقف أحـد منا فى مسالك الطرقات إلا أتاه بوليس وغير بوليس يهديه الطريق، ولا يخفى أن الجولان فى الأزقة هنا شيء صعب جدا جدا ، وأؤكـد تأكيدا تاما أن ذلك القبول ليس مبعثه رغبـة الاطلاع عـلى أناس مجهول لباسهم ، بل مبعثه الإحساسات القلبية التى دل عليها تأثيرها فينا حتى صرنا نقول : إن مـن لم يتأثر لهـذا ويتمغطس بمحبة فرنسا والأمة الفرنسوية ـ فلا إحساس له .

حضرنـا أولا احتفالا بقصر البلدية،وحضره رئيس الجمهورية والوزراء والسلطان وكل الوفود المغربية والمشرقية ، وتليت فيـه الخطـب مـن رئيس البلديـة وعامـل باريس ورئيس الجمهورية والسلطان ، وكان موضوع الخطب الترحيب بالسلطان ومن معه ، والتعبير عن إخلاص فرنسا ومودتها نحو الإسلام .

فى طريق هذا الاحتفال كنـا مررنـا معشر الوفود داخل دار البلدية بين صفوف الأمـة الباريسية التى كانت تصفق التصفيق

الهائـل ، وتهتف الهتاف العـالى بألفاظ : تعيشوا ـ تعيشوا وما بمعناها ، وكنـا نجيب بالمثل : تعيش فرنسا وباريس ، حتى كان فينا من تأثر حتى بكى مما شاهد من أمة باريس اللطيفة الشعور . ومن ذلك الـوقت فهمنا كيف يمكن لأجنبى أن يضحى نفسـه فى هذا الوطن .

ثـم استدعى م. فيوليط الـوالى العام الـوفد الجزائرى بمحل خصوصى وجعل لـه احتفالا مـن جيبه الخاص ، تناول الوفد فيـه الحلويات والمشروبات (دون الخمر) فكانت هذه ضيفة الوالى العام لأبناء الجزائر .

ثم ذهبنا مع حضرته إلى قبر العسكرى المجهول ووضعنا عليـه تذكارا : قطعة من المعدن فى صفة جريدة نخل مرقوم عليها « الوفد الجزائرى إلى العسكرى المجهول » .

ثم استدعانا ـ نحن الجزائريين ـ وزير الداخلية بدار وزارته فحضرنا مـع والينا م. فيوليط ، وقوبلنا بذلك القبول المؤثـر ، وألقى أحد النواب الجزائريين خطبة أمام الوزير أثنى فيها عـلى فرنسا والأمة الباريسية فى حسن قبولها لنـا ، وعبر عن إخلاصنا لجانب الوالى العام وحسن سياسته معنا . وخطب جزائرى من تبسة بغتة ـ اعنى مـن دون أن يخبر بها قبل كما هـو الواجب ـ خطبة بالعربية ، وخطب السيد بوعزيز بن قانه باسم التراب العسكرى ، ثم ألقى الوالى العام خطبة رنانة عبر فيها عن حالة مسلمي الجزائر وحقيقة إخلاصهم لفرنسا وتعلقهم بها وما يستحقونه من جانبها ، فكان تأثيرها علينا لا يعبر عنه ـ ثم أجاب الجميع وزير الداخلية وقال : « إن عرضتنا إلى وزارة الداخلية لها معنى مخصوص ، حيث أن تلك الوزارة تعتبر دار الفرنسويين وأنتم تعتبرون منهـم » ، ثم وزعت الوسامات .

ثم حضرنا مع السلطان حفلة في وزارة الخارجية من أرقـــى حفلات الرقص الباريسية .

وحضرنا احتفال 14 جوليت ، فكانت مظاهر الإحساس الـودى نحو السلطان وعساكره ونحونا كلنا،مما كان لــه أجمل أثــر فى القلوب .

سأوافيكم بكتاب بعد هذا فى الكلام على المسجد والاحتفال الذى وقع به . (1)

(1) الشهاب : ع 42 ـ19 محرم 1945 هـ ـ 29 جويلية 1926 م .

حول خطاب سمو رئيس الجمهورية
في حفلة افتتاح مسجد باريس

موقف تاريخي عظيم في علاقات فرنسا والإسلام ، هو ذلك الموقف الذى وقفه رئيس الجمهورية في حفلة مسجد باريس ، الموقف الذى ألقى فيه خطابا جليلا ينم عن روح السماح والمودة والسلام ، وينطق بالإكبار والإعجاب والاحترام لمبادئ الإسلام .

لا عجب ، فقد علمتنا التجربة أننا كلما دنونا من الروح الفرنسوية الصميمة ، والفكر العلمى الفرنسوى الخالص ـ رأينا مجسما ما نعلمه من تاريخ فرنسا الحافل ، وسمعنا جلية آيات الحرية والأخوة والمساواة التى كتبت بدماء أولئك الأبطال ، فكنا بقدر ما نزداد إعجابا بفرنسا العظيمة ، نزداد تعجبا من قوم يعيشون باسمها ولا تنطبق أقوالهم وأعمالهم ـ فى الغالب ـ على ما رأيناه وما سمعناه .

أولئك الذين تبعثهم بواعث خفية على مهاجمة الإسلام بالإفك والزور .

أولئك الذين تحملهم أغراضهم الشخصية على تشويه سمعة المسلمين وقلب حقيقتهم .

أولئك الذين يرمون كل مدافع عن حقه من المسلمين المخلصين لفرنسا بأنه متعصب تعصبا إسلاميا !

هؤلاء المخطئون كلهم الذين يضرون بأنفسهم وبفرنسا وبأبنائها المخلصين ـ نريد منهم أن يلقوا أسماعهم ويحضروا قلوبهم لهذا الدرس النفيس من هذا الرجل العظيم ، ونسألهم بشرف فرنسا أن يأخذوا هذه المبادىء الإسلامية الفرنسوية التى فاه بها هذا الخطيب الرسمى الكبير ـ قواعد أساسية للسير فى حياتهم .

الإسلام دين الفطر : الإنسانية ، فكل أمة مشبعة بمبادىء الإنسانية ـ كفرنسا الديمقراطية ـ فإنها تجد نفسها بأقل نظر فى طريق الإسلام .

« احترام المروءة الشخصية والحرية الإنسانية والأخوة الواسعة تحت العدالة المتساوية ـ أصول صريحة فى آيات كثيرة من آي القرآن دعا القرآن إليها ، وماتت الألوف من أبطال فرنسا بعد ذلك بقرون فى سبيل تحقيقها ، فهى جديرة بأن تدعى مبادىء فرنسا ، فما على أبنائها وأبنائه اليوم ـ فى سبيل توطيد المحبة وخدمة الإنسانية وجنى ثمار الروابط التاريخية ـ إلا تنفيذ هذه الأصول تنفيذا دقيقا يكفل السعادة والهناء للجميع فى الحال والمآل .

الإسلام دين التهذيب الإنسانى : العقلى والنفسى والخلقى ، وما الحديث الشريف الذى أتى به سمو الرئيس وحمله هو على التصريح بتلك الحقيقة الناصعة والكلمة التاريخية الكبرى ... الإسلام لنا ولكم ، إلا نقطة من بحر آدابه .

هذا الإسلام ـ يا سمو الرئيس ـ الذى هو بتهذيبه لنا ولكم ـ هو الذى نريد من فرنسا أن تعيننا على نشر تعاليمه الصحيحة بين أبنائه وأبنائها الجزائريين ، نريد من فرنسا التى شيدت للإسلام معهدا عظيما فى عاصمتها ، أن تلفت نظر حكومة الجزائر إلى مزيد

الاعتناء بمساجدنا : بترميمها ، بإقامة المدرسين الدينيين المهذبين فيها ، بتوفير عدد القائمين عليها بتحسين مرتباتهم ليتفرغوا لها ، فمنها تنتشر التعاليم العالية والتهذيب الراقى الذى راق لحضرتكم وأعلنتم بالثناء عليه .

فليكن هذا المعهد الجليل بداية اعتناء خاص بشؤون المسلمين الجزائريين الدينية التى لها المحل الأقدس من قلوبهم ، وليبق رمزا خالدا إلى الود والإخلاص المتبادلين بين فرنسا وأبنائها المسلمين (1)

(1) الشهاب : ع 42 ـ 19 محرم 1945 هـ ـ 29 جويلية 1926 م .

وزارة الاتحـاد المـالى

« المالية الفرنسوية فى طريق التحسين »

ـ فرنسا تقتدى ببلجيكا ـ

كان الفرنـك الفرنسوى والفرنـك البلجيكـى قرينـين فى التدهور ، وكانت حالة البرلمان البلجيكي كحالة البرلمان الفرنسوى وقد وفق البرلمان البلجيكى أولا إلى تأليف وزارة اتحاد مـالى وتفويض سلطة محدودة للملك ، فحصل ارتفاع فجئى للفرنـك البلجيكى بسبب ذلك . وقال م. إيميل فندفيلد وزير خارجيـة البلجيك وزعيم حزب الشغل فى حديث له ـ مفتخرا ومعرضا ـ « على أن حكومتنا ليست حكومة أحزاب بل حكومة الأمة جمعاء » .

رؤية هذا التحسن المجئى بسبب وزارة الاتحاد المالى وخيبـة كل وزارة تعتمد على عصبة الشمال ـ مما دعا الأحزاب الفرنسوية إلى تأليف وزارة بوانكاري ـ .

لقد كان معلوما أن الأزمة لا تحـل إلا بإحدى طـرق ثلاثـة : ديكتاتور مسيطر ، أو تفويض لوزير مقتدر من وزارة تعتمد على أغلبية الشمال والوسط ، أو تأليف وزارة اتحاد . وما قام م. هيريو قومته المعلومة إلا خوفا مـن الطريقة الأولى . ولقد كـان م. كايو الوزير المقتدر الذى لا يختلف فى خبرته المالية الفائقة ، ولكنه له ماض معروف أكسبه أضدادا كثيرين لا يستهان بهم ، وخصوصا لما

انضم إلى م. هيريو المعروف بعزمه على الأخذ من رأس المال ، فلم تبق إلا الطريقة الثالثة وهي التي أنجزها البرلمان .

تألفت الوزارة تضم بين أعضائها زعماء غالب الأحزاب من مجلس الأمة ومجلس الشيوخ من رجال أدركوا خطورة الحالة ، وشمروا بلزوم الاشتراك للتعاون للدفاع عن الفرنك وإنقاذ الوطن من شفا هوة الهلاك .

تريد هذه الوزارة من البلاد أن تنقذ نفسها بنفسها ، وتريد أن تزيد في كثير من الأدوات مع تعديل ضرائب شتى ، وهي عازمة فيما يخص الديون المشتركة بين الحلفاء على التصريح بأن فرنسا لابد أن تفي بوعدها مع عدم الموافقة على اتفاق واشنطون بصورته الحاضرة .

اليوم الثلاثاء ـ ونحن نكتب هذه السطور ـ تتقدم هذه الوزارة للبرلمان وينتظر تحصيلها على معاضدة حزب الوسط الشمالي وحزب الشمال الراديكالي وغالب الجمهوريين من الاشتراكيين ومعظم الراديكاليين مع أحزاب اليمين ، فتحصل بذلك على أغلبية قوية ، ويبقى في صف المعارضة الشيوعيون والاشتراكيون والمتشددون عن الراديكاليين . وأما تحصيلها على أغلبية عظيمة في مجلس الشيوخ فأمر محقق لمطابقة انتخاب م. بوانكاري رئيسا للوزارة لأمنية عموم أعضاء هذا المجلس العالي وابتهاجه بتخصيص أربع وزارات بأربعة من شيوخه .

إن المالية اليوم لا شك أنها في طريق التحسين ، وأن تباشير ذلك قد لاحق في أخذ الفرنك في الصعود ـ ولو بالشيء اليسير ـ .

إن حقد الماليين على عصبة الشمال وقلة ثقتهم بها ، وتهريب رؤوس الأموال إلى الخارج ـ كل هذه كانت أسبابا قوية في الأزمة المالية التي تجرعنا مرارتها .

أما اليوم فإن عصبة الشمال قد انحلت ، وجاء م. بونكارى محل ثقة الماليين ومحبتهم فلم يبق لهم إلا تأييده ومناصرته ، وذلك من أعظم ما يعتمد عليه فى الوصول إلى غايته . (1)

(1) الشهاب : ع 42 ـ 19 محرم 1945 هـ ـ 29 جويلية 1926 م .

حول كلمة من وزيــر الداخلية للوفــد الجزائرى
« إن عرضتكم لوزارة الداخلية لهــا معنى مخصوص ، حيث إنهــا تعتبر دار الفرنسويين ، وأنتم تعتبرون منهــم »

كان كتاب السيد المولود بن باديس الذى نشرناه فى العدد الماضى شاهد عيان لما لقيته الوفود الإسلامية من أمة باريس ، وتأييدا لما سبقه إلينا من الأنباء وكتبنا عليه مقالنا « ثم فرنسا .. وكفى .. ».

أفادنا ذلك الكتاب أن الوفد الجزائرى كانت له ميزة بين الوفود، وخصوصية خص بها ، دلت عــلى منزلة الجزائريين الرسمية عنــد الأمــة الفرنسوية وحكومتها . تلك الميــزة هى دعوته إلى وزارة الداخلية دون سائر الوفود ، حتى ألقى عليه جناب وزير الداخلية خطبة رنانة قال فيها كلمته العظيمة التى حلينا بها طالعة هذا المقال معتبريــن إياها كوثيقة رسميــة لعضويتنا الصحيحة فى الجسم الفرنسوى العظيم .

قــد كــان الجزائريون يعتبــرون فرنسويين قبــل اليــــوم ، (Sénatus Consulte de 1865) (قانون ترسيم وتحديد الأراضى سنة 1865) ، ولكنهم لم تكن لهم حقوق الفرنسويين ، ولا عليهم واجباتهم. أما اليوم فإنهم قد أنيطت بهم جميع واجبات الفرنسيس ونهضوا بها ، وإن لم ينالوا جميع حقوقهم ، فلذا كان للجزائريين اليوم أن يتلقوا هذه الكلمة الوزارية بكامل السرور والابتهاج ، ويطالبوا فرنسا العظيمة بتحقيق مقتضى هذه الكلمة فى قسم الحقوق مــن جانبها ، كما حققوا هم مقتضاها فى قسم الواجبات من جانبهم .

بحق نعتبر فرنسويين ، لأننا أدينا ونؤدى واجبنا العسكرى ككل فرنسوى .

بحق نعتبر فرنسويين ، لأننا أدينا ونؤدى واجبنا المالى ـ ضريبة وقرضا ـ ككل فرنسوى .

والنفس والمال غاية كل ما يبذله مخلص لمن أخلص له .

فمن الحق أن تكون مدتنا في العسكرية وراتبنا فيها وترقينا فى رتبها ككل فرنسوى .

ومن الحق أن نمثل بمجالس الجزائر والبرلمان تمثيلا صحيحا ككل فرنسوى .

ومن الحق أن نكون أمام القانون والعدالة ـ بدون « انديجنية ولا تحجير » ـ ككل فرنسوى .

لكلمة الوزير قيمتها الرسمية ، ومنزلتها الجدية ، فنحن نرجو أن تخرق ما يقيمه بعض ..؟ من الحواجز بين الجزائريين وحقوقهم على أم الوطن ، وتكون فصلا بين ماض رددنا فيه الشكوى ، ومستقبل لا نردد فيه إلا الشكر .

قال الوزير كلمته ـ وهو عالم بمقتضاها ـ للوفد الجزائرى الممثل للجزائر : بجزائريتها ولغتها وديانتها وتقاليدها و « قنانيرها » ، ولم يكن شيء من هذا مانعا لها فى نظره من أن تعتبر فرنسوية لها ما لجميع أجزاء فرنسا وعليها ما عليها .

فضل قوم ـ لهم احترامنا ـ حسبوا أن الجزائر لا تستحق حقوقها مع قيامها بجميع الواجبات حتى تنسلخ من جميع تلك الخصوصيات .

وضل آخرون ـ لهم احترامنا أيضا ـ حسبوا أن الجزائرى إذا

حافظ على لغته وديانته وتقاليده لا يكون سائرا فيما يرضى فرنسا ويوافق سياستها .

لا ، أيها السادة !

نحن جزائريون مسلمون نحافظ على جزائريتنا وإسلامنا ، ونحن فرنسويون نقوم نحو فرنسا بكل واجباتنا .

هذه هي فكرة كل جزائرى ، وها نحن نفصح بصدق وإخلاص عنها ، وقد جاءت كلمة هذا الوزير الخطير للوفد الجزائرى تأييدا وتقريرا لها .

فكل سياسة تخالفها فهى غير مرضية عند الجزائريين ، ولا موافقة لإرادة فرنسا .

فإذن ، خير ما يعمله العاملون ـ هنا وهناك ـ هو السير عليها ، لمجد فرنسا وسعادة الجزائر ، لأجل خمسة ملايين تحمى الراية المثلثة الألوان . (1)

(1) الشهاب : ع 43 ـ 23 محرم 1345 هـ ـ 2 أوت 1926 م .

ديون أميركا واتفاق واشنطون

(وجهة النظر اليوم فيها)

لا أحد يجهل أن الصدمة الأولى من الحرب الكبرى لقيتها فرنسا بمالها ورجالها وحدها حينما كانت انكلترا تستعد للحرب ، وكانت أميركا بعيدة جدا عنها ، فإذا كان تحصيل النصر مشتركا من الجميع فلفرنسا بهذا الاعتبار معظم الفضل فيه . وإذا كانت أميركا بذلت أموالا طائلة لتعجيل النصر فإن فرنسا بذلت نفوسا كثيرة إذا لم تكن أعظم من كل مال فهي مكافئة له ، فمن الحق أن تسقط أميركا ديونها الحربية أو على الأقل تخفف شروط اقتضائها وتظهر سماحا كليا مع الفرنسويين ، لكن أميركا الأمة المادية تأبى على فرنسا إلا أخذ جميع ديونها والتشديد في شروطها .

في 29 أفريل الماضي أمضى م. بيرانجي سفير فرنسا ومستر ميلون وزير أميركا اتفاقا في ديون أميركا قبل فرنسا وهو المعروف باتفاق واشنطون .

كان م. كايو في ذلك العهد يحاول هو ومعارفوه بكل قواهم أن يدخلوا في الاتفاق النص على توقيف الدفع في حالتين : إذا امتنعت ألمانيا من الدفع لسبب معقول أو غير معقول . وإذا أدى الاستمرار على الدفع إلى تدهور الفرنك وارتباك الحالة المالية والاقتصادية ، فلم ينجحوا ، وأمضى الاتفاق بعد بدون هذا النص .

ليس خلو الاتفاق من هذا النص وحده جاعلا إياه في غير

مصلحتنا ، بل قد تضمن الاتفاق أمرا خطرا حقيقة على فرنكنا فيما يحتمل وقوعه في المستقبل ، فقد نصت على إمكان تحويل الديـون الفرنسوية إلى ديون تجارية تعرض أسهمها فى أسواق العالم بسعر القطع اليومي ، وبضمان الحكومة الأميركية ، وفي هذا إذا أقدمت على تنفيذه أميركا القضاء على فرنكنا بدون أن تصاب مصالحها هي بشيء .

كانت جمعية الخبراء أشارت بلزوم المبادرة إلى تنفيذ هذا الاتفاق على ما فيه ، ولكن الفكر الفرنسوى العام أظهر إباية ونفورا منه ، وقـام مشوهو الحرب ومنكوبوها بتظاهراتهم العظيمة المؤثرة فى « ١١ جوليت » ، فمشت منهم عشرات الألوف في شوارع باريس ، ووقف موكبهم أمام تمثال واشنطون ، ووضعوا عليه إكليلا مـن الزهر يمثل الراية الفرنسوية والراية الاميركية ولوحة من المعدن نقش عليه : دعوة إلى الاميركيين بأن يفتحوا مسألة الديون مـرة أخرى . قاموا بهذه التظاهرة يناشدون ضمير الأمة الاميركية باسم الآلام المتحدة والنصر المشترك أن تعطف عـلى فـرنسا فى أزمتها المالية فتخفف من وطـأة الشروط الثقيلة التى فى ذلك الاتفاق ، ولكن أميركا المادية ـ كما قلنا ـ تأبى ، كما تصرح صحفها إلا أخذ ديونها أولا ، وأنها لا تقرض فلسا قبل التصديق على الاتفاق .

ووزارتنا اليوم ـ تجاه هذا كله ـ نظرا لشرف فرنسا تعلن بأنها تبـر بوعدها ، وتعمل لقضاء جميع ديونها ، ونظرا للفكر العـام الفرنسوى والمصلحة الفرنسوية تصرح بأنه لا يمكن إمضاء الاتفاق ما دام على صورته الحاضرة ، وحيث كانت تعتمد فى تحسين الحالـة المالية عـلى ما يبذله الفرنسويون أنفسهم ، فلا تبـالى كثيرا بمثل قرض أميركا الخارجي . (١)

---

(1) الشهاب : ع 43 ـ 23 محرم 1345 هـ ـ 2 أوت 1926 م .

فضيحة انكليزية

كان سقوط لوريد جورج من كرسي الوزارة بعد ما لعب الأدوار الكبرى في السياسة العالمية في أحرج وقت مر على بني الإنسان ـ قد أبقى في صدره حرجا لم تزله الأيام .

لم يكن هذا الحرج ليحمله على مضادة أمته ـ هذا مرض لا توجد جراثيمه في الدم السكوني ـ وإنما حمله على مضادة حكومته ، وكان من نتائج تلك المضادة أن تصدى لإبداء فضائحها وإظهار دسائسها التي تأتيها في سبيل سياستها ، وإن كانت شرا على حلفائها وخطرا عظيما على السلم العالمي .

من هذه الفضائح المخجلة والدسائس المخطرة التي كشفت من طريق لوريد جورج ـ هذا النبأ الذي جاءتنا به الصحف في هذا الأسبوع :

نشرت جريدة « الديلي كرونيكل » لسان م. لوريد جورج مقالا افتتاحيا ذكرت فيه أن حكومة بلدوين عرضت على الحكومة التركية سرا في شهر مارس الماضي بواسطة إحدى محلات التجارة ببيرمنغام مائة ألف بندقية بريطانية بساكيها ومائة مليون من الخرطوش ، وإن عرض هذه الكمية كان بموافقة خاصة من وزير الخارجية البريطانية السير وستن شمبرلان ، ثم أكدت قطعيا صحة هذه التهمة حتى حمل ذلك عدة نواب في مجلس العموم البريطاني على طرح المسألة على بساط البحث ، وإلقاء الأسئلة فيها على حكومة بلدوين .

لم يسع وزير الخارجية أمام هذا الاعتراف بوجود مفاتحة كلام مــن بعض الشركات الانكليزية لحكومة أنقــرة من غير أن تتدخل وزارة الخارجية فى شىء مــن ذلك ، وأخيرا أجاب بأن الالتزامات والعهود المتبادلة بين انكلترا والدول لا تمنع الشركات الانكليزية من بيع الأدوات الحربية لانقرة ، بعد أن تطلب رخصة مــن وزارة الخارجية ، التى لا ترى أقل مانع مــن إرسال أسلحة وعدد حربية لتــركيا !

فهل كان هذا السلاح يــراد إعطاؤه لتأييد الاتراك في مسألــة الموصل ؟! هذا ما لا يكون ، لكن الذى لا يجهل عن سياسة انكلترا أنهــا لا تفتــأ تستعمل أضعف أعدائها فى أفواهم ، ولكنها تبــوء بالخيبة إذا وجــدت العقــل التركى الــذى يعسر عليها أن يغتــر بدسائسها . (1)

(1) الشهاب : ع 46 ـ 3 صفر 1345 هـ ـ 12 أوت 1926 م .

روسيا في اضطراب

ونظام السوفيات في دور انحلال

لقد أتقن زعماء البلشفة الهدم والتخريب ، ولكنهم عجزوا عن البنيان والتشييد ، وروسيا اليوم تحت إدارتهم يكتنفها الخطر من الخارج ، ويزعجها الاضطراب من الداخل ، زيادة عن ما تمانيه جميع الطبقات فيها من أنواع المتاعب المؤلمة .

المارشال بلسودسكى الزعيم البولونى زاد عدد جيشه زيادة كبرى ، ومنع ضباط جيشه الضارب على تخوم « ليتوانيا » من أن يغادروا مراكزهم ، ولم يمنحهم العطلة الصيفية ، والإشاعات متكررة ومؤكدة بمقاصد هذا المارشال ومراميه إلى اجتياح « ليتوانيا » البلد الصغير الواقع على البحر البلطيكى ، وهذا خطر مهدد لروسيا من غربها ، مثل ما يهددها اتصال الخطير اليابانى والصينى فى شمال « منشوريا » بشرقها .

أما فى داخلها فإن الخلاف متمكن بين زعمائها المعتدلين والمتطرفين مما أدى إلى إلقاء القبض على الزعيم زينوفياف وتأجيل اجتماع المجلس التنفيذى لحكومات السوفيات إلى ربيع عام 1927 لتعذر الشروع الآن فى الانتخابات . وهذا الخبر الرسمى ـ كما قالت الماتان ـ : يؤذن بقلق الحكومات السوفياتية ، ويبرهن على أن المجلس التنفيذى لم تبق له السلطة الكافية على الحالة العمومية بروسيا .

والذى يجعل الحكومة السوفياتية فى خطر حقيقى من ثـورة عسكرية هو الزعيم تروتسكى الذى بعد ما عاد من منفاه استرجع ما كان له من النفوذ ، وخصوصا عند الجيش حتى أصبح أعداؤه يخشون من إيقافه وقوع ثورة تعجل بالقضاء على النظام الموجود .

قد اندلع لهيب الثورة فعلا ، فقد جاءت الأنباء بصدور الأوامر بالتجهيز العام وبرجوع جميع الروس المطلوبين بالخدمة العسكرية إلى بلادهم ، ثم جاءت الأنباء بإعلان أسطول البحر الأسود الروسى الثورة ضد الحكومة واحتلاله لبعض المدن ، وبوقوع ثورات عسكرية فى عدة جهات .

إن القياصرة سامبوا الأمة الروسية أنـــواع الخسف والـذل باستبدادهم ، وأن لينين ورفقاءه رموا بها فى تجربة مؤلمة بفشلهم، ولعل ما شاهدته الأمة الروسية من البلايا والمحــن فى العهدين ــ يعرفها هى وغيرها ، أن النظام الصحيح هو النظام الديمقراطى المعتدل الذى لا إفراط فيه ولا تفريط (1) .

(1) الشهاب : ع 47 ــ 7 صفر 1945 هـ ــ 16 أوت 1926 م .

مسألة الحبشة ـ تجربة لاستقلال جمعية الأمم

مملكة الحبشة مملكة مستقلة ، ولكنها شرقية ومنحطة ، فكانت معرضة بطبيعة الحال للنفوذ الاوروبى ؛ لفرنسا وانكلترا وايطاليا ، فيها مصالحها ومنشآت وقع اتفاق فيها بين هاته الدول الثلاث الكبرى سنة 1906 على وجه يضمن لها مصالح بدون تصادم مع المحافظة على استقلال الحبشة .

دخلت الحبشة فى جمعية الأمم كدولة مستقلة لها جميع الحقوق التى لسائر الأعضاء ، وعليها جميع الواجبات ، ولكن ذلك لم يمنع ايطاليا وانكلترا من الاتفاق على رأسها بدون علمها ، فظهر بعد اجتماع السراتسن تشامبرلان والسنيور موسولينى برابالو مذكرات بين الدولتين ، ثم وقع الاتفاق بينهما على أن يكون لإيطاليا وحدها حق النفوذ الاقتصادى فى غربى الحبشة،وتنال انكلترا فى مقابل ذلك تأييد ايطاليا لها فى الحصول على إذن من الحبشة ببناء خزان « نسانا » والسيطرة على المنابع العليا للمياه التى تسقى السودان ومصر .

قد كان فى هذا التصرف من الدولتين تعد على الحبشة من جهة ، وعلى معاهدة 1906 من جهة أخرى ، فبادرت الحبشة بتقديم احتجاج إلى كتابة جمعية الأمم وتلقته صحافتنا الفرنسوية بالتأييد . فقالت جريدة « كوتيديين » : إن احتجاج الحبشة كان متوقعا ، فقد رابها أمر الاتفاق وهى تسائل ألا يمس حقوقها كدولة ذات سيادة . وبالرغم من أن انكلترا وايطاليا محاولان حملها على

الاطمئنان ، ترى من المفيد أن تعرض قضيتها على عصبة الأمم كي تبحث هذه الهيئة المنزهة عن الغرض ، نصوص الاتفاق بحثـــا دقيقا . وقالت جريدة « لى ديبا » : إنه لا ينكر على الحبشة حقها فى أن تعرض على العصبة مسألة تتعلق بمستقبلها واستقلالها مباشرة، ويحتمل أن الحكومتين الانجليزية والايطالية ستحاولان مقابلة عمل الحبشة باتهام الحكومة الحبشية بعدم القيام بعهودها فيما يتعلــق بتجارة السلاح والرقيق . وقد سبق توجيه انتقاد إلى الحبشة فى جنيف فى هذا الصدد ، ولكن ليس من السهل التسليم بأن عــدم قيام الحبشة بهذه العهود يبرز السيطرة الاقتصادية فى بلاد دولة هى عضو فى عصبة الأمم .

ستعرض هذه المسألة على جمعية الأمم فى اجتماعها القــادم ، وسيكون حكمها فيها دليلا قطعيا لأنصار جمعية الأمم أو لخصومها(1)

(1) الشهاب : ع 48 ـ 11 صفر 1345 هـ ـ 20 أوت 1926 م .

المعاهدة الإيطالية الإسبانية

أهم الحوادث التي جاءتنا بها الأنباء عن السياسة العالمية هي المعاهدة الايطالية الاسبانية التي أمضتها الحكومتان بمدريد في 7 أوت الحالي .

قلنا أهم الحوادث ، لأنها تتعلق في الحقيقة بمسألة التوازن الدولي بالبحر الأبيض المتوسط ، وترمي إلى الغايات الاستعمارية والتحرشات العدائية التي يأتيها م. موسوليني بجميع أعماله السياسية اليوم .

قد كانت إيطاليا منذ مدة قريبة عقدت معاهدة مع تشيكوسلوفاكيا وأخرى مع يوجوسلافيا تشبهان إجمالا معاهدتها مع اسبانيا ، إلا أن هذه أوسع نطاقا وأبعد مرمى منهما ، ولذا أثارت ضجيجا في عالم السياسة ، وعلقت عليها الصحف بشروح ضافية .

تقول الصحف الايطالية : أن نص المعاهدة سيبقى مكتوما إلى أن يسجل في جمعية الأمم ، ولكنها ذكرت أنها تشتمل على إحدى عشرة مادة ، وأنها تقتضي تعاون ايطاليا واسبانيا في أميركا الجنوبية وفي البحر الأبيض المتوسط ، وتتضمن فصلا يوجب الحياد على كلتا الدولتين إذا دخلت في حرب لم تكن فيها معتدية . وهذه النقط الثلاثة لاشك أنها النقط الجوهرية في المعاهدة وأهمها نقطة التعاون بين الدولتين في البحر الأبيض المتوسط .

من المعلوم أن كل ما يتعلق بالتوازن الدولي بهذا البحر يهم السياسة البريطانية كثيرا ، ولهذا اهتمت بهذه المعاهدة الصحف

الانكليزية اهتماما زائدا . ولكن المكاتب السياسى بجريدة الدايلى تلغراف يقول : لا يشعر أحد فى لندن بأى قلق من التعاون الايطالى الاسبانى . وقالت جريدة « وستمنستر » : إن الإشارات الودية إلى المصالح البريطانية تدل على التعاون الوثيق بين لندن وروما ، وقد جذبت اسبانيا الآن إلى هذا المحور على إثر زيارة الملك آلفونسو للندن . وهذه الاقوال ومثلها من الصحف الانكليزية تعرفنا بموقف بريطانيا إزاء هاته المعاهدة وضلعها مع موقعيها .

الواقع هو أن هذا التفاهم الايطالى الاسبانى يهمنا نحن الفرنسويين قبل كل أحد ، فإنه يجعل الطريق بين فرانسا وشمال افريقيا بين عدوين ، ويقوى مركز اسبانيا فى مراكش ، ويؤيد مطالب ايطاليا فى تونس ، وهى مثار هذه المناوآت الطليانية كلها .

ربما تتحد الأختان اللاتانيتان على الأخت الثالثة ، وربما يكون السينيور موسولينى على يقين من ترجيع مستعمرات رومه الافريقية إذ ذاك ، ولكن ليعلم من الآن أن مسلمى شمال افريقيا الذين دافعوا عن فرنسا خارج بلادهم سيدافعون عنها يوم ذاك ـ بالأحرى ـ فى بلادهم ، ويذيقون أبناء ايطاليا ما أذاقوه لأبناء المانيا فى المارن وفيردان ، لأنهم لا يبغون بفرنسا بديلا من جميع الدول . (1)

(1) الشهاب : ع 49 ـ 10 صفر 1345 هـ ـ 23 اوت 1926 م .

التقــرب الألمـــانى الافــرنسى

كل التنافس الاقتصادى والحقــد الموروث بــين هاتــين الأمتين العظيمتين أقوى الأسباب التي قسمت أوربا إلى معسكرين عظيمين متعاديين ، وأدى ذلك حتما إلى نشوب الحرب العظمى بقطع النظــر عن المسؤول عنها مباشرة .

إن خيبة المانيا فى الحرب أفهمتها أن غاياتها العالمية لا يمكن أن تنال بطريق السيف والنار ، والخراب والدمار ، فأخذت تسعى إليها من طريق التجارة والاقتصاد ، وهى تنتهز كل فرصة تسنح لهـــا لبلوغ غايتها من هذا الطريق .

إن هاتين الأمتين ،عــلى ما كان بينهما من اختلاف وتنافس،قــد جعلتهما طبيعة أرضهما فى حاجة أكيدة إلى بعضهما لا تستغنى معها إحداهما عــن الأخرى ، ففرنسا أغنى دول أوربا بمناجم الحديد ، وألمانيا من أغنى دول العالم بمناجم الفحم ، وفى مناجمهما صنف خاص منه لا تستغنى عنه مصاهر الحديد الفرنسوية ، ولا تجده فى بلد آخر .

هذه الحاجة الاقتصادية دعت رجال الصناعة ـ ولهم النفوذ العظيم فى السياسة ـ إلى التفاهم للتعاون على مصالحهم الخاصة ، ولإيجاد تضامن اقتصادى يعود على الأمتين بالنفع الجزيل ، وقــد يؤدى إلى تضامن سياسى عظيم .

إن المانيا هــى البادئة بالتقرب ، وكان مــوقف فرنسا مــوقف التروى والحــذر ، ولكــن المصلحة الاقتصادية المرتبطة والتفاهم

الواقع بين زعماء الصناعة بالأمتين ، دفع بالسياسة إلى الاتجاه نحو الاتفاق والتضامن،فوقع نواب الأمتين فى أوائل الشهـر الجارى بباريس اتفاقيتين اقتصاديتين بين الدولتين إحداهما معاهدة تجارية وقتية ، والأخرى تتعلق بنظام الجمارك بوادى السار ، يقصد منها تنشيط حركة التجارة .

لاشك أن الدول التى لا زالت تسعى لإيجاد الشقاق بـين ألمانيا وفرنسا لتحصيل مصالحها الخاصة ، تـرى هذا التقرب بعين ملؤها البغض والحذر ، ولكن الذين يحبون السلم حقيقة يغتبطون بـه ، ويتمنون أن يزداد توطدا ورسوخا بين هذين الشعبين العظيمين (1)

(1) الشهاب : ع 50 ـ 18 صفر 1345 هـ ـ 26 اوت 1926 م .

نحن صرحاء والصريح لا يخاف

سياستنا واحدة من يوم التأسيس

إن الذين يضمرون العداء،أو يحاولون إيقاع الشر،أو يرمون إلى إبطال حق أو إحقاق باطل هم الذين يحتاجون إلى التكتم ، ويضطرون إلى المداجاة ، ويكونون إلى ذلك في خوف واضطراب وتوبيخ ضمير – ما دام لهم ضمير !

أما الذين لا يضمرون إلا ولاء،ولا يقصدون من أعمالهم إلا خيرا، ولايريدون إلا الحق لهم أو عليهم ، فإنهم في غناء عن التكتم والمداجاة ، وبمنجاة من الخوف والوجل .

هذه الصحيفة – وأعدادها شاهدة – ما عرضت لطلب أو دفاع أو رد أو تعليق إلا عرضت له في جلاء ووضوح ، وصدق وصراحة، بدون تحيز أو تحامل ، وبغير إذاية أو تضليل ، متنكبة سبيل التزلف والإطراء الذى تأبى سلوكه نفوس الأحرار ، ويستوبل مغبته المفكرون المخلصون ، وإذا كانت قد ذكرت قوما بنقصهم أو خطئهم فقد ذكرت قوما بما لهم من كمال وصواب ، ولا يكون الإنصاف إلا بذكر كل فريق بما له أو عليه .

إن الخطة السياسية التى سلكتها هذه الصحيفة وتسلكها هى خطة واحدة من يوم تأسيسها إلى اليوم .

وللاستدلال على ذلك ننقل ما كنا قلناه فى كتاب لوزير الداخلية ونشرناه في العدد الثاني من « الشهاب » وهو مطابق تمام المطابقة لما نشرناه في العدد التاسع والأربعين :

« فنحن يـا فخامة الوزير بكل احترام للحكومة والقانون نرفع لكم احتجاجنا على هذا التوقيف ، مع عدم سؤالنا ولا سماع حجتنا واعتذارنا ، ولا تعزيفنا على الأقل بسبب التوقيف ، لنكون منـه ومن مثله على حذر وبصيرة .

وانّنا بهذه المناسبة نقدم لحضرتكم بيانا تاما لخطتنا ومقاصدنا ليكون لنا كوثيقة رسمية في وزارتكم الجليلة فنصرح :

أولا : بأننا ما أسسنا مشروعنا إلا على مبادئ فرانسا الديمقراطية التي برهنا كجميع الجزائريين على إخلاصنا لها وتعلقنا بها .

وثانيا : بأننا لما كنا نعتبر فرنسا دولتنا ونعتبر أنفسنا أبناءها ـ نرى أن من حقوقنا أن ننال منها جميع ما يناله جميع أبنائها .

وثالثا : أننا نـرى من واجبنا أن ندعو الامة الجزائرية للقيام بواجبها نحـو دولتها ـ كذلك نرى من واجبنا أن ننبه الدولة الى حقوق ومصالح الجزائريين .

ورابعا : أننا إذا دافعنا أشخاصا أو أحزابا عن مصالحنا ، فـإن ذلك لا يكون منا إلا خاصا بهم ما دمنا مختلفين فى رأي أو مصلحة ، ولا يجوز بحال أن يفهم من ذلك أننا معارضون لفرنسا التى هـي للجميع ، فإن الحكومة يجب أن تكون فى نظر كل أحد ، وأن تبقى هي فى نفسها فوق الأشخاص والأحزاب .

هذه تصريحاتنا يا فخامة الوزير بكل صدق وصراحة ، ونرجو بعدها أن نـامل معاملة أبناء فرنسا العاملين المخلصين .

وتقبلوا منا لجنابكم مزيد الاحترام .

هذا ما نقوله دائما ونعمل على تحقيقه ، ونرجو من كل فرنسى حر تأييدنا فيه ، خدمة للصالح العام . (1)

---

(1) الشهاب : ع 52 ـ 25 صفر 1345 هـ ـ 2 سبتمبر 1926 م .

تعطيل « السنة » وإصدار « الشريعة »

روعت الأمة بنبإ تعطيل جريدة « السنة » بقرار من وزارة الداخلية ، وتقاطرت على الإدارة رسائل الاستياء والتعجب ، ولم يكن تعجب الناس من تعطيل جريدة دينية بعيدة كل البعد عن السياسة دون استيائهم من عرقلة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن عملها الدينى التهذيبى الذى ذاقت الأمة حلاوته ، وشاهدت جميل أثره .

أما نحن فقد شاركنا الأمة فى الاستياء ولم نشاركها فى التعجب، فقد كنا توعدنا بأشياء هذا التعطيل أحدها،فجاء ونحن له متوقعون، غير أن الذى نعجب منه،نحن المباشرين لتسيير الجمعية،هو التبدل العظيم والانقلاب السريع الذى شاهدناه من بعض الإدارات نحو الجمعية .

لقد تجولت وفود الجمعية السنة الماضية فى جميع جهات الوطن، وألقى وعاظها خطبهم ودروسهم فى المحافل العامة ، وكثيرا ما كان يحضرها رجال من الحكام ، وكانوا يلقون من شيوخ البلدان الاميار وحكام الدوائر كل تعضيد وتقدير ، وقابلنا بعذ تمام (1) الرجل إدارة الشؤون الوطنية بالعاصمة ، فلم نسمع على خطتنا أدنى إنكار ، ولم نتلمح أقل إشارة الى ارتياب فى الجمعية واستثقال لأعمالها ، فما الذى بدل العقول وحول النيات ، وحمل

(1) ولعل بعد تمام الرحلة أو الجولة .

بريفي العاصمة على ابتداء منازلة الجمعية بقراره المشهور ، وحمل تلك الإدارات على مناوءة الجمعية ومضايقة رجالها وعرقلة أعمالها حتى عطلوا جريدة « السنة » لغير ما سبب ، إلا أنها جريدة الجمعية ولسان حالها ؟

هذا محل سؤالنا ومناط تعجبنا !

وبعـد ، فما ينقـم علينا الناقمون ؟ أينقمون علينا تأسيس جمعية دينية إسلامية تهذيبية تعـين فرنسا عـلى تهذيب الشعب وترقيته،ورفع مستواه إلى الدرجة اللائقة بسمعة فرنسا ومدنيتها، وتربيتها للشعوب وتثقيفها ؟ فإذا كان هذا ما ينقمون علينا فقد أساءوا إلى فرنسا قبل أن يسيئوا إلينا ، وقد دلوا على رجعية فيهم وجمود لا يتناسبان مـع المبادىء الجمهورية ، ولا مـع حالة هذا العصر . أفتكون فى الهند جمعيات للعلماء تقوم بأعمالها بغاية الحرية والهناء عشرات من السنين تحت السلطة الانجليزية الفاشمة وتضيق صدوركم أنتم عن تكوين جمعية واحدة للعلماء المسلمين بالجزائر تحت المبادىء الجمهورية العادلة المشمة بعلومها على الأمم فتناهضوها وهى ما تزال فى المهد ؟ أفظننتم أن الأمة الجزائرية ذات التاريخ العظيم تقضى قرنا كاملا فى حجر فرنسا المتمدنة ، ثم لا تنهض بجنب فرنسا تحت كنفها يدها فى يدها ، فتاة لها من الجمال والحيوية ما لكل فتاة أنجبتها أو ربتها مثل (مثل) تلك الأم ؟ أخطأتم يا هؤلاء التقدير ، وأسأتم الظن بالمربي والمربى ، وبعدتم عـن العلم بسنن الكـون في نهضات الأمـم بعضها ببعض عنـد الاختلاط أو التجاور أو الترابط بشيء من روابط الاجتماع .

انظروا شيئا إلى ما حواليكم من الأمم ، وتأملوا فيما تنادى به الشعوب وما تعلنه من مطالب ، فإنكم إذا نظرتم وتأملتم حمدتم لهذه الجزائـر الفتية نهضتها الهادئة وتمسكها المتـين بفرنسا ، وارتباطها القوي بمبادئها ، وعدها نفسها جزءا منها ، وقصرها

لطلبها منها على أن تعطى جميع حقوقها كما قامت بجميع واجباتها، وأن لا يتقدمها فى أيام السلم من قد لا يساويها فى أيام الحرب .

لا ، لا أخالكم ، تنظرون ولا تتأملون ، فإن الاثــرة المستولية على النفوس حجاب كثيف يحــول دون رؤيــة الحقائق كما هى ، ويحول حتى دون رؤيــة مصلحة فرنسا الحقيقية نفسها . وإنــى لأفهم من مناهضتكم العجيبة للجمعية،وهى جمعية دينية تهذيبية بعيدة عن كل سياسة ـ أنكم لا تريدون من الجزائر إلا أن تبقى جامدة ، وأن لا تتمتع بشىء من الحــق إلا ما لا غناء فيه ولا بقى معه . ولعمر الحق أن من يريد هذا بالجزائر اليوم لمخالف للشريعة والطبيعة ، إذ مــن الطبيعى أن تتحرك الجزائر ضمن الجمهورية الفرنسية فى زمان تحرك ما فيه حتى الحجر ، ومــن الشرعى أن تنال منها من الحقوق كفاء ما قامت به من الواجبات .

أستكثرتم على الجزائر أن تكون لها جمعية لها منزلتها العظيمــة فى قلبها ، وجريدة لها قيمتها الكبيرة فى نظرها ؟ فنبشركم أنــه سيكون للجزائر الفرنسية جمعيات وصحف ، وسيكون لها وسيكون .. حتى يقف المسلم الجزائرى مع أخيه من بقية أبناء فرنسا على قدم المساواة الحقة التى يكون مــن أول ثمراتها الاتحاد الصحيح المنشود للجميع .

أم هالكم أن يكون فى أبناء الجزائر الفرنسوية مــن لا يزحزه عن مبدئه وعد ولا وعيد ، ولا يستهويه رنين ولا زخرفة ؟ فنبشركم بأن الجزائر المقطورة عــلى مبادىء الإسلام ، والمتغذية بمبادىء فرنسا ، أنجبت وتنجب رجالا كما رأيتم وفوق ما تظنون ، رجالا تفتخر بهم فرنسا كما تفتخر بسائر أبنائها الأحرار .

كونوا كمــا تشاءون أيهــا الســادة ، فلكــم ـ وأنتم تمثلون ما تمثلون ـ كل احترامنا . وظنوا بنا ما تشاءون ، فإنا على بصيرة

من أمرنا ، ويقين من استقامة خطتنا ونبل غايتنا ، ومهما تبدلت اعتقاداتنا في أناس بتبدل معاملاتهم لنا فلن تتبدل ثقتنا بفرنسا وقانونها .

وعلى خطتنا المستقيمة وهى نشر العلم والفضيلة ومقاومة الجهل والرذيلة .

وعلى غايتنا النبيلة وهى تثقيف الشعب الجزائرى المرتبط بفرنسا،ورفع مستواه العقلى والخلقى والعملى إلى ما يليق بسمعة فرنسا .

وعلى ثقتنا بعدالة فرنسا وحرية الأمة الفرنسية وديمقراطيتها.

ـ أسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،وأسست جريدة « السنة » المعطلة ، وأسسنا اليوم بدلها جريدة « الشريعة المطهرة » وستقوم ـ إن شاء الله ـ مقامها وتحل من القلوب محلها ، والله المستعان،وهو حسبنا ونعم الوكيل (1) .

(1) الشريعة ـ السنة الاولى ـ العدد الاول يوم الاثنين 24 ربيع الاول 1352 هـ ـ 17 جوان 1933 .

رد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
على خطاب ابن غراب

ـ I ـ

لو كان هذا الرجل وجه على الجمعية أضعاف ما وجه عليها من تهم،واعتدى عليها بأضعاف ما اعتدى به عليها من سب وإذاية من عند نفسه ، وفي مجلس من أي مجالس مثلـه ، لكان محققا مـن الجمعية أنها لا تسمعه ، ولو سمعته لكان حقا عليها أن لا تقول له إلا (سلاما) .. ولكن الرجل كان ـ عن رضى واختيار ـ آلة هدم وتخريب ، وبوق شر وفساد ، في مجلس رسمي قد استدعى لـه الناس ليقولوا ويحتج بأقوالهم . فلهـذا تنازلت الجمعية لـرد افتراءات النائب واعتداءاته .

زعـم أن الفتنة والقلاقل والمشاغب منتشرة في الوطن ، وأن سببها هو الجمعية،وكذب في الاثنين .

فأما الزعم الأول : فإن المشاهد في الوطن كله هو السير المعتاد في الأعمال دون تظاهر ولا تجمهر،ولا مصادمة بين قوتين،ولا توقف عن أداء حكومي،ولا تصدى لأحد بسوء . وإنما الموجود في الوطن حركة هادئة عامة نحو ما وعدت به فرنسا أبناءها الجزائريين من حقوق تعطى لهم في القريب . ولعمر الحـق أن تسمية هذا فتنة ومشاغب وقلاقل ، لمـن الكذب الحبريت والقلب للحقائق اللذين لا يصدران إلا عن ذمة خربة،وقلب مريض،ونفس شريرة لا تبالي

ماذا تجني ، أو جاهلة لا تدرى ماذا تقول . وإذا كنا نسمي توجه الجزائريين بمطالبهم في هدوء ونظام إلى فرنسا فتنة ، فبماذا نسمي ما قام به أصحاب الأعتاب من التظاهر في بلدان عديدة بعنف وشدة وتهديد،حتى عطلوا إحدى الجلسات في النيابة المالية لإظهار استيائهم ؟ إن الأشياء - يا هذا - لا تخرج عن حقائقها بما يخلع عليها من الأسماء حسب الأغراض والأهواء .

وأما في الزعم الثاني : فإن حركة الجزائريين نحو مطالبهم من دولتهم،إنما سببه ما علموه من عناية عظام رجال فرنسا بها،وما بلغهم من بروجي م قرني وبروجي م فيوليت ، ثم ما شاهدوه من حزم بعض نوابهم وذهابهم إلى فرنسا ، أولا بصورة فردية ، وثانيا بصورة عمومية ، ثم كان ما كان منهم من استياء من أن نوابهم ردوا ولم يقبلوا ، وفهموا من عدم قبول نوابهم عدم قبول مطالبهم ، ثم أحسوا بضغط من ناحية،وضعف من الناحية الأخرى، فرجعوا إلى سكوتهم كسابق عادتهم ، واعتصموا بالانتظار الذى تعودوه من أمد طويل ، فهم ساكتون منتظرون . هذه هي الأسباب المنطقية التي يؤيدها الحس ويجسمها الواقع،لما كان من حركة في الأمة ، ولن يستطيع تمويه غراب ومن لقنه أن يزيد عليها أو ينقص منها .

وزعم أن الحكومة ساعدت الجمعية أولا ورخصت لها . والحكومة ما عرفت منها الجمعية مساعدة خاصة،لا أولا ولا أخيرا ، وأى مساعدة شاهدناها من الحكومة،وقد أقرت قرار بريفى الجزائر الذى يمنع رجال الجمعية من وعظ العامة وإرشادهم في المساجد ، وأى مساعدة والحكومة قد أغلقت مكاتب وامتنعت من الترخيص في مكاتب أخرى لمجرد انتماء المعلمين أو الطالبين للتعليم للجمعية، فمن الأولى مدرسة سيق،ومدرسة بلمباس،ومدرسة قمار ، ومن الثانية مدرسة القنطرة . هذا هو الواقع مع الأسف الشديد .

ولكن من الحق الذى يجب أن نقوله وأن نتسلى بــه،أنه ليس كــل واحد من رجال الحكومة راضيا بهذه المماكسة التى لا مبرر لهــا، والتى هى صد لجمعية إصلاحية تهذيبية عن الإصلاح والتهذيب ، وأما ترخيص الحكومة للجمعية فالفضل فى ذلك للقانون الفرنسى الحكيم ، ولولا ثقتنا بذلك القانون والرجال العظام الساهرين على تنفيذه،ما كان لنا أن نصدع بهذه الحقائق التى يريد النائب غراب وملقنوه تغطيتها (1) .

— 2 —

زعــم ان الجمعية تداخلت فى شؤون لا علاقــة لهــا بالتعليم، وانفجرت بتعاليم منافية للعلم،ومثيرة للأحقاد والتحزبات .

كأن الملقنين لهذا الغراب يفهمون من التعليم أنه هو أن يجلس الشيخ فى وسط حلقة ثم يلقى عليهم مسائل من النحو،ومسائل من كتاب الصلاة ، هذا فقط هو التعليم ، فأما مكتب ابتدائى يعلم فيه أبناء المسلمين وبناتهم مبادىء دينهم ولغتهم،ويحفظون فيه مــن مواطن الفساد ومهاوى الشقاء وبراثن المضللين ، ويهيئون للحياة تهيئة صحيحة تكون منهم رجــالا مسلمين،يخدمون أمتهم ووطنهم ودولتهم،ويشرفون سمعتها، وأما إلقاء دروس الوعظ والإرشاد عــلى طبقات العامــة التى تفقههم فى دينهــم،وتعرفهم بالفضائل الإنسانية،وتحذرهم من الرذائل الحيوانية،وتفتح بصائرهم لإدراك حقائق الحيــاة الدنيا،وما يفيدهم فى الحيــاة الأخرى ، وتصحيح عقائدهم،وتهذيب أخلاقهم،وتقويم أعمالهم ، حتى يعيشوا بذلك كله سعداء فى الدنيا مع أنفسهم،وجيرانهم،وحكومتهم ، ويكونوا

(1) الشريعة : السنة 1 ، العدد 7 ، جمادى الاولى 1352 هـ ــ 28 أوت 1933 م .

علـى أقوى الأسباب لنيل السعادة فى آخرتهم ــ فهذا كلـه شؤون لا علاقة لها بالتعليم ، ولهذا لما اشتغلت بها الجمعية ــ زيادة عـلى دروس رجالها لطلبة العلم ــ قال هذا المتقول المقول : إن الجمعية تداخلت في شؤون لا علاقة لها بالتعليم !

أما التعليم ، كما يفهمه كل أحد ، وكما جاء به الدين ، وكما كان عليه سلف المسلمين ، فهو نشر العلم لكل أحد ، للكبير والصغير، والمرأة والرجل : بحلق الدرس ومجالس الوعظ وخطب المنابـر، وبكل طريق موصل ، وهذا ما اشتغلت به الجمعية،وتوسلت بالطرق الموصلة إليه ، ولن يستطيع الغراب ولا غيره أن يثبت عليها شيئا غير ذلك .

ولا نظنه يعنى التعاليم المنافية للعلم إلا ما قامت به الجمعية من بناء وعظها وإرشادها على آيات القرآن العظيم،وأحاديث النبـى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ،ووصايا أئمة السلف ، فإن هذا كله كان مهجورا فى هذه الديار ، بل وفى غير هذه الديار ، فإذا كانت هذه هى التعاليم المنافية للعلـم عنده،فنحن نشهد اللـه وملائكته والناس أجمعين أن هذه هى التعاليم المنافية للجهل،المغيضة لأهل الجهل،الماحقة لكل جهل ودجل ، وأنها هى هى مصدر الدين والعلم، وكل خير وسعادة للبشر،وأرغم الله أنف كل أفاك أثيم .

ثم يقول الغراب : إن هذه التعاليم مثيرة للأحقاد والتحزبات ! ولقد صدق هنا وهـو الكذوب ، فقـد أثارت علينا هذه التعاليم الأحقاد ، وأي حقد أعظم من الحقد الذى أكل قلبه وقلب مثله حتى اعتدى علينا هذا الاعتداء العظيم ، وافترى علينا هذا الإفك المبين، وكيف لا يحقد علينا الجهال الذين يعيشون على الجهل ونحن نحارب الجهل والمتميشين عليه ؟ وكيف لا يحقد علينا الذين يقولون للناس كونوا عبادا لنا بفنون من لسان المقال ولسان الحال ، ونحن نقول للناس لا تكونوا عبادا إلا للـه ، وهـم يقولون للناس ، اعبدونا

وارزقونا ، ونحن نقول لهم لا تعبدوا إلا الذى يرزقكم وهو الله وحده لا شريك لـه . وكيف لا يحقدون علينا مـن يريدون بقاء المسلمين عضوا أشلا أو مريضا فى الهيئة الاجتماعية الجزائرية ، ونحن نريده عضوا حيا عاملا كسائر الأعضاء فيها يفيد ويستفيد، يعين ويستعين .

فهذه الأصناف كلها وغيرها من أمثالها امتلأت صدورها عـلى الجمعية حقدا،حتى انفجرت بالشر أقوالها وأعمالها ، وكانت حزبا واحدا فى الكيد للجمعية والمكر بها والسعاية عليها والوشاية بها ، وموقف هذا النائب الظالم المفترى مظهر من مظاهرها،ومشهد من مشاهدها . وهـذه الأصناف وغيرها مـن أمثالها هى هى الحاقدة المتحزبة دون عموم الأمة وسوادها ، التى ظهر للعيان التفافها حول الجمعية وسخطها على أضدادها ، وما تملك الجمعية لتلك الأصناف من حقدها وتحزبها إلا أن تسأل اللـه هدايتها،وتقاومها بالطرق المشروعة لترد كيدها وتخنق حقدها ، وتفدع شر تحزبها عند ما تدعوها الضرورة لمدافعتها ، مثلما دعتها الضرورة للرد على هذا النائب بالحجة والبرهان،لا بما سلكه هو ــ وسلكه أمثاله قبله ــ من الوشاية والإذاية والكذب والبهتان (1) .

ـ 3 ـ

ثـم يرمى الجمعية بـدس الدسائس،وقد علـم الناس صراحة الجمعية فى جميع مواقفها،والجمعية التى يلقى رئيسها باسمها تلك الخطبة المشهورة فى حفلة النادى بالجمعية،فى جمع حاشد من جميع الطبقات،لا يتصور عاقل أن يكون الدس من خلقها .

(1) الصراط : العدد الاول ، 28 جمادى الاولى 1352 هـ ــ 18 سبتمبر 1933 م .

ثم يرميها بنصب الحيل لجلب الأموال،وقد علم الناس ضبط حساب الجمعية الدقيق بما يتلوه في اجتماعاتها العمومية أمين ماليتها وينشره على الناس .

ثم يرميها بنشر الشحناء ، وكيف هذا وكلمات الجمعية التي كانت وفودها تلقيها على الناس وتلقنهم إياها هي : تعلموا ، تحابوا ، تسامحوا . وإذا كانت هذه الكلمات تثير الشحناء والعداوة في القلوب المريضة التي لم تألف سماع هذه الكلمات ولم تخلق للاتصاف بها،فماذا تملك الجمعية لها .

ثم يقول عن الجمعية : « خالطت الطوائف الانتخابية » ، وماذا يعني هذا الجاهل بالطوائف الانتخابية ؟ ولو كانت في الأمة طوائف انتخابية تسير على برامج منظمة،لما كان مثله نائبا يهذي هذا الهذيان ! لكن لعله يعني شخصا أو شخصين من النواب العماليين الذين أنطقتهم شرفهم وغيرتهم بما يعلمونه عن الجمعية من خدمة الحق والخير ، وهؤلاء لم يكن بينهم وبين بعض رجال الجمعية إلا معرفة شخصية ليست أكثر من المعرفة الشخصية التي بين هذا النائب المجهول وبين بعض رجال الجمعية الذين في قسمه . والجمعية نفسها لا خلطة لها ، لا بهذا ولا بذاك ، ثم كان ماذا لو أن الجمعية اعتمدت على أهل الصدق والشرف والغيرة لترد بهم كيد مثلك يا مسكين ؟ فينكر على جمعية سلمية أن تتقوى بالأحرار الصادقين ـ والنواحي القوية لا تتنزه عن التقوى عند الحاجة بالعبيد الكاذبين ؟ إلا أن الجمعية جمعية علم وتهذيب ، فهي تتأيد بأهل العلم والتهذيب ، جزائريين وفرنسيين ، مسلمين وغير مسلمين ، وتمقت وتتبرأ من الجهل والوحشية من أي ملة وجنس .

ثم يرمي الجمعية بأنها تنشر المذهب الوهابي ، أفتعد الدعوة إلى الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة وطرح البدع والضلالات واجتناب المرديات والمهلكات نشرا للوهابية ، أم نشر

العلم والتهذيب وحرية الضمير وإجلال العقل واستعمال الفكر واستخدام الجوارح ــ نشر للوهابية ؟ ــ إذا،فالعالم المتمدن كله وهابي ! فائمة الإسلام كلهم وهابيون ؟ ما ضرنا إذا دعونا إلى ما دعا إليه جميع أئمة الإسلام،وقام عليه نظام التمدن في الأمم ان سمانا الجاهلون المتحاملون بما يشاءون،فنحن ــ إن شاء الله ــ فوق ما يظنون ، والله وراء ما يكيد الظالمون .

ثم يقول : « إننا مالكيون » ومن ينازع في هذا،وما يقرىء علماء الجمعية إلا فقه مالك ، ويا ليت الناس كانوا مالكية حقيقة إذا لطرحوا كل بدعة وضلالة ، فقد كان مالك ــ رحمه الله ــ كثيرا ما ينشد :

وخيرُ أمور الدِّين ما كان سنةً وشرُّ الأمورِ المحدَثاتُ البدَائِعُ

ثم يقول : « إن الأمة الإسلامية منذ قرن وهي متمتعة بحريتها ودينها،وعاكفة على دروس علمائها » ، ونحن نريد في هذا القرن الثاني أن تزداد تمتعا بحريتها،وانتفاعا بفقه دينها،واتساعا في دائرة علمها على سنة التطور،والرقي،والتدريج ، فثارت ثائرة هذا الجاهل ومن وراءه،ومن كان في الجهل والشر مثله يحاولون إثارة الفتنة ، والله يطفئها ، ويكيدون للجمعية والله يحفظها ، ويكذبون على الجمعية والله يظهر نزاهتها ، حتى فضح الله أمرهم، وعرفت الأمة أمرهم،وعرفت الأمة دخيلتهم،وأصبحوا كلهم في غضب من الله وسخط من الناس ، والله لا يهدى كيد الخائنين ولا عدوان إلا على الظالمين والعاقبة للمتقين والحمد لله رب العالمين(1)

عن الجمعية : عبد الحميد بن باديس

(1) الصراط السوى : السنة الاولى ، العدد 3 . 5 جمادى الثانية 1352 هـ ــ 25 سبتمبر 1933 م .

حـول تصريحات الوالي العـام

لكاتب « البتي باريزيان »

نشرنا في العدد الحادي عشر نص هـــذه التصريحات،ونشرنا احتجـاج مجلس إدارة جمعيـة العلمـاء المسلمـين الجزائريـين عليها . ثم رأينا من واجب جريدة الجمعية أن تقوم بواجبها في التعليق على تلك التصريحات ومناقشتها ، فإن لتلك التصريحات من القيمة بقدر ما لجناب المصرح بها من المنزلة،ولا نكون قدرنا تلك القيمة وعرفنا تلك المنزلة إذا نحن سكتنا عنها .

قال جناب الوالي العام : « إن الحوادث الدينية التي حدثت أخيرا كان المتسبب في وقوعها أو على الأقل المستغل لما نشأ عنها من منافع سياسية أناس ليست لهم عقيدة راسخة،ومنهم فريـــق لا ديـني، وأكثرهم غير عاملين بما أتى به الدين » .

فقد قرر الحقيقة لما جعل الحوادث دينية ، فمثار كل ما كان هو تدخل الإدارة في شؤون الدين تدخلا شاذا،مخالفا للدين نفســه، ولقانون فصل الديانة عن الحكومة ، وأما المتسبب في وقوع ذلك فهو عامل عمالة الجزائر بقراره المشؤوم المشهور، ثم تقرير الإدارة العليا لذلك القرار وإبايتها من سماع من قصد اتهامها من نـواب العاصمة بعد إبايتها من مقابلتهم إلا من وراء وراء . ولا شك أن شعور جنابه بهذه الحقيقة جعله يقول : « أو على الأقل المستغل لما نشأ عنها من منافع سياسية » وأية منافع جناها نواب العاصمة من

تلك الحوادث أكثر من أنهم قاموا بما تفرضه عليهم النيابة ، فإذا كان من يقوم بواجبه يرمى بأنه يستغل ذلك الواجب،فلا عار من هذا ولا مسبة فيه ، وحسبنا من كل من نيط بعهدته واجب أن يقوم به ، ولا حق لنا أن نقول له غير أحسنت لقيامك بواجبك .

وصف جنابه الذين قاموا بواجبهم بأنهم « أناس ليست لهم عقيدة راسخة ، ومنهم فريق لا ديني،وأكثرهم غير عاملين بما أتى به القرآن » أفنسي جنابه الآلاف المؤلفة من العامة الجزائرية المسلمة التى أظهرت استياءها بما قالت وبما فعلت وبما كتبت ، وهى أمة دينية مست فى أمر دينى بحت،فقامت محتجة مستنكرة ، فلو لم يقم هؤلاء الذين وصفهم جنابه بما وصفهم به،لكان قيام تلك الآلاف كافيا ، وأنا لا أحب أن أناقش جنابه فى منزلة أولئك النواب من الدين،وحسبى منهم أنهم مسلمون،يعيشون عيشة المسلمين،ويحملون شعارهم،ويألمون آلامهم،ويحملون عبء القوانين الاستثنائية مثلهم لا غير ، إننى أذكر جنابه فى الحقيقة النفسية وهى أن العقيدة الموروثة لابد أن تثور بصاحبها للدفاع عنها عند مسها ، خصوصا إذا كان وسط المشاركين له فيها،تؤثر العقيدة فى صاحبها هذا التأثير للدفاع عنها عند الشدة ، وإن لم تؤثر فيه ما تقتضيه من إعانة وقت الرخاء ، فأولئك النواب وإن لم يقوموا بجميع ما تقتضيه العقيدة ـ نزولا عند قول جنابه ـ فإنهم ما اندفعوا ـ زيادة على القيام بالواجب ـ للعمل إلا بها .

ثم تصدى جنابه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقال : « وهؤلاء السياسيون تمكنوا من صد العلماء عن أعمالهم الطبيعية ومن إدخالهم فى ميدان عمل خارج عن دائرة التعليم والتهذيب القرآنى » لا،بل الذى صد العلماء عن أعمالهم الطبيعية وعن التعليم والتهذيب القرآنى هو السلطة التى أوصدت المساجد فى وجه وعظهم وإرشادهم،وحالت بينهم وبين عامة إخوانهم ، وأغلقت

كثيرا من المكاتب الابتدائية العربيــة التي تقــوم بالتعليم بها في جهات عديدة أفراد منهم ، وأمسكت عن إعطــــاء الرخص بفتح المكاتب ، هذا هو الذي صد العلماء عن القيام بواجبهم ، وأمــا السياسيون فإنهم ما حاولوا إدخال العلماء في السياسة،وما كان العلماء ــ وقد نصبوا أنفسهم لشيء ــ أن يتدخلوا في شيء آخر ، وقد أوقفوا وفودهم العلمية في الصائفة الماضية عن التنقل في جهات القطر تجنبا لكل رمي بالباطل،ومع ذلك لم يسلموا ــ مــع الأسف ــ من مثل هذا القيل .

وبعد،فإننا اخترنا الخطة الدينية على غيرها عن علم وبصــــيرة، وتمسكا بما هو مناسب لفطرتنا وتربيتنا من النصح والإرشاد وبث الخير والثبات على وجه واحد ، والسير في خط مستقيم . وما كنا لنجد هذا كله إلا فيما تفرغنا له من خدمــة العلــم والدين ، وفي خدمتهما أعظم خدمة وأنفعها للإنسانية عامة . ولو أردنا أن ندخل الميدان السياسي لدخلناه جهرا،ولضربنا فيه المثل بما عرف عنا من ثباتنا وتضحيتنا ، ولقدنا الأمة كلها للمطالبة بحقوقها،ولكان أسهل شيء علينا أن نسير بها على ما نرسمه لها،وأن نبلغ من نفوسنا إلى أقصى غايات التأثير عليها ، فإن مما نعلمه،ولا يخفى على غيرنا،أن القائد الذي يقول للأمة « إنك مظلومة في حقوقك وإنني أريــد إيصالك إليها » يجد منها ما لا يجده من يقول لها : « إنك ضالة عن أصول دينك،وإنني أريــد هدايتك » فذلك تلبيه كلها ، وهــذا يقاومه معظمها أو شطرها ، وهــذا كلــه نعلمه ، ولكننا اخترنا ما اخترنا لما ذكرنا وبيناه،وإننا فيما اخترناه ــ بإذن الله ــ لماضون وعليه متوكلون .

ثم ما هذا العيب الذي يعاب به العلماء المسلمون إذا شاركوا في السياسة ؟ فهل خلت المجالس النيابية الكبرى والصغرى مــن رجال الديانات الأخرى ؟ وهل كانت الأكاديمية الفرنسية خالية

من آثار الوزير القسيس رشليو ؟ أفيجوز الشيء ويحسن إذا كان من هنالك،ويحرم ويقبح إذا كان من هنا ؟.. كلا،لا عيب ولا ملامة، وإنما لكل امرىء ما اختار،ويمدح ويـذم عـلى حسب سلوكه في اختياره .

أما قول جنابه : « وإن غالب هؤلاء العلماء تعلموا في مساجد القاهرة ، حيث الإسلام لا تدرس مبادئه وتعاليمه الدينية فقط » فهو مخالف للواقع،فإن العلماء الذين يعنيهم جنابه لم يتعلم واحد منهم في مصر،والشخص الوحيد الذى تعلم في القاهرة وكان معهم قد انقلب انقلابا قبيحا وهو مرضى عنه تمام الرضا .

فالمسألة مسألة جمود وتفكير،ونهوض مع الناهضين،وموت مـع الأموات،ليست مسألة القاهرة ولا غيرها ، وليس بصحيح أن مساجد القاهرة يدرس فيها ما ليس من الدين،وما دروسها ودروس جامع الزيتونة وجامع القرويين ودروسنا بقسنطينة إلا واحدة،كلهـا ترمي إلى المحافظة على علوم الإسلام والعربية ونشر العلم والتهذيب بين طبقات الناس،وما هذا إلا أصل المدنية التى تدعو إليها الأمم الراقية في هذا العصر .

وكأن جنابه أراد أن يخفف من عبء مسؤولية منع العلماء من إلقاء الوعظ والإرشاد في بيوت الله،التي ما أسست إلا لذكر الله، فقال : « وعلى كل حال فإننا لم نمنعهم من الكلام في الأماكن المدنية أو الدينية غير الدولية » ونحن نحتفظ بهذا التصريح بعدم المنع مما ذكر ، ثم قال : إن الأماكن الدينية التي سماها جنابه دولية هي المساجد الإسلامية العامة التى يـأتيها النـاس المقصود تهذيبهم وإرشادهم،وهي التي تناسبها دروس العلماء الدينية ومواعظهم ، فأما الأماكن المدنية فليست مما يناسبهم،ولا مما أعـــد لهم،وأما الأماكن الدينية غير الدولية ــ ويعني المساجد الخاصة ــ فهذه على قلتها لا تكفي عموم الناس ، فالحـق أن منـع العلماء من المساجد

العامة منع لهم من القيام بمهمتهم الدينية على أتم وجوه المنع الذى لا يخففه وجه من وجوه الاعتذار .

هذا وإننا مع كل احترامنا لجنابه، ما نزال نكرر احتجاجنا على منعنا من المساجد، وكل ما نرمى به عن غير تبصر، غير آيسين من إتيان يوم تتجلى فيه العدالة لجمعية دينية علمية تهذيبية تعمل لخير الجميع (1) .

عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
الرئيس : عبد الحميد بن باديس

(1) الصراط السوى : السنة 1، العدد 15 ، 8 رمضان 1352 هـ ـ 25 ديسمبر 1933م

نحـن مسلمـون وكـفى

إن الإسلام الذى ندين به ، وهو دين الله الذى أرسل به جميع أنبيائه . وكمل هدايته وعمم الإصلاح البشرى به على لسان خاتم رسله ، هو ديـن جامع لكل ما يحتاج إليه البشر أفرادا وجماعات لصلاح حالهم ومآلهم ، فهو ديـن لتنوير العقول وتزكية النفوس وتصحيح العقائد وتقويم الأعمال . فيكمـل الإنسانية،وينظـم الإجماع،ويشيد العمران،ويقيم ميزان العدل،وينشر الإحسان . فلا يحتاج بعده إلى ما يتناحر عليه الاوروبيون من مبادىء أحزاب وجمعيات،ليس فى استطاعة شىء منهـا أن يصلـح حالهـم لا فى السياسة ولا فى الاجتماع،دع عنك الأخلاق والآداب . كما أنـه لا يسلم واحد منها من قواعد منافية للفطرة أو مجانبة للعدل أو ضعيفة فى العقل،فالمسلم بطبيعة إسلامه بعيد عن كل هذه الجمعيات والأحزاب . وهذه هى حال السواد الأعظم من المسلمين فى جميع الأقطـار .

يجهل بعض الكتاب الأوروبيين هذه الحقيقة أو يتجاهلونها ، فتراهم يرمون المسلمين فى كـل حركـة مـن حركاتهم بمبادىء الأحزاب الاوروبية ذات النفوذ والشهرة فى أوروبا .

وللقارىء (1) نموذجا من ذلك :

---

(1) كذا فى الاصل وصوابه : وإلى القارىء .

النمسا ـ الدعاية الهتلرية فى افريقيا الشمالية وفلسطين :

فيينا فى 2 : لمراسل البلاغ الخصوصي ـ يؤخذ مــن المعلومات التى أذاعتــها صحيفة تلغراف عــن نظــام الدعاية الهتلرية فى افريقيا الشمالية وفلسطين أن مجموع ما أنفق على هذه الدعاية التى جعل مركزها الأساسى فى برلين بلغ 3،360،000 مارك فى الشهر وقالت إن الغرض من هذه الدعاية هو إثارة العالم الإسلامى ضد اليهود وانجلترا وفرنسا،وإعداد العدة لفتنة تقــوم فى افريقيا الشمالية الفرنسية في حالة نشوب الحرب .

« البلاغ »

الدعاية الألمانية فى افريقيا الشمالية :

باريس : نشرت جريدة « الرجل الحر » التى تصدر فى باريس فصلا قالت فيه : هل من واجبنا أن لا نغفل هــذه المسألة الحيوية بالنسبة لسيادتنا فى الشمال الافريقى . إن مذبحة مدينة قسنطينة والقلاقل الأخيرة التى أثارت الدستور فى جهات الساحل بالبلاد التونسية ليست إلا إنذارات يجب علينا ألا نهمل أمرها،وألا نغفل نتائجها . ولهذا يجب أن نظهر فى هذه الأراضى الإسلامية ، وإذا كانت قوانا لا تصــل حتى ترتكب الشدة أو الإرهاق،فــان عفونا وتسامحنا ليس منشؤهما الضعف . يجب أن يقع تتبع تأثيرات هذه الدعاية الهتلرية أو الوطنية أو الثورية بغاية اليقظة والنشاط ، تلك الدعاية التى إذا غفلنا عنها تسببت لنا فى متاعب جمة .

« الزهرة »

ومما يجب أن يلاحظ هنا أن الذى كنا نرمى بــه هو الدعاية البلشفية ، والذى صرنا نرمى به هو الهتلرية ، ومن المعروف أن

روسيا البلشفية قد دخلت في عصبة الأمـم،وأخذت كرسيا دائما فيها كسائر الدول العظام،وأصبحت معترفا بها كدولة كبرى،وكل ما كانت تأتيه « يبس وتحتت وطارت به الأرياح »،فلم يبق مـن وجه لرمينا بالبلشفية والدعاية البلشفية . ولكن هتلر اليوم هو لينين بالأمس ، فلتكن الهتلرية هي الكرة التي ترمى بها الأمـة المستضعفة . وهذا مما يـدل دلالـة واضحة على أن هـذا الرمى بالهتلرية بعد البلشفية لم يكن عن جهل،وإنما كان عن مكر وسوء قصد . وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (1) .

---

(1) ش : جزء 11 ، مجلد 10 ، غرة رجب 1353 هـ ـ أكتوبر 1934 م .

كلمة صريحة

حقا إننا نعيش في وسط سادت الفوضى فيه من جميع جهاته ، فمن فوضى في الدين إلى فوضى في الأخلاق ، إلى فوضى في الاقتصاد. وزادتنا الأيام على كل ذلك فوضى جديدة ربما كانت أخطر الفوضات وأشدها تأثيرا على حياة الأمة،وهي فوضى التكلم باسم الأمة .

فما من متكلم في أي مناسبة من المناسبات إلا ورفع عقيرته مدعيا بأنه إنما يمثل الأمة الإسلامية قاطبة في هذه البلاد ، وأن الكلمات التي يقولها من عند نفسه إنما هي كلمة الحق وقولها الفصل . ولو أنهم اقتصدوا في القول ولم يلجوا باب الغلو والإسراف ، وقالوا إننا نتكلم باسم الفريق الذي انتخبنا ، أو باسم الهيئة التي ننتمي إليها ، أو باسم الجماعة التي نحن منها ، أو باسم الذين يشاركوننا في الرأي والتفكير ، لكان قولهم أصوب ، ورأيهم أصلح ، وكلامهم أقرب إلى نفوس السامعين من رجال الحكومة ومن رجال الشعب .

وإننا نتكلم اليوم حول هذا الموضوع إثر ما رأيناه من الحملة التي أجمعت الأمة على مجابهة جريدة الطان بها ، وإثر اجتماع اللجنة الوزارية الإسلامية بباريس .

قال البعض من النواب المحليين ، ومن الأعيان،ومن كبار المتوظفين بهذه البلاد ، ان الأمة الإسلامية الجزائرية مجمعة على اعتبار نفسها أمة فرنسية بحتة ، لا وطن لها إلا الوطن الفرنسي ، ولا غاية لها إلا الاندماج الفعلي التام في فرنسا ، ولا أمل لها في تحقيق هذه الرغبة إلا بأن تمد فرنسا يدها بكل سرعة ، فتلغي

جميع ما يحول دون تحقيق هذا الاندماج التام . بل لقد قال أحد النواب النابهين:إنه فتش عن القومية الجزائرية فى بطون التاريخ فلم يجد لها من أثر ، وفتش عنها فى الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على خبر ، وأخيرا أشرقت عليه أنوار التجلى فإذا به يصيح : فرنسا هى أنا ! حقا إن كل شىء يرتقى فى هذا العالم ويتطور ، حتى التصوف، فبالأمس كان يقول أحد كبار المتصوفين :

فتشت عليك يا ألله　　　وجدت روحى أنا الله

واليوم يقول المتصوف فى السياسة :

فتشت عليك يا فرانسا　　　وجدت روحى أنا فرانسا

فمن ذا الذى يستطيع بعد اليوم أن ينكر قدرة الجزائرى العصرى على التطور والاختراع ؟

إن هؤلاء المتكلمين باسم « المسلمين الجزائريين » والذين يصورون للرأى العام الإسلامى الجزائرى بهذه الصورة ، إنما هم مخطئون، يتصورون الأمور بغير صورتها،ويوشكون أن يوجدوا حفيرا عميقا بين الحقيقة وبين الذى يجب أن يعرفها . فهم فى واد والأمة فى واد، ويريدون أن يضعوا رجال الإدارة العليا فى واد ثالث .

لا يا سادتى ! نحن نتكلم باسم قسم عظيم من الأمة ، بل ندعى أننا نتكلم باسم أغلبية الأمة فنقول لكم ولكل من يريد أن يسمعنا ، ولكل من يجب عليه أن يسمعنا ، إن أراد أن يعرف الحقائق،ولا يختفى وراء أحكام الخيال : نقول لكم إنكم من هذه الناحية لا تمثلوننا ولا تتكلمون باسمنا ، ولا تعبرون عن شعورنا وإحساسنا. إننا نحن فتشنا فى صحف التاريخ وفتشنا فى الحالة الحاضرة ، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة،كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا ، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال،ولها وحدتها الدينية واللغوية ، ولها ثقافتها الخاصة،وعوائدها،وأخلاقها، بما فيها من حسن وقبيح ، شأن كل أمة فى الدنيا .

ثم إن هذه الامة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تريد أن تصير فرنسا،ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت . بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها، وفي أخلاقها،وفي عنصرها ، وفي دينها ، لا تريد أن تندمج . ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائرى بحدوده الحالية المعروفة، والذى يشرف على إدارته العليا السيد الوالى العام المعين من قبل الدولة الفرنسية .

ثم إن هذا الوطن الجزائرى الإسلامي صديق لفرنسا مخلص ، وإخلاصه إخلاص قلبي لا إخلاص ظاهرى ، يخلص لها إخلاص الصديق لصديقه،لا إخلاص التابع لمتبوعه . فهو في حالة السلام والأمن يطلب من فرنسا أن تحترم دينه ولغته ، وتمهد له السبيل ليرتقي ضمن دينه ولغته وأخلاقه ، وتسبغ عليه نعم الحرية والعدل والمساواة،حتى يصبح في رقيه وحريته وسعادته نموذجا للإدارة الفرنسية،والتعاون الاهلى الفرنسى ، وتستطيع فرنسا أن تفاخر به الذين يتباهون بما علموه في مستعمراتهم الحرة .

أما في حالة الأزمات العالمية ، وحين اشتداد الخطب،وإذا تكلم الرصاص،وارتقت السيوف فوق منابر الرقاب ، فالمسلم الجزائرى يهب كالليث من عرينه ، للدفاع عن الأرض الفرنسية،كما يدافع عن أرضه الجزائرية،وعن حريمه،وأطفاله . ولو لم تجنده فرنسا لسار للدفاع عنها متطوعا . ولنا في مختلف الواجهات الحربية الفرنسية عشرات الآلاف من قبور المتطوعين تشهد بهذا .

فنحن الجزائريين المسلمين العائشين في وطننا الجزائرى ، والمستظلين بالعلم الفرنسى المثلث الألوان، والمتحدين مع الفرنسيين اتحادا متينا،لا تؤثر عليه الحوادث الطفيفة أو الأزمات السطحية ،

نعيش مع الفرنسيين ، عيش الأصدقاء المخلصين ، نحترم حكومتهم وقوانينهم،ونطيع أوامرهم ونواهيهم ، ونريد منهم أن يحترموا ديننا ولغتنا ، ويحفظوا كرامتنا ، ويأخذوا بأيدينا في طريق النهضة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وهكذا نعيش وإياهم أصدقاء مخلصين ، وإذا جاءت ساعة الموت في سبيل الدفاع عن الوطن الفرنسي وعن الوطن الجزائري ، وجدونا في صفوفهم الأولى لنموت إلى جانبهم موت الأصدقاء المخلصين .

وعلى هذا الأساس ، توضع الأمور في مواضعها،ويحصل التفاهم، ويزول كل التباس .

اللجنة الوزارية :

هذه الفكرة جميلة هي نفسها ، فكرة تأليف لجنة من مسلمي الجزائر ، يستشيرها رجال الوزارات الفرنسية المختلفة في المسائل التي تهم البلاد الجزائرية ، حتى تسير الحكومة الفرنسية في سياستها الجزائرية على هدى وعلى نور الإرشادات الصادقة التي تستمدها من رجال تلك اللجنة .

بل إن تشكيل تلك اللجنة يدلنا دلالة صادقة على رغبة حكومة فرنسا في درس المسائل الإسلامية الجزائرية دراسة عميقة ، حتى تتقى في المستقبل الأخطاء التي كانت ترتكب من قبل .

لكن الفكرة إن كانت جميلة في نفسها ، فإنها كانت غير موفقة في تنفيذها ، ذلك أن الإدارة العليا لم تلاحظ إلا الفكرة السياسية في انتخاب أعضاء هذه اللجنة،وعمدت إلى ذلك الانتخاب بصفة مستعجلة فكان أعضاء اللجنة من جراء ذلك لا يستطيعون أن يخوضوا في مختلف المسائل المعروضة عليهم ، والتي يتطلب الكثير منها معرفة فنية عميقة .

لقد استلفت أنظارنا أخيرا خوض هذه اللجنة في مسألة « الترشيد »،كما كانت من قبل خاضت في شأنها أثناء جلساتها الأولى ، وهذه المسألة علمية فقهية بحتة ، يجب لحلها تضلع في الفقه، وتعمق في دراسة الكتب الدينية والقوانين الدينية المختلفة،مما وضع في استامبول والبلاد المصرية وغيرها .

فإلى جانب بعض المستشرقين الذين يحضرون اللجنة والذين لا ننكر عميق اطلاعهم وسعة معلوماتهم ، نجد بعض أعيان الباش اغاوات ، ولا نطعن فيهم إذا قلنا أنهم ليسوا بأصحاب معلومات فقهية ، ونجد بعض الدكاترة وليسوا من أصحاب الموطأ ولا من قراء سحنون ، ونجد غيرهم ممن توفرت فيهم بعض شروط سياسية أو اقتصادية ، إلا أنهم لا يستطيعون الخوض أى خوض في أى مسألة دينية مهما قل أمرها وصغر شأنها . فهذه المسألة الدينية إذا استثنينا شخص الشيخ ابن الساسى قاضى قسنطينة لا نجد من يستطيع أن يقول فيها كلمة .

ونحن اليوم في ساعة بناء وترميم ، ولا نريد أن نترك مثل هذه المسائل مهملة،فتعتقد فرنسا أنها عملت ما يجب عمله ، ويقول لها بعض المتكلمين « باسم الأمة الإسلامية » أنها قد عملت حقا في هذا الباب ما يجب أن يعمل ، في الوقت الذى نعتقد نحن فيه أن ما عملته إنما هو عديم الفائدة وقليل الجدوى .

نرى نحن أن إصلاح هذه اللجنة أمر واجب وسريع ، ونرى أنه إصلاح سهل ميسور . فلكي تمثل هذه اللجنة كل طبقات الأمة ، ولكى تستطيع الخوض في جميع المشاكل المعروضة على أنظارها ، وتقدم للحكومة إرشادات صائبة يمكن أن تكون أساسا لأعمال موفقة ، يجب أن تشمل :

أولا ــ ثلاثة من كبار العلماء الرسميين تنتخبهم الإدارة من بين رجال القضاء والافتاء بالقطر الجزائرى .

ثانيا ـ ثلاثة من كبار العلماء الغير المتوظفين .

ثالثا ـ ثلاثة من رجال مجلس النيابات المالية ينتخبهم رفقاؤهم.

رابعا ـ ثلاثة منتخبون من المجالس العمالية .

خامسا ـ ثلاثة من كبار المتوظفين الإداريين المسلمين تنتخبهم الحكومـــة .

سادسا ـ ثلاثة من الفلاحين والتجار والصناع .

فاللجنة التى تتألف من مثل هؤلاء الرجال ، يمكنها أن تتفاوض مع رجال فرنسا فى مختلف المسائل والمشاكل الجزائرية ، ويمكنها أن تؤلف لجانا فرعية مختصة : لجنة دينية ، ولجنة اقتصادية ، ولجنة سياسية ، ولجنة اجتماعية ، الخ ـ فهذه اللجان التى يباشر أعمالها رجال متخصصون،يمكنها أن تدرس المسائل المعروضة عليها دراسة مدققة ، ويمكنها أن تنير أفكار الحكومة والوزارات قبل إقدامها على تشريع قوانين تنفذ على الجزائر . وتكون اللجنة كلها أشبه شىء ببرلمان صغير جزائرى،يعمل إلى جانب حكومة باريس،ويكون لها مرشدا ومعينا .

فإصلاح اللجنة ، سواء فى طريقة عملها أو فى طريقة جمـــع أعضائها ، ليس من مصلحة الجزائريين فحسب،بل هو فى مصلحـة الإدارة العليا الفرنسية أكثر من ذلك .

أما بقاء اللجنة على حالها ، واستمرارها على خوض الكثير من المسائل دون استعداد وسابق دراسة ، فإننا لا نكتم الإدارة العليا أن هذا العمل الذى يستطيع أن يكون مثمرا ، قد يصبح موجبـا للازدراء،ولا تكون له من نتيجة إلا خيبة الآمال التى كانت معلقة من الطرفين عليه .

فمسانا نرى من الحكومة التفاتا إلى هذه اللجنة ، فتخرجها من دور التكوين إلى دور العمل الصحيح ، وتجعلها وسيلة من وسائل التفاهم والعمل المشترك والتعاون الصادق فى سبيل المصلحة العامة.

الإضراب التـونسى :

هاجت تونس وحق لها أن تهيج ، وأضرب طلبة الجامع الأعظم وحق لهم أن يضربوا ، وتظاهروا فى الطرق العامة ، وكان حقـا عليهم أن يتظاهروا ، فليست الصدمة التى صودم بها طلبة الجامع المعمور والمتخرجون منه بالصدمة الصغيرة ، وليس التهديد الذى جرد سيفه الماضى على رؤوسهم بالتهديد الخفيف . فإن النصـوص القانونية التى شملها الأمر العلى المتعلق بالوظائف العمومية ، يجعل سائر الطبقات الزيتونية إلى نحو الخمسة أعوام أخرى ، بعيدة عن الوظائف العمومية ومناصب الإدارة ، وكأنما ذلك الأمر العلى قد صدر خصيصا لإقصاء هذه الطبقة التى هى روح الأمة التونسية عن الوظائف العامة وعن الإدارة التونسية كلها .

ارادت هيأة التشريع التونسية المختفية وراء الأوامر العلية ، أن يزداد حسن التفاهم بين سائر المتوظفين من فرنسيين وتونسيين، ففرضت على كل راغب وظيفة من التونسيين أن يكون ملما بمبادىء اللغة الفرنسية ، وكل راغب وظيفة من الفرنسيين أن يكون ملما بمبادىء اللغة العربية ، بحيث يستطيع كل منهما أن يقوم بمحادثة بسيطة باللغة الأخرى .

وقد جاء ما نصه فى الأمر المذكور : « لا يمكـن لأى متوظف تونسى ما عدا حكام المحاكم الشرعية أن يحرز على تسميته بصفة رسمية إلا اذا أثبت تحصيله على نفس درجة المعارف المذكورة فى اللغة الفرنسوية .

(1) هو جامع الزيتونة .

فمهوم هذا الفصل ومنطوقه يدلان على أن لن يستطيع التوظف من خريجي المعهد الزيتوني في أى إدارة تونسية إلا من كان محرزا على مبادىء اللغة الفرنسية ، وبما أن القانون المذكور لم يترك أجلا في وجه المتعلمين لتعاطي الدروس الفرنسية ، وبما أنه لا يوجد بين أساطين الجامع الأعظم شيوخ يلقنون إلى جانب شرح ميارة وحاشية التاودي مبادىء A.B.C.D. ، فإن طلبة الجامع الأعظم رأوا أن جهودهم كلها أصبحت عبثا ، وأن آمالهم جميعا قد انهارت،وأنه فيما عدا القضاة ورجال الإفتاء وهم رؤساء المحاكم الشرعية ، لا يستطيع أن يتطلب منهم التوظيف أحد .

أضرب الجامع عن تلقي الدروس ، ووقعت المظاهرات الهادئة الرصينة فقلبتها أعمال البوليس مظاهرة حادة دامية ، وأوصدت المدينة التونسية أبوابها احتجاجا وتضامنا مع طلبة الكلية الزيتونية ، فما كان لذلك من أثر عند الإدارة التونسية إلا أمرها بإبعاد فوج جديد من التونسيين إلى برج لوبوف،وتقديم جماعة كبيرة إلى المحاكم الفرنسية،فنالوا عقابا صارما من السجن والإبعاد. وهكذا استمر مسيو بيروطون على سياسة العنف الفاشيستي إلى آخر لحظة من مدة حكمه بتونس .

أصدرت الحكومة بلاغا تناقض فيه نفسها ، وتخفف وطأة قانونها الأخير ، فقالت في ذلك البلاغ إن الزيتونيين الذين لا يحسنون الفرنسية قد بقيت أمام وجوههم عدة وظائف يمكنهم التطلع إليها كأعضاء المحاكم الشرعية وأعوانها الإداريين كالعدول المحررين والكتبة والنساخين والعدول العموميين،وخطط قسم الأمور الشرعية بوزارة العدلية،وخطط القسم الأول من الوزارة الكبرى،وخطط العمال والكواهي،وكافة خطط الجامع الأعظم والشعائر الدينية والأوقاف .

فالأمر العلي يوصد باب التوظف إلا لحكـام المحاكم الشرعية ، وهذا البلاغ الحكومي يناقضه ويفتح الباب لهذه الخطـط ، إنما العمل الرسمي لا يقع إلا بناء على الأوامر ، ولا اعتبار للبلاغات فيه.

فحركة الإضراب في المسجد المعمور لا تزال جارية إلى أن يصدر أمر جديد يزيل عن الأنفس الحيرة والارتباك ، والهيجان لا يزال مستوليا على أنفس كل التونسيين من جراء هذه الضربة الصارمة ، والجيش العرمرم من رجال تونس وخير شبانها لا يزال يتضاعف عدده في المنفى ببرج لوبوف حيث الآلام والأسقام ، والصحافـة التونسية المغلولة اليد لا تتجاسر على قول كلمة أو إبداء إشـارة إلا تلميحا أو من طرف خفي ، وما تجاسر البعض منها على طلب إرجاع المبعدين إلا عندما تحققت نقلة بيروطون مـــن تونس . والأفواه مكممة،بحيث لا يستطيع الإنسان أن يفتح فمه بانتقاد أو ملاحظة خشية أن ينتزع في منتصف الليل من بين أهله وذويـه، ويسار به إلى برج لوبوف. والاستياء العام سائد بين سائر الطبقات كالنار تحت الرماد . هذه هي حقيقة الحالة بتونس كما تركها مسيو بيروطون،عندما أمرت الحكومة بنقله إلى المغرب الاقصى ليمثلهـا هنالك،بدل بونسو الذى أخفق في إدارة السلطنة المغربية .

وإننا لنتمنى أن يسلك مسيو قيون،المقيم الجديد بتونس،سياسة اللين والتسامح،فيعيد إلى الأنفس اطمئنانها ، ويرتـق ما فتقـه سلفه ، معتمدا على المفاهمة والمشاركة الصادقة (1) .

(1) ش : جزء 1 ، مجلد 12 ، غرة محرم 1355 هـ ـ ابريل 1936 م .

حول كلمتنا الصريحة

لقد أحدثت الكلمة الصريحة التى نشرناها بالعدد الأسبق من الشهاب أثرها المطلوب ، وكان لها الدوي العظيم الذى كنا نتوقعه لها . فتلك كانت أول مرة فيما نعلم ، جوبهت فيها الحكومة وجوبه فيها رجال السياسة بحقيقة ناصعة ، هى عين الحقيقة التى تعتقدها الأمة ، وفيها بيان لعواطف وإحساس وشعور الأغلبية المطلقة من سكان هذا الوطن الجزائرى .

فأما الذين ظهرت سريرتهم وخلصت نيتهم ، فقد حبذوا خطتنا وشكروا لنا صراحتنا ، وحمدوا لنا هذا الموقف الذى وقفناه ضد محاولات التجنيس الخائبة ، ومحاولات هدم القومية واللغة والدين المجرمة ، إذ بينا فى جلاء ووضوح أننا مع احترامنا للسلطة الفرنسية ، وإطاعتنا لقوانين الجمهورية ، نريد ونستطيع أن نحافظ على ذاتيتنا الخاصة ، وما فيها من مميزات اللغة والدين والإخلاص والثقافة،ولا نريد بأى حال من الأحوال،ولا نستطيع، أن ننسلخ طوعا واختيارا،أو كرها وجبرا،على تلك الذاتية ، وما فيها من مميزات ، وما لها من حقوق .

وأما الذين فى قلوبهم مرض ، والذِينَ نَسُوا اللّٰهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ، وأنكروا ما لهذه الأمة من مجد ، وما لها من تاريخ ، وما لها من روابط،تجعل منها أمة متحدة ومتجانسة،لها من الاتحاد والتجانس ما لأكثر الأمم تجانسا واتحادا،فى كل بلاد الأرض، فأولئك قوم فزعوا من مقالنا،كما تفزع الخفافيش عندما ينبثق

نور الفجر ، ومنهم من انتقد ومنهم من رد ، ومنهم مـــن أفحش وأقذع ، وإن إلى الأمة التى أنكروها إيابهم ، وإن عليها ـ مهما تجاهلوها ـ حسابهم .

إن كلمتنا الصريحة قد وضعت الكثير من الرجال على المحك ، فمنهم من ظهرت نفسه من در مكنون ، ومنهم من انطوت جوانبـه على حمأ مسنون .

وإنا لنشهد أن من أكمل الرجال الذين رأينا فيهم بهذه المناسبة، الهمة العالية ، وشرف النفس ، وطهارة الضمير ، الأستاذ فرحات عباس الصيدلى ، والعضو البلدى والعمالى بسطيف .

كان هذا الرجل الأبى من أهدافنا فى مقالنا (كلمة صريحة) وهو الذى آخذناه عن مقاله (فرنسا هى أنا) وقلنا له ولمن معـه إنكم عندما تسمعون لسياسة الاندماج ، وتحبـــذون التجنيس ، وترضون ضياع حقوقنا الإسلامية مقابل حق الانتخاب ، وتريدون ـ خلافا للطبيعة ـ أن يصير جمهور المسلمين بهذه البلاد جمهـورا فرنسيا بحتا ، لا يختلف عن الجماهير الفرنسية فى شىء ، إنكـم عندما تسعون وتحبذون هذا لا تمثلوننا ولا تتكلمون باسمنـا ، وإنكم فى واد والأمة فى واد آخر .

فالسيد فرحات عباس ، لم يتألم ولم يتكدر ، وسلك مسلك كبار رجال السياسة الذين يحبذون النقد،وينصاعون لكلمة الحق ، فزار إدارة الشهاب ، وأكد لها تقديره لجهودها ، وجرت له مع صاحب الشهاب محادثـة دلت على سمو أدبه،وعلو كعبه،فى عالم السياسة والتفكـير .

ثم نشر مقالا فى جريدة (لا ديفانس) (1) الصادقة الثابتـة الجسورة ، يبين فيه نظريته ، ويشرح فيه فكرته الاجتماعية التى

(1) الدفاع : يصدرها الامين العمودى .

بنى عليها سلوكه السياسى ، وسيجد قراؤنا تعريب هـذا المقـال إثـر فصلنـا هـذا .

ولقد تولت بعض الدوائر مهاجمتنا ، مستترة وراء جريـدة النجاح ، ووراء ورقة تدعى (صدى الصحافة الإسلامية) ، ولقد كنا ننتظر من تلك الدوائر التى هاجمتنا ، مناقشة هادئة،تتناسب مع وقارها ، وكنا ننتظر منها نضالا بأسلحة حادة ، لكن خاب أملنا فى الأمرين . فالمناقشة كانت صبيانية الشكل والموضوع ، والأسلحة كانت عتيقة مفلولة أبلتها كثرة الاستعمال .

فأما السلاح الذى استعمل ضدنا فى النجاح فهو أسئلة وضعها رجل كبير ، وأمضاها رجل صغير،وقد حسب الذين قدموا لنا هذه الأسئلة أنهم يحرجوننا بوضع البحث فوق ميدان الاستقلال ، كأننا قد رفعنا علم العصيان ، ونادينا بفصل الجزائر عن فرنسا من الآن .

فهو يسألنا أولا : متى كانت حدود الجزائر عـلى ما هى عليـه الآن ؟ وإننا نجيبه لنفرض أن حدود الجزائر لم ترسم على صفتها الحالية شرقا وغربا إلا منذ نحو مائة عام ، فهل لـه أن يجيبنا متى كانت حـدود فرنسا والمانيا وايطاليا والنمسا والمجـر ورومانيا ويوغوسلافيا واليونان وبلغاريا كما هى الآن ؟ وهل لم تتغير المرات العديدة خلال هذه المائة عام ؟

ثم يسألنا : متى كانت بلاد الجزائر مستقلة ؟ ونحن نقول لـه : إن ضربنا صفحا عن الدول الإسلامية المستقلة التى نشأت وازدهرت بالقطر الجزائرى ، وسلمنا بأن القطر الجزائرى بصفته الحالية لم يكن مستقلا فى وقت من الأوقات ، فهل لحضرة السائل أن يجيبنا : متى كانت دولـة تشيكوسلوفاكيا مستقلة ؟ وإلى أى عهـد يرجـع استقلالها ؟

ويسألنا أخيرا ، ما هى وحدة اللغة التى تكلمنا عنها فى كلمتنا

الصريحة ، فهل هي اللغة العربية ، والحال ليس كذلك ، كما يقول ، أم ماذا ؟

فهل نستطيع أن نجيبه بأن لغة هذا الوطن ليست عربية بدليل أن جريدة النجاح تنشر بلغة الصين ، وأن الجريدة الرسمية الحكومية تنشر إلى جانب نسختها الفرنسية نسخة بلغة النبط والكلدانيين ؟ أم نقول له إن الواقع يثبت بأنه لا يوجد في أرض الجزائر إلا واحد في المائة فقط من السكان المسلمين لا يتكلم العربية . ثم نسأله : هل لا توجد في فرنسا إلى جانب اللغة الرسمية الفرنسية لغات أخرى ذات آداب،ولها صحف سيارة،ويتكلمها الملايين من الناس ، وخاصة بالألزاس ، وبجهات الفلاندر ، وببلاد ابروتانيا التي يقوم أهلها بحملة تكاد تكون ثورية لإجبار الحكومة على تعليم لغتهم بالمدارس ، وببلاد البروفانس ، وضواحي مرسيليا ، وبجزيرة كورسيكا ؟

وهل توجد وحدة اللغة ، كما توجد بالقطر الجزائري ، في رومانيا ، ويوغوسلافيا ، وتشيكوسلوفاكيا،إن لم نتكلم إلا عن هذه البلاد ؟

وأما السلاح الذي استعمل ضدنا بصدى الصحافة الأهلية ، والذي خرج من معمل جريدة الهك القديمة وكتب بأقلام محرريها ، ونحن لا نشرفهم بذكر اسمهم ، احتقارا لا جهلا ، فهو ذلك الشتم البذيء الرقيع ، سلاح الأسافل العاجزين ، فصاحب الشهاب عند أولئك السادة : أحمق ، مجنون ، أخرق ، جاهل،غبي ، مجرم ، وهو بوحماره الخارجي الذي أثار افريقيا قصد تأسيس دولة فوق الخرائب ، ولم يتورع الكاتب،شلت يمينه،عن نبش قبر عبد المؤمن بن علي قدس الله روحه ، لتشبيع سياسته والحط بكرامته .

ثم يصف ذلك الكاتب الأمة الجزائرية بكل أوصاف الجهل والفوضى ، والتهديم والتخريب ، حتى ليكاد الإنسان يعتقد أن ذلك

الرجل الذى استؤجر لينال منا ، إنما استؤجر لكى يقول للناس فى العالم أجمع : انظروا كيف أصبحت حالة المسلمين الجزائريين بعد أن حكمت فرنسا بلادهم نيفا ومائة من السنين !

لـو كنا نستطيع أن ننحط إلى تلـك الدركة السافلة ، ونجارى أولئك المحررين فى أسلوبهم،لقلنا لهم إنهم أنذال ، سفهاء،ليس لهم ضمير ، ولا يعرفون شهامة ولا كرامة . لكننا لا نقول لهم هذا ، ولا نوجه لهم أمثال هذا الكلام ، فلنا من آدابنا الإسلامية ، ولنـا مـن شهامتنا العربية،ما يمنعنا عن الانغماس فى مستنقعهم النتن .

فدعهم هم والذين يملون عليهم تلك السخافات الرقيعة ، يقفون أمام الرأي العـام بهذه البلاد ، ولننظر كيف يكون حكمه عليهـم قاسيا أليما .

إننا أكدنا فى (الكلمة الصريحة) رغبتنا فى الاحتفاظ بكياننا العربى الإسلامى ، فـوق أرض هى أرض آبائنا وأجدادنا ، مـع احترامنا التام للسلطة وخضوعنا لقوانين البلاد .

لكن خصومنا ، كما قلنا آنفا ، أرادوا أن يفهموا من كلامنا أننا نريد الاستقلال،ورأوا أنهم يحرجوننا إذا وضعوا البحث على بساط الاستقلال . حتى إذا زل بنـا القـدم فـوق هذا البساط الأملس استنزلوا علينا نقمة الحكومة،وطلبوا أن نعامـل معاملة الثائرين المهيجين ، وأن نذهب ضحية قوانين رونى وما سبقها .

لكن خابت آمالهم ، فنحن قوم لا نتأخر عن الخوض فى مثل هذه الميادين ، وأنهم لا يزعجوننا إن جرونا للبحث فى مسألة الاستقلال.

إن الاستقلال حق طبيعى لكل أمة من أمم الدنيا . وقد استقلت أمم كانت دوننا فى القوة والعلم والمنعة والحضارة ، ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مـع اللـه،ويقولون إن حالـة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد . فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أنها

تزداد تقلبا مع التاريخ . وليس من العسير بل إنه مـن الممكن أن يأتى يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقي المادى والأدبى ، وتتغير فيه السياسة الاستعمارية عامة والفرنسية خاصة ، وتسلك فرنسا مع الجزائر مسلك انكلترا مع استراليا وكندا واتحاد جنوب افريقيا ، وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالا واسعا ، تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر .

هذا هو الاستقلال الذى نتصوره ــ لا الاستقلال الذى يتصوره خصومنا المجرمون ، استقلال النار والدماء ــ وهذا هو الاستقلال الذى نستطيع أن نحرز عليه مع الوقت ، وبإعانة فرنسا وبإرادتها. وإننا لا نخشاه ولا نخشى البحث فيه .

انتهاء الأزمة التونسية :

تمت الحوادث ببلاد الخضراء على النمط الذى توقعناه فى العدد السالف ، فان مسيو قيون المقيم العام الجديد قـد افتتح سياسته ، كما افتتحها من قبل لوسيان سان ومانصرون وبيروطون ، بالركون إلى جانب الاعتدال ، والوعد بسلوك طريـق المشاركة الصادقـة، وإجابة رغائب التونسيين المعقولة .

فأول عمل تم إجراؤه هو إرضاء طلبة الجامع الأعظم المعمور ، بأن أجيبت طلباتهم المتعلقة بمسألة تعلم اللغـة الفرنسية ، فوقع العفو عـلى الذين نالهـم العقاب الصارم منهـم،سواء بالسجن أو بالتغريب،ثم جمع المقيم العام لجنة قررت من جهة تأخير العمل بذلك الأمر إلى شهر مارس من سنة 1943 ، ثم قررت من جهة أخرى استثناء الكثير من الأعمال الإدارية والقضائية من ذلك الأمر القاضي بوجوب تعلم مبادىء اللغة الفرنسية لإجراء محادثات بسيطة عادية بها .

وهذه الوظائف المستثناة هى : الحكام الشرعيون،ورؤساء كتبة المحاكم الشرعية،وكتبة المحاكم الشرعية، ومستكتبو المحاكم الشرعية،

والكتبة والنساخون باللغة العربية بالمجالس المذكورة،والمنشئون والكتبة والمستكتبون والنساخون باللغة العربية بالقسم الأول من الوزارة الكبرى، وبالإدارة المركزية للعدلية التونسية،والمدرسون التونسيون بالمدرسة الصادقية،ومدرسو القسم الإسلامي من مدرسة ترشيح المعلمين،ومؤدبو المكاتب الابتدائية . كما يخرج من هذا القيد أيضا،رغم كونهم لا ينسحب عليهم هذا القانون،العمال والكواهي والخلفاء والمشائخ وكتبة الأعمال والمدرسون وسائر متوظفي الجامع الاعظم دام عمرانه،وأرباب الشعائر ومتوظفو جمعية الأوقاف والعدل،والمنشئون بالشرع العزيز . وبعد ذلك وقع الالتفات إلى الناحية السياسية ، فأمر مسيو قيون بحذف « جهنم الدنيا » برج لوبوف من قائمة الأماكن التى يمكن إبعاد التونسيين إليها،ثم أمر بإرجاع 62 من المبعدين السياسيين إلى أهلهم وذويهم ، بعد أن ذاقوا من العذاب الأليم،وتجرعوا من كؤوس البأساء والضراء ما لم تسمع بمثله إلا فى تاريخ محاكم التفتيش .

ولقد بقى الزعماء الثمانية أحرارا بمراقبتى قابس وجربة ، إلى أن يتفاوض معهم المقيم العام مفاوضة رجل لرجل : وهم السادة : الدكتور محمود الماطرى، والأساتذة محيى الدين القليبى، والطاهر صفر ، والبحرى قيقة ، وصالح بن يوسف ، والحبيب بورقيبة ، ومحمد بوزويته .

وأثناء رحلة المقيم إلى الجنوب ، تقابل مع الثمانية الزعماء ، ووقعت بينه وبينهم مفاوضة طويلة ، نشر بعدها المقيم بلاغا رسميا جاء فيه :

إن المقيم أكد لهم بأنه لا يريد أن يرى فى المستقبل سياسة هيجان ، إذ هو عازم على تنفيذ سياسة الحماية بحذافيرها ، باحترام حقوق الدولة الحامية وحقوق سمو الباى ، وانه يريد التعاون الصادق من الجميع حول هذه السياسة ، وأجابوه بلسان الدكتور

الماطرى أنهم لن يسلكوا أبدا سياسة الهيجان ، وأنهم لـم يهاجموا مبدأ الحماية، بل قصارى مطلبهم الإحراز عـلى الحقوق التى يطلبها التونسيون داخل منطقة النظام الحاضر . ثم أكدوا للمقيم أنـه يستطيع أن يثق بكلامهم، وأنه لن يندم على ثقته بهم .

هذه خلاصة بلاغ السفير، ونحن نعتقد وإن لم تأتنا الأنباء بعد ، بأن المبعدين الثمانية قـد رجعوا إلى بلادهم ، واسترجعوا حريتهم بعد طول البعاد ، وأن تونس ستفتح عصرا جديدا من العمل الهادىء المثمر ، خاصة وأن لهـا فى الواجهة الشعبية الفرنسية أصدقـاء سيبرهنون على صداقتهم لها ، فلعل الدستور والمجلس التشريعى وتحديد العلائق بـين الإدارتين تكون مـن نتائج هذا الدور الذى نرجو أن يكون موفقا سعيدا .(1)

(1) ش : جزء 3 ، مجلد 12 ، غرة ربيع الاول 1355 هـ ـ جوان 1936 .

نص المطالب التي قدمها لمكتب المؤتمر

رئيس جمعية العلماء خاصة بالدين واللغة العربية

اللغة العربية :

تعتبر اللغة العربية رسمية مثل اللغة الفرنسية،وتكتب بها مع الفرنسية جميع المناشير الرسمية . وتعامل صحافتها مثل الصحافة الفرنسية ، وتعطى الحرية فى تعليمها فى المدارس الحرة مثل اللغة الفرنسية .

الديـانة :

1 ــ المساجـد :

تسلم المساجد للمسلمين مع تعيين مقدار من ميزانية الجزائر لها يتناسب مع أوقافها،وتتولى أمرها جمعيات دينية مؤسسة على منوال القوانين المتعلقة بفصل الدين عن الحكومة .

2 ــ التعليم الدينى :

تؤسس كلية لعلوم الدين ولسانه العربى لتخريج موظفى المساجد من أئمة وخطباء ومدرسين ومؤذنين وقيمين وغيرهم .

3 ــ القضاء :

ينظم القضاء بوضع مجلة أحكام شرعية،على يـد هيئة إسلامية، يكون انتخابها تحت إشراف الجمعيات الدينية المشار اليها فى الفصل

السابق،وإدخال إصلاحات عـلى المدارس التي يتخرج منها رجـال المحاكم ـ منهـا تدريس تلك المجلة ـ والتحقق بالعلـوم الشرعية الإسلامية،وطبع التعليم بطابعها،لتكوين رجال يكونون من أصدق الممثلين لها .(1)

عبد الحميد بن باديس

(1)البصائر : س 1 ، ع 24 ، الجمعة 29 ربيع الاول 1355 هـ ـ 19 جوان 1936 م .

حقوق الأمة الجزائرية (1)

التى تطلبها من الأمة الفرنسوية

مقدمة :

إن الأمة الجزائرية قد شاركت الأمة الفرنسوية فى مواقف الموت، فمن الحق والعدل أن تساويها فى مواقف الحياة .

إن الحياة تشترى بالأرواح والأبدان،والأمة الجزائرية قد بذلت أرواحها وأبدانها مع الأمة الفرنسوية ومثلها ، ومن دفع الثمن فمن الحق والعدل أن يأخذ الثمن .

إن الأمة الجزائرية سمعت فى أيام الشدة ومواطن البأس من الأمة الفرنسية،إنهما يستويان فى السلم كما تساويا فى الحرب . فأما الذين ماتوا فى تلك الأيام فقد ماتوا وقلوبهم تنعم بذلك الأمل المعمول،وأما الذين بقوا فبقيت قلوبهم تتجرع الخيبة بعد الخيبة، وتنطوى على الألم بعد الألم .

إن الأمة الفرنسوية لا تستغنى عن الأمة الجزائرية،كما لا تستغنى الأمة الجزائرية عنها،فمن الخير لهما معا أن لا تشعر واحدة منهما من ناحية الأخرى بنقص فى الود أو ظلم فى الحقوق .

وعلى هذا بنينا ما نقدم من الحقوق التالية،طالبين من الأمة الفرنسية،وخصوصا من الحكومة الشعبية الجديدة التى تمثل الشعب

(1) مطالب قدمها الشيخ عبد الحميد سنة 1936 لمكتب المؤتمر .

الفرنسوى والمبادىء الجمهورية،أصدق تمثيل باسم الحق والعدل تنجيزه .

لا تتحقق المساواة المطلوبة إلا برفع جميع الأوضاع الخاصة،مثل المتصرفيات ومجالس (الكريمينال) والمعاملات الخاصة ، بل الانديجينة واعطيات الجندية وزيادة مدة الخدمة العسكرية . والبرنامج الخاص بالتعليم فى المكاتب الابتدائية وغيرها،وحرمان عمال الجزائر من كثير مما يتمتع به العمال الفرنساويون .

النيابات :

لا يمكن للأمة الجزائرية أن تنال حقها من الحياة على الأرض الجزائرية،ما دامت لا تمثلها فى جميع المجالس الأقليمية،فأول مطلب فى النيابة هو تسوية نواب الجزائريين بنواب الفرنساويين فى جميع المجالس،ثم مطلب توحيد النيابة البرلمانية بكلا المجلسين، بحيث يشارك فى انتخاب النواب البرلمانيين مشاركة فعلية جميع سكان الجزائر على اختلاف أجناسهم وعقائدهم،مع بقاء المسلمين على جميع ذاتياتهم الإسلامية .

(هذا التصدير قدمه الأستاذ للمؤتمر باسمه الخصوصى،على أنه رأي من الآراء يضم إلى نظائره،وبعد هذا بين فى إيجاز بليغ مطالب جمعية العلماء وقدمها باسمها وهى) :

اللغة العربية :

تعتبر اللغة العربية رسمية مثل اللغة الفرنسية،وتكتب بها مع الفرنسية جميع المناشير الرسمية،وتعامل صحافتنا مثل الصحافة الفرنسية،وتعطى الحرية فى تعليمها فى المدارس الحرة مثل اللغة الفرنسية .

الـــدين :

١ ـ المساجـد :

تسلم المساجد للمسلمين مع تعيين مقدار من ميزانية الجزائر لها يتناسب مع أوقافها ، وتتولى أمرها جمعيات دينية مؤسسة على منوال القوانين المتعلقة بفصل الدين عن الحكومة .

٢ ـ التعليم الديني :

تؤسس كليـة لتعليم الديـن ولسانه العربي لتخريج موظفي المساجد من أئمة وخطباء ومدرسين ومؤذنين وقيمين وغيرهم .

3 ـ القضاء :

لا ينظم (١) القضاء بوضع مجلة أحكام شرعية عـلى يـــد هيئة إسلامية يكون انتخابها تحت إشراف الجمعيات الدينية المشار إليها في الفصل السابق ، وإدخال إصلاحات عـلى المدارس التي يتخرج منها رجال القضاء ، منها تدريس تلك المجلـة ، والتحقق بالعلوم الشرعية الإسلامية ، وطبع التعليم بطابعها لتكوين رجال يكونون من أصدق الممثلين لها (٢) .

(1) كذا في الاصل وصوابه فيما يبدو اسقاط (لا) .

(2) الشهاب ، ملحق ، ج 4 ، م 12 ، ربيع الثاني 1355 هـ ـ جوليت 1936 م .

المؤتمر الجزائرى الإسلامى العام

يحقق مبادىء (الشهاب)

يجد القراء على وجه كـل جزء من أجزاء (الشهاب) مبدأه فى الإصلاح السياسى هكذا : (الحق والعدل والمؤاخاة ، فى إعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات)،ونحن نعنى بذلك أن الأمة الجزائرية قد قامت لفرنسا بكل ما طلبته منها من نفس ونفيس ، فمن الحق الواجب على فرنسا ومن العدل الذى لا يقوم (1) أمة إلا بـه ، ومن مقتضى المؤاخاة الحقيقية التى لا تكون إلا عندما يشعر الإنسان بأنه غير مغموط الحق،ولا مهضوم الجانب من صاحبه ــ أن تعطى فرنسا للجزائريين جميع حقوقهم دون أى تنقيص لهـم عن غيرهم . ولا أدنى تمييز له عنهم ، وليس لها أن تطالبهم بالانخلاع عن أقل شىء من مميزاتهم فى قوميتهم ودينهم ولغتهم،فقد قاموا بما فرضته عليهم من الواجبات وهم على قوميتهم ودينهم ولغتهم،فلتعطهم جميع الحقوق وهم على قوميتهم ودينهم ولغتهم . وعلى هذا المبدأ كنا نقاوم بروجى الرجل العظيم الذى لا ننسى فضله م.فيوليت لما فيه من عدم التسوية فى الحقوق،لا بين الجزائريين والفرنسيين،ولا بين طبقات الجزائريين أنفسهم،وما فيـه مـن تهيئة الطبقـة المثقفة للاندماج مـع السكوت التام عـن الدين واللغة ، قاومناه أيام كان النـاس كلهـم متمسكين بـه إلا مـن عارضوه لأغراض معلـومة

(1) كذا فى الاصل والصواب : تقوم .

وبإيمازات خاصة ، ولم نبال في معارضته ــ لما كان مخالفا لمبدئنا من المساواة في الحقوق والمحافظة على المقومات الذاتية بكل الذين كانوا يعترضون علينا،وقد يجاوزون الاعتراض إلى حد آخر ، نعم، ثبتنا على تلك المقاومة،لأننا نعرف أننا بمبدئنا نعبر عن عقيدة جمهور الأمة،ونعرب عن إحساسها ، وجاء المؤتمر،وطلبت مني لجنة قسنطينة أن أضع لها ما أراه من المطالب ، فوضعت المطالب المنشورة في المقال المتقدم،ومن تلك المطالب « المساواة في الحقوق السياسية مع المحافظة التامة على جميع الذاتية »،وهذا هو الذي أقره المؤتمر بالإجماع،ووجهته رئاسة المؤتمر إلى الحكومة،ونشرته الصحف في صدر قرارات المؤتمر ، وسقطت به جميع البروجيات ، فحققت الأمة بهذا من مؤتمرها العام المبدأ الذي دعا إليه الشهاب،لأنه يدرك حقا نفسيتها،وينطق صدقا بلسانها ، فنحمد الله الذي وفق الأمة إلى ما فيه خيرها وشرفها،ونسأله تعالى أن يحيينا ويميتنا في خدمتها، محافظين على قوميتها ودينها ولغتها ، ساعين بها ومعها في ترقية العمران وسعادة الإنسان (1) .

عبد الحميد بن باديس

(1) ش : ج 4 ، م 12 ، غرة ربيع الثاني 1355 هـ ــ جويلية 1936 م .

كلمة قالها ابن باديس

تلخيص مندوب جريدة الامة الغراء

بمناسبة اجتماع الوفد الجزائرى بالشعب

قال الشيخ الرئيس :

أيها الجزائرى التاريخي القديم ، المسلم الصميم ، كلمته من كلمة الله ، وإرادته من إرادة الله ، وقوته من قوة الله ، أولست منذ شهر كونت مؤتمرا كما ينبغي أن يكون جلالا وروعة ، فذلك مجلى إرادتك،ومظهر قوتك ، وكونت هذا الوفد الكريم فحملته مطالبك فاضطلع بها،وأدى الأمانة فى ثمانية أيام ، وهى لا تؤدى إلا فى أضعاف ذلك من الأيام ، وفد،لعمر الله،مثلك فى قوتك وإرادتك وحياتك وكرمك ، وفد متحد متعاون متساند،زار الوزارات والأحزاب وأرباب الصحف فعرفك إليها،ورفع إليها صوتك . ولقد كدت تكون،أيها الشعب،مجهولا عندهم تمام الجهل ، لكن بأعمالك العظيمة،وبما قام به الوفد،صرت معلوما لدى من يعرف الحق،ويحترم الكريم،وينصف المظلوم .

أيها الشعب،إنك بعملك العظيم الشريف برهنت على أنك شعب متعشق للحرية وهائم بها ، تلك الحرية التى ما فارقت قلوبنا منذ ركنا نحن الحاملين للوائها ، وسنعرف في المستقبل كيف نعمل لها، وكيف نحيا ونموت لأجلها .

إننا مددنا إلى الحكومة الفرنسية أيدينا ، وفتحنا قلوبنا ، فــإن مدت إلينا يدها وملأت بالحب قلوبنا فهو المراد ، وإن ضيعت فرنسا فرصتها هذه فاننا نقبض أيدينا،ونغلق قلوبنا،فلا نفتحها إلى الأبد.

أيها الشعب،لقد عملت وأنــت في أول عملك فاعمل ودم عــلى العمل،وحافظ على النظام ، واعلم أن عملك هذا على جلالته ما هو إلا خطوة ووثبة ووراءه خطوات ووثبات . وبعدها إما الحياة.وإما الممات (1) . اهـ

---

(1) ش : ج6 ، م 12 ، غرة جمادى الثانية 1355 هـ ـ سبتمبر 1936 م .

ليست الزردة وحـدها

ولكن وراء الاكمة ما وراءها ...

تمهيـد :

حقـا إن الزردة التى أقامها الدكتور بقسنطينة وترأسها،ودعا إليها ، ونشر عنها المقالات الطويلة أيـامـا متـوالية فى جريدة (لا ديبش) اليومية ، لمنكر طريف ، وحادث عجيب ، شغل الناس بما فيه مـن نكر،وما فيه مـن طرافة،حتى كاد ينسيهم كل ما أتى بـه الدكتور من أعمال ضارة،وما سلكه من سبل معوجة ، فلربما حسب قوم أن الزردة هى كل ما تنقمه الجمعية عليه ، ولربما استكثر قوم هذه النقمة على أمر حقير إذ ليس بالخطير ، ولكن الحقيقة خلاف هذا الظن ووراء هذا الحسبان،وليس من النصح أن تبقى الحقيقة مكتومة عن الناس ، ففى بقائها مكتومة الحيرة والاضطراب والضلال ، وفى بيانها الهدوء والاطمئنان وإنارة السبيل للعاملين . وها نحن نبينها فى الكلمات التالية مكشوفة دون أى تقبيح أو تحسين ، حتى يحكم القراء بأنفسهم حكما غير متأثرين فيه إلا بالحقيقة المجردة .

كيف كنا معا :

لقد كانت الجمعية مضطهدة من الحكومة ومعاكسة فى أعمالها من أول نشأتها،وكان مـا تنقمه الحكومـة عليها بعثها النهضة العلمية والدينية فى الأمـة الجزائرية،بعد طول رقادها،ويـأس القانطين

(1) الزردة فى اللغة : الاكلة ، ثم صارت تطلق على الاكلة الجماعية .

والمقنطين من يقظتها . فلما جاءت الحركة السياسية وتقدم رجال أحرار للنيابة عن الأمـة ، وكان جميع المنتمين للجمعية ــ بطبيعة علمهم وبصرهم لا بوحي جمعيتهم ــ مع النواب الأحرار ، وفـاز النواب الأحرار في أكثر الدوائر ، لمـا كان هذا كله زادت نقمـة الحكومة على الجمعية،واعتقدت تأييد الجمعية للنواب الأحرار،ونسبت يقظة الأمة وحسن اختيارها وعدم امتثالها للإيمازات،وعدم خوفها من التهديدات ، إلى ما بثته فيها الجمعية من حياة . وأخذت من يوم ذاك هى والصحافة الفرنسية الباريسية والجزائرية تقرن النواب الأحرار والجمعية في قرن،عندما تكيد أو تقذف أو تغرى أو تهاجم، مع تخصيص الجمعية بالقسط الأوفر من الأذى والتهويل والإثارة للفكر الفرنسى العام .

ومن العجيب أن الدكتور كان ، دون سائر النواب الأحرار ، ينفس على الجمعية هذا البلاء،ويحسدها على هذا العذاب ، ويكره أن تكون لها تلك السمعة في الصحف ، وأن يكون للمنتمين إليها ذلك الأثر في فوز النواب الأحرار ، وكان يظهر ذلك في مجالسه وأمام من هم معه من الساسة ، ولكنهم لا يرون رأيه في الجمعية . وكان كلام الدكتور يبلغنا ــ ولا محالة ــ وكنا لا نلقى له بالا حرصا على اتفاق الكلمة،وإبقاء على وحدة الأمة. وكنا ــ رجال الجمعية ــ لا يكون موقف عام إلا أيدناه ، ولا موطن يقتضى التقدم إلا قدمناه. حتى جاء المؤتمر الذى بذل كل جهده في عرقلته وأبى الله إلا أن يتمه ، فقدمناه رئيسا عليه . ولما جاء تأسيس اللجنة التنفيذيـة للمؤتمر قدمه رئيس الجمعية لرئاستها فوقع الاتفاق على قوله . ولما رجع الوفد وقفل هو ورئيس الجمعية إلى قسنطينة وخرجـت البلدة كلها للقائهما في يوم مشهود ، خطب رئيس الجمعية في تلك الجموع وقال لهم : « ثقوا بالله ثم بأنفسكم ثم برئيس المؤتمر » وكنا ــ علم الله ــ إلى ذلك اليوم ، وبعد ذلك اليوم،عاقدى العزائم على العمل معه في ظل المؤتمر إلى غاية ما نستطيع .

كيف افترقنا :

وقعت حادثة الاغتيال المشؤومة فاغتيل معها ـ والله ـ عقل الرجل ، وقال وكتب ما سبق به كل أعداء الجمعية إلى توجيه التهمة ـ تصريحا بالقول وتلويحا بالكتابة ـ إلى العلماء ورغم ذلك أغضبنا وسكتنا . ووقعت حادثة الاعتقال الباغية فاهتبلها فرصة للإيقاع بالجمعية،فطار الرجل إلى باريس يحمل معه تصريحاته إلى جريدة (مارساي ماتان) لما نزل بمرسيليا ، تلك التصريحات التى لم يقل مثلها ـ مجتمعة ـ أحد من أعداء الجمعية والباغين لها الشر على كثرتهم فيها . ووقف على تلك التصريحات السيد طاهرات والسيد ابن الحاج العضوان في الوفد ، وقد جاءا باريس مرة ثانية كما جئنا،فأظهرا استنكارهما لها،ودعواه إلى تكذيبها،فوعد بتكذيبها . ووقفنا عليها ونحن بباريس فتريثنا بقدر ما انزعجنا ، وانتظرنا التكذيب وانتظرنا ، ولكن مضت الأيام والرجل لم يكذب،فطلبنا منه التكذيب على لسان جريدة الجمعية،وانتظرنا ثم انتظرنا،وجاء الاجتماع العام للجمعية،وعرضت مسألة تصريحاته على الاجتماع فقرر بالإجماع ـ إلا الاستاذ العقبى ـ القرار الذى نشر فى العدد 39 من « البصائر » مع تعليق تنفيذ القرار على مضى ثمانية أيام دون أن يكذب . وكاتبه أثر تلك الجلسة الأستاذ العقبى بصفة خاصة يطلب منه كلمة تكذيب ينشرها فى البصائر وتنتهى بها المسألة،حسبما كان وعده،فلم يفعل، فنفذ قرار الاجتماع العام،واعتبر ضدا من أضداد الجمعية،ليكون لكلامه عنها عند الحكومة وعند الناس قيمة كلام الضد لا قيمة كلام الصديق .

طعنة من الخلف في أخطر الأوقات :

في الوقت الذى أدخل فيه السجن الأستاذ العقبى،ونجمت قرون الشر من كل جهة تنضنض بألسنة الباطل إلى الجمعية..

يصرح الدكتور ابن جلول تلك التصريحات التي نعـــرف نحـن وأمثالنا ممن تعودوا البهت الإداري أنه لا يحسن نسجها،ولا يتقن وضعها،ولا يحويها ذهنه . وإنما هي صنع معامل شيطانية تقدمها لمن يرضى لنفسه باستعمالها فيستعملها،فيكون عليــه غرمها،ولها هي غنمهــا .

أخبرنا نائب عمالي ذو شخصية ، أن الدكتور عقد اجتماعــا لجمعية النواب قبيل الاعتقال،وأظهر من حنقه على الجمعية،وعزمه على البطش بها ما أفزع ذلك النائب وتركه ليالي مهتما بما سيكون من الدكتور ضد الجمعية . وسألنا غيره ممن حضر ذلك الاجتماع فحققه لنا . وأخبرني بعض الرفاق في الوفد من النواب لما قدمت باريس بعيد قدوم الدكتور أنه قدم ممتلئا غيظا على الجمعيـــة . وفي طريق قدمته تلك فعل فعلته في « مارساي ماتان » .

فالدكتور وجد من تلك التصريحات المحصلة لغرض غيره مـــا يحصل غرض نفسه فطعن بها الجمعية في نكبتها،وأحرج أوقاتها طعنة حسبها هي القاضية عليها . فأنى له بعد هذا كله أن يكذب، وكيف ينتظر منه أن يكذب ؟؟ . ولو أن هذه الطعنة لم تكن لهـــا هذه الملابسات من قيمة فاعلها المباشر ، ومدبرها المصاول ، ووقتها المتخير ، لما التفتنا إليها،ولما ألزمنا بتكذيبها مثل ما ألزمنا .

آلــة في يــد الظلــم :

لقد اتخذت لمحاربة هذه الجمعيـــة آلاف ... فأسست لأجلهـــا الجمعيات والصحف ، واستخدم نواب من ذلك الطراز المعلوم فدسوا الدسائس ، وخطبوا في المجالس ، وباء الجميع بالفشل والخسران المبين . ولقد قوومت هذه الجمعية بأنواع المقاومة،وسوومت للتحول عن خطتها أو التساهل فيها بوجوه المساومة حتى سوومت بنصرها وتأييدها وتقديم رجالها وإجابة مطالبها على أن تتخلى عن النواب

الأحرار وتنفض يدها منهم ، فكانت إزاء ذلك كله الجبل الأصم الذى لا يسمع،والطود الأشم الذى لا يتزعزع . وكان جواب رجالها على المساومة الأخيرة أن كونوا المؤتمر الإسلامي الجزائرى العام فأوقفوا الأمة كلها خلف النواب الأحرار ، ووضعوا على رأسه ابن جلول ، وأعلنوا ثقتهم بالحكومة الشعبية وأحزابها .

هال هذا الموقف الجدى وهذا المظهر الرائع من الأمة الإسلامية الجزائرية نواحى لا تعيش إلا على فقر هذه الأمة وجهلها وتفرقها، وعدته ذنبا جديداً من ذنوب الجمعية أتى على ما قبله،وأفزع بما بعده،فابتدأ من تلك النواحي موقفها الجديد وسلاحها الجديد ، وكان من آثار ذلك الموقف حادثة الاغتيال،والاعتقال،ورمي الشيخ الحبيباتنى بالرصاص ، وكان من السلاح الجديد حضرة الدكتور الزعيم ... !

وافق شن طبقة :

فبينما تلك النواحي تحرق الأرم على الجمعية التى لم يكفها جمع الأمة على العلم والدين والتهذيب حتى عملت على جمعها على هذا المؤتمر العظيم ، وتسف للدنايا لتنسف الجمعية نسفا وتصم رجالها ـ كذبا وزورا ـ بكل إفك وشين ، إذا بها : تلك النواحى تسمع زمجرة الدكتور ووقيعته فى الجمعية وبغيه لها الكيد .

وبينما هو الآخر يتحرق من الغيظ على الجمعية التى عملت على تكوين مؤتمر يظهر فيه رجال،وتوزن فيه الأعمال ، ويسمع فيه الزعيم ما لم يعتد سماعه من انتقاد ، إذا به يشاهد أيديا من تلك النواحي تلوح له بالرضاء وما وراء الرضاء ، وتومىء إليه بالقضاء على أولئك العلماء المشوشين المتدخلين فى السياسية كل القضاء ، فأسرع إلى الأحضان،وأصبح الحبيب المقرب،والصديق الممدح ، الذى تفتح له الأبواب ، وتفسح له الرحاب ، ويدخل بلا استئذان ،

ويناديه متصرف « بريفي » قسنطينة من نافذة سيارته في طريق سكيكدة « سالي دكتور ... » ويعطيه الماليون المعروفون قناطير الفارينة ورؤوس البقر ليقيم زردة لأموات وجه الأرض على أموات بطنها ، وإن كان الذين أوذوا واضطهدوا من جرائه أيام كانوا أسفاه ـ ما زالوا من آثار ذلك في الذل والفقر يتخبطون.

كل هذا لحضرة الدكتور على أن يعمل على هدم الجمعية وهدم المؤتمر . وقد عمل لذلك بقوله وعمله وكتاباته ، وما زال يعمل ، ولكنه خائب إن شاء الله .

الأمة حكمت وابرمت :

لم تزد الجمعية من يوم أيست من رجوعه عن طعنته لها ، على أن أعلنت أمره للأمة وخلت الحكم عليه لها ، ولقد شاء الله أن يكون حكم الأمة عليه سريعا فحكمت بإسقاطه من رئاسة مؤتمرها . ثم حاول منذ أيام بمكتوب نشره هو والسيد ابن الحاج أن يجمع لجان المؤتمر من العمالات الثلاث إلى سطيف لتعيد النظر في أمر عزله،لأن عزله ـ زعم ـ لم يكن بالأكثرية ، فكان من تلك اللجان أن أمطرت للسيد ابن الحاج ببرقيات الاحتجاج على استبداده بالدعوة إلى سطيف،وظهوره بمظهر الموافق على ذلك الزعم . فما وسع السيد ابن الحاج إلا الرضوخ،وحاول أن يتدارك الأمر فأبرق إلى أعضاء تلك اللجان مساء الجمعة الماضية بتحويل الاجتماع إلى الجزائر،فأعرضت عنه اللجان،وأصبح يوم الأحد الماضي المعين للاجتماع ، وهو ينتظر الوافدين في محل بإحدى المقاهي الافرنجية، فما وجد نفسه إلا في سبعة شطرهم جاء للاعتراض،فكان هذا من الأمة الممثلة في لجان مؤتمرها بالعمالات الثلاث ، إبراما لما كانت حكمت به من عزل الدكتور من رئاسة المؤتمر، وتلك عاقبة الظالمين.

وبعد : فهل أدرك الدكتور حقيقة أمره ، وشعر بغضب الأمة عليه فأخذ يتراجع عن غيه ، ويتدارك من خطئه ليعود إلى بعض مقامه عند قومه ؟ أم هو ما يزال جادا في سيره حتى يصل من منحدره إلى النهاية .

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالى ركبت كل لهذم[*]

[*] البصائر : السنة الاولى ، عدد 43 ، 28 شعبان 1355 هـ ـ 13 نوفمبر 1936 م .

الجنسية القومية والجنسية السياسية

تختلف الشعوب بمقوماتها ومميزاتها كما تختلف الأفـراد . ولا بقاء لشعب إلا ببقاء مقوماته ومميزاته كالشأن في الأفراد . فالجنسية القومية هي مجموع تلك المقومات وتلك المميزات . وهذه المقومات والمميزات هي اللغة التي يعرب بها ويتأدب بآدابهـا ، والعقيدة التي يبنى حياته على أساسها ، والذكريات التاريخية التي يعيش عليها وينظر لمستقبله من خلالها،والشعور المشترك بينه وبين من يشاركه في هذه المقومات والمميزات .

والجنسية السياسية أن يكون لشعب ما لشعب آخر من حقـوق مدنية واجتماعية وسياسية مثل ما كان عليه مثل ما على الآخرَ من واجبات اشتراكا في القيام بها لظروف ومصالح ربطت ما بينهما .

ومن الممكن أن يدوم الاتحاد بين شعبين مختلفين في الجنسيـة القومية إذا تناصفا وتخالصا فيما ارتبطا به من الجنسية السياسية التي قضت بها الظروف واقتضتها المصلحة المشتركة .

فإذا لم يرتبطا بالجنسية السياسية فلابد لهما ـ مهما طال الأمد ـ من أحد أمرين : إما أن يندمج أضعفهما في أقواهما بانسلاخه من مقوماته ومميزاته فينعدم من الوجود . وإما ان يبقى الضعيـف محافظا على مقوماته ومميزاته فيؤول أمره ـ ولابد ـ إلى الانفصال.

وبعد فنحن الأمة الجزائرية لنا جميـــع المقومات والمميـزات لجنسيتنا القومية،وقد دلت تجارب الزمان والأحوال على أننا مـن

أشد الناس محافظة على هذه الجنسية القومية،وأننا ما زدنا على الزمان إلا قوة فيها،وتشبثا بأهدابها،وأنه من المستحيل إضمافنا فيها فضلا عن إدماجنا أو محونا . أما من الناحية السياسية فقد قضى قانون – 1865 – باعتبارنا فرنسيين،لكنه نفذ وينفذ تنفيذا جائرا،فيفرض علينا جميع الواجبات الفرنسية دون حقوقها،فكنا كما قال الشاعر :

وإذا تكون كريهة أدعى لها   وإذا يحاس الحيس يدعى جندب(1)

أو كما يقول مثلنا الدارج « وقت الدواء هاتوا بونافع ، وقت الشفا طيشوا الدرياس » ، صبرنا على هذا الحيف طويلا وعالجناه بما استطعنا مرات كثيرة من جهات عديدة،حتى جاء الوقت الذى نفد فيه الصبر،وأعيا العلاج،فقلنا البيت الثاني من قول الشاعر المتقدم:

هذا وجدكم الصغار بعينه   لا أم لي إن دام ذاك ولا أب

فنهضت الأمة نهضتها بمؤتمرها الفخم الجليل،وقررت فيه بالاجماع « المحافظة التامة على المميزات الشخصية، والمطالبة بجميع الحقوق السياسية »،وأدرك أقطاب الواجهة الشعبية أحقية هذا المطلب،وأدركوا أن لا بقاء للأمة الجزائرية مرتبطة بفرنسا إلا إذا أعطيت حقوق الجنسية الفرنسية السياسية مع بقائها على جنسيتها القومية بجميع مميزاتها ومقوماتها،فتقدموا لمجلس الأمة الفرنسي بالقانون المعروف اليوم ببروجي بلوم – فيوليط،وتلقاه الذين يقدمون مصالحهم الفردية والاستعمارية على مصالح فرنسا الحقيقية بما هو معروف من معارضة بذية ظالمة منكرة،وتلقته الأمة الجزائرية التي ترضى بالارتباط بفرنسا في حقوقها وواجباتها – وهي الجنسية السياسية – ما دامت محترمة في جنسيتها القومية،وهي تلك المقومات والمميزات بشرط لابد منه : وهو أن يكون التساوى

(1) الحيس : طعام مركب من تمر وسمن وسويق .

تاما في جميع تلك الحقوق،دون تخصيص لحق دون حق،ولا تمييز لطبقـة عـن طبقـة .

ولهذا اعتبرت بروجي بلوم ـ فيوليط قليلا جدا بالنسبـة لحقوقها،وإنما تقبله اليوم كخطوة أولى فقط يجب بعد تنفيذها أن يقع الإسراع في بقية الخطوات إلى تحقيق التساوى التام العام الذى هو الشرط الطبيعى فى سنن الاجتماع فى بقاء الارتباط بصفـاء وإخـلاص .

وإذا لم يكن فلا عتب على الزمان ، وما شاء الله كان .

إننا بكلامنا هذا نعرب عن فكر الأكثرية العظمى من الأمـة الإسلامية الجزائرية . ونعلن أن هنالك من لا يرضيهم هذا ومن لهم نظرات أخرى لها حظها من الاعتبار . وإننا نتحقق أن الموقف الذى يقفه البرلمان الفرنسوى يوم تعرض عليه المسألة هو الذى يوجـه الأمة الجزائرية إحدى الوجهتين،فالمستقبل بيده . والأمر لله من قَبْلُ ومِن بَعْدُ (1)

(1) ش : ج 12 ، م 12 ، غرة ذى الحجة 1355 هـ ـ فيفرى 1937 م .

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أمام لجنة البحث البرلمانية

مساء الخميس 5 صفر الجارى 16 أفريــل قابلت لجنــــة البحث البرلمانية بقصر الجمعيات بالعاصمة هيئة مـــن جمعية العلمـــاء المسلمين الجزائريين باسم الجمعية ، وكانت الهيئة متركبة مـــن الشيخ : عبد الحميد بن باديس ، البشير الإبراهيمى ، مبارك الميلى ، العربى التبسى ، الأمين العمودى .

قدم الرئيس كراس المطالب للجنة،وتلاه عليها الشيخ العمودى وشرح لها بعض نقط فيه .

فصل الجزائر عن فرنسا :

بادرنا الرئيس بأن للجمعية خصوما كثيرين،وأنهم يقولون إن فى جريدة الجمعية دعوة إلى فصل الجزائر عن فرنسا . فأجبته بأن هذا الفصل لم يفكر فيه أحد من الجمعية،فلا وجود له ــ قطعا ــ فى جريدة الجمعية .

نظرنا فى إصلاح الحالة :

سألنا عن نظرنا فى إصلاح الحالة،فأجبته بأننى أحقق لهم قبل كل شيء أمرين وهما :

1 ــ أن كل محاولة لحمل الجزائريين على ترك جنسهم أو لغتهم

أو دينهم أو تاريخهم أو شيء من مقوماتهم،فهي محاولة فاشلة،مقضي عليها بالخيبة ، والواقع دل على هذا .

2 ـ وأن الحالة التعيسة التي بلغت إليها الأمة الجزائرية ـ وقد اطلعتم أنتم عليها أكثر من غيركم ـ لا يمكن أبدا أن يستمر صبر الأمة الجزائرية عليها أكثر مما صبرت .

فالواجب ـ إذا ـ هو إعطاء الأمة الجزائرية جميع الحقوق مع محافظتها على جميع مقوماتها .

هنا سألنا أحد أعضاء اللجنة من جماعة اليمين : إذا،فأنتم ترون أن فرنسا والجزائر شعبان اثنان ؟ فأجبته بأننا نراهما كذلك ، وهما في الواقع وبالطبع كذلك ، ولا يمنع هذا من تعاونهما كأخوين لا كسيِّد وعبد .

بروجي فيوليط والحالة الشخصية :

سألنا عن بروجي فيوليط،فأجبته بأن بروجي فيوليط ما حاز القبول الذى حازه إلا لما فيه من التصريح بالمحافظة على الحالة الشخصية ، مع أن ما فيه إنما هو نزر قليل جدا من الحقوق المطلوبة.

رأينا في إلزام الحكومة المسلمين برفض الأحكام الشرعية :

سألنا الرئيس عن رأينا لو أن فرنسا أصدرت أمرا بطرح المسلمين الأحكام الشرعية لتعطيهم الحقوق الفرنسية ، فإنهم فهموا من بعض الناس أن المسلمين يصبرون لذلك كما صبروا لقانون إلزامهم بالعسكرية . فأجبته بأن قياس أمر رفض الشريعة الإسلامية على أمر التجنيد الإلزامي غلط فاحش،وقياس مع الفارق، فإن المسلمين لما ألزموا بالجندية علموا أنهم مظلومون أفدح الظلم بتقديمهم للموت مع حرمانهم من حقوق الحياة ، ولكنهم صبروا على ذلك لأمرين : الأول أنهم يشعرون ببقاء ذاتيتهم ، والثاني

أنهم يعتقدون أنه يأتي يوم يدرك فيه رجال من فرنسا فداحة هذا الظلم فيزيلونه بإعطائهم حقوق الحياة التي يتمتع بها غيرهم . أما إذا ألزمت فرنسا المسلمين برفض شريعتهم والتخلى عن ذاتيتهم، فإنهم يشعرون بالضربة القاضية عليهم بالعدم التام . أنا أعتقد أنكم وأمثالكم تبحثون عن وجه في الإصلاح ينقل الجزائر من حالة اضطراب إلى حالة استقرار . وأنا أحقق لكم أنكم إذا ألزمتم الأمة الجزائرية المسلمة برفض شريعتها والتخلى عن ذاتيتها،فإنكم تكونون قد وضعتم أمرا يؤول بالجزائر إلى اضطراب أعظم لا تدرى عاقبته .

تجزئة الأحكام الشرعية :

سألنا ماذا تقولون لو صدر الأمر بمنع تعدد الزوجات خاصة ، فأجبته بأن الشريعة كل لا يجوز للمسلم تجزئته ، فتقبل كلها أو ترد كلها .

جبر البكر :

سألنا عن جبر البكر،فأجبته بأن هذه من الفروع الخلافية التي يسوغ للمسلمين أن يتوسعوا فيها باتباع من شاءوا من أئمتهم .

مجلة (الشهاب) ومقاومة الاندماج :

جاء أحد الأعضاء بمقالات مترجمة من مجلة (الشهاب) فيها الإشادة بالعروبة والإسلام والمحافظة عليهما ، وعدم الاندماج فى الأمة الفرنسية ، فسألنا الرئيس عما فيها ، فأجبته بأن مجلة (الشهاب) ليست مجلة الجمعية،وانما هى مجلتى ، وأنا أجيبك عنها بصفتى الخاصة : أولا _ أنا لا أثق بترجمة المترجمين فى الإدارة لأننى جربت عليهم الخطأ والاقتصار على ما لا يفهم المراد

بل يفهم خلافه ، لأن الكلام يبين بعضه بعضا . وثانيا ـ أنا أقول لكم ـ كما أصرح دائما ـ : إننا عرب مائة في المائة، ومسلمون مائة في المائة، لا نتنازل عن شيء من ذلك ، ونحن مع فرنسا كأخ مع أخيه لا كسيد مع عبده . وأقر أعضاء هيئتنا ما قلته فكان رأي الجميع .

تقييد في محله :

لما قلت إننا مع فرنسا قال الشيخ العمودي ما لم تنفرنا هي .

وعود نرجو ان تتحقق :

وختم المجلس بإعراب الرئيس عن اهتمام اللجنة بمعرفة الحقائق لتتوصل إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل ، وأن تعمل جهدها لتنال الجزائر رغائبها ، فأجبناه بالشكر له ولأعضاء اللجنة كلهم على ما بذلوا من جهد ، وأعربنا لهم عما للجزائر فيهم من ثقة، وما تعلقه عليهم من أمل . ثم ودعناهم راجين لهم رحلة سعيدة مثمرة يكون لها أثرها المحمود عند الجزائريين .(1)

(1) البصائر: السنة الثانية ، العدد 66 ، صفر 1356 هـ ـ 7 ماي 1937 م .

دعـــوة وبيـــان

إلى عموم الشعب المسلم الجزائرى الكريم

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعلم ما تجتازه الأمـــة اليوم فى طريق نهضتها من وقت حرج ، ومصاعب جمة ، وما يحف بها من أخطار ، وما ينصب لها من عراقيل ، وما يتجاذبها مـــن عوامل التفريق من الخارج ومن الداخل ، وأن الجمعية التى بثت روح النهضة فى الأمة بما دعت إليه من الرجوع إلى الكتاب والسنة والمحافظة على الجنس واللغة ، والاعتزاز بالإسلام والعروبة،حتى عرفت الأمة نفسها ، ووجهت للحياة السعيدة رغبتها ، ووجـــد السبيل إلى مخاطبتها وتفهيمها من أراد ــ بحق أو بباطل ــ قيادتها. إن الجمعية التى بثت هذه النهضة هى حارستها فى جميع أطوارها، والمدافعة عنها بكل ما لديها ، والصابرة على البلاء من القريـــب والبعيد فى سبيلها .

ان أعداء الأمة الذين تمثلهم الجرائد الاستعمارية الكبرى هنا وهنالك ويصدع بأمرهم كراسى متنوعة ، ما فتئوا يوالون ضرباتهم، ويعيدون هجماتهم عــلى الجمعية،لأنهــم يــرون فيها حياة الأمــة، ويشاهدون فيها الســد الحصين دون ما يرغبون من ذوبان الأمــة وانحلالها لإفنائها وابتلائها وتنقصها من أطرافها ، فكل ما تجتازه الأمة اليوم وما تعانيه وما تلاقيه هو ما تجتازه الجمعية وما تعانيه وما تلاقيه على أبلغه وأشده ، لأن الجمعية هى الأمــة ، والأمــة هى الجمعية .

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ـ كالمسلمين الجزائريين ـ جبلت على النضال والمقاومة والصبر والمصابرة، وقد صبرت لغشم الحكومة وأذنابها،وكيد الاستعمار وجرائده ، ولن تزال ثم لن تزال.

ولقد ولدت الأيـام الجارية والظروف الحاضرة مقاومين جددا ينطحون صخرتها برؤوسهم الحـامرة،وينحتون أثلتهـا بأظافرهم المتآكلة،ويضربون على نغمات من تقدمهم من أعداء الأمة والجمعية، ويخدمون عن علم أو عن غير علم ، مقاصد من يحاربون في الجمعية روح الإسلام والعروبة ، فهنالك في عمالة قسنطينة،وهنا بعمالة الجزائر،من يعملون لرفع أنفسهم بالحط من الجمعية،ويموهون على الأمة بما يقولونه عليها وعلى رجالها،فمرة يربطون الجمعية بحزب من الأحزاب الأجنبية ، والجمعية لا تنتمي لحزب ولا تعادي حزبا إلا من حارب الإسلام والعروبة فانها تكون عليه ـ كائنا من كان ـ بلاء وحربا ، ومرة يصمونها بالتدخل في السياسة،والجمعية ما تدخلت في سياسة الكراسي والنيابات والمكاتب والممرات .. وإنما وقفت الجمعية في مؤتمر الأمة تضع مطالب الدين واللغة وشروط المحافظة على الجنسية والشخصية . ومثلت ذلك كله بلسانها وهيئتها أصدق تمثيل .

يا هؤلاء !... إن الجمعية ليست عاجزة عـن مقاومتكم وإظهار خطئكم وكشف باطلكم ، ولكنها تعلم ما تحتاج إليه الأمة اليوم من اجتماع الكلمة وعدم الفرقة وتوحيد الصفوف ، فلهـذا تركتكم وتتركُكم،راجية لكم أن تدركوا حقيقة الموقف فتعملوا بما يقتضيه.

أيها الشعب الجزائري الكريم !...

قد بينت لك جمعيتك حقيقة الموقف وحرجه ، وكشفت لك شيئا مما تعانيه أنت وتعانيه هي من الأقرباء والبعداء،وهي تدعوك إلى التبصر والتثبت والاتحاد والتجمع والتنبه والتيقظ ، وتحثك على الاعتماد على الله وحده ، ثم على نفسك والصادقين من أبنائك ، وما

الصادقون إلا الذين يحافظون بأقـوالهم وأعمالهم ومواقفهم عـلى إسلامك،وعروبتك،وجميع مقوماتك ، يناضلون بالنفس والنفيس عن جميع حقوقك ، وهم فيك اليوم،إن شاء الله،كثيرون،وسيكونون أكثر،والله أكبر !.[1]

الجزائر 5 جمادى الثانية 1356 هـ

عن الجمعية الرئيس :

عبد الحميد بن باديس

(1) البصائر : السنة الثانية ، العدد 79 ، 12 جمادى الثانية 1356 هـ ـ 20 أوت 1937

نـــــــداء

الى رئيس المؤتمر الاسلامي الجزائرى
والى اللجنة التنفيذية

لقد علمتم ان الحكومة الفرنسية لم تجب أى مطلب من مطالب المؤتمر،رغم وعـد رئيس الوزارة يـوم زاره الوفدبتنجيز بعضها المستعجل،على رجاء أن تكون مطالب المؤتمر من أول ما ينظر فيه .

غير أنه قد حدث اليوم ما دل على أن مطالب المؤتمر غير ملتفت إليها ولا منظور فيها،وذلك بما قررته الحكومة مـن تكليف اللجنة البرلمانية التي يرأسها قرنيت ببحث جديد،لا ينتهى إلا بعد ثمانية عشر شهرا ...! وبعد ذلك تأتي الوفود للبحث والسؤال المدقق ..

فزيادة على ما فى هذا من التسويف والمماطلة،فإنــه دليل قطعى عـلى أن مطالب المؤتمر لا عبرة بها . وهـذا يوجب عـلى اللجنـة التنفيذية أن تجتمع لتقرر قرارها الصريح الحازم،وتقف موقفـا جديا إزاء هذا الحادث الجديد،ثم يكون من واجبها أن تدعو إلى عقد مؤتمر عام فوق العادة ليقرر قرارا إجماعيا مـن طلبات لا يخالف فيها أحـد،ويقرر قرارا اجتماعيا فى الموقف الـذى تقفه الأمـة الجزائرية إذا لم تجب إلى تلك المطالب في أجل محدود .

وعليه فإنى (كمسلم جزائرى) أطلب من سيادة الرئيس أن يأمر اللجنة التنفيذية للمؤتمر بأن تجتمع فى الخامس عشر مـن أوت الجـارى .

هذا،وأنا الآن قد أديت أول واجب من واجباتي في الوقت الحاضر بهذا النداء . والله المستعان على إتمام الواجبات الأُخرى (1) .

(1) ش : ج 6 ، م 13 . غرة جمادى الثانية 1356 هـ ـ أوت 1937 م .

هل آن أوان اليأس من فرنسا ؟

إن الذين كانوا معنا يـوم قابلنا رئيس الوزارة م.بلـوم باسم المؤتمر في جوليت مـن السنة المـاضية ، يعلمـون تصريحه بأننا لا نرجع بأيدينا فارغة،وأنه سيشرع في الحين القريب في تحضير مطالبنا المستعجلة ، ويعلمون قول م.فيوليط وهو بجنبة : ستحضر قبل يوم الأحد ، ورجال ذلك الوفد يعلمون أنهـم رجعوا بأيديهم فارغة . ولـم يصدق لا الرئيس ولا الوزير . وقـراء (الشهاب) لا ينسون ما كتبه (الشهاب) عن هذا الإخلاف،وعن الوفد،في عـدد رجب وأكتوبر من السنة الماضية ، والذين حضروا المؤتمر الثاني هذه السنة يعلمون ما نبهتهم عليه من أن فرنسا لم تجب أي مطلب من مطالب المؤتمر ، والناس كلهم اليوم يعلمون ما نشرته الصحافة الفرنسية ــ رسميا ــ عـن لجنـة الثمانية عشر شهرا التي يرأسها م.قرنوت و م.ستيق،وأنها بعد الثمانية عشر شهرا توفد وفودا تسأل أسئلة مدققة ؟! .. فماذا فهم الناس من هذا كله ؟

أما الذين ينظرون إلينا من الخارج نظر الحاكم على الأمم بما يبدو من أعمالها وسيرها،فإنهم يقولون : إن فرنسا تعد وتخلف،لأنها رأت مصلحتها في الإخلاف ، ولا يرجى منها إقلاع عنه ما دامت تعتقد مصلحتها فيـه . والجزائر تنخـدع وتطمـع ، ويمكن أن يطـول انخداعها ويستمر طمعها،ويمكن أن ينجلي لها سراب الغرور فتقلع عن الانخداع،وتقطع حبل الطمع،وتتصل باليأس وما يثمره اليأس ويقتضيه .

وأما نحن ـ الجزائريين ـ فإننا نعلم من أنفسنا أننا أدركنا هذا الإخلاف العرقوبي،وأدركنا مغزاه،وأخذ اليأس بتلابيب كثير منا وهو يكاد يعم ، ولا نتردد في أنه قد آن أوانه ودقت ساعته ...

ماذا تريد فرنسا من مماطلتنا ؟

لقد أعلن شاعرنا القومي جواب هذا السؤال في قصيدته التي نشرناها في الجزء الماضي حيث قال :

ولعلَّ من نظم السيا ... سة أن ننش وأن نفر

ولعل منها أن يبس ... لنا ونجذب للحفر

ولعل منها أن يبس ... لنا لنحلب كالبقر

ولعل منها ان نما ... طل كي يساورنا الضجر

كذب رأي السياسة وساء فألها ، كلا والله لا تسلمنا المماطلة إلى الضجر الذي يقعدنا عن العمل ، وإنما تدفعنا إلى اليأس الذي يدفعنا إلى المغامرة والتضحية .

أيها الشعب الجزائري ! أيها الشعب المسلم ! أيها الشعب العربي الأبي ! حذار من الذين يمنونك ويخدعونك ، حذار من الذين ينومونك ويخدرونك ، حذار من الذين يأتونك بوحي من غير نفسك وضميرك ، ومن غير تاريخك وقوميتك ، ومن غير دينك وملتك وأبطال دينك وملتك .

استوح الإسلام،ثم استوح تاريخك،ثم استوح قلبك .

اعتمد على الله ثم على نفسك ، وسلام الله عليك .[1]

(1) ش : ج 6 ، م 13 ، غرة جمادى الثانية 1356 هـ ـ أوت 1937 م .

الوطـــن والوطنيـــة

الحق فوق كل أحد،والوطن قبل كل شيء

بهاتين الجملتين منذ نيف وعشر سنين تـوجنا جريدة (المنتقد) الشهيدة ، وجعلناهما شعارا لها تحمله في رأس كل عدد منها . هذا أيام كانت كلمة الوطن والوطنية كلمة إجرامية لا يستطيع أحد أن ينطق بها ، وقليل جـدا من يشعر بمعناها وإن كان ذلك المعنى دفينا في كوامن النفوس ككل غريزة من غرائزها ، لا سيما في أمة تنسب إلى العروبة وتدين بالإسلام مثل الأمة الجزائرية ذات التاريخ المجيد . أما اليوم وقد صارت كلمة الوطن والوطنية سهلة على كل لسان،وقد يقولها قـوم ولا يفقهون معناها ، وقـد يقولها آخرون بألسنتهم ولا يستطيعون أن ينتسبوا لها في المكتوب من رسمياتهم ، ويفزع منها من يتخيلون فيها ما يعرفون في وطنياتهم ، وينكرها آخرون زعما منهم أنها ضد إنسانيتهم وعمومياتهم ــ فكان حقـــا لقراء (الشهاب) علينا أن نقول لهم كلمة مختصرة نبين بها حقيقة هذه الكلمة وأقسامها وأقسام الناس إزاءها ، ومن أي قسم نحن من تلك الأقسام .

من نواميس الخلقة حب الذات للمحافظة على البقاء،وفي البقاء عمارة الكون ، فكل ما تشعر النفس بالحاجة إليه في بقائها فهـو حبيب إليها ، فالإنسان من طفولته يحب بيته وأهل بيته لما يرى من حاجته إليهم واستمداد بقائه منهم،وما البيت إلا الوطن الصغير . فإذا تقدم شيئا في سنــه اتسع أفق حبه،وأخذت تتسع بقدر ذلـك

دائرة وطنه ، فإذا دخل ميدان الحياة وعرف الذين يماثلونه في ماضيه وحاضره وما ينظر إليه من مستقبله ، ووجد فيهم صورته بلسانه ووجدانه وأخلاقه ونوازعه ومنازعه ـ شعر نحوهم من الحب بمثل ما كان يشعر به لأهل بيته في طفولته،ولما فيه ـ كما تقدم ـ من غريزة حب الذات وطلب البقاء ، وهؤلاء هم أهل وطنه الكبير ، ومحبته لهم في العرف العام هي الوطنية .

فإذا غذي بالعلم الصحيح ، شعر بالحب لكل من يجد فيهم صورته الإنسانية،وكانت الأرض كلها وطنا له،وهذا هو وطنه الأكبر . هذا ترتيب طبيعي لا طفرة فيه ولا معدل عنه ، فلا يعرف ولا يحب الوطن الأكبر إلا من عرف واجب الوطن الكبير ، ولا يعرف ولا يحب الوطن الكبير إلا من عرف وأحب الوطن الصغير . والناس إزاء هذه الحقيقة أربعة أقسام :

1 ـ قسم لا يعرفون إلا أوطانهم الصغيرة ، وهؤلاء هم الأنانيون الذين يعيشون على أممهم كما تعيش الطفيليات على دم غيرها من الحيوان ، وهم في الغالب لا يكون منهم خير حتى لأقاربهم وأهل بيتهم .

2 ـ وقسم يعرفون وطنهم الكبير فيعملون في سبيله كل ما يرون فيه خيره ونفعه ولو بإدخال الضرر والشر على الأوطان الأخرى، بل يعملون دائما على امتصاص دماء الأمم،والتوسع في الملك،لا تردهم إلا القوة . وهؤلاء شر وبلاء على غير أممهم بل وعلى أممهم،فهم مصيبة البشرية جمعاء .

3 ـ وقسم زعموا أنهم لا يعرفون إلا الوطن الأكبر، وأنكروا وطنيات الأمم ـ كما أنكروا أديانها ـ وعدوها مفرقة بين البشر . وهؤلاء عاكسوا الطبيعة جملة،وما عرفته البشرية منذ آلاف السنين، ودلائل الفشل على تجربتهم حيث أجروا تجربتهم لا تكاد تخفى .

4 ـ وقسم اعترف بهذه الوطنيات كلها ونزلها منازلها غير عادية ولا معدو عليها ، ورتبها ترتيبها الطبيعي في تدرجها ، كل واحدة منها مبينة على ما قبلها،ودعامة لما بعدها . وآمن ـ هذا القسم ـ بأن الإنسان يجد صورته وخيره وسعادته في بيته ووطنه الصغير،وكذلك يجدها في أمته ووطنه الكبير، ويجدها في الإنسانية كلها وطنه الأكبر . وهذا الرابع هو الوطنية الإسلامية العادلة . إذ هي التي تحافظ على الأسرة بجميع مكنوناتها،وعلى الأمة بجميع مقوماتها، وتحترم الإنسانية في جميع أجناسها وأديانها .

فهي تخاطب البشرية كلها في جميع أجناسها بقوله تعالى : « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً » . وتخاطبها في جميع أديانها بقوله تعالى : « لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ » . وتخاطب جميع الأمم والأوطان بقوله تعالى : « وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ » . وبقوله تعالى : « فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ » . وهذه هي وطنيتنا معشر المسلمين الجزائريين الأفارقة،ووطنية كل مسلم صادق في إسلامه ووطنيته .

وقد أعلناها يوم قلنا على رأس جريدة (المنتقد) :

(الحق فوق كل أحد،والوطن قبل كل شيء) وسرنا على مقتضاها إلى اليوم في كل ما قلنا وكتبنا،وسنبقى عليها ـ ككل مسلم جزائري ـ حتى نلقى الله إن شاء الله .

أشعبَ الجزائر روحِي الفدا   لما فيك من عزَّة عربية
بنيتَ على الدِين أركانها   فكانتْ سلاماً على البشرية (1)

(1) ش : ج 7 ، م 13 ، رجب 1356 هـ ـ سبتمبر 1937 م .

اليـاس بعـد الرجـاء

أحدث المنشور الأول الذى أذاعه صاحب هـذه المجلة الأثـر الكبير الفعال فى النفوس ، ذلك لأنه صادف هوى فى قلوب الأمة، وعبر عن إحساسها وشعورها ، وترجم عـن عاطفتها التى طلقت الأمل فى عدالة فرنسا السريعة ، وركنت إلى جانب اليأس من ذلك.

ولقد لبت اللجنة التنفيذية للمؤتمر ذلك النداء ، وقررت عقد اجتماعها يـوم 29 أوت 1937 م ، للنظر فى الحالة الجديدة التى هى وليدة جمود حكومة باريس عن مباشرة إصلاح أو قبول أى مطلب، ووليدة العبث الجديد الذى رفعنا عقيرتنا بالاحتجاج العنيف عنه ، ألا وهو تشكيل لجنة « فرنوت »،وجعل القضية الجزائرية وأبحاث لجنة « لافروزيلبار » من جملة أعمالها ، وتحدد مدة أشغالها بعام ونصف عام،ثم امتداد وطأة الحيف والجور على أهل القطر الجزائرى، واشتداد الأزمة بصفة خانقة .

ولقد كان صاحب هذه المجلة ـ ولا يزال ـ يرى أنه لا يحـق للأمة ان تستمر على السياسة القديمة،سياسة المطالبة والانتظار ، إذ قد ظهرت النوايا جلية واضحة ، وتحقق الناس أجمعون أن وعود هذه الحكومة كوعود الحكومة السالفة ، إنما هى من فصيلة الوعود التى أمطرت القطر الجزائرى منذ أيام الامبراطوريـة إلى الآن : وعود هى السراب بعينه .

ومن أجل ذلك ، ورغبة فى تنوير الأذهان،وتوجيه آراء اللجنة التنفيذية نحو السياسة الوحيدة التى نرى أنها ربما أحدثت الأثر

المطلوب بعد حين ـ حرر صاحب هذه المجلة ونشر فوق أغلب اعمدة الصحف الجزائرية والتونسية هذا النداء (1) !

نداء إلى الأمة الجزائرية ونوابها

أيتها الأمة الكريمة . أيها النواب الكرام !

اليوم وقد آيسنا من غيرنا،يجب أن نثق بأنفسنا .

اليوم وقد تجوهلت قيمتنا،يجب أن نعرف نحن قيمتنا .

اليوم وقد خرست الأفواه عن إجابة مطالبنا،يجب أن نقول نحن كلمتنا .

اليوم وقد اتحد ماضى الاستعمار وحاضره ، علينا ، يجب أن تتحد صفوفنا .

أيتها الأمة الكريمة ، أيها النواب الكرام !

بمحضر الوفد كله فى وزارة الحربية من السنة الماضية ـ قال لنا دالاديه وزير الحربية ، رئيس الحزب الجمهورى الراديكالى والراديكالى سوسياليست : أقول لكل بكل صراحة « إنى أعارض كل المعارضة فى إعطائكم النيابة البرلمانية،ما دمتم على حالتكم الشخصية الإسلامية » . من ذلك الحين تحققت أن هذه النيابة البرلمانية ميئوس منها ، وقد أشرت إلى هذا فيما كتبته عن الوفد بعد رجوعنا،فى مجلة « الشهاب »،وها هى الأيام جاءت محققة ذلك اليأس . وها هى الجزائر اليوم تنشد بلسان حالها قول الشاعر العربى :

(1) ش : ج 7 ، م 13 ، رجب 1356 هـ ـ سبتمبر 1937 م .

أَزْمَعْتُ يَأْساً مُبِيناً مِنْ نَوَالِكُمُ وَلَنْ تَرَى طَارِداً لِلْحُرِّ كَالْيَأْسِ

أيتها الأمة الكريمة ، أيها النواب الكرام !

حرام على عزتنا القومية وشرفنا الإسلامي أن نبقى نترامى على أبواب برلمان أمة ترى أو ترى أكثريتها ذلك كثيرا عليها ... ! ويسمعنا كثير منها في شخصيتنا الإسلامية ما يمس كرامتنا،ويجرح أعز شيء لدينا. لندع الأمة الفرنسية ترى رأيها في برلمانها،ولنتمسك – عن إيمان وأمل – بشخصيتنا،ولنطالب بالمساواة التامة في جميع الحقوق في وطننا،وأولها المساواة في المجالس النيابية .

أيتها الأمة الكريمة ، أيها النواب الكرام !

قرروا يوم 29 أوت وبعد قرار المؤتمر وجمعيات النواب عدم التعاون في النيابة بجميع أنواعها . قرروا أن لا تعودوا بدون مساواة إليها . قرروا أنه يجب أن يكون كل مسلم جزائري بلغ سن الانتخاب منتخبا،وأن يكون عدد نواب المسلمين الجزائريين في كل مجلس مثل عدد الفرنسيين . كونوا جبهة متحدة لا تكون المفاهمة إلا معها على هذا الأصل .

أيتها الأمة الكريمة ، أيها النواب الكرام !

تناسوا الحزازات ، امحقوا الشخصيات ، برهنوا للعالم أنكم أمة تستحق الحياة ، برهنوا لفرنسا أنكم كما وقفتم معها في الحرب صفا واحدا تدافعون عنها،تقفون في السلم صفا واحدا تدافعون الأنانيين منها،الذين هم مثل أعدائها .

هذا وأنا كمسلم جزائري قد أديت الواجب الثاني من واجباتي في الوقت الحاضر،والله المستعان على القيام ببقيتها،وعليكم السلام ورحمة الله من أخيكم (1) .

---

(1) ش : ج 7 ، م 13 ، رجب 1356 هـ – سبتمبر 1937 م .

صدى منشورنا على الأمة والنواب
في صحف الاستعمار

دعي إلى تسليم النواب ووقع ذلك بالفعل في كثير منهم في عمالة قسنطينة ، ولم تهتز لذلك صحف الاستعمار ودوائره . فلما نشر صاحب هذه المجلة منشوره على الأمة ونوابها في الدعوة إلى التسليم والاتحاد والوقوف الموقف الهائل المشرف ، قامت القيامة في الدوائر ، وظهر ذلك في جريدة « لابريس » التي تصدر بالعاصمة ، وجريدة « الريبوبليكان » التي تصدر بقسنطينة .

ولما كانت الثانية أصرح بالعداء من الأولى، خصصناها بالكتاب التالي :

قسنطينة في 8 رجب 1356 هـ — 14 سبتمبر 1937 م .

جناب السيد محرر جريدة (الريبوبليكان) المحترم .

قرأت في عدد 2 سبتمبر الجاري من جريدتكم منشوري على الأمة ونوابها ، فشكرت لكم نقله في جريدتكم ليطلع عليه قسم كبير من الرأي العام الفرنسي، خصوصا القسم الذي تمثله جريدتكم .

ولم يسؤني ما علقتم به عليه من عبارات الحقد والتحريش ، لأن ذلك دليل حصول ما قصدته من تأثير الحق والصدق ممن لم يتعودوا سماعه من المسلمين الجزائريين أمثالكم .

ولا ألومكم على ذلك ما دمتم ترونه إخلاصا لأمتكم ووطنكم، كما كنت أنا مخلصا في منشوري لأمتي ووطني .

وإنما أريد أن أحقق لكم أن تحريشكم لا يخيف صغارا من من تلامذتنا ، فمن باب أحرى وأولى أن لا يكون له أدنى تأثير على كبارنا في السير على خطتنا إلى غايتنا .

ومما يؤسف له من أمثالكم أنكم لا تدركون تطورات الأمم وتقلبات الأيام ، وتفكرون فينا ـ في القرن ـ العشرين ـ بأفكار القرون الوسطى .

إن الزمان ـ يا زميلي ـ يسير ولا يقف ، وسنن الكون نافذة لا تتخلف،والويل لمن قعد أو تعامى .(1)

تقبلوا ـ سيدي ـ احترام زميلكم صاحب مجلة الشهاب .

عبد الحميد بن باديس

(1) ش : ج 7 ، م 13 ، رجب 1356 هـ ـ سبتمبر 1937 م .

إجـــرام الاستعمـــار

سجــن واضطهــاد

نريد هنا قبل كل شيء أن نسجل ثقتنا في نزاهة وحرية القضاء الفرنسي،فما زالت حياة القضاة غير متأثرة بالمؤثرات الخارجيــة ، وغير خادمة لركاب السياسية والأحزاب .

فإن كنا هنا نحتج بأقصى ما لدينا من قوة وشدة على المسلــك الأهوج الذى تسلكه الإدارة مع رجال حزب الشعب الجزائــرى ، وإلقائها القبض على زعيم الحزب السيد مصالى الحاج محمـــد ، وعمدته السيد الشاعر الكبير مفدى زكرياء ، وأعوانهما فى العمل السادة بوغرافة،والأحول الحسين،ومسطول ، وهم إنما يعملــون أعمالهم جهارا وفى وضح النهار ، فما ذلك انتقادا منا لسلــوك العدالة التى ستقول كلمتها الفاصلة فى الموضوع قريبا ، إنما هو انتقاد مرير لسلوك السياسة التى أوجبت هذه الأعمال القاسيــة الشديدة ، مندفعة وراء أغراض حزبية ، إنما هى دور من أدوار النزاع والنضال بين أحزاب اليمين وأحزاب اليسار . ولا ندرى ما المبرر لسجن مصالى ورجال حزبه بدعوى إعادة تشكيل هيــأة منحلة إذا كانت الإدارة لم تسجن الكولونيل لاروك،وقد أعـــاد تشكيل صلبان النار فى هيئة « الحــزب الاجتماعى » ، والحــزب الاجتماعى أكثر شبها بهيئة صلبان النار من حزب الشعب الجزائرى بهيئة « نجم شمال افريقيا » . إن دلنا هذا العمــل على شيء فهــو إنما يدلنا على أن الحكومة عازمة على سياسة الشدة والإرهاق،واليوم

دور مصـــالى، وغــدا دور آخرين، (لكنهــا سياســة ـ واللـــه ـ لن تنجح ولن تثمر ، فإذا لـم تعمد الحكومة لسلوك سياسة امتلاك القلوب ، بإجابة الرغائب وقبــول المطالب ، والمفاهمة مــع رجال الأحزاب ومديرى حركات الشعب بالتى هى أحسن ، فإنها لن تسلك إلا السياسة التى تزيد الخرق اتساعا، فيصعب على أى راقع رتقه(1)

(1) ش : ج 7 ، م 13 ، رجب 1356 هـ ـ سبتمبر 1937 م .

الاستعمار يحاول قطع الصلة بين الإخوان

لما مات الإمام المصلح ، العلامة الحافظ الوزير الكبير ، مولانا أبو شعيب الدكالي،فخر الأفارقة والمغرب الأقصى ـ كان من أقل حقوقه علينا أن قامت جماعة من إخواننا المغاربة بإقامة حفلة تأبين في أربعين وفاته ، ودعت صاحب هذه المجلة لحضور هذه الحفلة باسم رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، فلبى الدعوة،ووجه للحكومة طلب رخصة السفر،فسكت عنه مدة مع قرب أجل الحفلة ، فجدد الطلب ثانية،فجاءه الجواب بالمنع البات،لأن حكومة المغرب لا تأذن في دخوله للمملكة المغربية .

إزاء هذا ما وسعنا إلا التخلف والاعتذار لإخواننا المغاربة ، ثم الاحتجاج على هذه الحكومات الاستعمارية التي تحاول بمثل هذا العمل أن تقطع الصلة بين الذين ساقتهم الأقدار إلى يدها،وهي ـ في الحقيقة ـ ما تزيده بهذا إلا ارتباطا وشدة .

ليت شعري ماذا تخشى الحكومات الاستعمارية من أمثالنا ؟ أتخشى أن نقول ؟ إن أعمالها المشاهدة المتكررة أغنت ـ والله ـ عن كل قول ، حتى لم تدع لقائل ما يقول . (1)

(1) ش : ج 7 ، م 13 ، رجب 1356 هـ ـ سبتمبر 1937 م .

كلمــات صريحــة :

الشمــال الافــريقى
كيف يجب أن يعالج

يقلق بال السياسة الفرنسية اهتزاز الشمال الافريقى واضطرابه وتذمره واحتجاجه ، ويقلق بال السياسة ذلك من القطر الجزائرى على الخصوص .

لقد أدى هذا القلق السياسى إلى التفكير الجدى فى هذا الشمال وفى الجزائر « الفرنسية » ، كما يقولون ! وانتهى هذا التفكير إلى آراء فى الداء ــ حسب تسميتهم ــ وآراء فى العلاج وأخطأت كلها فى معرفة الداء على وضوحه،وفى معرفة العلاج على قربه .

فأما الداء ــ كما يسمون ــ فقال قوم : هو اليد الأجنبية ، وقال آخرون : هــو الشيوعية الافرنسية ، وقــال غيرهم : هــو الاتحاد الإسلامى والوحدة العربية . وماذا نقول نحن فى هذه الآراء ؟

نقول بكل صدق وصراحة تعرفهما الدوائر الحكومية منا ــ أولا : إن اليد الأجنبية التى يعنون هى يــد موسولينى وهيتلر ، وبعدما كانوا يعنون بها قبل التحالف الفرنسى الروسى يد موسكو . وأنا على يقين تام من أن الأوطان الافريقية الثلاث التى تهم فرانسا لم تتصل يوما بيد أجنبية،لا من موسكو،ولا من روما،ولا من برلين . وأعرف عن نفسى وعن رجال هذا الشمال الافريقى إخوانى ، أننا نأبى أن نكون آلة فى يد أى كان من الأمم التى تكيد لفرنسا إبــاء وترفعا يمليهما علينا عزة الإسلام وشمم العروبة .

وثانيا ــ إن الشيوعية الفرنسية ، وإن فسحت لهـــا الواجهة الشعبية المجال ، فإنها لم تستطع ولن تستطيع أن تتمكن من أوساط شعبنا،أو تحوز أكثر مما حازته من النزر اليسير جدا من أطرافه ، ما دام الشعب يعتقد أن مبادئها الأساسية لا يتفق كثير منها مـــع الإسلام . هذا رغم ما يبديه رجالها مما يستحقون عليه الشكر من العطف على ضعفنا،ومقاومة الظالمين لنـــا ، لكن الشكر والاعتراف بالجميل شيء والتأثر بالمبادىء والانقياد للحزب شيء آخر .

وثالثا ــ إن الاتحاد الإسلامي والوحدة العربية بالمعنى الروحي والمعنى الأدبي والمعنى الأخوى هما موجودان ، تـــزول الجبال ولا يزولان ، بل هما في ازدياد دائم بقدر ما يشاهد الناس من عمل في الغرب ضد العروبة والإسلام . وأما بالمعنى السياسي والمعنى العملي فلا وجود إلى اليوم لهما .

وأما العلاج فقد كادت كلمة القـــوم تتفق عـــلى أنـــه الضغط والإرهاق واستعمال القوة والشدة .

وماذا نقول نحن في هذا العلاج ؟

نقـــول ــ بالصدق والصراحة اللذين تعرفهما منـــــا الدوائر الحكومية ــ إنه علاج قد يسكن الشعب شيئا ما ، حينا ما ، ولكنـــه يزرع في القلوب بغضا وحقدا،ويملأ الصدور ثورة وحماسا ، وما مآل ذلك ــ بطبيعة الامتلاء وطول الزمان ــ إلا الانفجار ، ولا يدرى إلا الله على من تكون عواقب ذلك الانفجار .

هذا ما يفكره الساسة في الداء والعلاج وقد زيفناه .

أما نحن ــ ونحن أعرف بانفسنا ــ فإننا نتيقن أن هذه الأمـــم الإسلامية العربية استيقظت من سباتها،وهبت للنهوض من كبوتها ، وشعرت لكرامتها ، وأخذت تذكر ماضيها أيام حريتها واستقلالها ، وهو غير بعيد في الماضي عنها ، فانبعثت تعمل لفك قيودها،ونيـــل

حريتها وتبوء منزلتها اللائقة بها كسائر الأمم التي ليست هي ــ في قوميتها وتاريخها ــ دونها . غير أنها تريد أن تكون مع فرنسا، وتكون فرنسا معها كأستاذ نصوح وتلميذ بار، يتبادلان الصداقة والاحترام ويتعاونان في الرخاء والشدة .

هذا ــ لعمر الله ــ هو حقيقة نفسية هذه الشعوب ، وهذا هو سبب ثورتها على الظلم وإبايتها من استمرار الحال على ما كان .

وما من علاج بعد هذا ــ والله ــ إلا تبديل السياسة العتيقة الرثة البالية بسياسة جديدة تعترف لهذه الشعوب بكيانها القومي ، وتفسح أمامها مجال العمل للتقدم والرقي ، وتنيلها أعظم قسط من التحرير ، وتشعرها بأنها تساندها لتبلغ رشدها ، فتكون بدورها يوم رشدها التام عضدا ــ وأي عضد ــ لها .

فهل يستطيع الساسة هذا العلاج ؟

نحن الجزائر :

فإذا أرادت فرنسا أن تحافظ عليها فلتحافظ على قلوبنا

يكتنف الجزائر اليوم ــ وأختيها كذلك ــ خطران عظيمان : موسوليني من شرقها وفرانكو من غربها . يحيط بها هذان الخطران، وتضطرب أمواج البحر الأبيض المتوسط بغواصاتهما ، وتدوى جوانب أجوائه بأزيز طياراتهما ، وتحتل قواتهما مراكز الحياة من أحشائه ، حتى أصبح الذى يريد أن يمتطي متنه في باخرة ، أو يتبطن جوه في طيارة ، يشعر بالخوف من مبارحته ساحل الجزائر إلى حلوله بساحل مرسيليا .

وقد صرح نواب فرانسوى الجزائر الراديكاليين في المؤتمر الراديكالي المنعقد أخيرا، بأنهم ما قطعوا البحر الأبيض المتوسط

لحضور المؤتمر إلا تحت رحمة الغواصات والطيارات،وأنهم وجلون هلعون من مستقبل اتصال شمال افريقيا بفرنسا،وخائفون أشد الخوف من انفصاله عنها .

وقد ابتدأ هذا الانفصال بانقطاع البريد الجوي بينهما .

هذا كله بعدما أنفقت فرنسا وانكلترا ـ سيدة البحار ! ـ على حماية طرق المواصلات ، وجمعتا مجلسا حربيا لذلك ، وباشرتا تلك الحماية بالفعل ، وخابتا فيها خيبة ظاهرة لا تخفى على أحد . فقد غرقت بعد تلك الحماية بواخر،وانتقلت قرصنة المدنية الاوروبية من البحر إلى الجو،وجمعت على البشرية البلاء من السماء والأرض . وكان فى القرصنة الجوية الجديدة الجواب الخشن والتحذير الحازم من جبروت الفاشيزم إلى الدولتين الديمقراطيتين المتعاونتين .

حقيقة أن هذا شيء اضطربت له فرائص فرنسا على اختلاف أحزابها،وحسبت له ألف حساب ، خصوصا وكل أحد يعلم أن الحرب آتية من دون ريب،وأن ميدانها هو البحر الأبيض المتوسط،وأن أول ما يعمله أعداء فرنسا هو فصل الشمال الافريقى عنها .

والذين يعرفون مقدار ما انتفعت به فرنسا من الشمال الافريقى فى الحرب الماضية ، يعلمون ما يلحقها من أضرار بانفصاله عنها فى الحرب الآتية .

كيف تقاوم فرنسا محاولة العدو للفصل ؟ وكيف تستطيع المحافظة على الجزائر ـ وعلى الشمال الافريقى ـ إذا تم ذلك الفصل ؟

أما فرانسويو الاستعمار بالجزائر،والذين يستخدمون فرنسا لتفوقهم ودوام عتوهم وتسلطهم ، ولا تهمهم فرنسا بقدر ما تهمهم مصالحهم ، فهؤلاء قد شغلهم التفكير فى وسائل الضغط والشدة ضد

الجزائريين ـ وإخوانهم ـ عن كل تفكير آخر،رغم مشاهدتهم لهذا الخطر واضطرابهم له .

وأمـا الرجال المسؤولون فلا شك أنهم مهتمون الاهتمام كلـه بمقاومة ذلك الفصل وبالمحافظة على الجزائر ـ وأختيها ـ إذا وقع . غير أننا ـ والعجب ملء أنفسنا ـ لا نسمع فى الخارج إلا ما يوافق ـ فى الأكثر ـ نظرية أولئك الرجعيين الاستعماريين الذين أعمتهم مصالحهم الخاصة عن كـل شىء،حتى كأن السياسة الفرنسية كلهـا انصبغت بصبغتهم،وأصبحت تحت تأثيرهم !

فهم يذكرون لزوم المحافظة على الجزائر،ووسائل المحافظة عـلى الجزائر ، ولا يذكرون ـ أبـدا ـ المحافظة عـلى الجزائر ووسائل المحافظة على الجزائريين،بل لا يفتئون يذكرون الشدة على الجزائريين، ووسائل الشدة على الجزائريين .

أين أنتم أيها السادة ؟

نحن الجزائر ، وما الجزائر إلا الجزائريون ، فإذا كنتم تريدون المحافظة على الجزائر فحافظوا على قلوبنا .

تاللـه إذا ضيعتم قلوبنا فقـد ضيعتم الجزائر ولا محالة ، ولا ينفعكم فى ذلك اليوم العصيب شىء مما تقدرون اليوم .

ما يزال فى الوقت متسع لتدارك الحـال،وجبر القلوب،والعمل لمصلحة فرنسا العليا،إن كنتم حقيقة لها تعملون (1) .

---

(1) ش : ج 9 ، م 13 ، رمضان 1356 هـ ـ نوفمبر 1937 م .

كلمـــة مـــرة

لانها صريح الحق ولباب الواقع

إن تربيتنا العلمية الدراسية المبنية عـلى بيان الحقيقة وإجلائها على ما هى عليه،صيرتنا لا نستطيع شيئا من المواربة والتلبيس .

نعرف كثيرا من أبنائنا الذين تعلموا فى غير أحضاننا ينكرون ـ وربما عن غير سوء قصد ـ تاريخنا ومقوماتنا،ويودون لو خلعنا ذلك كلـه واندمجنا فى غيرنا . وكنا نـرد عليهم بالقول فى كـل مناسبة تبدو منهم فيه مثل هذه البوادر السامة الخاطئة . ووقع مرة أن كتب بعضهم ـ وهو ممن له قيمة معتبرة عندنا ـ ما هو صريح أو كالصريح فى ذلك الضلال المهلك ، فرأينا من الواجب علينا أن نـرد عليه بكلمة صريحة،نعرب بهـا فى يقيننا عـن الحقيقة التى يعتقدها الشعب الجزائرى ـ إلا الشاذ ـ فى صميم نفسه،فقلنا فى كلمتنا تلك : الأمـة الجزائرية أمـة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا . ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال، ولهـا وحدتها الدينية واللغوية،ولهـا ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبيح ، شأن كل أمم الدنيا .

ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هى فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت . بل هى أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد فى لغتها وفى أخلاقها وفى عنصرها وفى دينها ، لا تريد أن تندمج . ولها وطن محدود معين هو الوطن

الجزائرى بحدوده المالية المعروفة،والذى يشرف على إدارته العليا السيد الوالى العام المعين من قبل الدولة الفرنسوية .

فجلينا بكلمتنا هذه الحقيقة مكشوفة فى وضح النهار ، وقطعنا الطريق على كل متقول بالباطل،وأرحنا كل باحث ومتردد من بحثه وتردده .

وإلى ذلك،فإننا لم نكن خياليين ننكر الواقع ونكابر فى المحسوس، فقد ختمنا كلمتنا بإشراف الوالى العام،وتعيينه من الدولة الفرنسوية .

حقا لقد أثرت كلمتنا الصريحة أثرها،وبلغت حيث أردنا أن تبلغ، فمن يوم قلناها إلى اليوم ما زال يتردد صداها فى الصحافة الفرنسية، وفى المجالس،وفى المؤتمرات ، ومن أظهر مظاهر ذلك قيام م. فرسينانق بها فى مجلس الشيوخ فى السنة الماضية ، وإعادتها فى المؤتمر الراديكالى المنعقد أخيرا . كل ذلك يحاولون به الاحتجاج بها ــ وهم يعلمون أنها عبرت حقا عن حقيقة الأمة الجزائرية وعقليتها ــ على منع الأمة الجزائرية من نيل حقوقها .

لقد أخطأتم خطأ بعيدا أيها السادة !

إن الأمة الجزائرية تطالب فرنسا بحقوقها لما دفعته من ثمن من دم أبنائها،ولمواقفها الصادقة مع فرنسا فى أيام شدتها،ولما هى قائمة به لفرنسا من كل ما حمل عليها . وهذا حق لا يستطيع أن ينكره أحد يحترم نفسه ويقدر عواقب التاريخ قدرها .

فأما أن تبذل الأمة الجزائرية فى نيل تلك الحقوق شيئا من كيانها، فهذا ما لا يخطر ببالها،ولا يستطيع أحد ممن يتولى شيئا من أمورها من أبنائها أن يعرضه عليها،ولو حاول أحد ذلك لنبذته نبذ النواة والحذاء المرقع كما نبذت من نبذت .

ونحن بهذا نتحدى كل من يكون على خلاف رأينا .

فهل من أحد يستطيع أن يكذبنا ؟

نحن والواجهة الشعبية :

أدركنا من يوم تأسست الواجهة الشعبية الفرنسية أن روح السياسة الفرنسية نحو الشعوب المتصلة بفرنسا لابد أن تتبدل ــ الى العدل والتسامح ــ شيئا ما . وعلمنا أن المبادىء التى انبنت عليها تلك الواجهة أكثر إنسانية ، فكنا أول من أعلن ثقته بها، ولزوم انتظار شيء منها ، وقلنا يوم ذلك : إن فرنسا ــ بإجماع العالم ــ فى وضعية جديدة،فلننظر إليها نظرة جديدة . وشاهدنا بالفعل طغاة الاستعمار عندنا بالجزائر يناوئون تلك الواجهة ويناصبونها العداء ، فازددنا يقينا بما اعتقدنا . ولا يشك من له أدنى مسحة من عقل أن أولئك الطغاة ما أبغضوها ذلك البغض ولا عادوها ذلك العداء إلا لما اعتقدوه فيها من شيء من تخفيف وطأة الظلم والإرهاق عن المستضعفين ، وشيء من كف يد العتاة الظالمين .

ونحن نعترف أن الواجهة الشعبية سارت شطرا من ماضى أيامها بالروح التى تأسست غليها وتنفس الخناق عن المستضعفين شيئا ما وانتعشت الآمال فى المستقبل بعض الانتعاش .

ولكن ما لبث الطغيان الاستعمارى والجبروت المالى الاستغلالى أن أخذ يتقلب ، وأخذت حكومة الواجهة تبعا لذلك تتقلب ، حتى انتهت إلى ما انتهت إليه الحكومات قبلها . وحوادث اليوم بالمغرب والجزائر أكبر شاهد .

وقد اعترف رجال هذه الواجهة فى صحفهم بحقيقة الانقلاب فى حكومتهم،والغلب الواقعة عليهم . ففى عدد أخير من جريدة

« البوبيلير » لسان الحزب الاشتراكي الافرنسي مقال عن المغرب بقلم مادلين بار قال فيه :

« إنه يمكننا الإفصاح بكلمات وجيزة ، ذلك أن كامل الساسة الفرنسوية قد توجهت لحد الآن للاهتمام بحالة المعمرين ، وصرفت أموالا باهظة بصورة تنم عن تكوين جنة ـ وهذا هو النعت المناسب للمقام ـ لفائدة ثلاثة آلاف من الرجال . أى المعمرين خاصة لا يحسنون من الفلاحة إلا وسيلة واحدة وهى الاستثمار ، ولا غاية لهم إلا تربية الثروة . هذا ما كان ، وأما ما يجب القيام به فهو المبادرة بصدق إلى توجيه السياسة الفرنسية نحو سواد الأهالى » .

نحن نعرف المبادىء قبل كل شىء ، ورأينا فى مبادىء الواجهة الشعبية هو رأينا ، ولكن رجال تلك المبادىء الحقيقيين ـ رغم ما كان عندهم فى أيامهم الأولى من قوة ـ كانوا ضعفاء ، كانوا صغارا فى السياسة أو ـ على الأقل ـ كانوا جددا فى كراسى الحكومة .

فهاهم اليوم ، الحكومة حكومتهم ، ولكن روحها غير روح مبادئهم، اسمها لهم ومسماها فى يد غيرهم،ولم يبق لهم إلا النصح والقول تقدمه ـ باحتراس كثير ـ صحفهم أو بعض صحفهم !

فإزاء هذا،رأينا أن الواجب علينا أن نعلن لشعبنا أن « لا نعتمد إلا على أنفسنا ونتكل على الله » .

ثم نحن من بعد ذلك سنحتفظ للمحسن بإحسانه ، وللمسىء بإساءته .

«و» الخير أبقى وإن طال الزمان به
والشر أخبث ما أوعيت من زاد

وَسَيَعْلَمُ الذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (1) .

---

(1) ش : ج 9 ، م 13 ، رمضان 1356 هـ ـ نوفمبر 1937 م .

على هامش (السانطونير)

منشور المقاطعة

نداء إلى سكان قسنطينة المسلمين

إخوانى القسنطينيين !

فى مثل هذه الأيام، منذ قرن، مات أجدادكم المجاهدون المدافعون، والفرنسيون المهاجمون فى ميدان البطولة والشرف ، وطويت صفحة من التاريخ على شهادته بالشجاعة والتضحية للغالب والمغلوب.

ومضت مائة سنة كانت كافية لنسيان تلك المأساة ، وضمد تلك الجروح، وتقريب السكان المتجاورين بعضهم من بعض .

لكن قوما من الأنانيين الذين يأبون إلا أن يكونوا سادة متفوقين، وإلا أن يشعروا المسلمين بسلطة الغالبين على المغلوبين ، هؤلاء القوم ـ وليسوا كل الفرنسيين ـ أرادوا فى هذه الأيام أن يقيموا احتفالات عسكرية بدخلة قسنطينة ، تثير العواطف ، وتمس كرامة الأحياء منا والأموات، وتنافى مبادىء الأخوة والرحمة التى ندعو إليها .

يحتفلون احتفالاتهم ومطالب الشعب الجزائرى بعرقلتهم معطلة، وحقوقه بسعيهم مهملة، وسوط القوانين الاستثنائية نازل بيدهم على ظهره فى كل يوم .

لهذا،فقد اجتمعت 14 جمعية إسلامية من جمعيات قسنطينة يوم السبت 18 سبتمبر الماضي في نادى الاتحاد،وكانت كلها مستنكرة لهذه الاحتفالات عازمة على مقاطعتها،فقررت ـ بالإجماع ـ ما يلى :

نحـن ـ الممثلين لجمعياتنا ـ نـرى احتراما لأنفسنا،واحتراما لأجدادنا،واحتراما للإنسانية :

أولا : أن لا نشارك في هذه الاحتفالات ولا نحضرها .

ثانيا : أن نكون في هدوء تام عام .

إخوانى القسنطينيين !

قـد فعـل المؤتمر الإسلامى الجزائرى واجبه فاحتج عـلى هذه الاحتفالات في اجتماعه العام الأخير،وقدم مكتبه ذلك الاحتجاج إلى الوالى العام،وقدمه مكتب لجنة القسنطينية إلى مير قسنطينة ، وفعلت الجمعيات الإسلامية القسنطينية واجبها بمـا قررتـه في قرارها المتقدم . وأخوكم هـذا ـ كقسنطينى ـ فعـل واجبه بنشر هـذا المنشور عليكم ، فما بقى إلا أن تقوموا أنتم بواجبكم .

فقاطعوا هذه الاحتفالات ولا تشاركوا فيها .

كونوا فى هدوء وسلام .

والسلام عليكم من أخيكم عبد الحميد بن باديس . (1)

---

(1) ش : ج 9 ، م 13 ، رمضان 1356 هـ ـ نوفمبر 1937 م .

مسالمـــة عظيمـــة

بـــين رجلـــين عظيمـــين

أمـــا المسألة العظيمة فهى الوحدة السياسة للأمة العربية مـــن المحيط الهندى إلى المحيط الاطلنطيقى .

وأما العظيمان فهما الأمير شكيب أرسلان وسعادة سليمان باشا البـــارونى .

ولا تحسبن الكلام دار بينهما فى بيان حقيقتها وإمكان تحقيقها وأسباب تحقيقها مما يحتاج رجال النهضة العربيـــة إلى دراستـــه، والعلم به،ليكونوا فى سيرهم على بصيرة فلا يتقهقروا،ولا يتهوروا. بل كان خطاب مـــن شكيب فى شأنها،فكان رد من البارونى عليـــه بإعلان البراءة منه ، جزاء إعلانه البراءة من مسلمى المستعمرات، دعا أهل العلم إلى إبـــداء رأيهم فقال : « ولعل علماء الإســـلام الغيورين على دينهم يبدون رأيهم فيمن يعلن البراءة من مسلمـــى المستعمرات المعذبين لإرضاء أعدائهم ومعذبيهم من المستعمريـــن، لينسد هذا الباب،فلا يدخل منه غيره بعد اليوم » . الرابطة العربية عـــدد 77 .

لم ينقل الباشا نص كلام الأمير ، ونصه كما نقلته « الجريدة » الدمشقية فى عددها الصادر فى 24 رجب الماضى : « أما طرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش،فهذه بلاد عربية،وإن كان فيها بربر أكثر من العرب ، فإن ثقافة هؤلاء البربر،وهـــم على كـــل

الأحوال مسلمون . فهذه الأمة هي منا ومعنا،كما أن قلوبنا متحدة بيننا وبينهم ، ولكن هناك أسباب جغرافية تمنع اتحادنا معهم اتحادا فعليا ، وهم ليسوا من برنامجنا،ولا نتكلم على الوحدة معهم لأننا نجعل لنا أعداء أقوياء ونحن في غنى عن ذلك الآن .

نحن نريد تحقيق وحدتنا العربية في آسيا ، ولكن وجود وحدة سياسية من إخواننا مسلمي شمالي افريقية (يعني : تكون منهم فيما بينهم) لا يمنع أن يكون بيننا وبينهم وحدة لغوية،ثقافية، دينية،اجتماعية،وأن تكون قلوبنا مرتبطة بقلوبهم في السراء والضراء » .

فأين هي براءة الأمير من مسلمي المستعمرات التي زعمها الباشا؟

أم كيف يكون متبرئا من يقول « فهذه الأمم هي منا،ولنا،ومعنا، كما أن قلوبنا متحدة بيننا وبينهم » ويقول : « بيننا وبينهم وحدة لغوية ثقافية دينية اجتماعية و ... قلوبنا مرتبطة بقلوبهم في السراء والضراء » .

فما بقي إلا أنه لا يرى إدخالهم في برنامج الوحدة السياسية العربية بين الشعوب العربية غير المستعمرة،حتى لا يثير ثائرة الأعداء الأقوياء الذين لا حاجة بإثارة عداواتهم الآن،ويرى إلى هذا وجود وحدة سياسية من مسلمي شمالي افريقيا .

وهذه نظرية سياسية محضة قابلة للأخذ والرد،وكل وجوه المناقشة ، غير أنها لا تعد عند أحد براءة من مسلمي المستعمرات كما زعم الباشا .

وقد زار الأستاذ محمد تيسير ظبيان الكيلاني صاحب «الجزيرة» الأمير،وأخذ منه تصريحا برأيه في الوحدة العربية،نشره في العدد الصادر في ١ شعبان من «الجزيرة» وهو كلام ـ كما قال الأستاذ ـ واضح صريح لا يحتاج إلى تفسير أو توضيح . وهذا نصه :

« فيما يتعلق بالأمصار الواقعة فى شمالى افريقيا يرى أن يكتفى فى الوقت الحاضر بإيجاد صلات معنوية وروابط روحية بينها وبين هذه الأقطار (يعنى : غير المستعمرة) التى خطت خطوات موفقة فى سبيل الوحدة العربية، حتى أصبحت فكرة اتحادها وتضامنها ليست من الأمور الصعبة والمسائل الخيالية، كما كان يتوهم الكثيرون.

ولكن عطوفته يرى أن إثارة الوحدة السياسية بين هذه المجموعة الآسيوية والمجموعة الافريقية فى هذه الظروف العصيبة ، مما يثير علينا مشاكل جمة ومتاعب عديدة لا قبل لنا باحتمالها ودرئها، ونحن ما زلنا على عتبة الاستقلال والسلطان القومى » .

وهذا التصريح جلي فى أن الأمير لا يعارض إلا فى إثارة الوحدة السياسية فى هذه الظروف، لما يخشى من مشاكل ومتاعب، فأين هذه البراءة التى زعمها الباشا وهول بها ؟

نرى واجبا علينا، بعد ما نقلنا كلام الأمير واطلع عليه القراء ، أن ننقل من مقال الباشا المنشور بعدد « الرابطة العربية » المتقدم ما فيه رمى الأمير بالبراءة من مسلمى المستعمرات، ليرى القراء بأنفسهم مقدار مطابقته للواقع، ومسافة ما بينه وبين الحقيقة .

قال سعادة الباشا :

1 ــ « وأما شكيب فيعلن (بدون داع وبدون أن يسأله أحد عن رأيه فى الاتفاق مع المسلمين المصابين بالاستعمار) براءته من المسلمين كافة من المغرب الأقصى إلى نهاية الهند، ومن التركستان إلى البلقان إلا عرب الجزيرة ومصر (الغنية بذهبها الوهاج) » .

2 ــ « اذ دفع فيها (الخطبة) شكيب بإحدى يديه طرابلس برقة معلنا البراءة منها طلبا لرضاء ايطاليا ودوام ابتسامة موسولينى الذى يتفانى فى حبه (وهو لاهٍ عنه) لأدنى مناسبة » .

3 ـ « ويدفع شكيب باليد الأخرى تونس والجزائر ومراكش والسودان توددا لفرنسا المسيطرة على بلاده،معلنا بذلك براءته من الجميع » .

4 ـ « فما معنى براءة شكيب اليوم من مسلمي طرابلس برقة وافريقيا كلها (إلا مصر الغنية بالذهب)،وما هي النعمة التي ستزول عنهم،والنقمة التي ستحل بهم وتجعلهم يحزنون من إعلان هذه البراءة الجوفاء من طرف شكيب أرسلان . وعلى هذا القياس القول في رجال المغرب والمشرق كله،الذي أعلن شكيب براءته منهم إرضاء للمستعمرين » .

5 ـ « وأما افريقيا ففقيرة لا تستحق بعد أن نضب ضرعها الذي كان يدر على كثيرين من دعاة الإسلام لبنا خالصا إلا أن يقال لها اليوم بعدا وسحقا لك،فإن رضاء المستعمرين أنفع لنا من رضائك».

6 ـ « وأن يعاتبوه (السوريون) على تعليله براءته من مسلمي المستعمرات بأنه لا يتحمل عداوة المستعمرين في سبيل أولئك المسلمين،ناسيا أو متناسيا ما كان يتظاهر به من الانتصار للإسلام ومعتنقيه في كتاباته وخطبه القديمة،أيام كان المسلمون أعزة وكرماء » .

7 ـ « واضطر فيه (وقت كهذا) إلى إعلان البراءة من صديق قديم » .

8 ـ « أما وقد تظاهر اليوم بإعلان براءته من المسلمين المستعمرة بلادهم فلم يكن بد من الكلام ، إذ قد علل ذلك بأنه لا يتحمل عداوة دول الاستعمار لأجل صداقة مسلمي مستعمراتها، ونسي الأخوة الإسلامية التي لا يغفل عن ذكرها » .

9 ـ « ومما يؤسف له أن يعلن شكيب أرسلان براءته على رؤوس الأشهاد في سوريا من المغرب كله تزلفا لفرنسا » .

« . . . الإهانة التي صوبها إلى اخوانهم رجال شمال افريقيا الأخ الأرسلاني طلبا لرضا ايطاليا وفرنسا » .

ماذا يقول القراء بعد وقوفهم على الكلامين ؟ أما نحن فقد قضينا — والله — عجبا من هذا البهت والتحامل اللذين لا مبرر لهما،ولقد وقفنا قبل أن نكتب لفظتي البهت والتحامل،وحاولنا أن نجد غيرهما يقوم مقامهما فلم نجد إلا إذا خالفنا الحقيقة،وسمينا الأشياء بغير أسمائها . ولكننا — مع هذا — نلتمس لسعادة الباشا العذر من مرضه الذي هو في حالة نقه والحمد لله .

بقي في كلمات سعادته ملاحظات ينبغي التعليق بها،وها هي مرتبة على حسب الأرقام :

1) نظن أن الذي دعا الأمير إلى ما قاله عن الوحدة السياسية أنه كان بصدد تقرير الوحدة العربية،فأراد أن يبين ما يريد من التفريق بين الوحدة السياسية وغيرها حسب نظريته ، وأما مصر فإنما أدخلها في الوحدة السياسية،وهي افريقية،لأنها مستقلة إلى حد بعيد . وأما ذهبها الوهاج فنظن أنه لا يقدم ولا يؤخر،لو لم يكن ذلك القدر العظيم من الاستقلال .

2) نظن أن الأمير لو كان ممن تستبيه الابتسامات لاستبته ابتسامات انكلترا التي لا نشك أنها ابتسمت له كما ابتسمت لغيره ممن يعيشون في مناطق نفوذها ... فأعرض عنها،فحرمت عليه حتى النزول في مصر رغم دستورها واستقلالها .

3) وأما فرنسا فلو كان الأمير يتودد إليها لتودد إليها أيام كانت بلاده تحت نير انتدابها التام،وهو مقضي عليه بالإبعاد منها . وكيف يمكن أن يتودد إليها وهو يعلم أن جرائدها إلى يوم الناس هذا تصفه بالعدو،وتنسب إليه — زورا — كثيرا مما هو واقع في مستعمراتها.ومن خطاب م. سارو أمام لجنة الجزائر والمستعمرات :

(شكيب أرسلان ذلك العدو القديم لفرنسا والـــذى لا تـــزول عداوته)،وكيف يتودد أدنى العقلاء إلى مــــن يصارحه بالعداوة، وينسب إليه المناوءة التامة ، فكيف بمثل الأمير ؟

4) قضى الأمير شكيب أيام غربته في سويسرا محاربا للاستعمار كله في خطبه وكتبه ومقالاته الكثيرة جدا في صحف الشرق والغرب بالعربية والفرنسية،وفي مجلته « لا ناسيون آراب » المشهـــورة في أنحاء المعمور،وهو في ذلك كله يغضب المستعمرين ويكربهم ويحز في حلاقمهم هذا وهو طريدهم،وبلده في استعبادهم،فكيف صـــار اليوم وقد شاب فوداه وتحررت ــ إلى حد ــ بلاده،ورجع كما رجع سائر المبعدين إليها يطلب رضا المستعمرين.؟ هذا نظن أنه غـــير معقـــول .

5) من هم هؤلاء الكثيرون من دعاة الإسلام الذين كانت افريقيا تدر عليهم لبنا خالصا ؟ أجمال الدين ؟ أم محمد عبده ؟ أم رشيد رضـــا ؟ أم شكيب أرسلان ؟ فإن كان هـــو شكيب،كما قـــد يـــزعم الباشا،فهو واحد فأين الكثير ! إن مثل هذه الكلمة الغالية المتجاوزة تدلنا على أن سعادة الباشا لم يكن يضبط ما يقول .

6) لقد كان شكيب منقطعا لنصرة المسلمين المستعبدين أينمـــا كانوا،كما تشهد بذلك آثاره الـــتى ذكرنا،والمسلمون المستعبدون أذلة لمستعبديهم،فقيرهم قعد به العجز،وغنيهم غل يديه البخل،وهم ــ إلا قليلا ــ قد فرطوا في واجبهم نحو مشارعهم التى بين أيديهم وأمام أعينهم،فضلا عما هو بعيد عنهم،كمجلة شكيب الوحيدة في بابها ! فمتى كان المسلمون الذين دافع عنهم شكيب طول أيام غربته أعزة كرماء ؟ حتى يزعم الباشا أن شكيبا دافع عنهم أيام عزهـــم وكرمهم،يعني وتبرأ منهم اليوم يوم ذلهم وفقرهم . كلا الأمريـــن بالعكس،يا صاحب السعادة،فإن المسلمين كانوا أذلة واليوم تنسموا

شيئا من العز،وكانوا أشحة واليوم نشطت فيهم روح البذل . فما خدمهم شكيب ـ إذا أنصفنا ـ إلا أيام ذلهم وشحهم .

7) من المعلوم أن من الواجب في المذهب الإباضي البراءة من المخالفين كما قال صاحب (النيل) في باب فرزدين الله « ويصل لفرزه باسمه وصفته ومن ينسب إليه من أئمته وولايتهم، وبراءة من خالفهم وتخطئته » فلا عجب أن يتبرأ سعادة الباشا من الأمير كسائر المخالفين،وإنما نظن أن سعادته يقصد البراءة الخاصة التى توجب الهجران والمقاطعة لارتكاب جريرة ، ولكنها براءة فى غير محلها لأنه قد تبين أن الأمير لم يقل شيئا مما رماه به الباشا .

8) لم يقل شكيب أنه لا يتحمل عداوة دول الاستعمار لأجل صداقة مسلمى مستعمراتها،ولا ينسى الأخوة الإسلامية، بل قد صرح بالصلات المعنوية والروابط الروحية واتحاد القلوب وارتباطها فى السراء والضراء،والوحدة اللغوية والثقافية والدينية والاجتماعية،وأننا منهم ولهم ومعهم.أفبعد هذا كله يقال عنه ـ زورا ـ أنه : لا يتحمل عداوة دول الاستعمار لأجل صداقة مسلمي مستعمراتها ؟ هذا ـ والله ـ عظيم .

9) يصمم الباشا على أن الأمير يتزلف لفرنسا بهذه البراءة المزعومة ، ولماذا يتزلف لها ولا سلطان لها عليه،ولا طمع له فى سلطانها، ولم يتزلف لها وهى تذيقه علقم البعد عن الأهل والوطن، كيف يتزلف لها اليوم وهو فى أهله ووطنه بفضل أمته وحكومتها، لا بفضل فرنسا عليه .

10) ليس فيما نقلناه من كلام الأمير شيء تشم منه رائحة الإهانة، وكيف يكون من يصرح بتلك الروابط ويشير بالوحدة السياسية لعرب شمالى افريقيا مهينا لإخوانه . كلا ، وإنما هو خبير مجرب، وسياسي محنك،يفرق بين ما يمكن وما لا يمكن إلا بعد زمان .

ها نحن لبينا دعوة الباشا فأبدينا رأينا فى كلام الأمير وكلام سعادته،بعد نقلهما بنصهما.ولو وجدنا ـ علم الله ـ شيئا مما زعمه الباشا فى كلام الأمير لوقفنا معه الموقف الذى يوجبه الحق والشرف وأخوة الإسلام دون أدنى هوادة أو لين .

وقد اقتصرنا من كلام سعادة الباشا على ما يتعلق بالبـــراءة المزعومة دون بقية المقال،وإن كنا منكرين لكثير مما فيه ، لأننا لم نقف موقف المدافع عن الأمير،إذ له من قلمه ما يغنيه عن دفاع مثلنا .

غير أن هناك ملاحظة لابد من إبدائها،وهى أن روح المقال ــ فى نظرنا ــ روح هدم لماضى شكيب أرسلان برمته،وتصويره بصـــورة الرجل المادى الذى ما كان يحركه إلا حــــب المال . وعزيز علينـــا ــ والله ــ مثل هذا النكران من رجل عظيم لرجل عظيم ، ومحزن لنا ــ والله ــ ومفتت لأكبادنا أن نسرع هذه السرعة فى هـــدم عظمائنا،سواء أكان الهادم البارونى لأخيـــه شكيب أو العكس أو غيرهما وإننا لنعرف هذه الروح الهدامة فينا معشر الشرقيـــين، ولكننا ما كنا نظنها تبلغ المستوى الذى رقيه البارونى ومثله .

فيا ليت قومنا يذكرون ـ دائما ـ قول أبى الحسن ابن الرومى :

لا تضع من عظيم قدرى وإن كنـ ـــت مشـــارا إليـــه بالتعظيـــم

فالشريف العظيم ينقص قدرا بالتعدى على الشريف العظيـــم

ولع الخمر بالعقول رمى الخمـ ـــر بتنجيسهـــا وبالتحريـــم

بل ليتهم يتأدبون بأدب الله فى قوله جل جلاله : « وَيُؤْتِ كُـلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ » فلا ينكرون الإحسان الكثير لأجل السوء القليل ، إن كان هذا السوء القليل .

هذا رأينا فيما بين الأمير والباشا.أما رأينا فى الوحدة السياسية وفى عروبة شمال افريقيا فسنبديه فى العدد الآتى إن شاء الله .

هذا وكأنني بـ : م. سارو وغيره يضمون كتابتي هــذه إلى حججهم على ما يرمون به الأمير وما يرموننا به . ونحن ما أنكرنا يوما بيننا وبين عظماء أمتنا الإسلامية والعربية من روابط متينة وعلائق قوية،وإن لم تكن بيننا معرفة شخصية ولا كتابية .

ونحن نكلف بالعظمة وندافع بالحق ، ولو لم تكن منا ، فكيف بها إذا كانت منا ـ وقديما قال شاعرنا أبو عبادة البحترى :

وأراني من بعد اكلف بالاشـ ـراف طرا من كل سنخ وجنس (1)

---

(1) ش : ج 10 ، م 13 ، 9 شوال 1356 هـ ـ 12 ديسمبر 1937 م .

الوحـــدة العربيـــة

هـــل بـــين العـــرب وحـــدة سياسيـــة

إذا قلنا العرب فإننا نعنى الأمة الممتدة من المحيط الهنـدوى شرقا إلى المحيط الاطلانطيقى غربًا ، والتى فاتت سبعين مليونـا عدًّا،تنطق بالعربية وتفكر بها،وتتغذى من تاريخها،وتحمل مقدارا عظيما من دمها،وقد صهرتها القرون فى بوتقـــة التاريخ حتى أصبحت أمة واحدة .

هذه الأمة العربية تربط بينها ــ زيادة على رابطة اللغة ــ رابطة الجنس ، ورابطة التاريخ ، ورابطة الألم ، ورابطة الأمل ، فالوحدة القومية والأدبية متحققة بينها ولا محالة . ولكن هل بينها وحدة سياسية ؟ هذا هو الموضوع الذى طرقه الأمير شكيب أرسلان وقال فيه كلمة السياسى العملى والخبير المحنك،فتعرض له سليمان باشا البارونى بمقال نقضناه عليه فى الجزء الماضى،وفضحنا ما فيه مـن خطـأ وتحامـل .

الوحدة السياسية لا تكون إلا بين شعوب تسوس نفسها،فتضع خطة واحدة تسير عليها فى علاقاتها مع غيرها من الأمم ، وتتعاقد على تنفيذها ، وتكون كلها فى تنفيذها والدفاع عنها يدا واحدة ، فهى مقتدرة على الدفاع عنها كما كانت حرة فى وضعها ، وأما الأمم المغلوبة على أمرها فهذه لا تستطيع أن تضع أمـرا لنفسها،فكيف تستطيع أن تضعه لغيرها ، ولا تستطيع أن تدافع عن نفسها فكيف تستطيع ان تدافع عما تقرره مع غيرها ، وهى لم تستطع أن تعتمد

على نفسها في داخليتها فكيف يعتمد عليها في خارجيتها ؟ فالوحدة السياسية بين هذه الأمم غير ممكن ولا معقول ولا مقبول .

وإذا نظرنا إلى الأمة العربية على ضوء هذه الحقيقة،فإنا نجد منها شعوبا مستقلة استقلالا حقيقيا،فهذه تمكن بينها الوحدة السياسية وتجب . وقد وقعت في هذه الأيام ـ والحمد لله ـ فعلا بين المملكة السعودية والعراق واليمن،ومن المنتظر انضمام مصر والشام إليهم يوم يتم استقلالهما . ثم نجد شعوبا أخرى وهي شعوب الشمال الافريقي المصابة بالاستعمار، فهذه لا وحدة سياسية بينها ولا بين غيرها،ولا يتصور أن تكون . ومن الخير لها أن تعمل كل واحدة منها في دائرة وضعيتها الخاصة على ما يناسبها من الخطط السياسية التي تستطيع تنفيذها بالطرق المعقولة الموصلة ، مع الشعور التام بالوحدة القومية والأدبية العامة،والمحافظة عليها،والمجاهرة بها ، ونحن نعلم أن الواقع اليوم في شمالنا الافريقي العربي هو هذا بعينه ، فنقول ـ بكل صدق وصراحة ـ إن كل شعب من شعوب هذا الشمال مستقل تمام الاستقلال بخططه في سياسته ، لا نعرف هيئة منهم تتصل بهيئة،مع عمل الجميع على تغذية الشعور بالوحدة القومية والأدبية العامة .

والأمير شكيب الذي تعده الدول المستعمرة ألد أعدائها،وتنسب اليه ـ ظلما وزورا ـ كل حركة تقع في الأمم المصابة باستعمارها ، يصرح في خطابه بعدم الوحدة السياسية بين شعوب العرب المغلوبة على أمرها وشعوبهم المستقلة ، لأنه ـ وهو أكبر مدافع عن العرب والإسلام في الغرب والشرق ـ رجل عملي ليس بخيالي ، وسياسي مجرب خبير،يعرف ما يقول،ويفرق بين العمل المثمر والقول الفارغ الذي يثير الضجيج لينسب صاحبه إلى الغيرة والحماس ، وإن كان يثير الغبار ويكدر الجو في نواح أخرى . هذا رأينا في الوحدة

السياسية بين شعوب العرب . ونحن نعتقد أنـه هـو رأي جميع إخواننا العاملين فى هذا الشمال (1) .

(1) ش : ج 11 ، م 13 ، غرة ذى القعدة 1356 هـ ـ جانفى 1938 م .

أصول الولاية في الإسلام

من خطبة الصدِّيق رضي الله تعالى عنه

لما بويع لأبي بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ بالخلافة رقى المنبر فخطب فى الناس خطبة اشتملت على أصول الولاية العامة فى الإسلام مما لم تحققه بعض الأمم إلا من عهد قريب على اضطراب منها فيه .
وهذا نص الخطبة :

« أيها الناس،قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فسدِّدونى .

أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم .

ألاَ إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوي حتى آخذ الحق منه .

أقول قولى هذا واستغفر الله لي ولكم » .

الأصل الأول :

لا حـق لأحد فى ولاية أمـر من أمور الأمة إلا بتولية الأمـة ، فالأمة هى صاحبة الحق والسلطة فى الولاية والعزل،فلا يتولى أحد أمرها إلا برضاها،فلا يورث شيء من الولايات،ولا يستحق الاعتبار الشخصى . وهذا الأصل مأخوذ من قوله : « وُليتُ عليكُم » أى قـد ولاني غيرى وهو أنتم .

الأصل الثانى :

الذى يتولى أمرا من أمور الأمة هــو أكفؤها فيــه لا خيرها فى سلوكه. فإذا كان شخصان اشتركا في الخيرية والكفاءة وكان أحدهما أرجح فى الخيرية والآخر أرجح فى الكفاءة لذلك الأمر قدم الأرجح فى الكفاءة على الأرجح فى الخيريــة.ولا شك أن الكفــاءة تختلف باختلاف الأمور والمواطن،فقد يكون الشخص أكفأ فى أمــر وفى موطن لاتصافه بما يناسب ذلك الأمر ويفيد فى ذلك الموطن ، وإن لم يكن كذلك فى غيره فيستحق التقديم فيهٔ دون سواه . وعلى هذا الأصل ولى النبى صلى الله عليه وآله وسلم عمرو بن العاص غزاة ذات السلاسل،وأمده بأبى بكر وعمر وأبى عبيدة بن الجراح،فكانوا تحت ولايته وكلهم خير منه . وعليه عقد لواء أسامة بن زيد عــلى جيش فيه أبو بكر وعمر . وهذا الأصل مأخوذ من قوله : « ولسْتُ بخيركم » .

الأصل الثالث :

لا يكون أحد بمجرد ولايته أمرا من أمور الأمة خيرا من الأمة ، وإنما تنال الخيرية بالسلوك والأعمال ، فأبو بكــر إذا كــان خيرهم فليس ذلك لمجرد ولايته عليهم، بــل ذلك لأعماله ومواقفه ، وهذا الأصل مأخوذ أيضا من قوله : ولسْتُ بخيركم ، حيث نفى الخير عند ثبوت الولاية .

الأصل الرابع :

حــق الأمة فى مراقبة أولى الأمر،لأنها مصدر سلطتهم،وصاحبة النظر فى ولايتهم وعزلهم .

الأصل الخامس :

حق الوالى على الأمة فيما تبذله لــه من عون إذا رأت استقامته

فيجب عليها أن تتضامن معه وتؤيده،إذ هي شريكة معه في المسؤولية.
وهذا ــ كالذى قبله ــ مأخوذ من قولــه : « إذا رأيتمونى على حَــق فأعينونى » .

الأصل السادس :

حق الوالى على الأمة فى نصحه وإرشاده ودلالته على الحق إذا ضل عنه ، وتقويمه على الطريق إذا زاغ في سلوكه . وهذا مأخوذ من قوله : « وإذا رأيتمونى على باطلٍ فسدِّدونى » .

الأصل السابع :

حق الأمة فى مناقشة أولى الأمر ومحاسبتهم على أعمالهم،وحملهم على ما تراه هى لا ما يرونه هم ، فالكلمة الأخيرة لها لا لهم.وهذا كله من مقتضى تسديدهم وتقويمهم عندما تقتنع بأنهم على باطل،ولــم يستطيعوا أن يقنعوها أنهم علي حــق . وهذا مأخوذ ــ أيضا ــ من قوله : « وإن رأيتمونى على باطل فسددونى » .

الأصل الثامن :

على من تولى أمرا من أمور الأمة أن يبين لها الخطة التى يسير عليها، ليكونوا على بصيرة،ويكون سائرا فى تلك الخطة عن رضى الأمة . إذ ليس له أن يسير بهــم على ما يرضيه،وانما عليه أن يسير بهم فيما يرضيهم.وهذا مأخوذ من قوله : « أَطيعونى ما أطعتُ اللّٰه فيكم » فخطته هي طاعة الله،وقد عرفوا ما هو طاعة الله فى الإسلام .

الأصل التاسع :

لا تحكم الأمة إلا بالقانون الذى رضيته لنفسها،وعرفت فيـــه فائدتها،ومــا الولاة إلا منفذون لإرادتها،فهى تطيع القانون لأنــه قانونها،لا لأن سلطة أخرى لفرد أو لجماعة فرضته عليها،كائنا من كان ذلك الفرد،وكائنة من كانت تلك الجماعة،فتشعر بأنها حرة فى

تصرفاتها،وأنها تسير نفسها بنفسها،وأنها ليست ملكا لغيرها من الناس لا الأفراد ولا الجماعة ولا الأمم . ويشعر هذا الشعور كل فرد من أفرادها إذ هذه الحرية والسيادة حق طبيعي وشرعي لها ولكل فرد من أفرادها . وهذا الأصل مأخوذ من قوله : « أطيعوني ما أطعت الله فيكم،فإذا عصيتُه فلا طاعةَ لِي عليكم » . فهم لا يطيعونه هو لذاته،وانما يطيعون الله باتباع الشرع الذي وضعه لهم ورضوا به لأنفسهم،وانما هو مكلف منهم بتنفيذه عليه وعليهم،فلهذا إذا عصى وخالف لم تبق له طاعة عليهم .

الأصل العاشر :

الناس كلهم أمام القانون سواء،لا فرق بين قويهم وضعيفهم، فيطبق على القوي دون رهبة لقوته ، وعلى الضعيف دون رقة لضعفه.

الأصل الحادي عشر :

صون الحقوق؛حقوق الأفراد وحقوق الجماعات،فلا يضيع حق ضعيف لضعفه،ولا يذهب قوي بحق أحد لقوته عليه .

الأصل الثاني عشر :

حفظ التوازن بين طبقات الأمة عند صون الحقوق . فيؤخذ الحق من القوي دون أن يقسى عليه لقوته فيتعدى عليه حتى يضعف وينكسر ، ويعطى الضعيف حقه دون أن يدلل لضعفه فيطغى عليه وينقلب معتديا على غيره . وهذا الأصل واللذان قبله مأخوذة من قوله : « ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه » .

الأصل الثالث عشر :

شعور الراعي والرعية بالمسؤولية المشتركة بينهما في صلاح المجتمع ، وشعورهما ـ دائما ـ بالتقصير في القيام بها ليستمرا على

العمل بجد واجتهاد ، فيتوجهان بطلب المغفرة من اللـه القريب عليهما وهذا مأخوذ مـن قوله : « أقول قولي هذا،واستغفر اللـه لي ولكم » .

هذا ما قاله ونفذه أول خليفة في الإسلام منذ أربعة عشر قرنا ، فأين منه الأمم المتمدنة اليوم ؟ فهل كان أبو بكر ينطق بهذا مـن تفكيره الخاص وفيض نفسه الشخصي ؟ كلا ! بل كان يستمد ذلك من الإسلام،ويخاطب المسلمين يوم ذاك بما علموه،وما لا يخضعون إلا له، ولا ينقادون إلا بـه . وهل كانت هذه الأصول معروفة عند الأمم فضلا عن العمل بها ؟ كلا ! بل كانت الأمم غارقة في ظلمات مـن الجهل والانحطاط،ترسف في قيود الذل والاستعباد تحت نـير الملك ونير الكهنوت،فما كانت هذه الأصول ـ والله إذن ـ من وضع البشر، وإنما كانت من أمر اللـه الحكيم الخبير . نسأله ـ جـل جلاله ـ أن يتداركنا ويتدارك البشرية كلها بالتوفيق للرجوع إلى هذه الأصول، التي لا نجاة من تعاسة العالم اليوم إلا بها (1) .

(1) ش : ج 11 ، م 13 ، غرة ذي القعدة 1356 هـ ـ جانفي 1938 م .

توضيح

إننا نفرق جيدا بين الروح الإنسانية والروح الاستعمارية في كل أمة،فنحن بقدر ما نكره هذه ونقاومها ، نوالي تلك ونؤيدها .

لأننا نتيقن كل اليقين أن كل بلاء العالم هو من هذه ، وكل خير يرجى للبشرية إنما يكون يوم تسود تلك .

فلتسقط الروح الاستعمارية ولتندحر .

ولترتفع الروح الإنسانية ولتنتشر (1) .

(1) ش : ج 11 ، م 13 ، غرة ذي القعدة 1356 هـ ـ جانفي 1938 م .

الجزائـر المسلمـة
تبرهن في أحرج مواقفها
على تماسكها بشخصيتها: بإسلامها وعربيتها

كبـر على الرجعيين وأشباه الرجعيين بفرنسا أن يعطوا الحقوق الانتخابية البرلمانية لعدد لا يتجاوز خمسة وعشرين ألفا من الأمة الجزائرية ، ما داموا محافظين على شخصيتهم وقوميتهم ، كما يقتضيه « بروجي فيوليت » ، ورأوا أنهـم لا يمكن أن ينعموا على الأمـة الجزائرية بهذه النعمة ! إلا إذا رضيت بمحو شخصيتها والانسلاخ عن دينها . ثم منهم من صدر في رأيه هذا عن كيد للأمة الجزائرية لصدها عن نيل الحق الطفيف،لأنه يعلم أنها لا تتنازل عن شخصيتها فيجد المبرر لحرمانها ، وهذا هو الأكثر . ومنهم من صدر عن حسن قصد مغترا بكلمات طائشة من أفراد قالوها عن غضب أو قلة تبصر، فحسب أن الأمـة الجزائرية تخضع للأمـر الواقع إذا ألزمت بمحو شخصيتها والانسلاخ عن دينها،فأراد أن يحسن إليها،وبرغم عتـاة الاستعمـار خصومها . فأصبحت الجزائر من هذين القسمين بـين حرمانها من كل حـق لها ، وسلبها مـن أعـز عزيز عليها ، موقف ــ والله ــ من أحرج مواقفها .

لقد كانت عبارة « بروجي فيوليط » قبـل « المؤتمر الإسلامى الجزائرى » غير صريحة فى المحافظة على الشخصية الإسلامية ، وكان قسم عظيم من الأمة ذاهبا مـع تياره،رغم ذلك الإبهام،فلما انعقد المؤتمر فى 17 جوان 1936 ، كان عمل العلماء فيه المحافظة على تلك

الشخصية حتى أعلن المؤتمر بالإجماع لـزوم المحافظة عليها،فلما عرض م فيوليت بروجيه على وزارة الجبهة الشعبية الأولى التى كان وزيرا فيها ، حور بروجيه ـ نزولا ـ عند كلمة الأمة،فصرح فيـه بلزوم المحافظة على الشخصية الإسلامية .

فلما قامت سـوق الكلام عـلى هذا « البروجى » فى هذه المـدة الأخيرة،صرح بعض النواب الفرنسيين من الجزائر أن المحافظة على الشخصية الإسلامية إنمـا هـى وضـع العلماء،وتطرفت صحيفة استعمارية كبيرة فجعلته من تعصب ابن باديس . لكنه ما كادت الأمة تسمع بالمساومة على شخصيتها حتى قامت من جميع نواحي الوطن بالاعتراض والاستنكار . فنشر العلمـاء بيانا وتحذيرا للأمـــة والحكومة في جريدة «البصائر»،وأوفدت جمعيـة النواب لعمالـة قسنطينة وفـدا،وجمعية النواب لعمالة الجزائر وفـدا ، وجمعية النواب لعمالة وهران وفـدا ، والنواب الماليون والعماليون غـير الداخلين في الجمعيات وفدا ، وذهبت تلك الوفود كلها إلى باريس ، ومعها وفد من رجال الواجهة الشعبية للمطالبة ببروجي فيوليت،مع المحافظة التامة على الشخصية الإسلامية،ولـو أدى ذلك إلى الحرمان من كل حق .

فكانت هذه كلمة الأمـة الحازمة الحاسمة ، وكانت هى الدليـل القاطع على أن العلماء فى كل ما يقومون بـه مـن خدمة الإسلام والعربية لبقاء الذاتية الإسلامية والشخصية القومية هـم باسـم الأمة يعملون،وبلسانها ينطقون،وأن كل من خذلهم فى خدمتهم فقد خذل الأمة،وكل من أيدهم فى خدمتهم فقد أيد الأمة .

فنحن نهيب بفرنسا-التي لا نرى من مصلحة الجزائر في الوقت الحاضر قطعا أن تتراخى علاقاتها بها-أن تحترم الأمة الجزائرية فى إسلامها وعربيتها،وتنيلها حقوقها . ونلفت نظر كل نائب إلى مـا

عليه من واجب فى حماية الإسلام والعربية اللذين هما أعـز كل عزيز على الأمة التى هو نائب عنها . وكفى بكلمتها الاجتماعية التى قالتها في مؤتمرها ، وفى هذا الموقف الحرج من مواقفها ـ دليلا على منزلتهما عندها (1) .

(1) ش : ج 12 ، م 13 ، غرة ذى الحجة 1356 هـ ـ فيفرى 1938 م .

الخـلافة أم جماعـة المسلمـين

إن الخلافة هى المنصب الإسلامى الأعلى الذى يقوم على تنفيـذ الشرع الإسلامى وحياطته بواسطة الشورى من أهل الحل والعقد، من ذوى العلم والخبرة والنظـر ، وبالقـوة من الجنود والقـواد وسائر وسائل الدفـاع .

ولقد أمكن أن يتولى هذا المنصب شخص واحد صدر الإسـلام وزمنا بعده ـ على فرقة واضطراب ـ ثم قضت الضرورة بتعدده فى الشرق والغرب ، ثم انسلخ عن معناه الأصلى وبقى رمزا ظاهريا تقديسيا ليس من أوضاع الإسلام فى شىء .

فيوم ألغى الاتراك الخلافة ـ ولسنا نبرر كل أعمالهم ـ لم يلغوا الخلافة الإسلامية بمعناها الإسلامى،وانما ألغوا نظاما حكوميا خاصا بهم،وأزالوا رمزا خياليا فتن به المسلمون لغير جدوى . وحاربتهم من أجله الدول الغربية المتعصبة والمتخوفة من شبح الإسلام .

علمت الدول الغربية المستعمرة فتنة المسلمين «خليفة»،فأرادت أن تستغل ذلك مرات عديـــدة أصيبت فيها كلها بالفشل . ليس عجيبا من تلك الدول أن تحـــاول ما حاولت،وغاياتها معروفـــة ومقاصدها بينة . وإنما العجب أن يندفع فى تيارها المسلمون،وعلى رأسهم أمراء وعلماء منهم ، ومن هذا الاندفاع ما يتحدث به فى مصر فتردد صداه الصحف فى الشرق والغرب،وتهتم له صحافـــة الانكليز على الخصوص،يتحدثون فى مصر وفى الأزهر عن الخلافة

كأنهم لا يرون المعاقل الانكليزية الضاربة في ديارهم،ولا يشاهدون دور الخمور والفجور المعترف بها في قانونها .

كفى غرورا وانخداعا،إن الأمم الإسلامية اليوم ـ حتى المستعبدة منها ـ أصبحت لا تخدعها هذه التهاويل ولو جاءتها من تحت الجبب والعمائـم .

للمسلمين ـ مثلما لغيرهم من الأمم ـ ناحيتان : ناحية سياسية دولية،وناحية أدبية اجتماعية . فأما الناحية السياسية الدولية فهذه من شأن أممهم المستقلة،ولا حديث لنا عليها اليوم . وأما الناحية الأدبية الاجتماعية فهي التي يجب أن تهتم بها كل الأمم الإسلاميـة المستقلة وغيرها،لأنها ناحية تتعلق بالمسلم من جهة عقيدته وأخلاقه وسلوكه في الحياة،في أي بقعة من الأرض كان ، ومع أي أمة عاش، وتحت أي سلطة وجد ، وليست هذه الناحية الإنسانية المحضـة دون الناحية الأولى في مظهر الإسلام،ولا دونها في الحاجة إلى الحفظ والنظام لأجل خير المسلمين على الخصوص،وخير البشرية العام ..

إن الأمم الكاثوليكية ـ مثلا ـ على اختلاف أوضاعها السياسية وتباين مشاربها وأنظارها فيها ، ترجع في ناحيتها الأدبية الدينية إلى مركز أعـلى هو بابا روما،المقدس الشخص والقـول في نظـر جميعهـم .

نعم ليس لنا ـ والحمد لله ـ في الإسلام بعد محمـد صلى الله عليه وآله وسلم شخص مقدس الذات والقول،تدعى له العصمـة ، ويعتبر قوله تنزيلا من حكيم حميد ، ولكن لنا جماعة المسلمين وهم أهل العلم والخبرة الذين ينظرون في مصالح المسلمين من الناحية الدينية والأدبية،ويصدرون عن تشاور ما فيه خير وصلاح . فعلى الأمم الإسلامية جمعاء أن تسعى لتكون هذه الجماعة من أنفسهـا، بعيدة كل البعد عن السياسة وتدخـل الحكومـات،لا الحكومـات الإسلامية ولا غيرها .

لقد كنت كاتبت صاحب الفضيلة شيخ الأزهر الشريف بهـذا المعنى، ولكنني لم أتلق منه جوابا، وعـــرفت السبب يـوم بلغنا أن إخواننا الأزهريين هتفوا – يوما – بالخلافة لملك مصر فاروق الأول.

وسيرى صاحب الفضيلة الأستاذ الاكبر ، أن خيال الخلافـة لن يتحقق ، وأن المسلمين سينتهون يوما ما – إن شاء الله – إلى هـذا الــرأي (1) .

(1) ش : ج 11 ، م 13 ، غرة ذى القعدة 1356 هـ – جانفى 1938 م .

بعـد الاعتقـــال

الضغـط والاضطهـاد

كنا على علم بالمكائد التى كان يدبرها أعداء الشيخ عبد العزيز القدماء،وبالوشايات التى كان يحركها ضده قوم من المتسلطين باسم الدين وقوم من المتسلطين باسم الدنيا . وكنا نحسب أن ذهاب مدير الشؤون الأهلية إلى سوف ـ وهـو الرجل العالم الخبير ـ كافيا فى إحباطها . ولكنه ما كـاد يطمئن فى مكتبه من سفرته حتى ألقـى القبض على الشيخ ورفيقيه وجىء بهـم مكبلين بالحديد . وليست المرة الأولى التى خاب فيها الظن .

لم يكن القبض على الشيخ ورفيقيه بالأمر الهين المأمون الأثر . ولقد كان متوقعا منا أن نمـلأ الجـو استنكارا ، ونمطر الوزارات شكوى واحتجاجا . ولكننا علمنا أن القضية آيلة ليد العدالة فآثرنا السكوت وأثرنا بالهدو . لأننا قـوم على ثقة من براءتنا من كل ما يضر بالناس أو يمس الأمن العام أو يخالف القانون،فتجدنا نثـق بالعدالة مهما كانت الأحوال .

أعقب إلقاء القبض على الشيخ ورفيقيه ضرب نطاق الحصار على سوف ، واستدعاء أفواج الناس مـن مختلف الجهـات وإلقاؤهم فى السجن،ثم سؤالهم عما كان يلقيه عليهم الشيخ عبد العزيز فى خطبه، فاتفقت كلمتهم ـ على اختلاف لسانهم ـ على أنهم ما سمعوا منه إلا المواعظ الدينية دون أدنى تعرض للسلطة الفرنسية بكلمة سوء ،

بل كان كثيرا ما يحثهم على القيام باللوازم الدولية ، وليس لهم إذا ظلمهم أحد القياد إلا رفع الشكوى لحاكم الدائرة .

مضت أيام والناس بين السجن والبحث،ثم رفع الحصار عن الوادى ولم تأت نتيجة البحث بحجة تدين المتهمين . وكأن ذلك لم يرق الباحثين فعادوا لاضطهاد شعب جمعية العلماء والتضييق عليهم وإكراههم على التخلي عن الجمعية . بالسجن والأعمال الشاقة .

إننا لا ننكر التدقيق فى البحث ولا نعترض من هذه الناحية ؛ ولكننا نستنكر هذا الضغط والإرهاق الذى تنكره العدالة وتمقته الإنسانية ؛ وترده القوانين . ثم هو لا يزرع فى القلوب إلا الشوك والحنظل،ولا يزيد رجال الجمعية إلا تمسكا بمبادئهم التى هى حقائق الإسلام،وكلها حق وعدل وخير وإحسان .

فهنيئا لكم يا أهل سوف الأكارم ما أنتم فيه من فتنة وابتلاء، فإننا بقدر ما نرثى لكم مما تلقون من ظلم وعنت ، نغبطكم على ما تظهرون من صبر ويقين .

وما دمتم متمسكين بالحق فى دائرة القانون فاثبتوا واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . وما أنتم فيه ما هو إلا غمة ، وستنكشف ــ إن شاء الله ــ من بعد تمحيصكم عن براءتكم وصدقكم ونزاهتكم فتزدادون رفعة وسموا أمام الحق والقانون ولدى الأحرار من رجال العدالة والإنصاف . وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى (1) .

(1) البصائر : س 3 ، عدد 112 ــ 6 مارس 1357 هـ ــ 6 ماي 1938 م .

أنديجينـــا جديـــدة !
بعد مائة سنة وثمان سنوات

منشــور
من سمو الوالى العام
إلى رؤساء الأوطان الجنوبية

وجه سمو الوالى العام الرئيس الأعلى للأوطان الجنوبية يأمرهم بإلقاء القبض وسجن كل طالب منسوب إلى جمعية العلماء حــال جولانه بمناطقهم،وقيامه بدعاية هذه الجمعية .

دعاية الجمعية ! يحسب من يسمع هذه الكلمة مـــن الذين لا يعرفون الجمعية من الشعوب الأخرى أن للجمعية دعاية سياسيــة ضد الحكومة المحلية وضد أوضاعها وتصرفاتها ، فلهــذا أصدرت الحكومة هذا المنشور لمقاومتها وإسكـــات كلمتها . ولكن الذيــن يعرفون الجمعية ــ ومن ذا الذى لا يعرفها ؟ ــ وفي مقدمتهم الحكومة المحلية ــ يعلمون أن الجمعية لم تتعرض قط لسياسة الحكومــة ولا لتصرفاتها ، وما كانت فى جميـــع مواقفها إلا داعية إلى تطهيــر القلوب ، وتزكية النفوس ، وتنوير العقول ، وتقويم الأعمـــال، وحاثة على تعلم القرآن والإسلام ، ولغة القرآن والإسلام ، ولــم ينس رجالها فى جميع أو أكثر مواقفهم أن يوصوا بالتزام الهدو والنظام ، والتمسك بالمظاهر الإسلامية الحقيقيــــة الراقيــة فى معاملتهم لمساكنيهم من جميع الناس ، ووقوفهم فى دائرة القوانين الموضوعة لحفظ الأمن والنظام فى البلاد .

ولو أن الحكومة المحلية وجدت منهم ما تؤاخذهم عليه لما أبقت عليهم إلى اليــوم

إذا ! فما بال هذا المنشور الذى لا يصدر إلا من سلطة عسكرية فى زمان الحصار ضد أعظم الأخطار ؟

حقا،إنه ما فهم الناس من هذا المنشور إلا ما فهموه مــن قرار 8 مارس وغيره من وضع العراقيل فى طريـــق انتشار العربيـــة والإســـلام .

كان من المسلم به أن يؤمر بالقبض والسجن على كل مــن يثبت عليه عند رؤساء الجنوب أنه تكلم ضد السلطة،أو تدخل فى شؤون الإدارة،لأننا نتحقق أن كل من يتكلم باسم الجمعية لا يتعدى خطتها، ولأنا نرى أن أكثر الحكام لا يثبتون غير الثابت .

أما أن يؤمر بالقبض والسجن على كل طالب منسوب للجمعية، فهذا سلاح حاد غاشم،وضع فى يد أعوان الحكـــام وأطرافهـــم يستعملونه ضد من يشاءون .

فنحن ــ باسم الحق والعدل والإنسانية ــ نحتج ضد هذا المنشور، مستنكرين لما فيه من شدة قاسية وتفويض خطر .

وإلى هذا فنحن نعتقد أن مثل هذه المضايقة والاضطهاد لا تزيد المؤمنين إلا إيمانا ، ولا تزيد ما تدعو إليه الجمعية من حق وعدل وخير وإحسان ــ إلا انتشارا ، ولا تزيد من يزرعون الباطل والجور والشر والإساءة من الوشاة والكائدين ــ إلا اندحارا وانكسارا (1)

(1) البصائر : 13 ماى 1938 .

عمل النواب والجمعيات

في سبيل تعليم الاسلام ولغة الاسلام

جاءتنا البرقيات العديدة والكتب الكثيرة من النواب المسلمين والجمعيات الإسلامية من جميع جهات القطر . كلها تعلمنا بما قامت به من رفع الشكوى والاحتجاج لدى المراجع المسؤولة فيما يلقاه تعليم الإسلام ولغة الإسلام من المعاكسة والتحجير، وما يلقاه القائمون عليه من المضايقة والتنكيل . وما كان هذا العدد من أوله إلى آخره بالذى يكفي لنشر جميع ما ورد علينا من تلك الكتب والبرقيات، فاضطررنا إلى الاكتفاء بذكر هذه الإشارة إليها . وحسبنا أنها بلغت إلى الحكومة وعرفت منها ــ قطعا ــ أن مسألة تعليم الإسلام ولغة الإسلام هى مسألة المسلمين كلهم، وأنهم لا يسكتون عن المطالبة بحرية تعلمهم دينهم ولغة دينهم . ونريد أن نكتفي هنا بثلاثة كتب كنموذج لغيرها .

الأول ــ بعد الديباجة ــ : « قدمت تقريري إلى لجنة النيابة العمالية المكلفة بالنظر في عرض الحالات السياسية . ورئيس هذه اللجنة قدم هذا التقرير إلى المجلس العام والعمالى من غير أن ينظر فيه . ولما عرض على عامل العمالة قام وطلب من المجلس رفضه ، فان لم يرفضه المجلس خرج فورا، فوافق المجلس على الرفض وسكتنا ... وأردرف العامل قائلا يخاطبنا : إن مكتبي مفتح أمامكم ، وأنا مستعد للمفاوضة معكم في هذه النازلة كغيرها بكل سرور . فأخذنا منه وعدا بالملاقاة صباح الجمعة و 29 أفريل توجهنا

إليه في جماعة : « ابن جلول ، ابن خلاف . الأخضرى . الحاج ابن عبود ابن ليلى . فاستغرقت المقابلة ساعتين .

والملخص أننا بينا له أن قراءة القرآن فى الكتاتيب المنبثة فى الجبال والقرى لا ينبغي أن يلزم المعلمون فيها بطلب الرخص ، ولا بالشروط المتعلقة بحفظ الصحة . وأكدنا له أنه لا مضرة تلحق الدولة من ذلك . لا سيما والتعليم في تلك الكتاتيب مقصور على تحفيظ القرآن والتمرين على كتابة الحروف . أما الشروط المتعلقة بحفظ الصحة فإنها مفقودة فى أكواخهم . فكيف تشترط فى كتاتيبهم . ثم تكلمنا على المدارس الحرة بينا له بوضوح أن التعليم فيها محدود لا يتجاوز اللغة والدين،وهذا بعيد عن المخاوف التى تتصورونها. فلا سياسة ولا مضرة تلحق أحدا.واذن فالقرار الصادر 8 مارس لا موجب له ولا سبب . ومتى تفتح مدرسة بقصد تعليم السياسة فللدولة الحق فى غلقها أو المنع من الترخيص لها .

والذى يبدو لنا أنه استحسن كلامنا وربط عليه.وبعد الخروج أزمعنا المفاوضة فى النازلة مع الوالى العام ، وعامل العمالة وعد من جهته بأن يكلمه فى هذا الشأن .

والسلام من أخيكم المخلص : خلاف حسن .

والثانى ــ بعد الديباجة ــ : « .. وأخبر حضرتكم بأنا كنا جعلنا الواجب من قبل قراءة العربية لغة أجدادنا ولغة كتابنا العزيز القرآن العظيم ، وأننا كررنا الواجب هاته الأيام فى « الكونصاى جنرال » بوهران ونحن بالانتظار » والسلام من أخيكم : طالب عبد السلام ، النائب العمالي والمالى .

والثالث ــ بعد الديباجة ــ : « أفيدكم أنى مستعد للقيام بالواجب فى مسألة التعليم التى لفتم نظرى إليها،وانا لكم من الشاكرين ، وإنى عازم على تقديم مقال للحكومة فى أثناء الجلسة

الآتية للنيابة المالية ، ولكم منا أتم السلام ، محمد الشريف سيسبأن.

وقدم السيد إبراهيم بن قلعية،النائب البلدى ورئيس جمعية لقدماء المحاربين،اقتراحا لوحدة قدماء المحاربين الجمهوريين،فقبلته وجاز بهذه الصورة : « المـؤتمر الـوطني الخامس عشر لقدمـاء المحاربين الجمهوريين يطلب تسهيل فتح محلات التعليم بالجزائر ، وإعطاء الحرية للغة العربية مع بقاء المراقبة التامة » .

وفى يوم الاثنين 6 جوان زارنا الأخ الدكتور ابن جلـول فى جماعة من النواب،وعرفنا بما قام به هو وجماعة فى المجلس العمالى بقسنطينة وما قاموا به لدى الوالى العام من الأعمال الواجبـة المشكـورة .

فبعد هذا كله نكاد لا نشك فى أن جناب الوالى العام سيعطى المسألة ما تستحقه من الاهتمام ، ويرفع عن المسلمين هذا البـلاء الذى أقلق منهم البال ، وكدر منهم الخاطر ... وإنا لمنتظرون . (1)

(1) البصائر : س 3 ـ ع 118 ـ 1357/4/18 هـ ـ 1938/6/17 م .

المسألة مسألة الأمة كلها
لا مسألة جمعية العلماء وحدها

(1) إعطاء رخص التعليم الإسلامي الحر يكون أمرا مسموحا به للجميع .

(2) يبادر بأحداث مراقبة على هذه المدارس .

(من التقرير الذى قدمه نوابنا الماليون في جلسة 15 جوان)

ينص القانون الأساسي لجمعية العلماء (1) على أنها تهذيبية إرشادية، (2) وأنها تحارب الآفات الاجتماعية وكل ما يحرمه صريح الشرع، (3) وانها تتذرع لغايتها بكل ما تراه صالحا نافعا غير مخالف للقوانين المعمول بها . فلهذا كانت الجمعية حريصة على حفظ الإسلام والعربية،جادة في الدفاع عن حرية تعليمهما وتعلمهما . فإن أقرب الوسائل وأنفعها لتهذيب الأمة وإرشادها هو دينها الذى اطمأنت له قلوبها،وانقادت له نفوسها،وذلك هو الإسلام الذى بني على تحرير العقول وإنارتها ، وتزكية النفوس وترقيتها ، وتقويم الأعمال وتنظيمها ، لتبنى الحياة الإنسانية على العلم ، والفضيلة ، والعدل والإحسان . والعربية هي لغة هذا الدين، ولغة هذه الأمة التي لا تفهمه إلا بها . فالإسلام ولغة الإسلام ضروريان للجمعية للقيام بعملها حسب قانونها .

ثم هذا الذى تشعر به الجمعية كجمعية هو ما تشعر به الأمة كلها كأمة تدين بالإسلام وتنطق بلغة الإسلام . فكانت الجمعية

ـ لهذا ـ ، فى كل ما تقوم به فى سبيل حفظ الإسلام والعربيـــة والدفاع عن حرية تعليمهما وتعلمهما ـ إنما تنطق بلسان الأمــة كلها ، وتعرب عن نفسيتها ، وتعمل بيدها . وقد تجلى هذا من يوم صدور قانون 8 مارس الذى فهمت منه الأمة ما فهمت،ودلت سوابقه ولواحقه على صدق فهمها . فاشتركت الهيئات والجمعيات والأفراد فى الشكوى والاحتجاج،حتى أن بعض الجمعيات التى لـم يسمح لها قانونها الأساسى بالاحتجاج الرسمى أبلغت صوتها بطريق آخر. فقد التقيت أنا والأستاذ الإبراهيمى بالسيد الباش آغا محمـد السماتى رئيس جمعية القياد فى العاصمة فى الحديقـة العمومية فذكر لى أنه ـ وإن كانت جمعيتهم لا تستطيع الاحتجاج ـ فإنه هو سيخاطب المراجع المسؤولة،لأن المسألة مسألة كل مسلم .

وفى جلسة 15 جوان الماضى قالت الأمــة كلها كلمتها بلســان نوابها فى النيابة المالية،وقد نقلنا فى صدر المقال المقصود مــن تقرير السادة النواب ، وسننشر على الأمة تعريب محضر الجلســة كله بجميع ما دار فيها من جميعهم .

فها هى الإدارة اليوم قد وقفت أمام الأمة كلها وجها لوجه ، فلم يبق ـ وهذا ما يظن فى كل إدارة رشيدة موفقة ـ إلا احترام هذه الرغبة الصادقة العادلة ، واحترام هذا الشعور الوجدانى الدينى المقــدس .

قد بلغت المسألة اليوم إلى غايتها تفهيما من الأمة ، وتفهما من الإدارة ، فلنقف مديدة للانتظار ، على أمل أن تجاب الأمة لرغبتها، بحسن تبصر الإدارة وإنصافها ، فنعود للكتابـــة فى الموضــوع شاكرين مغتبطـين .

الخير أبقى وإن طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد(1)

---

(1) البصائر : س 3 ـ ع 120 ـ 1357/5/3 هـ ـ 1938/7/1 م .

ثــم .. سكــــوت ..

عج وادى سوف يوم 18 أفريل بالجنود والعتاد،ورصعت ربـاه بالمدافع والرشاشة ، وأرعدت أجواءه بـأزيز الطائرات ، فأوشك أهله ونساؤه وأطفاله وبيوته ونخيله أن تنسفهم قنابل الأرض أو تمحقهم صواعق السماء ، فذهلت المراضـــع ووضعت نحـو الثلاثين امرأة حملها .

أصبح الوادى على حين بغتة،وقد عطلت أسواقه ، وسدت طرقاته، ومنع عنه الداخل والخارج،وضرب عليه نطاق شديد محكم مـــن الحصـــار .

ألقى القبض عـلى الشيخ عبد العزيز الهاشمى والشيخ عـلى ابن سعد والشيخ عبد القادر الياجورى والسيد عبد الكامــل ابن الحاج عبد الله ، وسيقوا إلى السجـن بقسنطينـــة،وحشرت جماعات من الناس إلى المركز الإدارى وزج بهم فى السجن لإيقاف هنالك،ثم حكم على عدد وفير منهم بالنفي والسخرة،كل هذا والناس معتصمون بالصبر ومنتظرون للفرج .

ثلاثة أسابيع ذاق فيها أهل الوادى ما ذاقوا،وطافت فيها الجنود شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فلم تلق فى طريقها من يحرك ساكنا ولا يبدى اعتراضا،ولو كان من الناس من كانت منه أقل حركة : حركة رعب وفزع،لانقلبت بهم الأرض فأمسوا أثرا بعد عين .

جاءت لجنة البحث للكشف عن أصل الحوادث والاطلاع عـــلى

حقيقة الواقع، وسبق إليها انقياد الناس ليشهدوا، وقد جدوا واجتهدوا في جمع الشهود تحت مظاهر الرهبة والخوف..

قامت لجنة البحث بواجبها بنزاهة وإنصاف، وتحققت أن لا ثورة ولا هيجان ، وأن لا شيء دبر ضد الحكومة أو الامن العام ، ففك الحصار عن البلد وسرح الموقوفون، وقفلت الجنود راجعة، ورفع ذلك الكابوس الثقيل عن الوادي الهادي المطمئن إلا ما بقي من مظالم بعض القياد واغتنامهم فرصة الانتقام ، ورغم ما نعرفه في رئيس الملحقة القبطان من الخبرة والرصانة والنزاهة فقد استطاعوا أن يذيقوا الناس شديد العذاب .

هكذا روع ذلك الوادي الهادىء المسالم ، وهكذا صب عليه العذاب على غير ذنب ولا تفكير في ذنب ، وهكذا مرت عليه تلك الأيام السوداء الحالكة السواد ، المؤلمة المتنوعة الآلام الشداد ، التي ساء أثرها في الأموال والأنفس والثمرات . ثم يعقب هذه الويلات كلها سكوت ...

سكوت عمن ؟ سكوت عن المجرمين الحقيقيين . ومن هم المجرمون الحقيقيون ؟ المجرمون الحقيقيون ـ كائنين من كانوا ـ هم الذين صوروا الوادي الهادىء المطمئن بصورة الهائج الثائر فتسببوا للحكومة وجندها في الأتعاب والخسائر ، وللأبرياء في الهلاك والفظائع ، وعكروا الأمن، وزعزعوا الثقة ، وكادوا يوقعونها في فتنة عمياء في زمان ومكان لا أشد منهما حاجة للهدوء والتساند لمواجهة الأخطار .

لو كان هنالك أقل هيجان لوقع القمع واشتد العقاب ، ولوجد المعاقب ما يبرر به علله لأجل الأمن والنظام . أفليس من الحق والعدل أن يقع العقاب أيضا على من هيج الدولة على رعاياها الآمنين المسالمين ؟ بلى والله ثم بلى . فإن الثانية ليست دون الأولى ،

بل هي أفظع منها وأظلم وأشد . ولن يقوم قسطاس العدل ، ويثبت رواق الأمن حتى يتناول العقاب من يرمي بالشر بطلا ، كما يصيب من يرتكبه فعلا . (1)

(1) البصائر : س 3 ـ ع 121 ـ 1357/5/10 هـ ـ 1938/7/8 م .

الشيــخ عبد العــزيز بن الهــاشمى والإصــلاح

كــان الشيخ الهاشمى شيخ الطريقة القادرية ـ رحمه اللــه ـ رجلا قويا ذكيا واسع الحيلة بعيد النظر ، فأدرك بثاقب رأيــه أن ما عليه الطرقية مــن الجهل والجمود لا يمكن أن يستمر طويلا فى عصر العلم والنهوض ، وأن المستقبل للعلم ولا محالة . فولى وجهه شطر العلم،وقدم أبناءه لجامع الزيتونة المعمور، وحبس أملاكه كلها على العلم،واشترط فى حبسه أن تعمر زواياه بأهل العلم من أيمة ومدرسين ومتعلمين . واشترط فى أبنائــه أن لاحظ لأحدهم فى الحبس إلا إذا حصل على شهادة العالمية (التطويع) من جامع الزيتونة، وجعل الإشراف على الحبس لنظارة جامع الزيتونة . وبنى عمله هذا على أن أملاكه هى أموال المسلمين فلتعد بالنفع على المسلمين . فكان عمله هذا عملا فريدا لم يسبقه إليه أحد مــن أمثاله . ولقد كانت محاولات كثيرة من بعده لحل الحبس،ولكنه صحح فى المحاكم العليا بالجزائر على ما وضعه عليه صاحبه .

انتهى أمــر الحبس إلى الشيخ عبد العزيز بــن الشيخ الهاشمى بمقتضى شرط المحبس بعد وفـــاة أخيه الأكبر ، وتــولى مشيخة الطريقة القادرية،ودخل معه فى الحبس أخوه الشيخ محمد الصالح لتحصيله عــلى شهادة العالمية،فكان الرجلان بمــا لهما مــن العالمية بعيدين عــن كــل تلك المواقف العدائية التى وقفها شيوخ الطرق الأخرى أو أوقفوا فيها ضد جمعية العلماء .

في السنة الماضية قبل الاجتماع العام كاتبني الشيخ عبد العزيز يرغب مني الانخراط في جمعية العلماء فأجبته بأن الجمعية مفتحة الأبواب لجميع المسلمين ، وخصوصا لأمثاله من العلماء . وأحسب إني ذكرت له أن الجمعية تأسست وفي المؤسسين لها جمع كثير من شيوخ الطرق،وأن القانون الأساسي الذي وضع باتفاق من الجميع ما زال معتمدا هو بنفسه . فلما كان الاجتماع العام الماضي رشح للمجلس الإداري بصفته عالما وشيخ الطريقة القادرية فانتخب بما يقرب من الإجماع .

لم يكن الشيخ عبد العزيز منفذا لجميع شروط المحبس في عمارة زواياه بالتعلم والتعليم قبل دخوله لجمعية العلماء . فلما دخل الجمعية رأى أن يقوم كسائر رجالها بنشر العلم والتهذيب في المسلمين ، وشعر بما عليه هو من الواجب أكثر من غيره لما لديه من الأحباس الموقوفة على التعليم والمسؤول هو عند الله تعالى على تنفيذها ، فأخذ يعمل لذلك ويتهيأ له،وأخذ يكرر الاجتماعات في نواحي سوف بأتباع زواياه يحثهم على العلم ويرغبهم في التعلم ويبين لهم أن الانتساب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني ــ وهو من أيمة العلماء في مذهب أحمد بن حنبل ــ لا يمنع من العلم والأخذ بأسباب العلم .

شرع الشيخ عبد العزيز بعمارة زواياه بالعلم،وعين رجلين للتعليم من أبناء سوف المتخرجين من جامع الزيتونة المعمور هما الشيخ علي بن سعد والشيخ عبد القادر الياجوري السجينان معه اليوم،وجمع عددا من الطلاب وحضر لهم مؤونتهم،وأخذت حركة العلم تدب بين الناس والرغبة فيه تنمو في الطلاب .

دعا الحاكم الشيخ عبد العزيز في شأن التعليم وطلب الرخصة ورد الشيخ بأن الزوايا من قديم الزمان تعلم بدون رخصة،وتكررت

الدعوة وتكرر الأخذ والرد في الأمر، وفهم أن الإدارة مستثقلة لتلك الحركة العلمية ، وتخوف النــاس عليها حتى كانــت كارثة سوف الأليمة،وسبق الشيخ عبد العزيــز والشيخان المعلمان وغيرهما إلى السجون . ولله عاقبة الأمور . (1)

---

(1) البصائر : س 3 ـ ع 123 ـ 1357/6/24 هـ ـ 1938/7/22 م

فلسطين الشهيدة

رحاب القدس الشريف مثل رحاب مكة والمدينة ، وقد قال الله في المسجد الأقصى في سورة الإسراء : « الذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ » ليعرفنا بفضل تلك الرحاب . فكل ما هو واقع بها كأنه واقع برحاب المسجد الحرام ومسجد طيبة .

حمى الإسلام تلك الرحاب من أيامه الأولى ، وحمى جميع مقدسات جميع الملل،وكف عادية بعضهم عن بعض ، وعاش اليهود تلك القرون الطويلة ينعمون برخاء العيش،وحرية المعتقد،واحترام المعاهد .

تزاوج الاستعمار الانكليزى الغاشم بالصهيونية الشرهة فأنتجا لقسم كبير من اليهود الطمع الأعمى الذى أنساهم كل ذلك الجميل، وقذف بهم على فلسطين الآمنة والرحاب المقدسة فأحالوها جحيما لا يطاق،وجرحوا قلب الإسلام والعرب جرحا لا يندمل .

نقول : لقسم كبير من اليهود ، لأن هنالك من اليهود عددا كثيرا يستنكر هذا المأتى الجنونى الظلوم ، ويعترف بجميل الإسلام، والسعادة التى نعم بها اليهود ويهود القدس في ظله الوارف الأمين. فقد قدم رئيس الطائفة السامرية إلى حاكم نابلس عريضة احتج فيها باسم الطائفة على الاعتداءات الأثيمة التى وقعت على العرب فى القدس وحيفا ويافا وهذا نصها :

« نحن أفراد الطائفة السامرية رجالا ونساء نستنكر بشدة أعمال الاعتداءات العظيمة التى يقوم بها بعض أشخاص من

اليهود ضد قوم أبرياء في حيفا ويافا والقدس ، ونطلب بشدة الحيلولة دون تكرار هذه الحوادث المروعة ، ونصرح بأننا ـ على أقليتنا ـ نعيش منذ ألوف السنين مع مواطنينا العرب في سلام ، ولم يحدث أن اعتدى منهم أحد علينا،أو حاول اضطهادنا » .

هذه هي الحالة العامة التي كانت عليها فلسطين ألوف السنين، حتى جاء الزوجان المشؤومان الصهيونية والاستعمار، فكان البلاء على فلسطين كلها عربها ويهودها ، فليست الخصومة بين كل عرب فلسطين ويهودها ، ولا بين كل مسلم ويهودي على وجه الأرض ، بل الخصومة بين الصهيونية والاستعمار الانكليزي من جهة والإسلام والعرب من جهة ، والضحية فلسطين ، والشهداء حماة القدس الشريف ، والميدان رحاب المسجد الأقصى،وكل مسلم مسؤول أعظم المسؤولية عند الله تعالى على كل ما يجري هنالك ، من أرواح تزهق،وصغار تيتم،ونساء ترمل،وأموال تهلك، وديار تخرب، وحرمات تنتهك ،كما لو كان ذلك كله واقعا بمكة أو بالمدينة . إن لم يعمل لرفع ذلك الظلم الفظيع بما استطاع .

يريد الاستعمار الانكليزي الغاشم أن يستعمل الصهيونية الشرهة لقسم جسم العربي،وحط قدس الإسلام،فيملأ فلسطين بالصهيونيين المنبوذين من أمم العالم،ولأجل هذه الغاية الظالمة تجند جنود الانكليز، وتجمع أموال الصهيون،وتسفك الدماء البريئة، وتلطخ بها الرحاب المقدسة .

يجري كل هذا وترتفع له أصوات العالم الإسلامي والعالم العربي بالاحتجاج والاستنكار،ويخاطب ملوك العرب والإسلام حكومة الانكليز،فلا تزيد آذانها إلا صمما،ولا قلبها إلا تحجرا .

نقول العالم الإسلامي والعالم العربي ، لأننا لم نر ولم نسمع من غيرهما احتجاجا جديا واستنكارا صارخا حتى الذين رأيناهم

يقيمون الدنيا ويقعدونها بصراخهم، ويبذلون ما يبذلون من مساعداتهم في أوطان أخرى، لم نرهم إزاء فلسطين الشهيدة إلا سكوتا أو شبه سكوت، وشتان ما بين من يريد المقاومة ومن يريد رفع الملام .

نحن — المسلمين — أعداء الظلم بطبيعتنا الإسلامية، ونرحم المظلوم ولو كان هو ظالما لنا . منذ أيام كنت في حانوت تاجر مسلم وقد قرأ على أخبارا عن اضطهادات ألمانية جديدة على اليهود، فلما فرغ من القراءة قال لي : « هذا يا الشيخ حرام عندنا في الإسلام، احنا نخليو الناس كلهم يعيشوا بأموالهم » فقلت له نعم ، وأخذت أبين له كيف عاش اليهود في ظل الإسلام . هذا عامي من أوساط الناس متمسك بدينه ومتألم من حالة القدس الشريف ، ويعرف أن بلاءها من مهاجرة يهود ألمانيا وغيرهم، ومع ذلك يستنكر ما يلحقهم من الظلم . وها هم اليهود اليوم قد شردتهم ألمانيا، ومن قوانينها الجديدة عليهم بيع أملاكهم ببرلين بالمزاد العام، ومنعهم في المستقبل من الامتلاك ، ومنعهم من صناعة الطب بتاتا، والحكومة اليونانية منعتهم من دخول أرضها ولو على سبيل السياحة ، وايطاليا أخذت في اضطهادهم بأساليب علمية دقيقة وسياسة قاتلة ، وفرنسا أيضا قد هبت عليها هبات من هذه السموم ستصيب اليهود أو قد أصابهم شيء من لفحها . هذا حالهم بين الأمم المسيحية وقد عادوا — أو كادوا — كما كانوا في القرون الوسطى لا يطمئنون على أرواحهم وأموالهم وثقافتهم إلا في بلاد الاسلام . وها هم مع ذلك يستمرون على ظلم الإسلام في قدس الإسلام، ولا ناهي لهم، ولا ناصح، ممن يسمعون لنهيه ونصحه . وما يدريهم أن هذا البلاء الذي ابتدى يصبه عليهم هو جزاء ظلمهم لفلسطين ظلم الفعل وظلم الرضا وظلم السكوت على الاستنكار . وأن الله لينتقم من الظالم بالظالم، ثم ينتقم من الجميع .

إن الدفاع عن القدس من واجب كل مسلم ، وقد هب رجالات الإسلام في الشرق للقيام بهذا الواجب،فهناك من ناحية الحكومات ما يقوم به وزير مصر ووزير العراق باسم ملوك العرب في لندن، وهنالك اللجنة البرلمانية المصرية للدفاع عن فلسطين تضم فريقا كبيرا من حضرات الشيوخ والنواب المصريين ، وقد اعتزموا على عقد مؤتمر برلماني عام للبحث في قضية فلسطين،على أن يشترك في المؤتمر أيضا زعماء العرب والمسلمين في الأقطار العربية والإسلامية التي لا توجد فيها برلمانات،وصح عزم اللجنة على أن يعقد المؤتمر في مدينة القاهرة إن شاء الله يوم الجمعة الموافق 12 شعبان 1357 هـ و 17 أكتوبر 1938 م .

سيكون هذا المؤتمر الأول من نوعه في الشرق العربي، وستعرف به الصهيونية والاستعمار البريطاني أنهما أمام العالم الإسلامي والعربي،لا أمام فلسطين وحدها ، فعلى المسلمين كلهم أن يؤيدوا هذا المؤتمر برفع أصواتهم إليه ، وعلى اليهود الذين ينكرون ظلم الصهيونية وشرها أن يغتنموا هذه الفرصة الفريدة لإعلان استنكارهم .

« وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » (1) .

(1) ش : ج 6 ، م 14 ، جمادى الثانية 1357 هـ - أوت 1938 م .

محاربة القرآن ، وتعذيب السكان

نحن نميل بطبعنا وتربيتنا الإسلامية إلى ذكر الخير وإعلان الجميل ما وجدنا إلى ذلك سبيلا ، ولكن نضطر أمام الأمر الواقع والظلم المشاهد أن نبين الحقائق ونفضح المعتدين .

بينما نحن ننتظر ما كان وعد به الوالى العام نوابنا من عدم التعرض للقرآن والنظر فى مسألة التعليم،إذا بنا نفاجأ بهذا الكتاب الذى نشرناه فى هذه الصفحة ، وفيه من الظلم والجور ما يفتت الأكباد ويسيل الدماء من العيون . لو سمعنا بهذا سماعا عاديا لما صدقناه،إذ ما كان يخطر لنا بالبال أن مثل هذا الإرهاق يقع بهذه الصورة على قوم آمنين مسالمين خاضعين . ولكن كاتبنا به من لا نشك فى صدقه وتحريه . وجاءنا يوم جاءنا كتابه كتاب آخر من عند غيره فيه ما فى هذا الكتاب وأكثر،فعلمنا أن أوراس فى عذاب أليم،وان القرآن العظيم مجتهد فى محاربته خصوصا فى الأماكن النائية مثل جبل أوراس .

وها هو الكتاب بنصه :

« أما حالتنا العامة مع الإدارة فى هذه البلاد فهى إن كانت فى سائر القطر الجزائرى سيئة فهى عندنا أسوأ ، لأننا فى الوقت الذى كان الناس يتمتعون فيه بشىء من الحرية والحقوق كانت إدارة حوزنا تعاملنا بالشدة والقساوة.أما فى هذا الوقت فلا تسألوا عما أصابنا منها ولا يزال يصيبنا من أنواع الظلم والباطل

والإرهاق ، وما تقوم به فينا من الضرب والتهويل والترويع .
فقد كانت جهزت علينا منــذ ثلاثة أشهر جيشا من المرتزقة يتألف من تسعين فارسا مستجلبين من الأحواز، وجعلت عملهم الجولان في القرى والمداشر، وقد قام هؤلاء العساكر أثناء جولانهم بأعمال وحشية يستنكرها كل ذي عقل وتخجل منها الإنسانية، فمن تفتيش المحال وترويع النساء والأولاد، إلى انتهاك حرمات الناس ونهب أموالهم، إلى سوق العشرات منهم إلى السجون بدعوى عصيانهــم لأوامر الحكومة بل وبأدنى مناسبة كعدم رفع اليد ابتداء بالتحية العسكرية. أما ذكر فظائعهم بالتفصيل فلكثرتها لا أستطيع إحصاءها، إنما الذي حضرني منها هو ما يأتي :

1 ــ انتهاكهم لمسجد سيدي بلعباس في قرية (منعة) بإقامتهم عرسا فيه بالطبل والمزمار، وربطهم لخيلهم بجنبه .

2 ــ عزمهم على انتهاك حرمة امرأة بقرية «وثلاث» لولا وجود كثرة السكان، فكادت تقع بذلك فتنة عامة .

3 ــ سوقهم لتلميذ من قريتنا وربطهم إياه بذنب حمار سبــع كيلوميترات .

4 ــ قد بلغني أنهم فتكوا فتكا فظيعا بسكان قرية «غــوفي»

5 ــ كل من توسموا فيه الإصلاح ولم يكن عندهم مـــن سبب يؤاخذونه به أرسلوا إليه مراسلة فإذا وصل إلى الحوز أقاموه في السجن مدة لا تقل عن ستة أيام . فنحن بعد ذكر ما تقدم ، نرجو منكم أن ترفعوا أصواتكم بالاحتجـــاج في شأننا إن أمكنكم، وإلا فلتطلبوا ممن ترون من النواب يقبل طلبكم بالاحتجاج في أمرنا .
فأما نحن فقد أعلمنا نواب قسمنا مرارا بقضيتنا فلم يلفتوا نظرهم إلينا . كما كنا أعلمنا الشيخ خير الدين فلم نسمع كلمة علينا إلى الآن .

بعد كتابتي ما تقدم ورجوعي إليه بالتصحيح وجدت نفسي قد نسيت أن أذكر لكم أهم مسألة يجب الاعتناء بها،وهي مسألة التعليم الديني عندنا،فقد أمر متصرف الحوز بإغــــلاق جميع الكتاتيب القرآنية ، ونفذ ذلك حراس الدواوير ، فأصبح أوراس الذي يضم ما يزيد على الستين ألفا من السكان لا يوجد فيه مكتب مفتـــوح للتعليـــم » .

فإليك يا الله يا منصف المظلومين من الظالمين نرفع شكوانا . وإليكم يا من أنتم المسؤولون عن هذه المظالم من أولكم إلى آخركم نرفع احتجاجنا،وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . (1)

(1) البصائر : س 3 ـ ع 128 ـ 1357/6/29 هـ ـ 1938/8/26 م .

حـول مساجين العلمـاء

هل في سجن « الكدية » ما يذكرنا بـ (الباستيل) ؟...

الباستيل وما أدراك ما الباستيل ! وما أحوج الشعوب المستضعفة أن تعرف تاريخ الباستيل ونهاية الباستيل !

هو حصن منيع اتخذه ملوك فرنسا المستبدون سجنا يلقون فيه الأحرار المفكرين ، فيقضون أيامهم في ظلمات أقبائه حتى يـأتي عليهم الموت ، يلقونهم في غيابات هذا السجن الرهيب دون محاكمة ولا جرم معلوم .

وفي 14 جوليت سنـة 1789 هاجم الشعب الفرنسي الثائر هـذا الحصن،وضربه بالمدافع،واستولى عليه،ومثـل بحراسه شر تمثيل ، وأطلق سراح من فيه .

كان سقوط هذا السجن رمزا لسلطة الشعب وفـوز الأحرار ، كما كان قيامه رمزا لاستبداد الملوك وخنق الحرية .

لذلك اتخذ يوم سقوطه عيدا للحرية،تجدد فرنسا ذكراه في كل عـام . وكانت ذكراه في هذه السنة لمـرور السنة 150 بالغة أقصى الفخامة والأبهة ، اشترك فيها المستعبدون ، والمستعبدون ...

ما هي ميزة هذا السجن بين السجون ؟

ميزته إلقاء الأحرار فيه دون محاكمة ولا جرم معلوم .

وهذه الميزة لم يبق لها ـ فيما نعرف ـ من نظير في البلدان التي تملك أمر نفسها،وتسيطر الشعوب فيها على حكومتها .

أما في الأمم المملوكة أو الشعوب التي لا سلطان لها على حكوماتها، فما تزال ميزة الباستيل باقية فيها إلى اليوم .

وها نحن في الجزائرى نـرى ذلك ونتجرع آلامــه . ففي سجن «الكدية» بقسنطينة قـد ألـقى أربعة مـن أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دون جرم معلوم،ودون أن يقدموا للمحاكمة ، أربعة من العلماء : الشيخ عبد العزيـز بن الهاشمي،والشيخ عبد القادر الباجورى،والشيخ علي بن سعد،والسيد محمد الكامل ، مضت عليهم في السجن سنة وأربعة أشهر مع المجرمين !

ومـن عجب المقارنات أن يحتفل بمرور 150 سنة عـلى سقوط الباستيل،وهم ينيؤون تحت ما من مثله أسقط الباستيل .

لـم يثـر هؤلاء العلماء ضد السلطة،ولا تداخلوا في أوضاعها الإدارية،ولا أسسـوا لتقويمها منظمات سياسية . وإنما قامـــوا بواجبهم الديني في بلادهم سوف وقراها ، ينشرون الإسلام ولغـة الإسلام،وينهضون بإخوانهم في دائرة دينهم،وكان أهل تلك البلاد أرق أفئدة،وأصفى عقولا،وأمتن دينا،وأسرع إجابة للحق والخـير، فانثالوا عليهم يجيبون داعى اللـه،ويقبلون على تعلم الدين ولغة الدين . هذا ما كان والله .

لكـن الذين لا يرضيهم مثل هذا ـ وهم أصناف ـ بيتوا أمرهم، وتعاقدوا عـلى قتل هذه الحيـاة الدينية العلمية مـن تلك الديار، فصوروها صورتها،وأوقعوا بتلك البلاد الآمنة ما أوقعوا،مما سجله عليهم التاريخ ، وكتب على صفحات القلوب بأقلام الضلوع وحبر الدموع ، وسيق الناس إلى السجون والأعمال الشاقة،وسيق هؤلاء الشيوخ على الخصوص بتهمة التآمر على أمن الدولة أو الثورة على

النظام،أو الاتصال بالأعداء،أو ما شئت مـن مثـل هذه التهم التي يتسع لها الخيال ، ولم يثبت شيء منها ـ ولن يثبت ـ إلى الآن وبعد الآن .

إننا لا نطلب العفـو والإفراج عنهـم ، وإنما نطلب تقديمهم للمحاكمة ونشر قضيتهم أمام العدالة والرأي العام . وإننا على ثقة من براءة أصحابنا ، وعلى ثقة من فضيحة هذه المعاملات الاستثنائية التي لا يرتضيها الحق ، ولا تقتضيها ـ خصوصا في هذه الأوقات ـ مصلحة .

وإذا كان من تقديم إخواننا للمحاكمة رفع ما للظلم عنا ، فإن فيه محوا ما لكلفة شوهت وجه عيد الحرية .

فإلى المحاكمة إن كنتم تريدون نصرة العدل وجمال الحرية (1) .

(1) البصائر : عدد 178 ، يوم الجمعة 24 جمادى الثانية 1358 هـ ـ 11 أوت 1938

مظاهـرنـا الرسميـــة

أيهـا (المذيـاع !) ..

عندما تكون حكومة أمة منها تكون ما تظهر به الحكومة أمتها هي مظاهر تلك الأمة . وعندما تكون حكومة أمة من غيرها لا تكون ما تظهر به تلك الحكومة الأمة هي المظاهر الحقيقية لتلك الأمـــة . فما تظهر به الإدارة الأمة الجزائرية هو ما ندعـــوه « مظاهرنا الرسمية » فهل تلك هي مظاهر الأمة الجزائرية الحقيقية ؟

من مظاهر الأمم اليوم ما تنشره مذاييعها على موجات الأثـير، فيطلع العالم على ما عندها من علم وأدب وفن،ويعرف درجة مـا بلغت إليه من رقي ، وللجزائر مذياع .. قد أسسته الإدارة منذ سنوات،وجعلت فيه سويعات للعربية ــ ويا ليتها لم تجعل ــ فكانت تلك السويعات مقصورة على صحون الحاكي وحفلات طرب وأخبار معينة ، ومواضيع أخرى ليست بذات قيمة علمية ولا أدبية ولا فنية ، إلى سوء الأداء ، ونكرة الصوت ، وعامية ثقيلة كأنها رطانة في كثير من المرات ، فكان هذا المذياع الكذوب يظهرنا للعالم أمة ماتت فيها العربية واندثر منها العلم والأدب والفن،وأصبحت في أحط دركات الجهل والتقهقر. فهل هذه هي حقيقة الأمة الجزائرية ؟ لا والله .

لقد كنا نألم من هذا المذياع،وكنا نعده نكبة من نكبات الجزائر. ولكننا كنا نسلي أنفسنا بأنه مذياع معروف النسبة ... فلا يتخذ

حجة علينا حتى أنشىء فى هذه السنة مذياع قوي في تونس الشقيقة وأخذنا نسمع منه المحاضرات القيمة فى العلم والأدب والفـــن والتاريخ والصحة وتدبير المنزل والاقتصاد والفلاحة ، والوعظ والإرشاد ، فصور تونس العزيزة كما هى فى رقيها وحضارتها . هذا والإدارة التى أسست المذياع هنالك أخت التى أسست المذياع هنا،فإذا لا يبقى عند من يسمع المذياعين من الشعوب إلا الاعتقاد بأن الجزائر مصابة من نفسها بالعقـــم والقحط . فتجدد ألمنـا وتضاعف ، وفهم من لم يكن يفهم منا ما يراد بنا على الخصوص .

وفى هذه الأيام حلت بتونس جمعية الحرمين (أو « جمعية إنشاء أوقاف فى الحرمين » كما فسر اسمها رئيسها) فوقف العلامة الأستاذ الحجوى مندوب وزارة المعارف المغربية أمام المذياع ، فألقى محاضرة قيمة عامرة،بحث فيها فيما جاء فى أقصى أمد الحمل مـن الوجهة الفقهية ومن الوجهة الطبية،وبين عدم معارضة الطب للفقه،فوفى الموضوع حقه وأبان عن علم واطلاع وتحقيق . ووقف أمام المذياع الشيخ المولود بن الميهوب مفتى قسنطينة فألقى محاضرة موضوعها ـ إن كان هذا يعد موضوعا ـ (منافع جمعية الحرمين الشريفين) وابتدأها لتنبيه السامعين إلى ما فيها .. بقوله : « أيها المذياع !) تنبهنا وسمعنا،فلم نسمع من منافع هذه الجمعية غير ما سمعناه من غيره إلا ما امتاز به خطابه من براعة فى الشكر والثناء .. ونحن لا يهمنا ما يقوله الشيخ المولود ولا منافع تلك الجمعية،وإنما يهمنا أن تكون حضرته مظهرا للجزائر فى ذلك المذياع ، لا سيما وقد قرن بالأستاذ الحجوى كما يقرن الجون بالجون .

وليلة أخرى وقف م. بيرشى المستشرق الفرنسى فألقى محاضرة فى مقامات الحريرى بلغة فصيحة وكلام بليغ وأداء متقن،مما دل على أنه يحترم نفسه ويحترم اللغة التى يتكلم بها والموضوع الذى يتكلم فيه ، وقام على إثره السيد قدور بن غبريـــط الجزائرى

التلمسانى المتخرج من إحدى المدارس الرسمية والوزير اليـوم ــ بلا وزارة ــ عن المملكة المغربية ، فألقى خطابا كأنما أراد مدير المذياع أن يرينا به بعد خطاب م. بيرشى التماين بـــين الضدين المتماقبين،فكان مظهرا آخر من مظاهرنا التعيسة .

وعلى ذكر السيد ابن غبريط فإننى لا أنسى له ذلك الامام الذى اختاره ــ بموافقة الإدارة ــ من إحدى مدن الجزائر الساحليـــة ونصبه إماما بجامع باريس،فكان فضيحة للجزائر وسبة معلنة فى كل جمعة من فوق المنبر أمام أصناف الأمم الإسلامية .

هذه هى مظاهرنا الرسمية التى تظهرنا بها الإدارة الجزائرية ، وكانها لا تدرى أن الناس إن أصدقوها فيما تصورنا به من تلك المظاهر كان للوم والعار على الحكومة التى تولت أمرنا أكثر من مائة سنة ، إذ لم يكن ذلك خلقة فينا فنحن أبناء بجارية وتلمسان مائة سنة ، اذ لم يكن ذلك خلقة فينا ، فنحن أبناء بجاية وتلمسان ذلك فما أقبح ما يلحقها من مذمة فى سوء الإدارة حتى انحطـت فيها عن شقيقتها بتونس ، أما نحن فإننا نتحقق أن الشعـــوب ــ وخصوصا العربية الافريقية ــ لا تصدق تلك المظاهر ، فقـد عرفت للجزائر علماءها وأدباءها وشعراءها وخطباءها وساستهـا ومساجينها أيضا ، فلا تجنى الإدارة إلا على نفسها ، ولا تشوه إلا سمعة حكومتها ، وهذا هو الداء العياء فيها : تنسى ما يلحق مصالحها العليا من الضرر عند ما تريد شيئا بنا ، فليتها تذكر تلك المصالح ، ففى ذكرها لها خير لها وللحكومة ولنا . ولسنا نتداخل فى سياسة الإدارة وأساليبها ، ولكن هذه المظاهر مست العلم والدين واللسان ، وتلك نواح لا نطيق السكوت عليها ، فكتبنا ما كتبنا نقدا نـزيها للماضى ، ونصحا خالصا للمستقبل . (1)

---

(1) البصائر : س 4 ــ ع 144 ــ 1357/10/24 هـ ــ 1938/12/16 م .

اضطهـــاد جـديـــد

يلقى أعضاء جمعية العلماء العاملون ـ وهـم الطائفة القائمة على نشر تعليم الإسلام ولغـة الإسلام للصغار والكبار ـ ما يلقون من أنواع المعاكسة والاضطهاد ، وأكثرهم فى ذلك ـ والحمد لله ـ صابرون محتسبون ، وأقلهم بالتقية معتصمون . فإذا طلبوا رخص التعليم أو غيرها من مصالحهم حسب القانون فوجئوا بالسؤال عـن عقيدتهم وما تنطوى عليه صدورهم ، وعـن آرائهم وأفكارهم ، وهل هم مـن جمعية العلماء ؟ وهل قرأوا عـلى ابن باديس ؟ وهل قرأوا على بعض تلاميذه ؟ وهل عرفوه ؟ وهـل هم مشتركون فى « الشهاب » ؟ وهل هم مشتركون فى البصائر ؟ فإذا عرفوا منه أو عنـه شيئا مـن هذا تجهموا لـه ورفضوا طلبـه وعرقلوا أعماله وعاكسوه فى مصالحه الخاصة وكان عندهم من المبغوضين .

كل هذا قد عرفناه وألفناه وصمد له من صمد ، فثبت وصبر ، وضعف عنه من ضعف فاتقى واستتر . ولكننا اليوم قد علمنا أنه اخترع نوع جديد من الاضطهاد لم يكن يخطر لنا ـ ولا نظنه يخطر لأحد ـ عـلى بال . لأنه نوع مـن أنواع ما كـان يرتكبه ديـوان التفتيش الاكليروسى فى القرون الوسطى مما لا يتصوره أبناء هذا العصر عصر المدنية والنور ...

ففريضة الحج التى هى ركن من أركان الإسلام الخمس قد أصبح أعضاء الجمعية معرضين للمنع منهـا والصد دونها،فقـد علمنا أن بعض الناس طلب إذنا فى السفر لأداء فريضة الحج فى غير باخرة

الحجاج الرسمية طلبا للراحة وسعة الوقت،فكان مما ألقى عليه من الأسئلة هل أنت مؤيد لجمعية العلماء؟وآل أمره إلى منعه من الإذن بالسفر على الوجه الذى طلب،وكاد يمنع من السفر مع الحجاج فى الباخرة الرسمية . وقع هذا فى السنة الماضية وتكرر فى هذه السنة، وهنالك فى هذه السنة من منع بالفعل من السفر إلى الحج جملة . رغم ما بذل من جهود ووساطة .

إننا باسم الحق والعدالة ، باسم الإسلام والإنسانية ــ نحتج ضد هذا الاضطهاد الدينى الفظيع،وضد الوقوف فى طريق آداء هــذه الشعيرة الإسلامية الكبرى ، وضد كل اضطهاد فى الفكر والاعتقاد من أي كان لأي كان .

نحن نعرف أن هنالك قوانين نحترمها . كما نعرف أن على من بيده تنفيذها أن يراعى الحــق والعدل فى تطبيقها ، وذلك هــو احترامه لها ؛ وليس من الحــق ولا من العدل فى شىء أن يحاسب الناس على أفكارهم ومعتقداتهم فيعاملوا بحسبها،ويضطهدوا مــن أجلها . وأى احترام يبقى للقوانين إذا عدل بها عن محاسبة الأعمال إلى محاسبة الضمائر والعقول ؟

ثم ماذا يزرع هذا الاضطهاد في النفوس ؟ وما يبقى فيها من أثر ؟

ثم ما هى قيمة هذا الاضطهاد فى مقاومة الأفكار والعقائد ؟ وما يستطيع أن يؤثر فيها أو يحول منها ؟

راجعوا تاريخ الأديان وانظروا ماذا لقى أهلها من اضطهاد . فهل قضى ذلك شىء من تلك الاضطهادات المتتابعة فى الأزمنة أو فى القرون المتتالية على واحد من تلك الأديان ؟ وهل كانت الاضطهادات ــ والتاريخ يشهد ــ إلا ريحا لا تزداد بها شعاعة الفكر والعقيدة المقدسة إلا شبوبا واستنارة ؟

إن المسلمين الجزائريين اليوم كلهم قد علموا وتحققوا أن ما تلقاه جمعية العلماء من اضطهاد هو في سبيل تعليم الإسلام ولغة الإسلام للصغار والكبار، فمن لم يكن من أعضائها العاملين أو المؤيدين أو المساعدين فهو يعطف عليها أو يألم لها، وهل هذا العطف العام إلا ثغرة لذلك الاضطهاد ؟

ولا يغرنكم أولئك المطبلون والمزمرون، فوالله إن كثيرا من أتباعهم ليلعنونهم عند ما يسمعون منهم ما يسمعون ، أو يرون منهم ما يرون ، مما يعلمون أنه تملق وتزلف وتضليل ، وضد لمن بيدهم مقاليد الأمور عن المبادرة إلى تدارك الحالة بسلوك سياسة عدل وحرية وتعاون صادق ، على وجه يسوى فيه بين المسلم وغير المسلم ، والإسلام وغير الإسلام ، والعربية وغير العربية ، تسوية هي لا سواها تجلب الخير والهناء للجميع . وذلك ما دعونا إليه نحن وما زلنا ندعو إليه ولو قطع منه حبل الوتين .

إن جمعية العلماء تعمل لنشر العلم والفضيلة وتحرير العقول والقلوب ، والتسوية بين الناس في العدل والإحسان . وتعمل لهذا في صدق وصراحة ، وتتحمل في سبيله كل بلية ، وقد أصبحت دعوتها ــ والحمد لله ــ جلية عند الأمة ، فكل اضطهاد لا يزيدها إلا ثباتا ويقينا ، ولا يزيد الأمة إلا إيمانا ، ومن عرف الحق هان عليه ما يبذل في سبيله « وَلَقَدْ فَتَنَّا الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ » (1) .

(1) البصائر : س 4 ــ ع 150 ــ 1357/12/6 هـ ــ 1939/1/27 م .

اسمعوا ما يقال عنكم فى غش دولتكم ...

فهل تنتهون ؟

نحن فى كل ما نقول ونكتب ونعمل نرمى إلى مصلحة شعبنا المنكوب قبل كل شيء . ونعتقد ـ بحق ـ فى الوقت نفسه أننا لا نظلم بذلك أحدا ولا نعمل لمضرته . ونرى أن فيما نطالب به من احترام ديننا يمنحنا حرية تعلمه وتعلم لغته فى المدارس والمساجد هو فى مصلحة الدولة نفسها . ولكن سياسة الانتفاع والتفوق والأنانية التى تقبض عليها أيد عانية قوية ،أصلها هنا وفرعها هنالك ـ هى التى تقلب حقيقة قصدنا ، وتشوه صورة مطالبنا ، وتظهرنا فى صور من الخيال الماكر المحتال . وتقف حجر عثرة فى تفهم الدوائر العليا لنا ، وتقديرها لوجاهة مطالبنا ، وإدراكها لارتباط مصلحتها بمصلحتنا .

ولقد قلنا مرارا ، وكتبنا تكرارا ، أننا طلاب حق باسم العدل والإنسانية ، فى نطاق القوانين المعمول بها والتى يتمتع الأجانب فى ظلها بما يشتهون ، فلا تزيد تلك السياسة إلا تصاما عنا وإرهاقا لنا ودفعا لنا من سيء الى أسوأ ، غير حاسبة لمصلحة دولتها ولا لسمعتها حسابا ، رغم ما حذرنا وأنذرنا . وها نحن اليوم نسمعها كلمة رجل عظيم وزعيم كبير فى العالم الاسلامى والعربى فى أمرها لتذوق طعم ما جنت على نفسها وعلى دولتها .

فقد نشرت جريدة الدستور نص الكتاب الذى بعث به الدكتور

عبد الحميد سعيد النائب البرلماني المصرى والرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين إلى رئيس الجمهورية الفرنسية يذكره فيه بسوء السياسة التى سلكتها فرنسا فى هاته السنين،ومما جاء فيه ما نصه:

« إن المتتبعين لسياسة فرنسا الإسلامية في مدة العشر سنين الأخيرة يجزمون أن الجمهورية الفرنسوية لو كانت واضعة سياستها الإسلامية فى أيدى أعدائها وأشدهم بغضا لها وحنقا عليها لما أمكن أن يزيد سوء تأثيرها فى شعور المسلمين على ما صار إليه منذ أصدرت الظهير البربرى إلى أن أصدرت نظام الطوائف فى الشام، مما دل على أن السالكين لها لم يفهموا ولم يعلموا شيئا عن حقيقة الروح الإسلامى وتطوير المسلمين،وما يمكن أن يؤدى إليه هذا الكيد لدينهم فى الأقطار التى عليها موظفون فرنسيون . وقد حذر فرنسا من تجاهل يقظة المسلمين فى جميع أقطار الأرض الذين لها علاقة بهم،وأن لا تجنى من سياستها التى عمدت إليها أخيرا والعدوان للمسلمين إلا فضائح سياستها وازدياد السخط عليها.

إن المسلمين فى موقفهم الحاضر يراقبون كل حركة وسكنة من كل دولة من الدول،ولا فرق عندهم بين أي إسلامى وآخر فيما يرجى إليه من إحسان واساءة ، لأن كل إحسان أو عمل يصدر إلى أى جماعة من جماعات المسلمين يعتبره المسلمون موجها إليهم،وهم يعرفون كيف يقابل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته .

وأما من يحسب للغد القريب حسابه ويربأ بأمته أن يجعل أربعمائة مليون من المسلمين أعداء لها مبغضين لظلمها،فليكف يده عن أذى المسلمين ، ونحن نعتقد أنه لا يزال فى الوقت متسع أمام الحكومة الفرنسوية لتصلح موقفها مع المسلمين بالعدول عن سياسة العدوان فى الشام وشمال افريقيا على السواء،وأنها إن فعلت ذلك فستعلم أنها أحسنت صنعا إلى نفسها وإلى سمعتها بين الأمم

أمـام التاريخ الذى يـدون غلطات الاستعماريين مـن رجالهـا . والشجاعة كل الشجاعة فى الرجوع عن الخطإ إلى الصواب .

إن المسلمين جميعا لما تعمله الحكومـة الفرنسوية فى هـذا الموضوع الخطير لمترقبون .

الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين

عبد الحميد سعيـد

لقد بان واتضح أن مصلحـة فرنسـا الحقيقيـة هى فى إجابة مطالبنا وكف يد العدوان عنا . وأن مضرتها الحقيقيـة هى فى مجاراة أولئك الذين عرف القريب والبعيد سوء أثرهم عليها ، ونظرهم لمصلحتهم دون مصلحتها . ومثلهم أذنابهم التى يستعيرونها منا ، وأبواقهم التى يصنعونهم من بيننا، فيكونون بلاء عليهم وعلى دولتهم وعلينا .

فهل فى الشخصيات الكبيرة والقابعة على الأزمـة العليا هنـا وهنالك ، من نظرة صادقة تدرك الحقيقـة الواضحـة وتتدارك المصلحة المشتركة فتحسن للجميع ؟ (1)

(1) البصائر : س 4 ـ ع 158 ـ 1358/2/2 هـ ـ 1939/3/24 م .

اهتمـــام النـــواب واستعـدادهـم

كان اجتماع شعب الجمعية الذى انعقد بالعاصمة منذ ثلاثـة أسابيع فى شأن هذا القانون المشؤوم مظهرا عظيما من مظاهـر الألم والسخط والخوف : الألم من الضغط الواقع على تعليـم الدين ولغة الدين . والسخط على الجور الذى يساعد مؤسسـات التنصير ، ولا يعترض مدارس الإيطاليين وغير الإيطاليين ، ثم يغلق مدارس التعليم الإسلامى المؤسسة بأموال المسلمين فى وجـوه أبنائنا المتشردين . والخوف على مستقبل الإسلام فى هذه البلاد إن دام الحال ولم يتدارك بالسعي الجاد والعمل السريع .

رجع الوافدون على الاجتماع إلى بلدانهم يحملون قرار الاجتماع إلى نوابهم ، ويبلغونهم ما دار فيه ، ويشرحون لهـم العواقـب الوخيمة لقانون 8 مارس على الإسلام ولغة الاسلام في هذه الديار ، وما كان له على التعليم اليوم والمعلمين من سيء الآثار ، ويبلغونهم ما حملهم الاجتماع من المسؤولية العظيمة فى ذلك كله ، لأنهـم نواب أمة ترى ـ كما يرون ـ أن دينها ولغة دينها أساس حياتها .

لقد وجدوا من نوابهم ـ المنخرطين فى الوحدات النيابية الثلاث وغيرهم ـ آذانا صاغية وقلوبا متأثرة واهتماما بالمصيبة واستعدادا للعمـل .

وإلى كتابة هذا ما زالت الرسائل تتوارد علينا من شعب الجمعية وكلها متفقة عن نوابها فيما ذكرنا . ومنها رسالة شعبة وهـران

بعد اتصالها بالسيد المكى رئيس وحدة النواب بالعمالة الوهرانية، ورسالة الأستاذ فرحات بن الدراجى معتمد الجمعية بالعاصمة بعد اتصاله بالدكتور البشير رئيس وحدة النواب بالعمالة الجزائرية .

وقد ذهبت إلى الدكتور ابن جلول فى مكتبه مساء قدومه من باريس، وقد كان سافر إليها ليذكر الحكومة الغليا فى وعودها ويعرفها بالحالة النفسية الحقيقية للأمة نحو مطالبها، وما يخامرها من قلق من جراء تأخيرها والسكوت عنها ، وما لها من سخط وانزعاج مما ترى وتسمع من أناس لا يمثلونها ، يقولون عنها عنها خلاف ما يعلمون .

عرفته بالاجتماع وقراره وأبلغته سلام المجتمعين . وهنأته بسلامة القدوم، وذكرت له ما يلقاه التعليم والمعلمين من المحن والبلاء، وما تتطلبه منه الأمة من القيام المشروع فى ذلك، وما يفرضه عليه دينه فيه .

فأطلعنى على قائمة المطالب التى قدمها فإذا فى طليعتها قانون رينى وضحاياه ، وحرية التعليم الإسلامى ، وقانون النوادى ، وذكر لى أن الدوائر العليا مسرورة جدا بموقف الأمة الجزائرية مع فرنسا فى الساعات الصعبة، وأن رجل الوزارة الداخلية وعدوا بالنظر الجدى فى القضية الجزائرية التى هى موضع اهتمامهم . وطلبوا منه الانتظار بالعمل إلى شهر ماى، مثلما كانوا طلبوا منه فى السنة الماضية انتظار سنة وقد انتظر . فهو لهذا يؤخر اجتماع النواب للمفاوضة فى تجديد المطالب، وإيفاد وفد منهم إلى باريس – إلى شهر ماى . وستكون حرية التعليم الإسلامى – كما كانت – فى طليعة المطالب . فشكرته على عنايته واهتمامه، وتواعدنا على العمل فى شهر ماى إن شاء الله .

فأرجو من جميع شعب الجمعية أن يبلغوا هذا إلى نوابهـــم ليكونوا على علم واستعداد للقيام بالوسائل المشروعة فى الدفاع عن دينهم ولغة دينهم .

ثم عسى أن يدرك من بيدهم الأمر أهمية القضية وأثرهـا فى المصالح العامة المشتركة ، فيتداركوها من أنفسهم بما فيه خـير مضمد لجروح القلوب . وأقوى جامع لها فى ساعات الخطر ، وأحد سلاح فى نحر العدو الأثيم (1) .

(1) البصائر : س 4 ـ ع 162 ـ 1358/3/1 هـ ـ 1939/4/21 م .

أولو الأمر

هذه كلمة قرآنية ، فمن هم المرادون بها ؟ فقد أوجب الله طاعتهم على المؤمنين،فمن اللازم شرعاً أن يعرفوا ليمتثل أمر الله تعالى فيهم ، فمن هم ؟ قد اختلف فيهم،فقيل هم العلماء ، وقيل هم الأمراء من المسلمين ، والصحيح أنهم العلماء والأمراء معاً ، وإليك البيان :

لله الخلق والأمر ، والأمر أمران : الأمر التكويني ، والأمر التشريعي والثاني هو المراد هنا ، وما أمر بطاعة أولي الأمر إلا لأنهم يأمرون بأمر الله ، فكانت طاعتهم طاعة الله . وأمر الله نحتاج الى تعيينه وإلى تنفيذه ، فبالعلم يعين ، وبالسلطان ينفذ ، فالعلماء يصدق عليهم أولو الأمر لأنهم الذين يعينون أمر الله بطرائق العلم المقررة ، والأمراء يصدق عليهم أولو الأمر لأنهم ينفذونه بحمل الناس عليه بما جعل الله لهم من سلطان . فإذا وجد العلماء دون الأمراء تعطلت الشريعة ، وإذا وجد الأمراء دون العلماء ضلوا وأضلوا عن السبيل ، ولا يستقيم الحال إلا بوجود الطائفتين وتعاونهما بطريق الشورى التي هي أساس الامر في الإسلام . وقد بين لنا السلف الصالح رضي الله عنهم هذا بطريقة عملية،فكان عمر ــ رضي الله عنه ــ وقد جمع بين العلم والسلطان، يجمع الصحابة في النوازل الهامة،ويستشيرهم،ويجعلهم في الشورى على طبقاتهم،كما فعل عندما خرج إلى الشام وسمع بالطاعون والقصة ثابتة في الموطأ وغيره .

دعاني إلى كتابة هذا مقال جليل نفيس نشرته مجلة الهداية الإسلامية بقلم أستاذنا العلامة الجليل الشيخ الخضر بن الحسين الطولقي الجزائري التونسي ثم المصري،تحت عنوان (العلماء وأولو الأمر) فأحببت أن أنقله إلى قراء (الشهاب)،وخشيت أن يفهم من عطف أولي الأمر على العلماء في العنوان المذكور ، أن العلماء لا يصدق عليهم اللفظ القرآني،فأحببت أن أبين القول الحق في صدقه على الطائفتين،وأحببت أيضا أن تكون مقدمتي هذه الصغيرة أمام ذلك المقال الكبير تذكرة لجلوسي لتلقي تهذيب المنطق بين يدي الأستاذ بجامع الزيتونة ـ عمره الله ـ ولسماع دروس من صدر تفسير البيضاوي بدار الأستاذ بشارع باب منارة من تونس الخضراء العزيزة حرسها الله .

ولا يخفى أن الأستاذ أبقاه الله ابن أخت العلامة الجليل الشيخ المكي بن عزوز رحمه الله ، وكلاهما من أبناء الطرقية ، ولكن العلم سما بهما إلى بقاع التفكير والهداية والإصلاح،ولكليهما ـ أحسن الله جزاءهما ـ كتابات في التحذير مما عليه الطرقية اليوم تارة بالتصريح وتارة بالتلميح . وإلى القراء الكرام نص مقال الأستاذ أبقاه الله وهو من ذلك الطراز (1) .

---

(1) ش : ج 8 ، م 15 ، شعبان 1358 هـ ـ سبتمبر 1939 م .

القسم الثالث

الاجتماعيات

الاجتماعيات

إننا نتحد لننفع أنفسنا، وننفع ـ إذا استطعنا ـ غيرنا ، ومعاذ الله والإسلام أن نتحد على أحد ، أو نتفق على باطل ، أو نتعاون على إثم أو عدوان (1).

عبد الحميد بن باديس

(1) الشهاب : ج 1 ـ شوال 1354 هـ ـ فيفري 1936 م .

بمخالطة المتمدنين ـ نترقى في المدنية

لقد كانت أوروبا في القرون الوسطى تتسكع في ظلمات الهمجية والجهالة ، حتى قامت بمشروعها العمومي العظيم وهو الحروب الصليبية ، فرمت بمئات الألوف من أبنائها بعاصفة التعصب الديني نحو الشرق المزهر إذ ذاك بالعلم والعمران فأقاموا يحتكون بالأمم الشرقية الإسلامية أكثر من قرنين ، فكان لذلك أثره العظيم في أخلاقهم وعقولهم وآدابهم ، فرجعوا ـ وقد جاءوا ليفتحوا الشرق ـ قد فتحوا بدلا منه بصائرهم لحقائق في الحياة ونظم في العمران ، كانوا بها جاهلين وعنها بعيدين ، وكان ذلك مبدأ سلوكهم في سبيل المدنية وترقيهم في درجاتها ، الذي جنوه من ثمرة اختلاطهم بالأمم الشرقية الإسلامية العالمية المتمدنة إذ ذاك .

فإذا أردنا اليوم أن نقتبس منهم كما اقتبسوا منا ونأخذ عنهم كما أخذوا عنا ـ فعلينا أن نخالطهم ، ونخالطهم في ديارهم حيث مظاهر مدنيتهم الفخمة في مؤسساتهم العلمية والصناعية والتجارية في أحزابهم على اختلاف مباديها ، في جمعياتهم على اختلاف غاياتها ، في عظمائهم أصحاب الأدمغة الكبيرة التي تمسك بدفة السياسة ، وتدير لولب التجارة،وتسير سفينة العلم ، فالذين يخالطونهم هذه المخالطة بتمام تبصر وحسن استفادة ـ يخدمون أنفسهم وأمتهم خدمة لا تقدر،خدمة تكون أساسا للتقدم والرقي

فلهذا نرى ما عزم عليه أفراد متنورون من شبابنا الناهض من إيفاد وفد إلى الديار الفرنسوية ـ من أهم المشاريع التي يجب تأييدها وشكر القائمين بها .

إيفاد الوفود إلى مختلف البلدان للاستفادة والإطلاع ـ أمر لازم عند الأمم المتمدنة اليوم وإن تكن أجنبية من بعضها فضروري لنا نحن الجزائريين بالأحرى ذهاب وفود متعددة متنوعة إلى الديار الفرنسوية التي تربطنا بها الروابط الجمة من سياسية وعلمية واقتصادية .

إننا لا نزال ـ رغم القرن ـ مجهولين عند الأمة الفرنسوية مجهولة مقاصدنا الشريفة السلمية المتركزة على روح الحق والإخاء والإخلاص،فنريد ان تعرفنا وجها لوجه،وتفهمنا فهما يقطع لسان كل أفاك أثيم .

إننا لا نزال ـ رغم القرن ـ محرومين من معاهد العلم الكبرى بفرنسا وفروعه المادية الحيوية التي تكرع من معينها الطلاب من أمم كثيرة،فنريد أن نلجها ونتزود من خيراتها،فنحن الجزائريين رعايا فرنسا أحق الناس بها .

إننا لا نزال ـ رغم القرن ـ أمواتا موتا اقتصاديا جاهلين بطرق التجارة التي هي أساس الحياة،لا تعرفنا ديار فرنسا ومصانعها إلا بالوسطاء ... ! فنريد أن نباشر المعاملة معها بأنفسنا ونكسبها الثقة فينا،ونبني هيكلنا الاقتصادي على أساس متين .

وفدنا المزموع عليه في الربيع القادم ـ وفد اقتصادى محض، ولكنه سيكون بالطبع عنوانا علينا بتمثيله لأخلاقنا وآدابنا ونفسيتنا هنالك ، وأفراده المتنورون بلا شك يعلمون هذه التبعة ويقومون بها أحسن قيام . كما أنه سيكون عندنا بعد قفوله دليلا على مقدار شعور الأمة الفرنسوية نحونا وتكريمها لشبابنا .

وفد كهذا يحق على كل من وجد سبيلا اليه أن ينخـــرط في سلكه،وينبغي للحكومة أن تعمل لتنشيطه وإعانته،فإنه وصلـــة حب وتعارف ومنفعة بين فرنسا والجزائر ، وهذا ما يوده كـل عاقل خبير (1) .

(1) الشهاب : ع 16 ـ 12 شعبان 1344 هـ ـ 1926/2/25 م .

ماذا خير من المال ؟

كل الناس يسعى لتحصيل ماله في هذه الحياة من شهوات ورغبات ، لتحصيل الراحة والهناء والسعادة .

ولما كانت المنافع الموزعة بين البشر لا تنال في الغالب إلا بطريق التبادل ، وكان التبادل مبنيا على التعاوض ، وكان العوض المحبوب عند كل أحد والمحصل لكل عوض هو المال ـ كان المال عند كل إنسان محبوبا لديه بطبعه وخيرا من كل شيء لتحصيله كل شيء ، وكان أصحاب الأموال في نظر العموم بمظاهرهم الخلابة هم أهل الراحة والهناء والسعادة .

الغني سعيد ، والفقير شقي ، هذا حكم ضروري عند عامة الناس ، يصدرونه بسرعة ويتلقونه بالتسليم ، فمقياس الهناء هو الغناء ومقياس الشقاء هو الفقر .

لا يا صاح ! بل إننا كثيرا جدا ما وجدنا من نسميه غنيا لوفرة ماله في عناء وشقاوة ، ذلك لأن ثَم أشياء غير المال تغني عنه في تحصيل السعادة وتوصل حتما إليه ، ولا يغني عنها هو في ذلك ولا يوصل إليها . فهي إذاً قطعا خير منه .

هذه الأشياء هي الصحة والرجاء والأمل والعمل والوقت .

1 ـ لا يستطيع أحد أن ينهض بعمل جليل أو يقوم بأمر خطير أو يتلذذ بأطايب الحياة أو ينعم بخيراتها إلا إذا كان ممتعا بنعمة

الصحة البدنية،فما قيمة أموال العالم بأسره عند من كان ممعودا أو مصدوعا ؟

2 ـ في الحياة خير وشر ونعيم وبؤس،فالذين ينظرون للدنيا من ناحيتها البيضاء ويعتقدون في أنفسهم التغلب بما زودوا به في هذا العالم من أسباب الجهاد على ما يعترضهم من عقبات الوجود ومنغصاته ـ يكون لهم من الرجاء ما يبعث فيهم الحزم والنشاط على العمل ، ويكسبهم البهجة والسرور . ومن حرم من نعمة الرجاء ونظر إلى الدنيا من ناحيتها السوداء وقع في سجن البؤس،مقيدا بقيود الكآبة ليس له غبطة ولا فرح ولا نعيم بشيء ولو كان يملك كنوز العالم .

3 ـ الأمل الذي يصبو إليه العامل من وراء عمله هو الذي يجعل له ذلك العمل مهما كان شاقا عملا لذيذا فيكون في راحة وهو في نصب ، وفي نعيم وهو في ألم ، ينبعث إلى أمله المحبوب انبعاث السهم في خفة وسرعة إلى غايته ، ومن لم يكن له أمل في هذه الحياة قعد عن العمل أو عمل ببرود وتثاقل ليس وراءهما إلا التعب والفشل المحقق كانت حياته عبئا ثقيلا عليه لا تخففه عنه قناطير الأموال .

4 ـ إذا نظرنا في سير الناجحين في هذه الحياة وجدناهم كلهم كانوا يثابرون على العمل طول أعمارهم ، ووجدناهم يستعملون أدمغتهم وأيديهم إلى أقصى ما تستطيعه القوى الفكرية والجسدية، فارتقوا من وهدة الشقاء والخمول إلى قمة الشهرة والسعادة،فكان لهم من رؤيتهم نتائج أعمالهم وما اكتسبوه من خبرة بالحياة أعظم لذة وأهنأ حالة ، لا يوازيها عندهم ما يكونون قد حصلوه بأعمالهم من ثروة ، وقد نجد أفرادا يعدون على الأصابع قد ساقت لهم الصدف الأموال على غير جد منهم أو عناء ، ولكنهم ـ مع تعرض

تلك الثروة للتلف بالتبذير والسرف ـ هيهات أن تكون لهم تلك اللذة العظيمة ، والحالة الهنية .

5 ـ كل شيء في هذه الدنيا يمكن أن يخلف إلا الوقت،فإن لحظة منه إذا فاتت لا تخلف بأموال الدنيا ، ولحظاته المتتابعة إذا حوفظ عليها وملئت بالأعمال أفضت طـال الزمـن أو قصر إلى الأمـوال والآمال ، فالوقت لنا كنز لا يماثله كنـز وثروة لا تقدر بثروة ، وهو ـ إلى هذا ـ لـذة وبركة للذيـن يقطعونه بأنواع الأعمال ، وعناء وألـم على الذين يقطعونه بالبطالة ويحاولون قتله بطرائق اللهو والباطل ، فيعيشون في ملل وضجر وضيق لا توسعه أكداس الذهب والفضة .

هذه هي الأشياء الثمينة المساعدة على جعـل الحياة حياة سعيدة وذات قيمة في نظر العقل . وبها توزن السعادة والشقاوة في هذا الوجود .

من أوتيها فقد أوتي السعادة ومفاتيح الثروة ولو كان في الحال معدما ، ومن حرمها فقد حرم السعادة ولو كان من أعظم المثرين .

فيأيها الشاب الداخل في معترك الحياة ، حافظ على هذه الأصول الخمسة تظفر في حياتك بالسعادة والهناء والمستقبل العظيم .»[1]

---

(1) الشهاب : ع 15 ـ 22 صفر 1345 هـ ـ 30 أوت 1926 م .

سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ

حياك الله وأيدك يا سيف السنة وعلم الموحدين ، وجازاك الله أحسن الجزاء عن نفسك وعن دينك وعن إخوانك السلفيين المصلحين ، ها نحن كلنا معك في موقفك صفا واحدا ندعو دعوتك ونباهل مباهلتك ، ونؤازرك لله ، وبالله . فليتقدم إلينا الحلوليون وشيخهم ومن لف لفهم وكثر سوادهم في اليوم الموعود والمكان المعين لهم ، وليبادروا بإعلان ذلك في جريدتهم إن كانوا صادقين ، فإن لم يفعلوا ـ وأحسب أن لن يفعلوا ـ فقد حقت عليهم كلمة العذاب وكانوا من الظالمين،والحمد لله رب العالمين (1) .

---

(1) الشهاب : عدد 97 ـ 17 ذى القعدة 1345 هـ ـ 20 ماى 1927 م .

كتب الشيخ عبد الحميد هذه الكلمة يشكر الشيخ الطيب العقبي على المقال الذى كتبه بنفس العدد من الشهاب يرد فيه على طائفة العلوية ، الطرقية (الصوفية) يدعوها للمباهلة التى قد بدأت هى بالدعوة اليها وبالقول بان السلفيين لا يستجيبون لها .

الرجـل المسلـم الجزائـري

ألقيت محاضرة في هذا الموضوع بنادي الترقي بالعاصمة في شهر ربيع الأول . وفيما يلي أكتبها على ما بقي في ذهني منها لأنني كنت ألقيتها ارتجالا،وإذا شذ شيء فلا يكون إلا قليلا .

سبب اختياري للموضوع :

كنت ـ وأنا قادم للعاصمة من مصيف « حصن الماء » أحوم على موضوع أختاره للمحاضرة التي اقترحها علي أعضاء النـــادي المحترمون . فوقع فكري على المرأة وحالتها وواجباتها وحقوقهـا . وبينما أنا أفكر فيها وأجمع أطراف الحديث في شأنها إذا أنا برجل مسلم جزائري ببرنوسه وقنوره وقف أمام خيالي ـ وأخـذ ذلك الرجل يخاطبني بشدة وعنجهية ويقول :

« أنتم تفكرون في تعليم المرأة فلمن تعلمونها ؟ لي أنا الرجل الجاهل ! ليقعن لها ما يقع للعالم الضعيف المغلوب من الجاهل القوي الغالب ، ومن يعلمها ؟ أنا الجاهل ! كيف أترك نفسي وأعلمها ؟

أنتم تفكرون في نزع حجابها وخلطها بالمجتمعات ! ألا تخافون عليها إغارتي ؟ فلأضايقهن ولترين منــي كـل أنـواع التعـدي والأذى .

إذا أردتم التفكير الصحيح والإصلاح المنتج ففكروا في قبلها فأنا أبوها ، وزوجها ، ووليها ومصدر خيرها وشرها .

وإذا أردتم إصلاحها الحقيقي فارفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها ، فإن حجاب الجهل هو الذي أخرها ، وأما حجاب الستر فإنه ما ضرها في زمان تقدمها فقد بلغت بنات بغداد وبنات قرطبة وبنات بجاية مكانا عليا في العلم وهن متحجبات .

فليت شعري ما الذي يدعوكم اليوم إلى الكلام في كشف الوجوه قبل كل شيء ..! » .

فأمام هذا الرجل الخيالي المرعب وحججه الدامغة ما وسعني إلا العدول عن التفكير في المرأة إلى التفكير في الرجل فاخترت موضوع المقالة « الرجل المسلم الجزائري » .

المراد من الموضوع :

هذا موضوع مجمل،فالرجل المسلم الجزائري موضوع بحوث طويلة من نواح عديدة،لكنني أتكلم عليه من نواح ثلاث : رجولته، إسلاميته، جزائريته .

الرجل :

خلق الرجل قويا ، متهيئا بما منح من القوة للقيام بما يقتضيها من عظائم الأمور وجلائل الأعمال ، للإنسانية التي هو فرد منها ، للوطن الذى هو من نباته ، للبلد الذي هو من سكانه ، للبيت الذي هو رئيسه .

هو رئيس البيت ، و « الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ » فعليه واجب الرعاية : بالسعي والتكسب ، بالتهذيب والتعليم ، للزوجة ، للأبناء ، للبنات « يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » . وله حق الولاية « وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ

دَرَجَةٌ » درجة الولاية بالنظر والتدبير والتنظيم والتسيير ، فهـو السيد في بيته ليكون سيدا في قومه . والسيادة الحقيقية إنما هي بالنفع والعمل المنتج . فسيد البيت هو الأكثر عملا والأجلب نفعا له ، وسيد الوطن هو الأعمل والأنفع في سبيله . فالسيادة حظ العاملين على درجاتهم في الأعمال .

المسلـــم :

هو المتدين بالإسلام ، والإسلام عقائد وأعمال وأخـــلاق بها السعادة في الدارين .

أما تحصيلها لسعادة الأخرى فما بها على أحد من خفاء .

وأما تحصيلها لسعادة الدنيا فقد صار في هذه العصور المتأخرة عند كثير من الناس مما يخفى . مع أن دعوته إلى تحصيل السعادة والسيادة في الدنيا في آيات القرآن العظيم كثيرة جدا .

فدعا إلى العلم بمثل قوله تعـالى : « وَقُـلْ رَبِّ زِدْنِـي عِلْماً » وللفلاحة بمثل قوله تعالى : « هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا » وإلى الصناعة وإتقانها بمثل قوله تعالى « أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ » وإلى التجارة بمثل قوله تعالى : « فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّـهِ » كما سمى العبادة ابتغاء من فضل الله ، فقال تعالى : « وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً » .

وهو إلى هذا دين السلامة و « المسلمُ مَن سَلم الناسُ مـن لِسانِه ويدِه » ودين المحبة و « لاَ يؤمنُ أحدُكم حتى يُحـبَّ لأخيه ما يُحب لنفسه » . ودين الترقي بالعلم . « قُـلْ هَلْ يَسْتَوِي الذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ » ودين السيادة بالعدل ، والسعادة بالإحسان . « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ » .

الجزائـــري :

إنما ينسب للوطــن أفراده الذيــن ربطتهم ذكريات المــاضي ، ومصالح الحاضر ، وآمال المستقبل . فالذين يعمرون هذا القطـر وتربطهم هذه الروابط هم الجزائريون .

والنسبة للوطن توجب علم تاريخه ، والقيام بواجباته . مـن نهضة علمية واقتصادية وعمرانية ، والمحافظة على شرف اسمه ، وسمعة بنيه ، فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه ، ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه .

طريق العلم بهذا والعمل به :

هذه الحقائق التي ذكرناها بها يكون الرجـل رجـلا ، والمسلم مسلما ، والجزائري جزائريا ، فتهذيب الرجـل وتعليمه لا يكون إلا بالعلم والعمل بها . وما ذلك إلا ببثها : بالمحاضرات في النوادي بالدروس العامة في المساجد ، بالخطب الجمعية على المنابر .

وإذا كانت هذه طريقا للتعليم العام فعلينا أن نجعلها في أول ما نهتم به من شؤون إصلاحنا .

إذ لو كانت هي كما يجب أن تكون وقامت بواجبها كما يجب أن تقوم لكنا على حال غير ما نحن عليه اليوم .

وفي كثير من الرجال المتصلين بها لنا أعظم الآمال .

شقيقة الرجل وشريكته :

إن العناية بالرجل تستلزم العنايــة بالمرأة شقيقته في الخلقة والتكليف ، وشريكته في البيت والحيــاة . هما زوجان متلازمان لا تكمل الوحــدة البشرية إلا بكمالهما . وما الوحــدة البشرية في ضرورية الزوجين لتكوينها إلا كسائــر المخلوقات الساري عليهما

قانون الزوجية العام . ويبتدىء ذلك في أصغر جزء وأول مـادة للتكوين وهو الجوهر الفرد في اللسان العلمي القديم ، والكهرب في اللسان العلمي الحديث . فإنه مركب من قوتين زوجين موجبة وسالبة . مصداق قوله تعالى : « وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ »،ويعم هذا القانون جميع المخلوقات ومنها الإنسان كما قال تعالى : « وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً » .

هذا دليل الخلقة على ما بين الرجل والمرأة من لحمة اتصال ، وما لكل واحد منهما على الآخر من توقف لبلوغ الكمال .

أما أدلة ذلك من الشرع فآيات عدة . منها قوله تعالى : « هُوَ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا »،« وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً »،« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ »،« هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ » .

هو الأول ، وهي الثانية :

هما ــ على ما بينهما من هذا التشارك والتلازم والاتصال ــ فإنه هو المقدم عليها ، والقيوم على شأنها ، والمسؤول على إنهاضها .

تشهد بهذا الفطرة الظاهرة في ضعف خلقها ، والتاريخ البشري بما فيه من مدنيات قديمة وحديثة . كلها قامت على كواهل الرجال ويشهد به الدين في قوله تعالى : « الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ » .

المرأة المسلمة الجزائرية :

نـرى حقا علينا بعدما تكلمنا عـلى الرجل المسلم الجزائري أن نتكلم شيئا عن المرأة المسلمة الجزائرية من نواحيها الثلاث أيضا .

المـــرأة :

خلقت لحفـظ النســل ، وتربية الإنسان في أضعف أطـواره (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً) فهي ربة البيت وراعيته والمضطرة بمقتضى هذه الخلقة للقيام به . فعلينا أن نعلمها كل ما تحتاج إليه للقيام بوظيفتها ، ونربيها على الأخلاق النسوية التي تكون بهـا المرأة امرأة لا نصف رجل ونصف امرأة . فالتي تلد لنا رجلا يطير خير من التي تطير بنفسها .

المسلمـة :

« لَهُنَّ مِثْلُ الذِى عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ » فعلينا أن نعلمها ما تكون به مسلمة ، ونعرفها من طريق الدين ما لها وما عليها،ونفقهها في مثل قوله تعالى : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً » .

الجزائـرية :

بدينها ولغتها وقوميتها فعلينا أن نعرفها حقائق ذلك لتلد أولادا منا ولنا ، يحفظون أمانــة الأجيال الماضية للأجيال الآتيـة . ولا ينكرون أصلهم وإن أنكرهم العالم بأسره . ولا يتنكرون لأمتهم ولو تنكر لهم الناس أجمعون .

الطريق الموصل إلى هذا :

هـو التعليم : تعليم البنات تعليما ينـاسب خلقتهن ودينهـن وقوميتهن . فالجاهلة التي تلد أبناء للأمـة يعرفونها مثل أمهاتنا

ـ عليهن الرحمة ـ خير من العالمة التي تلد للجزائر أبناء لا يعرفونها، تعليم كل واحد لأهله بما عنده من علم .

ويوم نسلك هذا الطريق في تعليم المرأة ، والطريق السابق في تعليم الرجل سلوكا جديا نكون ـ بإذن الله ـ قد نهضنا بهما نهضة صحيحة نرجو من ورائها كل خير وكمال (1) .

(1) ش : ج 10 ، م 5 ـ غرة جمادى الثانية 1348 هـ ـ نوفمبر 1929 م .

لا فضل بالمال

لمن كان ذا فضل فيه

الفضل هو الزيادة ، والفاضل هو الذي زاد على غيره ، والمفضول هو الذي زاد عليه سواه ، والتفضيل هو الزيادة لغيرك أو اعتقادك الزيادة فيه .

والله تعالى قد فضل بين عباده ـ بحكمته ـ في العطـاء : في الجسم ، في العلم ، في العمل ، في المال ، فزاد بعضهم على بعض في ذلك ، وفضل بينهم ـ بعدله ـ في القدر والمنزلة دنيا وأخرى كذلـك .

ومما يكون فيه التفضيل من أنواع العطاء ما جعله الله سببـا للتفضيل في القدر والمنزلة ، ومنه ما لم يجعله سببا .

فالفضل في الجسم والفضل في العلم سببان في فضل القـدر والمنزلة وبهما فضل طالوت على بني إسرائيل واختير عليهم ملكاً . قال تعالى : « إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ » . وليس المراد هنا من الجسم كبـره وضخامته،بل المراد صحته وقوته بقوة فؤاده ، فإن ضخامة الجسـم مع السقم أو ضعف القلب بلاء على صاحبها .

وفضل القدر والمنزلة المتسبب عن فضل الجسم والعلم هو فضل يستحق به التقديم في هذه الدنيا ، وأما نيل الفضل بهما في منازل الأخرى فمتوقف على العمل بهما .

والرجل فضل على المرأة فى قوة العقل وقوة البدن،وكانت قوتاه هاتان سببين في فضله في القدر والمنزلة والتقديم عليها في هذه الدنيا.قال تعالى : « الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ » وظاهر التسبب هنا من حرف الباء .

وأما الفضل في العمل فإنه سبب في فضل القدر والمنزلة دنيا وأخرى. قال تعالى : « فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً»،وتعليق الحكم هو التفضيل بالمشتق؛ وهو (المجاهدين) مؤذن بعلية ما منه الاشتقاق وهو الجهاد،فيستفاد من سببيته في الفضل والتقديم في القدر والمنزلة .

وأما المال فلم يكن ــ أبدا ــ سببا في فضل القدر والمنزلة،ولذا قال تعالى : « وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ » فجعل التفضيل فيه فيزيد فيه حظ بعض الناس على بعض ولم يقل «بالرزق» لأن الرزق ليس سببا لتفاضل الناس في الأقدار والمنازل لا دنيا ولا أخرى ، لأن منازل الآخرة يتفاضلون فيها بما قدموا من صالح الأعمال،ومنازل الدنيا يتفاضلون فيها ــ على الحق والعدل ــ بالكفاءات والأخلاق والأعمال .

وقدر الله تعالى على بني إسرائيل لما قالوا في طالوت « وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ » منكرين استحقاقه للملك بأنه ليس من بيت الملك ولا بذي مال لاعتقادهم أن الفضل بمنزلة الملك إنما يتسبب عن النسب والمال . رد الله تعالى عليهم بقوله تعالى : « وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ » ليبين لهم أن منازل الفضل في هذه الدنيا بالكفاءات الشخصية لا بما هو خارج عنها من النسب والمال .

فالفضل فى منازل الدنيا والآخرة إنما هو بما هو منك ، من جسمك وأخلاقك وعلمك وعملك لا بما هو باين عنك ومباين لك من هذا الحطام

حتى إذا حصلته من حله ، وأنفقته في محله ، كان لك الفضل العظيم بما كان لك فيه من أعمال .[1]

(1) ش : ج 11 ، م 5 ـ غرة رجب 1348 هـ ـ ديسمبر 1929 م .

كتـاب : « امرأتنا »

للشيـخ الطاهـر الحـداد

كان صاحب هذا الكتاب حدثنا عنه أيام إقامتنا بتونس بالصيف الماضي،ففهمنا من حديثه أنه يتكلم فيه عن النهوض بالمرأة نهوضا صحيحا وتعليمها تعليما مفيدا فى حدود إسلامها التى هي بنظر كل عاقل منصف حدود الإنسانية الكاملة . وما توقعنا منه أنـه يكون ممن يدعون إلى الذهاب بها في تيار المدنية الغربية إلى مـا يخرجها عن حدود دينها ووظيفة أنوثتها . فإذا بنا لما أهدى إلينا كتابه وطالعناه وجدنا ما هو أدهى من ذلك وأمر ، وجدناه يدعو إلى إبطال أحكام عديدة من أحكام القرآن الصريحـة القطعيـة الاجتماعية ، وتعطيل آيات عديدة من آياته بدعوى أنها غير لائقة بالنساء في هذا العصر . وهذا هو الجحود نفسه لبعض القـرآن ، وجحود بعضه كجحود كله في مفارقة الإسلام .

أفيجهل هذا الأصل الشيخ الحداد أم رضي لنفسـه بانطباقـه عليه ؟ ؟ نحن لا نخشى على المسلمين من دعوته شيئا،لأنه من المعلوم الضروري عندهم أن جحود شيء من القرآن كفر به ، وإنما نخشى عليه هو أن يستمر على عقيدته فيكون من الهالكين .

وربما عدنا إلى الكتاب في فرصة أخرى (1) .

---

(1) ش : ج 11 ، م 6 ـ غرة رجب 1349 هـ ـ ديسمبر 1930 م .

نصيحـــة وإرشـــاد

من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى وفد الله من إخواننا المسلمين الجزائريين ومن بلغه كلامنا من إخواننا المسلمين

قد جرت عادة الناس من قديم عند قدومهم من الحج أن يمكثوا في بيوتهم أياما ثلاثة أو سبعة يقتبلـــون الزائرين والمهنئـــين، وينفقون في ذلك ما قد يبلغ شطر ما أنفقوا في الحج أو يقاربـه أو يجاوزه بحسب حالهم وعدد معارفهم ، ويحسبون أنهم بذلـك يعظمون الحج والحجاج،ويتقربون إلى الله بذلك التعظيم .

وفي هذا مفسدتان عظيمتان ؛ أحداهما : بالقعود عن مساجد الجماعات،وذلك من شأن المنافقين الذين هم النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن يحرق عليهم بيوتهم ، وقبيح ـ والله ـ بمن جاء من بيت الله وحرم الله أن يتخلف عن بيوت الله،ويكون في حال أهل هذا الوعيد . الثانية بارتكاب الإسراف والتبذير في غـير طاعة ، مما يعقب اللوم والحسرة ، وبغض الله الـــذي لا يحـب المسرفـين .

ونحن ننصح لإخواننا المسلمين أن يقلعـوا عن هـذه العـادة الذميمة والبدعة الضالة التى يزداد قبحها ويعظم إثمها بصدورها من وفد الله وضيوفه،الذين رجعوا ـ إن شاء الله تعالى ـ برحمته ومغفرته وإكرامه .

ونرشدهم إلى ما يحصل لهم ولأحيائهم بركة الاجتماع في غير رياء ولا إثم ولا تبذير . ذلك بأن يصبح الحاج في مسجد قريته

أو حومته من بلدته يؤدي تحية المسجد أو يؤدي فريضته، ويتلقى أحبابه فيه ، وقد كان النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ إذا قدم من سفر ابتدأ بالمسجد ، وما أسست المساجد إلا لذكر الله وجمع المسلمين على صلواتهم ودروسهم ومصالحهم .

ففي هذا ــ إن شاء الله تعالى ــ الأجر الكثير ، والنفع الغزير في الدنيا والدين .

* * *

قد تواترت الأخبار المشرقية بما يقاسيه سكان المدينة المنورة من جهد ومشقة واحتياج . فنحن ندعو إخواننا وفد الله إلى اغتنام هذه الفرصة العظيمة والمبرة الكريمة بالإحسان إلى سكان طيبة الطيبة، وجيران سيد المرسلين ــ صلى الله وسلم عليه وعليهم وآله كلهم أجمعين ــ وعمار حرمه الامين ومسجده الكريم ، واذا وفقوا ــ وهم موفقون إن شاء الله ــ إلى استبدال هذا الإنفاق المشكور المبرور بذلك التبذير المذموم الموزور ، استجمعوا الخير من طرفيه، وحصلوا الأجر بسببيه ، فعل ما أمروا به وترك ما نهوا عنه، ورضى الله عنهم ــ إن شاء الله ــ ورضوا عنه .

* * *

هذه نصيحتنا إليكم ــ إخواننا ــ جعلها الله سبب الأجر والمثوبة لكم ولنا . وأن الجمعية عازمة ــ بإذن الله ــ في الأعوام القابلة على إيفاد عضو من رجالها يذكر الحجاج ويفقههم ويكون مرجعا لهم فى أمر دينهم وأعمال حجهم .

والله نسأل التوفيق إلى الخير والعون عليه والاخلاص فيه لوجهه آمين، والحمد لله رب العالمين .

عن الجمعية الرئيس : عبد الحميد بن باديس

---

(1) البصائر : السنة الاولى، العدد 7 ــ 21 ذى القعدة1354 هـ ــ 14 فيفرى 1936

غـــردايـــــة

« وادي ميـــزاب »

هذا العاجز ـ كما يعلم الناس كلهم ـ كان ولا زال من دعـاة التوحيد والاتحاد . وكنت ولا زلت أقول في مجالسي ودروسي إن المذاهب الفقهية غير الأربعة المشهورة هي كالأربعة تتفق وتختلف عن نظر واجتهاد . وكان لكلامي هذا ـ بحمد الله ـ أثره الطيب المقصود . فلما قرأ الناس في الصحف الدورية خبر منع إخواننا الإباضية إخوانهم المالكية بغرداية من شعيرة الأذان كثر منهم من سألني : ماذا تقول ؟ وأين ما كنت تقول ؟ كأن من يدعو إلى الاتحاد مسؤول عما يأتيه من يدعو ويفعل ما يدعو إلى التفريق !

لا ، أنا لست مسؤولا عن هذا ـ وإن كنت أعظم متألم منه ـ بل المسؤول عنه هم أولئك الإخوان المتنورون الذين أعرفهم هنا وهنالك من أهل وادي ميزاب .

فإليهم يتوجه الرجاء في حسم هاته المسألة بالحق والنصفة بين أولئك الإخوان المتنازعين ـ ذاكرين قوله تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (1) .

---

(1) ش : ج 5 . م 6 ـ محرم 1349 هـ ـ جوان 1930 م .

بين المسلمين في غرداية (1)

جاء كتاب من جماعة من المالكية بغرداية يقولون فيه ما ملخصه :
إن لنا مسجدين بداخل بلدة غرداية تقام فيهما الصلوات الخمس، وتصلى فيهما الجمعة،أحدهما بحارة عرش المذابيح،وثانيهما بحارة بني مرزوق،وكلاهما أسس للمالكية وادي ميزاب من منذ برهـــة زمانية . وقد كان إخواننا الإباضية منعونا مـــن الأذان بهما فوق سطحيهما فسلمنا الأمر بسبب ضعفنا ، وصارت عادتنا في يـــوم الجمعة نؤذن بداخل المساجد وقت جلوس الإمام على المنبر . والآن قام بعض طلبتهم وأهل المخزن منهم واستنصروا بحاكم الإدارة علينا في إبطال الأذان حتى بداخل المساجد . وفعـــلا استدعانا بالحضور وأمرنا في الحال بإبطال الأذان من مساجدنا وتعويضه بكلمة الصلاة لا غير،وبشرط أن لا يبعد المنادي بهاته الكلمـــة من المحراب أكثر من ميترة واحدة.وعندنا نسخة من رسالة الحاكم الموجهة إلى قائد غرداية في هذا الشأن (2) .

(1) قد تقدمت كلمتنا على هذا الخبر في باب المجتمع الجزائري .
(2) ش : ج 5 ، م 6 ــ محرم 1349 هـ ــ جوان 1930 م .

للحق والنصفة

حول منع الإباضية إخوانهم المالكية من الأذان بغرداية

كنا من أول من كتب فى هذه المسألة بأسف وحسرة ، وأحلنا بإصلاح ذات البين فيها على الأدباء والفضلاء من إخواننا الإباضيين الذين نعرفهم بقسنطينة وبالعاصمة وبميزاب ، ثم رأينا الأمر لا يزداد إلا تفاقما،والفتنة لا تزداد إلا اتقادا،رغم سعي بعض الفضلاء بالعاصمة في إصلاح ذات البين،ورغم كتابة كاتب الشرق والإسلام التى تؤثر في الصم الصلاب . فلما رأينا ذلك لزمنا السكوت لعلمنا أن الكلام بعدئذ لا يرتق الفتق بل يزيده وسعا . فسكتنا منتظرين لطف الله في إلهام الفئتين رشدهما،وتنزيل أسباب الرحمة والأخوة بينهما ، غير أن هذا السكوت لم يرض واحدة من الفئتين .

فأما إخواننا الإباضية فإننا التقينا بالشيخ إبراهيم اطفيش بقالمة،فوجدناه يحمل حنقا شديدا على « الشهاب » وصاحبه،لأنه علم أن المالكية جعلوا « مؤتمرات في الأغواط » وأن صاحب « الشهاب » حضرها،ولأن الشهاب لم ينشر ما يبين به الحق في المسألة ، فاقنعناه أن مسألة المؤتمرات وحضورنا لها اختلاق محض كان على حضرته أن يتثبت في نقله قبل أن يسيء مقابلتنا به ، وأن « الشهاب » لا يتوخى فيما ينشر إلا إصلاح ذات البين،ووعدناه بأن نقول كلمة خير للجميع إذا وجدنا لها مناسبة .

وأما إخواننا المالكية فقد جاءنا كتاب منهم من العاصمة من جماعة كثيرة يعتبون ويلومون على « الشهاب » في سكوته ، وبلغ بهم الحمق « وشيء آخر » أن عرضوا بأن « الشهاب » يراعي الإباضيين لأجل اشتراكاتهم. فأجبتهم بأننا دعاة إصلاح واتحاد بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم، وأننا ندين ـ قولا وعملا واعتقادا ـ بقوله تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » حسب جهدنا وطاقتنا ، ونستغفر الله تعالى مما يكون منا في ذلك من تقصير . وأما اشتراكات الإباضيين التي عرضوا بها فإنها لا تتجاوز الثلاثين ، وأن « الشهاب » لو كان يراعي الخواطر في سبيل المال لكان له وفر، ولكنه ـ علم الله والناس ـ أنه ليس كذلك، وإننا لو كنا نريد المال لكان لنا ـ بحمد الله ـ فيما قسمه الله لنا من فضله لأسرتنا فوق الكفاية، أو لكان لنا في أبواب التجارة والفلاحة المعرضة لنا ـ بإذن الله ـ أسباب إليه متينة، ونعوذ بالله من تعريض سيء يؤدينا إلى مثل هذا الكلام .

واليوم ـ وقد اتفق الجانبان على إنكار سكوتنا، وحمل الحنق علينا، وسوء الظن فينا ـ فإننا نقول كلمتنا للحق والنصفة غير منحازين بها إلى إحدى الفئتين، بالغة ما بلغت، في إرضاء من رضى واسخاط من سخط، حيث كنا نعتقد أننا أرضينا بها الحق والوجدان فنقول :

قد ثبت عندنا أن بعض الإباضية بغرداية منذ زمان بعيد بنى مسجدا، وجعل له مأذنة، وأحدث فيه أذانا ثانيا، فاتفقت كلمة جماعة الإباضيين على منعه وهدم مأذنته . فعلمنا بهذا أن الإباضية لم يمنعوا مالكية غرداية من الأذان تعصبا عليهم لأنهم مالكية، ـ كيف وقد منعوا قبل ذلك الإباضية مثلهم وهدموا الصومعة ـ وإنما منعوهم لأنهم يرون الاكتفاء في البلد بأذان واحد .

فنحن بهذا قد برأنا الإباضية من تعصبهم على المالكية لانهـــم مالكية . ولكننا من ناحية أخرى نرى أنه حق عليهم أن يرجعوا في هذه المسألة عن رأيهم،ويسمحوا لإخوانهم المالكية بالأذان .

أولا ـ إصلاحا لذات البين بين المسلمين ، وهي في الإسلام من أول ما تجب وتتأكد المحافظة عليه والقيام به .

ثانيا ـ حفظا للوحدة الإسلامية بحفظ القلوب غـير متصدعة بداء الفرقة القتال المعدود في الإسلام من أكبر المحرمات المهلكات .

ثالثا ـ مجاملة لبقية إخوانهم المالكية بالقطر الذين تربطهم بهم رابطة الدين والوطن والمصلحة .

هذه كلمتنا نقولها بعهد اللـه،لا نقصد بهـا إلا القيام بواجب الصدع بالحق والدعوة إليـه والاصلاح بين المسلمين،فـإن كانت صوابا فمن الله الكريم الرحيم،وإن كانت خطأ فمنا والينا،وليست بالأولى من خطئنا (1) .

---

(1) ش : ج 12 ، م 6 ـ غرة شعبان 1349 هـ ـ جانفي 1931 م .

عيـــد الحـريــــة

حق كل انسان في الحرية كحقه في الحياة ، ومقدار ما عنده من حياة هو مقدار ما عنده من حرية ، المتعدى عليه في شيء من حريته كالمعتدى عليه في شيء من حياته ، وكما جعل الله للحياة أسبابها وآفاتها جعل للحرية أسبابها وآفاتها ، ومن سنة اللـه الماضية أنه لا ينعم بواحدة منهما إلا مـن تمسك بما لها مـن أسباب،وتجنب وقاوم ما لها من آفات . وما أرسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما أنزل عليهم الكتب،وما شرع لهم الشرع،إلا ليعرف بني آدم كيف يحيون أحرارا،وكيف يأخذون بأسباب الحياة والحرية،وكيف يعالجون آفاتها،وكيف ينظمون تلك الحياة وتلك الحرية حتى لا يعدو بعضهم على بعض،وحتى يستثمروا تلك الحياة وتلك الحرية إلى أقصى حدود الاستثمار النافع المحمود،المفضى بهم إلى سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، فرسل الله وكتب الله وشرائع الله كلها ضد لمن يقف في طريق بني آدم دون هذه الغاية العظيمة بالتعدي على شيء من حياتهم،أو شيء من حريتهم.ولقد كانت هذه الشريعة المحمدية بما سنت من أصول،وما وضعت مـن نظم،وما فرضت مـن أحكام ـ أعظم الشرائع وأكمل الشرائع في المحافظة على حياة الناس وحريتهم ، وما كان انتشارهم ذلك الانتشار العظيم في الزمان القليل على يد رجالها الأولين ـ إلا لما شاهدت فيها الأمـم مـن تعظيم للحياة والحرية،ومحافظة عليهما، وتسوية بين الناس فيهما،مما لـم تعرفه تلك الأمم من قبل،لا من ملوكها ولا من أحبارها ورهبانها . والحياة والحرية محبوبتان للناس بالطبع،ومرغوبتان لهم بالفطرة، فأسرعوا لتلبية الدعوة بالدخول في

الإسلام أو الاستظلال بظله . فما أحق أبناء هذا الدين ، وورات رجاله الأكرمين ، أن يكونوا أعرف الناس بقدر هذه الحياة وهذه الحرية ، وأكثر النـاس احتراما لهما ، وأشدهم رعاية لحقوقهما وواجباتهما،لا لأنفسهم فقط بل للبشرية جمعاء ...

الحياة حياتان حياة الروح وحياة البدن والحرية كذلك . وحياة الروح وحريتها هما أصل حياة البدن وحريته ، وشرائع الإسـلام منتظمة لذلك كله . ومما شرعه اللـه لتحصيل حرية الروح صوم هذا الشهر المبارك؛شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن . يترك فيه المؤمن طعامه وشرابه وشهوات بدنه ويقبل على التهليل والتحميد والتسبيح،فيحرر روحه من سلطة الشهوة وسلطان المادة،ويسمو بنا إلى عالم علوي ملكي من الطهر والكمال ، ثم يقبل على تلاوة القرآن ـبتدبر ـ فينير قلبـه وروحه،ويحرر عقله من ربقة الجهل وقيود الأوهام والخرافات ، فما يأتي عليه الشهر إلا وقد ذاق طعم الحرية الروحية العقلية،وخرج بحيوية قوية وحرية نيرة . فحق عليه أن يحمد الله على نعمته،ويظهر آثار تلك النعمة عليه،ويفرح بفضل الله ورحمته . وذلك كله باحتفاله بهذا العيد الفطري بما يقوم به في يومه من صلاة وصدقة وصلة رحم وتسامح وتزاور،وما يتجمل به من الزينة الحلال،وما يأتيه مـن أسباب السرور واللهو البرىء ومظاهر البهجة بالحرية والحياة .

فهذا العيد ـ إخواني المسلمين ـ عيد حريتنا : حرية أرواحنا وعقولنا ، وإذا حررنا أرواحنا وعقولنا فقـد حررنا كـل شيء . فالحمد للـه على هذه النعمة،ولنحافظ عليها،ولنعمل عـلى تكميلها والازدياد منها،ذاكرين قـول الله : « لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » .

نسأل اللـه لإخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في هذا العيد السعيد حياة السعداء ، وحرية الرشداء ، وعاقبة المتقين، والأمن والسلامة والهداية للناس أجمعين (1) .

(1) ش : ج 10 ، م 11 ـ شوال 1354 هـ ـ جانفي 1936 م .

جمعيـة العلمـاء المسلمـين الجزائريـين

إلى السادة الأعضاء العاملين والأعضاء المؤيدين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد،فبناء على انتهاء السنة الأولى للجمعية ، وبناء عـلى الفصل التاسع بالقسم الخامس من قانون الجمعية الأساسي الـذي يقول : « ينعقد الاجتماع العام لسائر الأعضاء العاملين مرة في السنة،وينعقد هذا الاجتماع بمدينة الجزائـر باستدعاء مـن الرئيس » . ويقول أيضا : « وبعد أن يتفاوض أعضاء الجمعية في أثناء الاجتماع العمومي العادي في برنامج الجمعية وتعرض عليهم أعمال الجمعية وما قررته في السنة السابقة ـ تنعقد جلسة ثانية يحضرها الأعضاء العاملون والأعضاء المؤيـدون،ويعلم هؤلاء الآخرون بحالة الجمعية الأدبية والمالية،ثم يباشر الأعضاء العاملون فقط انتخاب الهيئة الإدارية ولجنة العمل الدائمة ». بناء على ما تقدم فإن رئيس الجمعية يدعو جميع الأعضاء العاملين والمؤيدين للحضور بمركز الجمعية الاجتماعي بنادي الترقي الكائن ببطحاء الحكومة عدد 9 بمدينة الجزائر، الساعة التاسعة من صبيحة يـوم الاثنين السابع عشر من محرم عام 1351 ـ الموافق للثالث والعشرين من مـاي سنة 1932 م .

إن الجمعية لتبدي شدة رغبتها لأعضائها العاملين والمؤيدين أن يلبوا دعوتها،ويكونوا حاضرين في الوقت المذكور .

وإنها لترجو ممن يكون لهم عذر في التخلـــف أن يكتبـــوا باعتذارهم إلى رئيس لجنة العمل الدائمة السيد عمر إسماعيـل بنادي الترقي،حيث يكون عنده قبل تاريخ الاجتمـــاع لتتـــلى الاعتذارات عـلى المجتمعـين .

وبحضور من حضر واعتذار من يعتذر تعرف الجمعية المعتنين بها،والمخلصين لها،وتظهر بمظهرها اللائق بها من الشعب الجزائري الكريـم (1) .

رئيس الجمعية : **عبد الحميد بن باديس**

الكاتب العـام : **الأمين العمودى**

(1) ش : ج 5 ، م 8 ـ غرة محرم 1351 هـ ـ ماى 1932 م .

ما جمَعته يدُ اللهِ لا تفرِّقه يدُ الشيطان

هذه هي الكلمة التي ختمنا بها الخطاب الذي ألقيناه إثر ما خطب الشيخ يحيي حمودي باللغة القبائلية ليلة مأدبة النادي لجمعية العلماء،فاهتز لها الحفل ودوت القاعة بالهتاف والتصفيق ، ووددت لو ذكرت الخطاب فنشرته كله ، ولكنني سأكتفي بالكلمة التالية فقد تكون أوفى منه في المعنى وأجمل في التنسيق .

إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضع عشرة قرنا ، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء ، وتؤلف بينهم في العسر واليسر ، وتوحدهم في السراء والضراء ، حتى كونت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا ، أمُّه الجزائر وأبوه الإسلام . وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله ، وما أسالوا من محابرهم في مجالس الدرس لخدمة العلم .

فأي قوة بعد هذا يقول عاقل تستطيع أن تفرقهم ؟ لولا الظنون الكواذب والأماني الخوادع يا عجبا ! لم يفترقوا وهم الأقوياء ، فكيف يفترقون وغيرهم القوي ، كلا والله ، بل لا تزيد كل محاولة للتفريق بينهم إلا شدة في اتحادهم وقوة لرابطتهم (ذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم)،والإسلام له حارس ، والله عليه وكيل . نعم إننا نتحد لننفع أنفسنا ، وننفع إذا استطعنا غيرنا ، ومعاذ الله

والإسلام أن نتحد على أحد ، أو نتفق على باطل ، أو نتعاون على إثـم أو عـدوان .

« يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْـطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لاَ تَعْدِلُوا اُعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْـوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » (1) .

عبد الحميد بن باديس الصنهاجي

---

(1) ش : ج 11 ــ غرة ذى القعدة ــ فيفرى 1936 م .

نظر المسلمين إلى غير المسلمين

ونظر غيرهم إليهم

يقرر الإسلام بطلان سائر الملل،وأن لا دين عند الله إلا الإسلام. ويعرض لذلك في بيان من الاحتجاج والاستدلال على ما انبنى عليه الاسلام من الحق،وما جاء به للبشرية من الخير ، وعلى ما انبنت عليه الملل الأخرى من الباطل أو ما أدخل عليها منه وما أصيبت به كتبها من الضياع والتحريف،حتى يكون المسلم على بينة ويقين فيما أخذ من حق وما رد من باطل ، وحتى يمتلىء قلبه بمحبة الإسلام والاطمئنان إليه ، وبالكره لغيره والنفرة منه ، فهو يكره أن يعود إلى الكفر بعد الإسلام كما يكره أن يقذف في النار .

ومن شأن البشر أنهم إذا كرهوا الشيء كرهوا أهله والمنتمين اليه ، ودفعهم ذلك الكره إلى مد يد العدوان إلى ذلك الشيء المكروه وأهله ، فأوقعوا به وبهم أنواع الأذى والظلم ، وإذا لم يستطيعوا مد أيديهم لذلك بقيت صدورهم تتأجج بنيران الحقد والبغضاء، وصارت أفواههم فوهات لتلك البراكين تقذف بالحمم والنيران ، بالشتيمة والاستنقاص ، وما يؤجج تلك الضغائن والأحقاد .

هذا هو حال البشر إذا تركوا سجيتهم الحيوانية دون أن يبصروا بسنن الله في الخلق،وحكمته في أخلاقهم،وحكمه العادل بما لكل منهم من الحق في الحياة على ما اختار لنفسه من دين .

وهكذا مضت الأحقاب على البشرية ورؤساء كل ملة يذكون تلك

السجية الحيوانية في الإنسان ويوقعون بين أفراده وأممه بسبب ذلك الحقد الديني والتعصب على المخالف أنواعا من الشرور والبلايا والفتن تشيب من هولها الولدان،حتى جاء الإسلام ينشر راية التسامح التام،ويقلع جذور الحقد الديني من قلوب متبعيه،ويكفهم عن التعصب على المخالف لهم في الدين .

قرر الإسلام محبة الإسلام في قلوب المسلمين وكره ما سواه، ولكنه بين لهم أنه كره يحملهم على مجانبة عقائد غير الإسلام وأعماله التي أبطلها الإسلام،دون أن يحملوا حقدا على مخالفيهم أو يمسوهم بأذى من سب أو تحقير لهم أو لمعتقداتهم ، أو يكرهوهم على شيء من الدين .

لأجل أن يقتلع الإسلام جذور الحقد الديني والتعصب على المخالف من قلوب أتباعه ويزرع فيها التسامح ـ عرفهم أن اختلاف الأمم وتباينهم في نحلهم هو بمشيئة الله،وما كانت مشيئته إلا حكمة وصوابا،فقال تعالى : « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً » . « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً » . « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً » . « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ »،وعرفهم بوجه الحكمة في هذا الاختلاف وهي أن تباين أعمالهم بتباين مشاربهم ومداركهم مما هو ضروري لنمو العمران وتقدم الإنسان وظهور حقائق الأفراد والأمم بالابتلاء والاختبار فيما أوتيت من عقول وإرادات وقوى وأعمال . فقال تعالى : « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ »،ثم أقر المخالفين على ما ينتحلون ويعتبرونه دينا وسماه دينا وحكم بأن يترك لهم فقال : « لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ »،وأقر معابدهم وذكرها بما يقتضي وجوب احترامها بما يذكر فيها من اسم الله وقرنها بالمساجد تأكيدا لذلك الاحترام فقال : « وَلَوْلاَ دِفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ

يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا » وأقر كتبهم لهم وسماهم أهل الكتاب، وأقر ما يعملونه من دينهم وسماه عملا فقال : « لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ » وأقر أحكامهم فيما بينهم، ومنع من التعرض لهم إلا إذا جاءوا بطوعهم واختيارهم متحاكمين إلى الإسـلام فقال : « فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ » .

فأنت ترى كيف أبقى لهم الإسلام كل كيانهم الديني وجميع مقوماته، وأحاط دينهم بسياج من الاحترام بعد ما عرف المسلمين ان ما هم عليه من تلك الأديان هو من مقتضى مشيئة الله وحكمته وفي صالح البشرية والعمران، وأن الجزاء على ذلك إنما هو للـه وحده يوم يرجع إليه العباد فقال : « كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »، ثم أمر بعد ذلك كله بالعفو والصفح عنهم مع العلم بحقيقة قصدهم فقال : « وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

ببيان هذه الحقائق من سنن الله وحكمته ، وتقرير هذه الأحكام من شريعته ، ربى الإسلام المسلمين على التسامح، وكون نظرهـم لغيرهم من أهل الملل، فهم لا يرون في اختلاف تلك الملل إلا شيئا قد قضاه الله واقتضته حكمته لعمارة هذه الدار وتلك الـدار، وظهروا آثار عدله وفضله وإحسانه ورحمته ، فسلمت قلوبهـم من الحقد الديني الممقوت والتعصب المذموم، وجرت معاملتهم لهم في أيام قوة المسلمين وأيام ضعفهم على سنن التسامح والاحتـرام ، اللهم إلا وقائع نادرة جدا كانت أيام ضعف المسلمين وطغيان غيرهم عليهم، فانتقموا انتقام المظلوم المهان لا انتقام الحقود المتعصب . ولا يسعني من هذه المقالة أن أعدد أيادي المسلمين على غيرهم من

أهل الملل،فقد ملأ ذلك سجلات التاريخ مما كتبه غير المسلمين فضلا عما كتبه المسلمون . .

ومن مظاهر التسامح الإسلامي عند المسلمين وخلو قلوبهم من الحقد الديني الذى طهرها منه الإسلام بما حكم وبما علم ، أنك لا تجد في صحافتهم ومجلاتهم الفصول المريضة والمقالات الطويلة في البحث في النصرانية،ومقدار انتشارها،وأسباب انتشارها، ومقاومة انتشارها،وما تكون به تلك المقاومة،مثل ما تجد ذلك على أتمه وأبلغه ، وتارات على أفظعه ، في صحف الغرب ومجلاته . وفي العالم الإسلامى كثير من المجلات التي يصدرها رجال من أهل العلم الديني وفى مقدمتها « مجلة الأزهر » لا تجدها تعرض للبحث في النصرانية إلا إذا اضطرت للدفاع عن المطاعن التي يوجهها من حين إلى آخر أعداء الإسلام . أما الهيئات الدينية النصرانية فإن لكل هيئة منها مجلتها ، ويكاد لا يخلو عدد منها من الكلام على الإسلام ، وتصويره بالصورة المنفرة البغيضة المثيرة للأحقاد والحاملة على التعصب ، حتى أنهم قد يجعلون لأتباعهم دعوات تكرر في أوقات مخصوصة ضد الإسلام والمسلمين . ولأجل التحقق مما نقول ننشر فيما يلي نص صلاة من الصلوات اليومية .

عن الصدى الكنسي لقسنطينة وبونة

الأحد 9 فبراير 1936 م

الصلاة اليومية :

يا قلب يسوع الإلهى أتقدم إليك بقلب مريم الدامي ، بصلواتي وأعمالي وآلامي في هذا النهار ، وأقدم إليك صلواتي من أجل الغاية التي أنت ساع في سبيلها كل يوم على المذبح ، وأقدم إليك صلواتي بصفة أخص ، من أجل اتخاذ كل الكاثوليك ومن أجل محاربة الإسلام .

غاية التبشير ـ النضال ضد الإسلام :

L'ECHO DU DIOCESE DE CONSTANTINE ET D'HIPONE

6ᵉ Année N° 3 - Dimanche 9 Février 1936

OFFRANDE QUOTIDIENNE :

Divin cœur de Jésus, je vous offre, par le cœur immaculé de Marie, les prières, les œuvres et les souffrances de cette journée, en réparation de nos offences et à toutes les intensions (1) pour lesquelles vous vous immolez continuellement sur l'autel. Je vous les offre, en particulier, pour l'union entre les Catholiques et pour la lutte contre l'Islam.

Résolution apostolique ; Prier avec le Christ pour que nous soyons vraiment un.

Adhère à tout mouvement de prière et d'action qui tend à l'union. Intension (1) missionnaire. (LA LUTTE CONTRE L'ISLAM).

N.B. : (1) conforme à l'original.

فكيف تكون نظرات من يغذون هذه التغذية السامة ، نحـــو الإسلام ؟ وقد نعود إلى هذا الموضوع في الجزء الآتي إن شاء الله(1)

(1) ش : ج 2 ، م 12 ـ غرة صفر 1355 هـ ـ ماى 1936 م .

صلاة وصلاة

إن الإسلام الذي قرر التسامح مع أهل الملل أصلا من أصوله يجد فيما يتلوه المسلمون من آياته ودعواته وأذكاره ما يقوي تمسكهم بذلك الأصل ويرسخه فيهم . ونحن نذكر هنا على سبيل المثال دعاء القنوت الذى يدعو به قسم عظيم من المسلمين في صلاة الصبح وهو : « اللهم إنا نستعينُك ونستغفرُك ونؤمنُ بك ونتوكلُ عليك ونخنَع لك ونخلَع ، ونترُك من يكفرُك . اللهم إياك نعبُد ولك نصلي ونسجُد وإليك نسعى ونحفد ، نَرجُو رحمتَك ونخافُ عذابَك الجدَّ ، إن عذابَك بالكافرين مُلحَق » ويزيد قسم عظيم منهم قوله : « اللهمَّ اهدِنا فيمن هدَيت ، وعافِنا فيمَن عافَيت وتولَّنا فيمن توليت ، وبارِك لنا فيما أعطيت ، وقِنَا شرَّ ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يُقضَى عليك ، إنه لا يَذل من واليت ، ولا يَعزُّ من عاديت ، تباركْتَ رَبَّنا وتعاليت ، فلكَ الحمدُ على ما أعطيت ، نستغفرك ونتوب إليك » .

أرأيت هذا التوحيد للـه والاخبات والتعظيم لـه والاعتزاز والاعتماد عليه ؟ فلما تعرض الدعاء للكافرين لم يزد على تركهم في قوله : « ونترك من يكفرك » فالمسلم يتمسك بدينه ويترك غير أهل دينه ودينهم،وهذا من باب قوله تعالى : « لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ » ولما ذكر عذابهم في قوله : « إن عذابك بالكافرين ملحق » . جعله لله فهو الذي يعذب من كفر به من عباده فلم يرج رحمته

ولم يخف عذابه . وهذا من باب قوله تعالى : « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ » .

فالمسلم بهذه التغذية الشريفة الطيبة لا يكون إلا نقي القلب من الحقد الديني، واسع الصدر، عظيم التسامح . وإذا رأيت ما يدعو به المسلم ربه في صلاته وعلمت ما يتركه ذلك الدعاء في نفس المسلم وما يربيه عليه، فانظر إلى ما ينشره رجال الكنيسة بين أتباعهم من الصلوات اليومية، وما تشتمل عليه من إثارة للحقد الديني وتقوية له ودعوة صريحة إليه ، ففي الصلاة اليومية التي نقلناها في العدد الماضي عن (الصدى الكنسي لقسنطينة وبونة) يقول : « وأقدم إليك صلواتي بصفة أخص ، من أجل اتحاد كل الكاثوليك ومن أجل محاربة الإسلام » .

بهذا تغذي الكنيسة مؤمنيها وهم في وسط إسلامي لا تمكن سعادته وهناؤه إلا بتعاون سكانه فيه بروح التسامح والتواد ، وتملأ صدورهم بهذا التعصب المقوت ضد قوم مسالمين ومستضعفين . فلا يدري إلا الله كم أثمرت هذه التغذية الخبيثة من علقم كان وزر من جرعه ومن تجرعه على من بثوه في النفوس ومكنوه من القلوب .

حاشا الأصول الأولى لتلك الملة أن تأمر بهذا ، فقد عرفوا ما جاء في « متى » (5 : 44) « وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم » ولكن الرؤساء الذين يريدون المحافظة على مصالحهم ويرون أن محبة أتباعهم لهم تكون بقدر بغضهم للإسلام ، هم الذين يتحملون مسؤولية هذا ويبوءون بإثمه .

نكتب هذا ليطلع قراؤنا على حقائق واقعية تتصل بالحياة الاجتماعية بينهم وبين من يساكنونهم في وطنهم . وليعلم إخواننا

المسلمون عظيم نعمة الله عليهم بما شرعه لهم مـن أصل التسامح العظيم،فيزدادوا به تمسكا،فيعيشوا سالمي الصدور من داء الحقد الديني،والتعصب الممقوت،وليعرف الذين يبثون تلك السموم أن أعمالهم لا تخفى على غيرهم،فعسى أن يقلعوا عنها،ويرجعوا للعمل معنا على بث التسامح بين عباد اللـه . واللـه يهدي مـن يشاء إلى سواء السبيل (1) .

(1) الشهاب : ج 3 ، م 12 ـ ربيع الاول 1355 هـ ـ جوان 1936 م .

بعد مصر والعراق

علم قراؤنا مما كنا نشرناه في جزء سابق ما كان من النهضة الإصلاحية في مصر بصفة رسمية من حكومة مصر ومن جماعة كبار العلماء بالأزهر ، وقد تلت العراق مصر في هذه النهضة .

كان القائم بالإصلاح الإسلامي في بلاد الرافدين هو الجمعيات الإسلامية ، مثل جمعيات الشبان المسلمين،وجمعية الهداية الإسلامية، وقد جاهدت هذه الجمعيات ـ وما زالت ـ في سبيل الإصلاح جهادا كبيرا .

أما اليوم فإن الحكومة العراقية نفسها أخذت تعمل لذلك،فقد أوفدت الأستاذ بهجت الاثرى إلى مصر ليطلع على نظمها في الأوقاف الإسلامية وفي التعليم الديني،وقبيل سفره قابله الاستاذ يونس بحري « السائح العراقي الذي كان زار الجزائر وتشرفنا بمعرفته » وسأله باسم جريدة « البلاغ » أسئلة فأجابه عنها . وقد نشرناها ملخصة فيما يلي :

ـ ما هى المهمة التي ستسافرون من أجلها إلى مصر؟ فأجابه :

ـ إنى مسافر إلى مصر درة الإسلام ، في مهمة رسمية أرجو أن أوفق فيها،هي الإطلاع على شؤون الأوقاف العامة هناك،ودرس نظم التعليم في المعاهد الدينية على اختلاف درجاتها ومناهجها،والنظر في كيفية تطبيقها تطبيقا عمليا في العراق ، وكل ذلك تمهيدا لما تعتزمه الحكومة العراقية من إصلاح أوقافها ومدارسها الدينية ،

وإيجاد طبقة مستنيرة من العلماء تتولى إرشاد المسلمين وتهذيبهم من طريق العلم الصحيح .

ـ ما هي الغاية التي تقصدها حكومة العراق من وراء هذا الإصلاح ؟

ـ نحن نرمي إلى توحيد الثقافة الدينية العامة بين الأقطار العربية خاصة والإسلامية عامة ، والعمل على تغيير عقلية بعض المسلمين الذين صورت الأغراض لهم الإسلام الحنيف تصويرا عكسيا مخالفا لحقيقته،فابتعدوا عنه وأصبحوا عالة عليه . فلابد من مواصلتنا السعي لرفع مستوى هؤلاء المسلمين العقلي والروحي ، على النمط الذي يرتضيه روح الإسلام ، وبهذا يخلق الله الأمة خلقا جديدا يمكنها من استعادة مجدها بين الأمم (1) .

---

(1) ش : ج 3 م 12 ـ غرة ربيع الاول 1355 هـ ـ جوان 1936 م .

جــواب عــن كتـــاب

إلى الاخ الشيخ الطاهر الحركاتي رئيس شعبة باتنة ــ وعليكم السلام ورحمة الله .

وبعد فكلنا نعلم أن أهل باتنة كانوا وما زالوا من أنصار الجمعية والمؤيدين لها في خطتها الدينية العلمية ، وأن ما بينهم اليوم من خلاف إنما نشأ من أيـــام الانتخابات البلدية،ثـــم استمر إلى أيـــام المؤتمر ، وفي أثناء هذا ما رأيت من الشعبة ورئيسها وأهل باتنة وفي جانب الجمعية إلا خيرا،ولم يكن مني في جانبهم إلا الدعوة إلى الصلح أو المهادنة على الأقل،كان هذا مني مع كل من اجتمعت به من تلك الناحية،فلما ايست مــن أمر الصلح لازمت الحيـــاد وكاتبتكم بكتاب آخر آمركم فيه بالحياد التام،وهو الكتاب الوحيد الذي كاتبت به باتنة من هذه المدة كلها ــ وها هو نص الكتاب الذي أنشره ليطلع عليه الجميع،وليعلم منه موقف الجمعية في مثل ما بينته من خلاف .

نص الكتاب بعد الافتتاح

وبعد فلما كانت الجمعية واقفة في الخلاف الواقع بين أهل باتنة موقف الحياد، لا تؤيد أحدا ولا تعارض أحدا، حتى يتجلى الموقف على خير إن شاء الله ــ فيلزم إذا وقفتم في موقف عام أو خاص في شأن من شؤون باتنة الخلافية أن تعلنوا للناس انكم لا تتكلمون باســم الجمعية مثل ما نفعل نحن في المواقف الخارجة عن نطاق الجمعية .

إنني أؤكد عليكم بهذا،وأرجو أن يبلغني صداه .

عبد الحميد بن باديس

---

(1) البصائر : السنة الثانية العدد 74 ــ 30 ربيع الثاني 1356 هـ ــ 9 جوليت 1937 م .

إحياء ليلة المعراج النبوي الشريف

ليلة الثلاثاء 27 رجب الجاري

المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله وأسري بمحمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ إليه ، وكان معراج محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ إلى الملكوت الأعلى منــه ، وهــو اليــوم بين مسايل الدماء (...) (1) الأشلاء ، وأنقاض النسف والتخريب بالنار والحديد . وأن سكان أرضه مــن جميع الملــل والأجناس الذين عاشوا قرونا آمنين أصبحوا اليوم بسبب الاستعمار الانكليزي الغاشم والمذهب الصهيوني الطامع في عذاب أليم . وإن إخوانكم الذين يحفظون ذلك الحرم المقدس ، ويعمرون أرضه ويردون عنه العدوان ، قد رملت الآلاف من نسائهم ، ويتم مثلها من أبنائهم ، وضاع عجزتهم ومرضاهم ، فأكلتهم الفاقــة ، وأنهكتهم الأوصاب ، وأحاط بهــم البلاء من كل جانب .

وإننا نرى غيرنا يبذل الجهد في إغاثة المنكوبين من إخواننا بتلك الأرض المقدسة ، بــل نــرى أحزابا وجمعيات تجتهد في إغاثــة المنكوبين في جهات أخرى ، فلنبادر للقيام بالواجب علينا نحــو إخواننا في كل مناسبة تعرض لنا ، وإن من أعظم تلك المناسبات وأفضلها ليلة المعراج النبوي الكريم واليوم الذي يليها ، فلنذكر

---

(1) كلمة محيت من الاصل .

فيهما أولئك المنكوبين نذكرهم بالدعاء لرفـــع البـلاء والعطاء لتحصيل القوت والدواء .

وقد دعت جمعية العلماء في السنة الماضية المسلمين إلى هـذا الإحسان الإسلامى الإنسانى،فلبى المسلمون دعوتها،وهي اليـــوم تجدد لهم الدعوة بنص ما دعتهم به في السنة الماضية،راجية منهم الإجابة وسائلة لهم التوفيق . وهذا نص دعوتها الماضية :

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تقوم بواجبها الديني وشعورها الإنسانى :

1 ـ تدعو المسلمين عموما وأئمة المساجد خصوصا إلى إحياء ليلة المعراج بالتضرع والتوجه الى الله تعالى بالدعاء لبرفع البلاء عـن ذلك الحرم المقدس وساكني رحابه ، وأن يرفع عدوان الظالمين عن المظلومين ، وأن يرجع لتلك البلاد عهدها السابق الذى تمتع فيــه جميع السكان بالأمن والسلام .

2 ـ كما تدعو كل مسلم أن يذكر في تلك الليلة أولئك الأيتام والأرامل والمنكوبين فيخصص لإعانتهم ما استطاع مــن المـــال . (وأمين مال لجنة إغاثة منكوبي القدس الشريف المؤسسة بقسنطينة في عيد الأضحى السابق السيد كرمانى الحـاج حموش) مستعـد لقبول ما يرد عليه لبرسله إلى لجنة الإغاثة بمصر وينشره بالصحف .

3 ـ كمـا تدعو المسلمين أن يكونوا ليلتهم فى هدوء وخشوع مناسبين للدعاء والابتهال ، لا يرى ولا يسمع منهم جيرانهم مـــن اليهود والنصارى إلا ما أمر به الإسلام من العدل والإحسان،والله المستعان .

بيان ما ارسل للمنكوبين :

فرنكـات :

24200 اجتمعت من دعوة الجمعية ليلة المعراج من السنة الماضية وأرسلت بواسطة أمين لجنـة الجزائر العاصمة في ديصامبر 1938 وتحت يده وثيقتها .

21105 مـن جلـود الضحايا وأرسلت بواسطته في افريل 1939 وتحت يده وثيقتها .

24500 اجتمعت من جلود الضحايا وأرسلت بواسطة أمين لجنة قسنطينة في 19 ماى 1939 وتحت يده وثيقتها . (1)

---

(1) البصائر : س 4 ، ع 180 ـ 25 أوت 1939 .

القسم الرابع

التاريخ

الحياة ماض ، ومستقبل ، وحال ، وما أقل حظنا من الحياة لو حظنا منها هو الحال خاصة ، ذلك الجزء اليسير مـن الزمن ، الذى مـا يجىء حتى يذهب ، ولا يثبت حتى يزول .

ولكن حظنا مـن الحياة عظيم ، بالماضى المديد ، والمستقبل البعيد ، بالماضى إذا كانت لنـا ذكريات نشعر بها ، وبالمستقبل إذا كانت لنا آمـال نتـوق إلى تحقيقها ، وأنه لتتسع حيـاة الشخص الماضية بقدر ما تمتد ذكرياته في سوالف الأزمان،وتمتد، آماله في غابرها ، حتى يكون كأنه ـ وهو شخص واحد ـ قد عاش أعمار الأجيال والأمم من السابقين واللاحقين ، فالذكريات والآمـال هـي مقيـاس الأعمار (1) .

عبد الحميد بن باديس

(1) ش : ج 9 ، م 6 ـ جمـادى الاولى 1349 هـ ـ أكتوبـر 1930 م .

شهـــداء فلسطـين الـدامية

ما كان يوم ٢١ المحرم يوم موت ، إنما كان يـوم حياة وخلود ؛ وما كان يوم حزن وكدر ؛ إنما كان يوم الفاتحة الرهيبة ، فاتحة النضال العنيف،فاتحة الاستشهاد والتضحية والتحرير .

كانت فلسطين مجاهدة ؛ إلا أنها لـم تقـدم فى جهادها ضحايا وشهداء ؛ وكل جهـــاد خلا عن الضحايا وعن الشهداء يعد جهادا عقيما . فكان يوم ٢١ المحرم تتويج الجهاد الوطنى الفلسطينى بتاج التضحية والاستشهاد،وأصبح لعـرب فلسطين ــ وكلهم فى الحقيقة ضحية مستشهد ــ ضحايا وشهداء . تصاممت انكلترا عـن سماع تلك التوسلات التى ارتفعت نحوها من سائر أصقاع العالم الإسلامى والعربى ؛ وأبت إلا الإصرار على عنادها وكبريائها ، فنفذت حكم الإعدام فى ثلاثة من فتيان العرب الأمجاد ؛ وهم الشهداء :

فؤاد حجازى ــ عطا الزير ــ محمد جمجوم . أعدمتهم المشاركة فى حركات الدفاع ضد تهجمات الصهيونيين .

ماتوا رحمهم الله ، وفى موتهم حياة لفلسطين وللعالم العربى .

ماتوا رحمهم اللـــه ، فخلدوا ذكرى الجهاد والتضحية ، وأناروا بموتهم فى وجه الشعب الفلسطينى سبل الحياة ، ومسالك النجاة .

وكانوا يوم إعدامهم فى قلعة عكا ، يوما لم تر بلاد العرب أشد منه رهبة،وأكثر منه سوادا .

وكان الجلادون كلما وضعوا حبل المشنقة في رقبة شهيد من الشهداء ، ترتفع أصوات المؤذنين من المنارات ، وترتفع أصوات الأجراس من الكنائس ؛ إشعارا بأن تلك الروح الزكية قد فاضت إلى خالقها تطلب عدله وانتقامه .

وقد قال ضابط الجند الانكليزى الذى باشر تلك المهمة السوداء : لم أر في حياتى أشد ثباتا وأكثر قوة نفسية من هؤلاء الشبان الثلاثة.

ولقد قابل الناس جموعا هؤلاء الشهداء ، لما استقر رأي السلطة على إزهاق أرواحهم ، فكانوا وهم يرتدون لباس الموت الأحمر يقتبلون الزائرين بثغور باسمة،وجبين وضاء ، ولا يتلقون عبارات التشجيع من الزائرين ، إنما كانوا يزودون زائريهم بكلمات الوطنية التي كانت تخرج من أفواههم نارا حامية تكوي القلوب فتترك عليها طابعا أبديا لا يظل ولا يشقى .

ولقد دوّن أحد الفضلاء كلمات أولئك الشهداء :

فمما قاله الشهيد محمد جمجوم :

« نحمد الله على أننا نحن لا أهمية لنا نذهب فداء الأمة ؛ لا اولئك الرجال الذين يستفيد الوطن من جهودهم وخدماتهم ، وإذا كان إعدامنا نحن الثلاثة يزعزع شيئا من كابوس الانكليز عن الأمة،فليحل الإعدام في عشرات الألوف منا،لكي يزول هذا الكابوس عنا تماما ».

وطلب جمجوم والزير حناء لكي يخضبا أيديهما ، كما يفعل الناس هنالك ليلة الزفاف .

ومما قاله فؤاد حجازى ، وهو شاب متعلم ، دون العشرين من عمره : « يجب أن لا تكون شغلكم الشاغل ، نحن لسنا بحاجة للتشجيع والتطمين ، وكل ما نحن بحاجة إليه أن نسمع قبل أن

يفرق الموت بيننا وبين الحياة،وقبل أن نعلق على أعواد المشنقة ، أنكم أمـة تستحق الحياة » .

وقال لأخيه الصغير بعد أن أوصاه بوالدته خيرا : « إياك إياك أن تغتفر للباغي ذلته ، وأن تنسى قرة عينك شقيقك فؤاد ، الذى يموت على مرأى منك . وكل ما استطيع أن أوصيك به هـو أن تصيح بأعلى صوتك قائلا للأجيال : إن أخى مات ظلما » .

وكان يوم دفن الشهداء يوما تجلت فيه حيـاة الأمة بأجـلى مظاهرها ؛ وأرغم الشعب الحكومة على تسليم الجثث الخالدة إليـه فسلمتها مكرهة ، ومشت في مأتمهـم الأمة كلها ؛ وتبعهـم إلى مرقدهم الأخير هلالها وصليبها .

لم تدفن فى تلك القبور الثلاثة جثث الأبطال الشهداء الخالدين، كلا ، لقد دفن أولئك فى القلوب العربية الدامية ، إنما الذى دفن فى تلك القبور أبديا هو سياسة حسن الظن فى الانكليز ، واعتماد الضعيف على القوي لإحراز حقه ، سياسة التكفف والاستجـداء والابتذال ، فلن يكون بينهما فى مستقبل الأيام إلا الموت الزؤام.

« وَلَا تَحْسِبَنَّ الذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيـلِ اللّٰهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ أَحْيَـاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ » (1) .

(1) ش : ج 7 ، م 6 ـ غرة ربيع الاول 1394 هـ ـ أوت 1930 م .

فاجعة قسنطينة

كتبنا في الجزء الماضي كلمة مختصرة جامعة في هذه الفاجعة وأردنا الاكتفاء بها . لكن كثيرا من قراء الشهاب بقسنطينة وغيرها طلبوا منا أن نكتب الحقائق التي نعلمها بالصدق والصراحة التي تعودوها من مجلتهم،فرأينا الصواب فيما طلبوا،فعدنا للكتابة في هذا الجزء،معتمدين في تصوير الواقع على ما شاهدناه بأنفسنا، وما شاهده من يكون محل ثقة عندنا .

ابتداء الاعتداء
ليلة السبت

بينما كان الناس في ميضأة الجامع الاخضر إثر صلاة العشاء ليلة السبت ـ وعددهم نحو الاثنى عشر ـ إذا باليهودي الياهو خليفي يفاجئهم مطلا عليهم من نافذة الميضأة،مدعيا عليهم كشف العورة عند الوضوء ، ومبادرا لهم بقوله : « نعل دينكم وصلاتكم وجامعكم والكبرا انتاعكم » فأجابه بعض الحاضرين :

« نحن لا نكشف عورتنا عند الوضوء وديننا ينهانا عن كشف العورة دائما،ولا نلومك لأنك سكران » فأجاب : « لا،راني بعقلي وراني عسكرى ، نعل النبي نتاعكم » .

خرج الناس في غاية الاستياء ، فأشار عليهم قيم المسجد ـ لأجل تهدئتهم ـ بتقديم شكاية للكوميسارية ـ وهي برحبة الصوف أمامهم ـ فامتثلوا وذهب شرطيان : الزواوى وابن عريوة . ودقا

عليه الباب، وأعلماه بأنهما من أعوان الشرطة، وأن عليه أن يجيب الكوميسارية ، وأنه لا خوف عليه من شيء ، فأبى أن يجيبهم بكلمة. ومرت فرقة الجند المتجولة فأعلمها الشرطيان بالواقعة،وطلبا منها إخراج الجاني،فأبى من الامتثال لها ، كما أبى من الامتثال للشرطة. ففرق الشرطيان الناس وقالا لهم : هذا شغلنا ، فتفرقوا ، ولم يبق إلا القدر المعتاد في رحبة الصوف وذهبا .

بعد ذهابهما،وقف اليهودي وزوجته في نافذة محلهما،وأخذا في السب مثل السب الأول،فأرسل الناس القيم إلى المفتي ليقوم بكف عادية هذا المعتدي بواسطة الحكومة ، وانتظر الناس المفتي على أحر من الجمر ، وهم يسمعون في السب من المعتدي .

رجع الشرطيان فوجدا الناس متجمهرين ، فلما سألاهم لماذا رجعتم،قالوا لهما إنه عاد إلى السب كما تسمعون ، وكان هو وزوجته إذ ذاك مازالا في النافذة على حالهما ، وكان غيرهما قد شاركهما في السب . وسمع الشرطيان بعض الناس يقول : نهجم على داره ، فذهبا ووقفا عند بابها يحرسانها .

في هذه الساعة ابتدأ اليهود المجاورون برمي الكوانين والبيادين ، فأجابهم المسلمون برمي الحجارة ، فشرع اليهود في الرمي بالرصاص .

أثناء هذا جاء المفتي ـ بعد ما أرسل الناس إليه مرة ثانية من أتوا به أو وجدوه آتيا ، فوقف يهدىء الناس،باذلا غاية جهده في ذلك،فلم ينفع شيئا ، وقال له بعض الناس:من برودتكم لحقتنا هذه الإهانات كلها حتى وصلنا لهذه الحالة .

إثر هذا جاء الدكتور جلول (1) وقد كان خارج البلد في معالجة بعض مرضاه ، فوقف يهدىء الناس والرصاص ما يزال ينصب من

(1) هو الدكتور محمد الصالح بن جلول رحمه الله .

نوافذ اليهود . واستطاع بعد الجهد الجهيد أن يسكن الناس ويفرقهم، وانتهت المصيبة نحو الساعة الثالثة .

استنتاجات من حوادث هذه الليلة

رغم ما سمعه المسلمون من سب اليَاهُو الأول لدينهم وصلاتهم وجامعهم وكبرائهم،لم يهتاجوا،وأجابوه بكل تعقل،وعذروه بأنه سكران ، وهذا دليل قطعي على تسامحهم،وعدم حملهم لحقد ديني على اليهودي،وعدم استعدادهم لفرصة الانتقام .

أما هو فإنه نفي عن نفسه السكر،واعتز بأنه عسكري،وأعاد السب بأقبح من الأول . وهذا دليل على أنه كان شاعرا بما يقول ويفعل ، وعلى اغتراره بالحرمة العسكرية ، وعلى قصده إلى المبالغة في الإذاية . والاغترار بالحرمة،والقصد إلى المبالغة في الإذاية،هما الأمران المشاهدان من عامة اليهود دائما في معاملتهم للمسلمين .

امتثل الناس لقيم المسجد وقدموا شكايتهم للكوميسارية ، وهذا دليل على أنهم لم يكونوا يريدون أن ينتقموا لأنفسهم ، وإنما يريدون أن يتوصلوا لحقهم على يد العدالة .

امتنع اليَاهُو المعتدي من إجابة الشرطة،ومن إجابة فرقة الجند المتجولة،وهذا دليل على تمرده حتى على رجال الحكومة المدنية والعسكرية ، وما تجرأ على هذا إلا لعلمه بأن نازلته مع المسلمين ، وقد تعود هو وأمثاله أن نوازل تعديهم على المسلمين في الغالب (تكلاصا) : تطرح وتهمل .

لما فرق الشرطيان الناس تفرقوا،وهذا دليل آخر على انقياد الناس لأوامر دائرة حفظ الأمن،واعتمادهم عليها . ودليل آخر على أنهم لم يكونوا يفكرون أن يجعلوا ما وقع من المعتدي سببا للانتقام.

بعد عود اليهودي للسب هو وزوجته من نافذة دارهما لم يفعل المسلمون شيئا غير إرسالهم للمفتي ، وهذا دليل آخر على ضبطهم لعواطفهم،وعدم قصدهم للانتقام،وتصميمهم على انتظار الإنصاف من طرف الحكومة ودائرة الأمن العام .

شارك المعتدى غيره من يهود الحومة في السب بدل أن يكفوه عنه ، وهذا دليل على الروح المتفشية في عوام طائفته من الاستهانة بالمسلمين،والتمالؤ على إذايتهم،وعدم احترام الحكومة في ناحيتهم .

وقف الشرطيان المسلمان عند باب اليهودى يحرسان داره ، وهذا دليل على ما يتحلى به المسلم من احترام واجبه وقيامه به ، وعلى شدة محافظة أعوان الشرطة المسلمين على الأمن والنظام .

رغم ما رأى المسلمون وما سمعوا فقد استمروا ماسكين لأيديهم حتى ابتدأهم اليهود برمي البيادن والكوانين ، وهذا دليل واضح على تحمل اليهود لمسؤولية الشر بالقول والفعل .

استطاع الدكتور جلول بعدما بذل جهد الأبطال أن يسكن ثائرة الناس ، وهذا أول مواقفه العظيمة في إطفاء هذه الفتنة ، وهو دليل على مكانته عند الأمة،وعلى حسن استعماله لهذه المكانة في الخير .

صبيحة السبت 4 أوت

جئت إلى ادارة الشهاب الساعة الثامنة فعلمت بالواقعة،وأعلمت باستدعاءى من طرف مدير الشرطة م. فيزرو مثلما استدعى غيرى .

اجتمعنا عنده فكان مما قال لنا : إنني دعوتكم لتعينوني على تنزيل العافية ، فابتدأته أنا فقلت له : ـ وترجم عني السيد يحيى

أحمد ـ إن فطرتنا الإسلامية وعقائدنا الدينية واحترامنا لرجال الحكومة كل هذه تحملنا على معاونتكم فيما ذكرتم ، ولكن ـ بمزيد الأسف ـ أن الدين الذى نهذب به الناس ونربيهم وننزل في قلوبهم الرحمة قد وصلت الإهانة والتعدى إليه ، ومع ذلك فإننا سنبذل غاية المجهود . ورأى الجماعة أن يقابلوا القائم مقام البريفى،فطلب لهم الكوميسار مقابلته،وذهبنا كلنا إلى دار العمالة .

خرج علينا م. لنديل القائم مقام البريفى فألقى خطابا طويلا ترجمه السيد عمر بن الموفق ، كله تأسف على ما وقع،وتوصية بلزوم العافية فيه،وتهوين لما كان من اليهودى السكران ، ووعد بأن العدالة ستقتص منه. وبعد ما فرغ من خطابه سأل هل من يريد الكلام فابتدأته أنا فكان مما قلت ، إن هذا الاعتداء ليس هو الاعتداء الأول ، وأننا معشر المسلمين نحب السلم بطبعنا،وقد بات مفتينا ونائبنا يهدئان الناس ، وأن المسلمين لا يستطيعون الصبر دائما على التعدى على أمر دينهم ، وأننا نستطيع أن نمسك بغضب المسلمين،إلا إذا أهينوا فى دينهم ، فإن الأمر حينئذ يصعب علينا ، وأن اليهودى المعتدى على الجامع إذا كان هو سكران فإن زوجته وجيرانه الذين شاركوه في السب وابتدأوا بالضرب ليسوا بسكارى، وبينت له أن الشيء الذى جرأ اليهود على هذه التعديات المتكررة هو ما يحملونه من السلاح ، مع علمهم بأن المسلمين لا سلاح لهم ، وأنهم ما داموا يحملون السلاح ويطلقون الرصاص لأدنى شيء فإن الشر لا ينتهى ، وطلبت منه لذلك نزع السلاح منهم ، فاعتذر بأن هذا لا يمكنه معهم لأنهم سِيطْوَيَان ، وطلبت منه أن يقوم بتوصيتهم والتأكيد عليهم فى كف عامتهم عن الشر ، فأجاب بأنه يفعل ذلك أو قد فعله .

ثم استدعى جماعتهم فيهم أعيانهم ونوابهم وحبرهم،وخطب على الجميع بلزوم التسامح والنسيان لما مضى ، فابتدأته أنا بالكلام،فمما

قلت له : إن المسامحة الحقيقية لا تكون إلا بعد العتاب الودى المبنى على الحقائق الواقعة، وتوجهت لمخاطبة الجماعة الإسرائليين فذكرتهم باعتداءاتهم المتكررة التى من أقربها اعتداء أولادهم على ولـد ابن البجاوى، من تلامذة الليسى، حتى كسروا ساقـه ، وقبيلها اعتداؤهم علي، وعلى مدير مجلة الشهاب السيد أحمد بوشمـال، وذكرتهم بمسامحتنا وسترنا للواقعة حتى لا يقع بسببها شر . كل ذلك لما نحن مصممون عليه من منع كل فتنة بين السكان ، وذكرت لهم أنهم غير ما مرة اجتمعوا مع جماعة المسلمين أمام رجال دار البريفى، وفى كل مرة تعدون بكف سفهائكم، ولكن الاعتداء يتجدد، فهذا إما لأن عامتكم لا تحترمكم ولا تنقاد إليكم ، وإما لأنكم أنتم لم تصدقوا فى تهدئتهم وكفهم عن الشر، أو إذا كانت عامتكـم لا تنقاد إليكم والحكومة لا تنزع منها السلاح ، فمن الذى يكفهـا ويرد عنا شرها ؟

انتهى المجلس باعتذارهم عما وقع ووعدهم ـ كالعادة ـ بكف سفهائهم ، وتصافح الجميع ، وتصافت الخواطر ، وخرج المجتمعون كلهم متواعدين على العمل على تنزيل العافية وتوطيد الأمن .

مسـاء السبـت

اجتمعت بالدكتور جلـول فاتفقنا عـلى أن نخطب فى النـاس لتهدئتهم ، ورأينا وجوب المبادرة بذلك قبل دخول الليل ، وكان هذا فى آخر النهار نحو الخامسة ونصف ، فأمرنا مـن نادى فى الناس بالاجتماع فى الجامع الكبير على الساعة السابعة ، فما جاءت الساعة السابعة حتى امتلأ الجامع الكبير بالناس من جميع طبقاتهم، رغم ضيق ما بين وقت المناداة ووقت الاجتماع ، وكان الناس فى تهيج شديد وتأثر بالـغ ، فقد ضرب اليهود بعض أفـراد فى ذلك المساء . وقبل أن أصعد على كرسى الخطابة نادى جماعة بأن اليهود

ما زالوا يحملون السلاح لقتلنا ، وقد ضربوا وجرحوا فى هـذا المســاء منــا ، فبادرت بالصعود عــلى الكرسى وافتتحت الخطــاب واستطعت ــ بإذن اللــه ــ التغلب عــلى تلك العواطف الثائرة ، وأظهروا الطاعة والقبول ، فنزلت عــن الكرسى،وصعد الدكتور جلــول فــألقى خطابا مؤثــرا،فازداد النــاس قبــولا ، وخرج ذلك الجمع الذى يقدر بالآلاف هادئا مهدئا بعد ما كان متأثــرا هائجا ، ووقفنا فى الطريق العام نفرق الجموع ، ونطلب منهم أن يذهــب كــل واحد إلى محله ، وأن يعلم غيره بما دعوناهم إليه مــن لزوم الهدوء ، وما تفرق الناس حتى أقسمت لهــم أننى لا أذهب حتى يذهبوا . وكنا عند الخروج من الجامع قد جاءنا خبر صحيح بجرح ولد صغير مكفول لأحد الناس ، فاستطعنا ــ بإذن الله ــ أن نقفــــ الخبر عن الانتشار،وأن نهدىء من بلغه الخبر وكافل ذلك الصغير .

تفرق الناس وخلت منهم الطرقات ، ونزل الهدوء التام ، وباتت البلدة فى أمــن وأمــان ، وسهرت أنــا والدكتور جلــول وبعض النواب الى منتصف الليــل نتجــول فى بعض الشوارع فشاهدنــا بأنفسنا هدوءا شاملا للبلدة كلها .

استنتاجات من حوادث يوم السبت وليلة الأحد

فى قول من قال قبل الشروع فى الخطبة : « إن اليهود ما زالوا يحملون السلاح لقتلنا،وقد ضربوا وجرحوا فى هذا المساء منا » دليل على ما كان لبقاء السلاح عند اليهود من الأثر السىء فى إدخال الروع فى القلوب مما يقوى فى النفس غريزة الدفاع عن الحياة ، وعلى ما كان من عود اليهود إلى الضرب الذى فرغ ما عند المسلمين من الصبر عليه .

وفى هدوء المسلمين بعد ما سمعوا منى ومن الدكتور جلول دليل على انقيادهم لمن يكون محل ثقتهم ، وتمسكهم بأسباب العافية حتى فى أحرج الأوقات . وكانت ليلة الأحد بتمامها أصدق دليل وأقواه على ذلك .

يوم الأحد 5 أوت

أصبح الناس يوم الأحد على أحسن حال،لا فرق بينه وبين سائر الأيام،وأصبحت المعاملات التجارية بين المسلمين واليهود فى سوق الخضر وغيره كعادتها .

مررت نحو الثامنة ونصف أمام دار المير نازلا إلى باب الوادى فالتقيت بسى سليم البوليس السري فسألنى هل عندكم اجتماع هذه الصبيحة فى الصنوبر؟فأجبته بالنفي ، وذكرت له أن الاجتماع الذى أردناه قد وقع أمس عشية بالجامع الكبير،ليكون أعون لنا على ضبط الناس ، وقد حصل مقصودنا من تهدئة الناس باجتماع أمس، فلماذا نعقد اجتماعا آخر ؟ وكيف يكون فى الصنوبر ؟

وصلت إلى ادارة الشهاب نحو الساعة التاسعة،فجاء من أخبرنى أن بعض الناس اجتمعوا فى الصنوبر، وقيل لى إن هؤلاء لما سمعوا بالاجتماع ولم يعلموا بوقوعه أمس ظنوا أنه يقع اليوم ، وبعد نحو ربع ساعة جاء من أعلمنى بأنهم افترقوا .

نحو الساعة العاشرة ذهبت إلى جمعية التربية والتعليم لألقى محاضرتى على أعضائها ، فما كدنا نشرع فى المحاضرة حتى جاءنا من أخبرنا أن اليهود أطلقوا الرصاص فى جهة رحبة الصوف ، وأن الفتنة قد وقعت ، وأخذنا إثر ذلك نسمع فى طلق الرصاص المرات الكثيرة ، فمكثنا كلنا بالجمعية إلى الساعة الثانية عشر، فسرحت التلامذة مثنى وثلاث،وأمرتهم بأن لا يصعدوا إلى رحبة

الصوف،التي كنا نحسب إذ ذاك أن الفتنة قاصرة عليها . ونحو الساعة الواحدة بعد الزوال صعدت إلى دارنا بنهج القصبة محروسا بفرقة من الجند .

كيف ابتدئت الفتنة وكيف انتهت

من الشائع المتواتر الذى عرفته حتى الجرائد الباريسية فنشرته جريدة «لاكسيون فرانسيس» أن الفتنة ابتدأت بسبب طلق أبناء الزاوى اليهود الحاملين للسلاح .

حضر الدكتور جلول لرحبة الصوف والفتنة على أشدها، فدخل المعمعة يهدىء الناس من ناحية،ويضمد الجراح من ناحية أخرى،وكانت حالة الناس ــ وهم يسمعون دوي الرصاص ويشاهدون الجرحى يتساقطون منهم ــ أعظم من أن تهدأ . ومع ذلك فقد استطاع الدكتور جلول أن يرد الناس عن الهجوم على الشارع،حومة اليهود،ولولاه لكان ذلك الجمع مصبحا اليهود فى شارعهم شر صباح .

انتشر الخبر فى البلد،وماجت الأنهج بالناس،وكثر ضرب اليهود الرصاص من النوافذ،فانكب الناس على دكاكين اليهود التى كانت مقفلة يوم الأحد يكسرون أبوابها،ويمزقون ما فيها من قماش، ويهشمون ما فيها من أثاث،ويمزقون الأوراق المالية،وأطلقوا النار فى بعضها،وقتلوا نيفا وعشرين نفسا،وفرغوا من عملهم نحو الساعة الثانية .

استنتاج وتعليل

فتح أسواق الخضر الإسلامية كعادتها وتعاطى المسلمين البيع والشراء مع اليهود واليهوديات دليل قاطع على أن المسلمين كانوا

قد اطمأنوا وأمنوا،وعلى أنهم ما كانوا عازمين على شيء من الشر لليهــــود .

ابتداء أبناء الصائفي بضرب الرصاص،ورؤية المسلمين السلاح بيد اليهود والرصاص يتهاطل من نوافذهم وهم لا سلاح لهم، بعث فيهم الرعب والحنق،فاندفعوا ذلك الاندفاع القوي السريع المحطم.

غريزة الدفاع عن النفس فطرية فى الإنسان بل فى جميــع الحيوان،فإذا أحس بالخطر فإنه يعمل أعمالا عـــن غير وعـــي لا يستطيع أن يعملها لولا ما أحس بــه من الخطر،وما تحرك فيه مــن غريزة الدفاع عن النفس،فقد يجرى الإنسان فارا أمام حيوان يريد افتراسه بمقدار من السرعة لا يستطيعه أبــدا فى غير تلك الحال. فالإنسان الأعزل الذى لا سلاح معه عندما يــرى خصمه مسلحــا ويشاهد الرصاص منطلقا من سلاحه يحس بخطر محقق داهــــم ، فتتحرك فيه غريزة الدفاع عن النفس،فينبعث عن غير وعي فينقض على خصمه انقضاض المستميت،فربما قضى عليه رغم سلاحه .

هذا فى الفرد فى الناس.أما فى الجموع منهم فإن المسألة تكون أروع،لأن الجماعة لا تعمل بفكر،وإنما تعمل عن عاطفة،فإذا خافت على أنفسها واندفعت بغريزة الدفاع عنها فإنها تأتى فى تلك الحالة بما لا تتصوره العقول .

بهذا التقرير العلمى النفسى نعلل ما كان مــن الجماعة المسلمة العزلاء من السلاح أمام اليهود المسلحين فى اندفاعها وما أتت بــه من أعمال مروعة .

ولعلمنا بهذه الحقيقة العلمية النفسية كنا حريصين أمام القائم مقام البريفى عــلى نــزع السلاح مــن اليهود،وقد أمرت السلطة أعوانها بنزع السلاح من المارة فى الأزقة،ولكن بعد فوات الوقت، فالذين قاموا بتلك الأعمال من المسلمين لم يكونوا مندفعين إليهــا

بحقد على اليهود ولا بعامل ديني ولا ببغض جنسي،وانما كانوا مندفعين بغريزة الدفاع عن النفس أمام الخطر المسلح .

نعم،كان المسلمون يسمعون دائما سب دينهم ونبيهم من اليهود وخصوصا من النساء،وكانوا يلقون منهم سوء معاملة،خصوصا من النساء في سوق الخضر،وكانوا يشعرون بتسلطهم في دوائر الحكومة وعلى رجال بارزين من الساسة الفرنسيس،ويعلمون تغلبهم في الوظائف حتى على الفرنسيس أنفسهم،وحسبك أن موزعي البريد ببلدة قسنطينة منهم ثلاثون ونيف،ومن الفرنسيس خمسة،ومن المسلمين واحد.ولكن هذا كله ما كان ليبعثهم على ما انبعثوا إليه لو لم تتحرك فيهم غريزة الدفاع عن النفس أمام الخطر المسلح . بل كان ذلك كله مما أسكن في قلوبهم الخوف والاستسلام للواقع .

قتل من اليهود نيف وعشرون،كان منهم خمس نسوة،وستة من الصبيان،وكان المعتدون لما يشتد الرمي بالرصاص من النوافذ ومن أيدى بعض النساء في بعض الجهات يصعدون للمنازل فيبطشون بمن فيها عن غير تمييز . وكان قتل النساء والصبيان دليلا على أن المعتدين لم يكن اندفاعهم عن عقيدة الإسلام الذى هو معلوم مشهور عند أهله أنه يحرم قتل النساء والصبيان حتى في الحرب المشروعة، وعلى أن تلك الفظاعة هي من آثار الجهل،وتلك الحالة النفسية الخاصة الطارئة،لا من آثار الإسلام .

المصائب على الجانبين

إذا كانت دكاكين اليهود قد أصيبت بما أصيبت،فإن دكاكين المسلمين التي في حومة اليهود قد أصيبت كذلك،وإذا كانت خسائرها قليلة فذلك لأنها قليلة،ولأنها ضعيفة كأصحابها الضعفاء،بخلاف

دكاكين اليهود فقد كانت خسائرها كثيرة لأنها هي كثيرة،ولأنها قوية كأصحابها الأقوياء .

وإذا كان القتلى من اليهود نيفا وعشرين ومن المسلمين اثنين فالفضل لمسدسات اليهود التي خانتهم عند الضرب،فالمطر الوابل من الرصاص الذي نزل من مسدساتهم ما قصدوا به إلا القتل وإزهاق الأرواح،بلا فرق بين من في الأنهج من رجال ونساء وشيوخ وصبيان وجنود،وقد جرحوا بالفعل نحو الأربع من الصبيان،وجرحوا جنديين أو ثلاثة،فلو صحت من اليهود في الرمي زنودهم ، كما صحت في القتل قصودهم ـ لكان القتلى من المسلمين كبارا وصغارا ـ يعدون بالمئات ، وليس من قصد القتل وارتكب سببه ولم يتم له ما قصد لمانع ـ دون من قتل بالفعل في الجرم .

أما عدد الجرحى فقد تساوى أو تقارب من المسلمين ومنهم ، فكان من الجانبين نيفا وعشرين وكان كثير من جرحى المسلمين بسلاح الجند،مما يدل على أن الجنود وإن لم يطلقوا الرصاص لعدم الإذن لهم بذلك،فقد دفعوا الناس بالسلاح الأبيض .

ليلة الاثنين ويومها

أعلنت حالة الحصار ومنع المرور بالأنهج إلا بورقة المرور .

وفي مساء الاثنين رغبت مني دار البريفي،بواسطة إنسان له مقام عندي،أن أذهب إلى عين البيضاء لتهدئة الناس.ولما كان هذا من أعمال الخير التي وقفت لها نفسي أجبت الطلب،وصحبني السيد عمر ابن الموفق ليباشر هو الناحية الإدارية ورجالها،وأباشر أنا ناحية الأمة . ولما وصلنا إلى عين البيضاء في منتصف الليل بقيت في السيارة ونزل السيد عمر إلى دار المير،وبعد نحو ساعة رجع إلي

يقول:إن بعض النواب يرون أنهم قد قامـوا بتهدئة الناس،وأن دخول غيرهم ربما يشعر بتقصيرهم في واجبهم،فقفلنا راجعين .

وقد علمنا بعد ذلك من حوادث عين البيضاء أن شرطيا يهوديا أطلق الرصاص على ولد صغير مسلم أرسله أبوه لشراء الغاز، وهذا الولد جيء بـه إلى مستشفى قسنطينة وتوفي بـه . وأن النائب العمالي بن بومالي قـدم استعفاءه للبريفي احتجاجا عـلى تكليف غيره بتهدئة الناس .

في ليلة الاثنين جدد اليهود اعتداءهم ، وعلى بيوت الله

يقع مسجد سيدي الكتاني في رحبة سوق العصر في وسـط حومة اليهود،ففي ليلة الاثنين هاجمه اليهود فكسروا أربعـة أو خمسة من نوافذه،وهشموا التخاريب التي على أحد أبوابه،وقـد حققت ذلك إدارة الأمن،وأثبتت فيه تقريرا رسميا .

استنتاجـات وملاحظـات

أجبنا رغبة الحكومة لما دعتنا إلى فعل الخير،ومددنا يدنا للتعاون معها على ذلك . فهل علمت من ذلك أننا دعاة خير وسعاة إحسـان. وهل هي بعد ذلك تستطيع أن تخلي بيننا وبين ما نقوم به مما هو أصل كل خير،ألا وهو نشر العلم والدين ؟

أما النواب الذين زعموا ذلك الزعم،فأحسب أن الأنانية حالت بينهم وبين فهم معنى التعاون،وإلا فإن القائم بواجبه مهمـا كان مقدار قيامه فإنه لا يأنف من إعانته فيه،محبة في تحقيق ذلـك الواجب على أكمل وجوهه،لكن هذا إذا كان قيامه بالواجب لأجل الواجب نفسه ، لا لشائبة من حظه وغرضه .

وأما النائب الذى قدم استعفاءه وتحمس هذا التحمس فإننا كنا نود أن لو كان عنده هذا الحماس وهذه الغيرة والحمية فى مواطن أخرى،كان فيها حضرته باردا ومبردا،ولا حاجة لنا إلى تعريفه بهذه المواطن،فالناس كلهم على علم بها،وعلى ذكر منها . ونحن وإن كنـا نرى حماسته هذه فى غير محلها،فإننا نتفاءل لحضرته بها خيرا،ونرجو أن تدوم له فى مواقفه القادمة فى حياته العامة إن قدر لـه العود إليهـا .

قتل اليهودى الشرطى ولدا صغيرا رميا بالرصاص !! وهـل نحتاج بعد هذا إلى دليل على روح النداء والتعدى ؟ ومـن الثابت أيضا أن بعض الشرطة اليهـود بقسنطينة أطلقوا الرصاص وأن شرطى (1) اسمه علوش سكر وقال سأضرب وأفعل وأفعل، فعزل من الشرطة لثبوت ذلك عليـه . فاذكر هنا ما تقدم عن ليلـة السبت بقسنطينة وكيف وقف الشرطيان المسلمان أمام دار اليهودى الياهو أصل الشر والبلاء يحرسانها،وقس بـين الروح والروح والتربية والتربية .

صبيحة الثلاثـاء

استدعى الوالى العام وفدا من المسلمين وألقى عليهم خطابا دل على وقوفه موقف الحاكم العادل الذى يريد أن يعرف الحقيقة لذاتها، وأذن للجماعة بالكـلام،فقدموا الدكتور جلـول،فـألقى خطابـا جامعا صور فيه الواقعة تصويرا فوتوغرافيا،نظن أنه أبلغ وأصدق ما سمعه الوالى العام على صورة الحالة . سـأل الوالى الدكتور عـن سبب اجتماع الناس فى الصنوبر صبيحة الأحد،فأجابـه الدكتور بـأن الذين اجتمعوا بالصنوبر هـم الذين سـعوا مسـاء السبت بالاجتماع على الساعة السابعة فحسرها صباحا،وأوقعهم فى هذا

(1) كذا فى الاصل والصواب : شرطيا .

الغلط. ضيق ما بين وقت الإعلام بالاجتماع الذى وقع بالجامع الكبير ووقوعه . ثم قدموا الأستاذ مختار بن الحاج سعيد المحامى فألقى خطابا بليغا دافع فيه عن الحقيقة بصدق وإنصاف،ثم تكلم النائب المالى السيد محمد المصطفى ابن باديس وقال:إنه موافق على كل ما قاله الدكتور جلول والأستاذ مختار . ثم أعاد الوالى الحديث وسأل الوفد هل يستطيعون أن يعدوه بكف المسلمين ؟ فأجابه السيد ابن باديس أن المسلمين منكفون بالفعل،وأننا نعد بكفهم،وأننا نستطيع ذلك بشرط أن ينكف اليهود الذين قد تكرر منهم الاعتداء. فأجاب الوالى العام بأنه يعتمد عليهم،وأنه سيكلم اليهود مثل ما كلمهم .

وفاء الوفد بوعده

خرج ذلك الوفد الإسلامى الحافل المتركب من النواب والأعيان وبعض أهل العلم،فارتأوا أن يبادروا بوفاء وعدهم للوالى العام بأن يتجولوا فى الأنهج الإسلامية،ويعرفوا الناس بمقابلتهم للوالى العام،وما طلب منهم،وما التزموا به عن إخوانهم المسلمين،واتفقوا على أن أقوم خطيبا فى كل نهج من الأنهج الكبرى الإسلامية لأخطب فى الناس بذلك،فوقفنا بضعة عشر موقفا ألقيت فيها بضع عشرة خطبة أخاطب فيها الناس باسم الوفد،وأدعوهم إلى الهدوء والسكينة، وأذكرهم بآداب الإسلام ، وأعرفهم بما كان من طلب الوالى العام وما كان من التزام نوابهم،وكان الله ـ وله الحمد ـ يفتح فى كل موقف بفن من فنون التذكير،وكان إخوانى المسلمون ـ جعلنى الله فداءهم ـ يلتفون بنا فى كل موقف،ويبدون من الاستماع للوعظ، والانقياد للخير ما عرفنى بما تنطوى عليه تلك الصدور المحمدية الطيبة من الروح الإسلامية الشريفة،والآداب الدينية العالية الكامنة فيهم،التى لا يحتاج فى إظهارها إلا لكلمة صادقة عن نية

خالصة . وكان كل موقف يختم بإعطاء كلمتهم بأن لا يكون منهم سوء،وبالدعاء للجميع .

عملت تلك الخطب ـ بإذن الله ـ عملها فى قلوب كانت متفرقة فاتحدت،وأرواح كانت متناكرة فتعارفت،وما انتهينا إلى آخر مواقفنا ـ وكان أمام مكتب وعيادة الدكتور ابن جلول ـ حتى تصافح هو والسيد محمد المصطفى بن باديس،وصعد النواب كلهم إلى مكتب الدكتور ، فأعدتهم إلى النهج ليحضروا آخر موقف، وليسمعوا آخر خطاب،ولم أكتف بوقوفهم بنوافذ المكتب المطلة على النهج،فلما نزلوا خطبت فى الجمع خطابا يشتمل على أصل ما ألقيت الخطب لأجله،وعلى ما ناسب ذلك الموقف الذى تجلت فيه روح الإخاء والصفاء . وكان ذلك الموقف لمواقفنا ـ والفضل لله ـ خير ختام .

يوم السبت 11 أوت

صبيحة السبت قابل وفد المسلمين عامل العمالة،ودار الحديث فى الحوادث التى وقعت،ورأينا من عاملنا الجديد رجلا يحمل روحا فرنسية لطيفة،ويتحلى بآداب الموظف العالى ، أبدى تأسفه أن وجد قسنطينة أول قدومه فى هذه الفاجعة،وأظهر رغبته فى رجوع الأمور إلى مجاريها . وبعد ما تكلم الدكتور جلول والطبيب زرقين وغيرهما،تكلم النائب المالى ابن باديس فذكر للسيد العامل أن الأمن من ناحية المسلمين قد استتب،وأن جماعة المسلمين قد استطاعوا بما قاموا به أن يهدئوا إخوانهم على كثرة عدد المسلمين وانتشارهم ، وأن جماعة اليهود من ناحيتهم لم يقوموا بشىء مما قام به جماعة المسلمين على قلة عدد اليهود،وسهولة إبلاغ الصوت إليهم،ولذا فإن المسلمين لم يتجدد منهم شىء من يوم الحادثة ، وأما اليهود فقد تجدد منهم الاعتداء مرارا،وذكر له الولد بياع الجرائد

الذى جرحوه برحبة الصوف،وولدا آخر صب عليه المادة الملتهبة الفيتريول،والرجل الذى أطلقوا عليه الرصاص بنهج فرانس، كل هذا ما بين يوم الاربعاء والسبت،فوعد العامل بأمرهم بالكف والتأكيد عليهم به .

تنظير بين المسلمين واليهود

نريد أن نعرض لطبقات من المسلمين واليهود لنعرف موقفهم من هذه الفتنة اعتمادا على المعلومات المتقدمة .

النـــواب

وقف الدكتور جلول النائب العمالى ليلة السبت برحبة الصوف وقفة المهدىء للجميع،المسكن للثائرة،ومعه السيد محمد آمزيان النائب البلدى يعينه على ذلك،ويبذل جهده مثله .

وحضر النائب العمالى اليهودى لُولُوّش فبدلا من أن يهدىء قومه ويأتى باليهودى المعتدى ويدخله حبس الكوميسارية،وكان فى استطاعته ذلك،ولو فعله لأطفأ به تأثر المسلمين فى الحين،لأنهم ما كانوا يريدون إلا عقاب ذلك المعتدى على دينهم ونبيهم وجماعتهم ومسجدهم ــ بدلا من أن يفعل هذا كان تارة يستبعد وقوع ما وقع من الاعتداء،وتارة يستكبر على المسلمين تأثرهم من ذلك الاعتداء إن وقع . ولم يظهر منه أدنى شىء فى التهدئة والتسكين .

كان الدكتور جلول صبيحة الاحد يتنقل من مكان إلى مكان مهدئا للناس مداويا للجرحى معرضا نفسه للخطر،وممن شهد له بمواقفه فى ذلك التقرير الرسمى للجندرمة . أما النائب العمالى لولوش فقد اختار السلامة التى ذاق حلاوتها أيام أبقته الأعذار بقسنطينة عن ميادين الحرب الكبرى ...

أبدى النواب المسلمون فى كل ما كتبوا ونشروا وتكلموا أمام الحكام ـ غاية التعقل والرصانة والحكمة،وأعلنوا ثقتهم بالحكومة وبالعدالة،وكرروا دعوتهم إلى تناسى الماضى،والعمل لخير المستقبل، وجددوا تأسفهم بعبارات دالـة على كمال فى الإنسانية،وسمو فى الـــدين .

أمـا النائب لولوش وغـيره فقـد كانت تقاريرهم وخطبهـم ومنشوراتهم ـ وخصوصا رابور لولوش ـ تهجمات حتى على الحكومة، وتقولات بالباطل،وتكذب على النواب المسلمين، مما ينم عن أمراض قلبية ـ والعياذ بالله ـ ويدل على قلة أدب وإفلاس سياسة .

طاف النواب الأنهج الإسلامية،وخطبوا فى الناس بلسان مـــن قدموا لذلك،ووفوا بوعدهم للوالى العام . ولم يفعل شيئـا مـــن ذلك النواب اليهود .

مفـتى المسلمـين وحبـر اليهـود

جاء المفتى ليلة السبت وبذل جهده، أما حبر اليهود فلم يأت لا هو ولا واحد من طرفه .

الشـرطـــة

قام الشرطة المسلمون بواجبهم ولم تغلب عواطفهم على أمانتهم، حتى تقدم منهم من حرس باب المعتدى الأثيم الياهو خليفى . أما الشرطة اليهود فقد كان منهم من أطلق النار، ومنهم من قتل وهـو شرطى عين البيضاء .

الأمـــة

وفى المسلمون بوعدهم لجماعتهم فلم يكن منهم أى اعتداء ، أما اليهود فما زال الاعتداء يتكرر منهم على من ينفردون به وحده،كما فعلوا ببعلى سليمان بن لخضر . ومن أقرب ذلك رمى صبيانهم نوافذ من جامع سيدى الكتانى فكسروها . نقول هذا ونحن على ثقة مـن تعقل إخواننا المسلمين،وعدم التفاتهم إلى هذه الأفعال الطائشة التى تتولى أمرها العدالة،وأنهم يبلغون كل ما يلحقهم إلى العدلية لتقوم بواجبها نحو المعتدين،كما طلبنا منهم فى خطبنا ووعدوا بـه وهم الموفون بما وعدوا .

القتـــلى

دفن اليهود قتلاهم فى مشهد حافل،أما قتلانا ـ وهم الرجل الذى قتل يوم الاحد والصبى الذى قتلـه الشرطى بعين البيضاء والذى مات مـن جراحه بعد ذلك ـ فإنهم دفنـوا دون أن يشيعهم أحـد، ودون أن تقال عليهم كلمة،ودون أن تراق عليهم دمعة .

علمنا أنهم يدفنون هكذا وسكتنا ـ لا لهـون المصاب علينا،ولا لقلة ألمنا وحزننا ـ ولكن موافقة للإدارة على تجنب كل ما قد يثير العواطف،ويكون مخيف العاقبة . وعلمت الأمة بهذا ورضيت به انقيادا لرجالها،لما لها بهم من الثقة،وإظهارا لما عندها من الرغبة فى الهدو والسكينة والتغلب على العاطفة أمام ما فيه مصلحة عامة .

الخـاتمـــة

كتبنا هـذا التقرير عن الحالة كما شاهدنا فيما شاهدنا ، وكما تحققنا فيما بلغنا من الثقات عندنا . وإننا بعد ذلك نأسف ونألم على ما يصيب الإنسان من أخيه الإنسان،وعلى أن تجرى هذه الحوادث

بين عنصرين ساميين ابراهميين، عاشا قرونا في وطن واحد دون أن يشهدا مثلها . ونسأل الله تعالى أن يبطل كيد الظالمين . ويرد شر المعتدين عن الخلق أجمعين ، وأن يرحم المستضعفين وينصر المظلومين من جميع العالمين .

وصدق الله العظيم في كتابه الكريم : « وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ »،« مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ، لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ » (1) .

---

(1) ش : ج 10 ، م 10 ، غرة جمادى الثانية 1353 هـ 11 سبتمبر 1934 م .

محمد عثمان باشا

داى الجزائر سنة (1766 ـ 1791)

هذا اسم السفر الجليل الذى ألفه ـ أخيرا ـ الأخ الأستاذ أحمد توفيق المدني ، لخص فيه تاريخ الجزائر فى العصر التركى ، وبين حالتها الاجتماعية والأدبية والسياسية بأسلوب بديع،جمع الفصاحة والتناسق ، وعرض للتاريخ بين دلائل العلم ومناهج الفن ، وبروح إسلامية لا تعرف إلا الصدق،عربية لا تفارقها العزة والشهامة وإذا كان «الوطن هو تاريخ الوطن» كما يقول الأستاذ عبد الرحمن صدقى ، و « لا حياة لأمة إلا بإحياء ماضيها » كما يقول الدكتور هيكل ، فالأخ الأستاذ المدنى بكتابه هذا لم يكن كاتبا بليغا ومؤلفا مبدعا ومؤرخا حكيما فحسب ، بل كان فوق ذلك من خير من بعثوا أوطانا وأحيوا أمما .

إن من جنايات الاستعمار الاوروبى على البشرية أنه قلب حقائق التاريخ على الناس،فقد صور الأمم التى ابتليت به وأصيبت بشره، بصور من الهمجية والوحشية والتأخر والانحطاط لا أبشع منها، ذلك ليبرر استيلاءه عليها ، ومن عليها بما زرعه فيها من عمران ، وإن كان هو المستغل لذلك العمران والمستبد به . فأمريكا ـ مثلا ـ يصورها الاستعمار ويصور سكانها الأصليين بأقبح الصور، حتى هب من أبنائها الأصليين ومن العلماء المنصفين من رد ذلك التصوير وزيفه . وهاك بعضا مما يبين لك هذا،ذكره الأستاذ محمد كرد علي فى آخر كتابه « الإسلام والحضارة العربية »،قال الأستاذ :

« ذكر أحد الباحثين في جريدة الكوتيدين Quotidien الباريسية تحت عنوان (تاريخ الأمم المغلوبة على أمرها لم يكتب)،إن المجلس الأعلى لبقايا هنود أمريكا في الولايات المتحدة أرسل إلى شيخ مدينة شيكاغو احتجاجا جاء فيه : (إن الكتب المدرسية المستعملة الآن في الولايات المتحدة صورت قبائل الهنود في صورة مخالفة للحقيقة التاريخية).قال الكاتب:وليتنا نفكر قليلا فيما كانت أمريكا قبل أن يفتحها كلومبس ، ونقرأ ما قصه الفاتحون الأولون وأرباب الرحلات الأقدمون من الأقاصيص الغريبة . ونلقي رائد الطرف على المدن القديمة في العالم الجديد وما بلغته من الازدهار وما غصت به من المعابد العظيمة التى تضاهى بعظمتها معابد مصر وتماثيلها العظيمة المحلاة بالذهب ، وما كان هناك من متاحف وخزائن كتب ومراصد فلكية . وإذا كتب لنا أن نتوغل فى المكسيك الماياس فى يوكتان ولانكاس فى الانو ـ إذا رأيت كل هذا استنتجت ـ والدهشة آخذة منك ـ أن فتح أمريكا كان من أعظم جنايات أوروبا » اهـ .

هذا هو نفس ما وقع بالجزائر من تشويه تاريخها،وتصويرها فى جميع عصورها،خصوصا فى العصر العثمانى ـ بأقبح الصور فى الكتب التى تدرس فى المكاتب الفرنسية،وتدرس ـ يا للبلية يا للحصرة لأبنائها ! ـ غير أن الجزائر ليس فيها جمعية تحتج على هذا التشويه الباطل القبيح ، بلى : من أبنائها ـ المثقفين بالافرنسى طبعا ـ من ينكر تاريخها جملة،ويزعم أن لا شخصية لها . لكن لا يمكن للحقيقة أن تبقى مستورة بالأباطيل،فهى كالشمس لابد أن تظهر ولو توالت أيام الدجن والغيوم . فقد جاء الأخ أحمد توفيق المدنى بكتابه هذا يبين ما كانت عليه الجزائر من القوة والعمران قبل الاحتلال الفرنسى،وما أصابها من التخريب والتقتيل أيام الاحتلال وبعيد الاحتلال،ناقلا له من كتب ووثائق أفرنسية لا غبار عليها .

هذا إلى بيان ما كانت تتمتع به من حريــــة في دينها وقضائها ولغتها وتعليمها وبيان غير ذلك من أحوالها ، لا تتسع هذه الصفحات لعرض كل ما فى الكتاب،ولكنى أقول بكلمة واحدة : (إنه يتحتم على كل مسلم جزائرى أن يقرأ هذا الكتاب) . وإنك إذا ختمته ـ أيها المسلم الجزائرى ـ لابد أن تخرج منه تحب مـــن يجب أن تحب ... وتبغض من يجب أن تبغض ... والحب والبغض سلاحان لازمان فى الحياة،ولا بقاء لأمة بدونهما إذا استعملتهما فى محلهما.

وحقيق علي أن أذكر بالإعجاب والسرور المطبعة العربية للأخ الشيخ أبى اليقظان التى أخرجت الكتاب فى حلة فنية جذابة،تدل على تقدم الجزائر فى الفن المطبعي،وأن أذكر بالثناء المكتبة المصرية لحضرة محمود نسيم أفندى التى تولت نشره . جازى الله العاملين على نشر العلم وإحياء الأمم بكل إحسان وجميل (1) .

(1) ش : ج 7 ، م 13 ـ شعبان 1356 هـ ـ سبتمبر 1937 م .

شكوى الجزائر وبلواها (1)

منذ ستة وأربعين سنة

عثرنا في أوراق عمنا السيد حميدة بن باديس،الذى كان نائبا عماليا عن قسنطينة فى عهد من حياته ، على تقرير عن الحالة بالجزائر فى ذلك العهد ، حرره هو بالعربية وأمضاه معه زملاؤه بالمجلس العمالى السادة : محمد الطاهر بن الحاج علي معيزة ، عمار بن أحمد ، وذو إمضاء لم أفكه . وترجمه م. ميرسى تحت رقم 16،245 وقدمه لأحد رجال السينا الذى قدم للبحث عن الحالة . ونظرة فيه تدلنا على المظالم الثقيلة التى أثقلت كاهل الأمة من قديم ، وعلى اجتهاد رجال من نوابها فى ذلك العهد فى إظهار حقيقة حالها للحكومة الفرنسية العليا،دون مبالاة ولا محاباة ، وعلى أن الحالة كانت معلومة عند الحكومة الفرنسية تمام العلم،دون حاجة إلى تتابع الوافدين على الجزائر للبحث والتنقيب .

وقد رأينا ــ بمناسبة ما تقوم به لجنة البحث البرلمانية اليوم فى الوطن ــ أن ننشره على القراء كوثيقة تاريخية يعتبرون بها، ويقارنون بين الماضى والحاضر .

* * *

لقد جاءت من فرنسا جماعات وأفراد من وزراء ونواب وكبار موظفين مرات عديدة،من ذلك العهد البعيد إلى اليوم ، تعاقبوا كلهم على البحث عن الجزائر وحالة المسلمين،ولكن بدون جدوى،

(1) آثرنا إدراجه فى آثار الشيخ لقدمته عليه،ولأهميته فى المقارنة والاعتبار .

ولا تخفيف للبلوى ولا أدل على ذلك من الحالة التعيسة التى بلغنا إليها اليوم ، من جهل وفقر، وسقم وقهر، وظلم وإذلال . لا جرم أن حصل للجزائر ــ بعد هذا كله ــ يأس وقنوط من بحث كل باحث ووعد كل واعد ، بل ومن الحكومة الفرنسية نفسها . وما رجع للنفوس شيء من الأمل ضئيل إلا يوم جاءت هذه الحكومة الشعبية، وأعلنا نحن ثقتنا بها للناس من أول يوم سعينا فى تأسيس المؤتمر الإسلامى الجزائرى،وذلك لما نعرفه فى أحزابها من احترام ما ، للأمم المرتبطة بفرنسا ، واتساع حرية فى الفكر والإنسانية ، ولما رأينا من أخذها فى التفكير فى شأننا والحديث عنا .

وبتلك الثقة وبذلك الأمل تلقت الأمة الجزائرية لجنة البحث البرلمانية،التى تجول اليوم فى أنحاء الوطن ، وهى ــ والحق يقال ــ لجنة ممتازة عن كل لجنة،كما امتازت الحكومة الشعبية عن كل حكومة، فقد تقصت فى البحث،واتصلت بجميع الناس،وتباعدت عن المظاهر الإدارية،وقابلتها الأمة بكل ما يعينها على مهمتها،فأطلعتها على جميع نواحى بؤسها وشقائها ، مرتجية فيها أن تطلع فرنسا : شعبها ونوابها وحكومتها على ذلك كله، حاثة للجميع على المبادرة بالعلاج الحاسم لتلك الأدواء كلها،من جميع النواحى كلها ، مبينة للجميع أن كل محاولة للتسكين بغير الدواء الحقيقى لا تزيد الأدواء إلا استفحالا ، ولا الحالة إلا ارتباكا واضطرابا إلى عواقب سيئة لا يعلمها إلا الله .

* * *

وهذا نص المقال الذى ذكرناه :

الحمد لله ،

لما بلغنا اشتغال الدولة الفرنسية بتأسيس أمور المسلمين سكان بر الجزائر، وإصلاح حالهم، وجلب المنفعة لهم،ودفع المضار عنهم،

وتحقق عندنا ذلك بقدوم المعظم السيد فرانك شفو،أحد الأعضاء بالسينا لبلدنا،ودعائه إيانا للحضور لديه بواسطة السيد البريفى، وحضرنا نحن وجماعة بيرو الكونساى جنرال،وسمعنا ما وقع من الكلام من أولئك السادات،وعرفنا من لسان السيد السنتور المذكور المسائل التى نحن مسؤولون عنها ومحتاجون للجواب عليها،وطلبنا منه أن يأذن لنا بالجواب عنها بالكتابة،وأباح لنا ذلك على سبيل الإطلاق،بحيث يمكننا أن نتكلم فيها أو فى غيرها من الحقوق،وكنا نحن وكلاء على عامة المسلمين سكان عمالة قسنطينة ، وكان الواجب بصريح الشرع والسياسة على الوكيل أن يقوم بحق موكله بالجد وغاية الجهد،ولا يبالى بقول قائل ولا بلوم لائم ، فشرعنا حينئذ فى التأمل والتدبر فيما يجب فى الجواب عن كل مسألة بكلام مختصر مفيد . ولا شك أن عقول أرباب الدولة الراسخة تفهم شرحه وإيضاحه،فنسأل الله ـ تعالى ـ الإعانة والإلهام للصواب،ونقول: المسألة الأولى حال المسلمين مع الكولون الفرانسويين،فالجواب عنها أن المسلمين سكان إقليم الجزائر مثلهم كمثل الأغنام التى رعاتها عاجزون عن القيام بها على الوجه الأكمل،وسبب ذلك أن الحكام الآن مربوطة أيديهم على صرف الأموال فى المصالح العمومية،ولا يقدرون أن يحدثوا شيئا إلا بمساعدة وموافقة من أعضاء الديوان العام فى العمالة المعبر عنه بالكونساى جنرال،وأنه لا يكون فيهم إلا الخمس أو السدس من المسلمين،وأن الكثير من الأعضاء الفرنسويين لا يكترثون بعامة المسلمين،ولا يبالون بمنافعهم،ويعز عليهم صرف المال فى مصالح المسلمين الخاصة بهم،فلا يكون حينئذ للمسلمين ناصر ولا معين،لأن كلمة إخوتهم المسلمين فى الكونساى جنرال كل شىء، ومع هذا فان الكونساى جنرال يطلب المرة بعد الأخرى إبعاد المسلمين عنهم،وإخراجهم من بينهم . نعم،قد يكون بعض الأعضاء الفرانسويين راغبا فى مصالح المسلمين،ولكن لا يجد سبيلا لذلك لقلتهم بالنسبة لغيرهم،وربما لا تسعهم مخالفة إخوانهم ، ومثلهم

الحاكم فانه مربوط اليد على التوصل إلى جانب المنفعة للمسلمين. والأصل في ذلك كله أن الكثير من الكولون سكان إقليم الجزائر ضد للمسلمين،ولا يحبون لهم إلا الضعف والتلاشي والهلاك،ووكلاؤهم فى الديوان العمومى يسيرون على حسب غرضهم وقصدهم . وأما الحكام مع كونهم مربوطة أيديهم كما ذكرنا،فإذا ظهرت منهم الحمية على المسلمين توجه لهم الكولون بالإذاية والذم فى الجرنالات وغيرها. فمنهم من يصبر لذلك،ومنهم من يتقلق ويكره وظيفته ، ويرغب فى الرجوع لفرنسا.وها نحن نبين سبب حقد بعض الكولون أو الكثير منهم على المسلمين،وذلك السبب أمر باطنى يعتقدونه فى عقولهم،ويظنون أن المسلمين منتصبون دائما لإيقاع الإذاية لهم، والاضرار بهم فى أموالهم أو ذواتهم،ويزعمون أن دين الإسلام هو الذى يحرضهم على ذلك،وخصوصا القرآن.وقد رأينا فى بعض الجرنالات كلاما منسوبا لبعض السادات فى السينا يوافق ما يعتقده الكولون فى جانب المسلمين من أن القرآن يحرضهم على الجد فى إذاية الفرنسويين،وذلك غلط صراح . أما أولا فإن الركن الأعظم فى الدين الإسلامى الصلاة خمس مرات بين اليوم والليلة،وهى لا تقام إلا بقراءة القرآن ، وإلا تكون باطلة،فهذا هو السبب الذى أوجب على المسلمين قراء القرآن وتعليم أولادهم له فى المكاتب، ليحصلوا بذلك معرفة القلم العربى،ومعرفة اللسان العربى الخالص،الذى تكتب به الكتب،ويتوصلون إلى حفظ القرآن وقراءته فى الصلوات . وثانيا فإن دين الإسلام يوجب على المسلمين الوفاء بالعهد،وعدم الغدر والمكر،وعدم الفساد فى الأرض . ولولا خوف الإطالة لجلبنا النصوص الدالة على صدق قولنا من الكتاب والسنة . ومن جملة ما يقوى الحقد فى قلوب الكولون أنه مهما تقع من مسلم جناية إلا ويسبون بها جميع جنس المسلمين، ويعيرونهم بذلك فى الجرنالات وغيرهم،ولم يتأملوا فى أن ما يفعله أصحاب الجنايات المعروفين بالجرأة هو من طبعهم من زمن ولاية

الإسلام . ومع ذلك فإن كثيرا ما يصدر منهم يقع على إخوانهم المسلمين . وأيضا فإن الجنايات لا يخلو وقوعها فى كل بلد وفى كل أمة.والحاصل أن الذى يعتقده المسلمون وخصوصا ذوو الخبرة بأحوال الدول،أن الدولة الفرنسوية أشد رفقا وحنانة على رعيتها، وأنها تراعى جنس الخليقة الآدمية من غير نظر للمخالفة فى الدين أو فى الطبيعة،وأنها ترغب دائما فى تبديل طبيعة أهل الفلاظة وجلبهم إلى التمدن،وإتقان الخدمة،وحسن العيش،والامتزاج والمؤاخاة،ولكن لم يتم ذلك المراد لبعضهم عن المسلمين وعدم إطلاعهم على أحوالهم.فلو كان الفرنسويون المقيمون بإقليم الجزائر مجتهدين فيما هو غرض للدولة،ومساعدون للحكام على صرف الأموال فى الأمور التى تصلح حال المسلمين،وتخرجهم من الظلمة إلى الضوء،وتسدد أحوالهم،ولا يبخلون بصرف الأموال فى الأسباب التى ينتج منها ما ذكر كاستعمال المدارس ونحو ذلك،فلا شك أن قصد الدولة يتم،والمرض الذى فى المسلمين يزول،ويعم الخير والنجاح جميع الناس في أمد قليل . فيتلخص مما ذكرنا أن المسلمين إن نالوا خيرا بسبب اجتهاد الحكام وتعبهم فى ذلك،كما وقع ذلك مرات من بريفى عمالة قسنطينة،وخصوصا وقت المسغبة ونزول الجراد فيهم،فرحوا واستبشروا،وإذا نزل بهم أمر مضر صبروا على مصيبتهم التى تؤديهم إلى الفقر والخصاصة وسوء الحال،ولم يجدوا ناصرا كضيق الأرض عليهم،وانتزاعها من بعضهم،وثقل المغرم عليهم،وإجراء الأحكام على من تراخى فى دفع المغرم أو عجز بالخطية والحبس،على حسب ما يقتضيه قانون لانديجينا،وغير ذلك مما يطول شرحه،وخصوصا واقعة السكيسطر على التهمة بإيقاد النار من غير حجة قاطعة.فينبغى للدولة أن تتنبه لهذه الأمور، وتتخذ طريقا يتوصل بها المسلمون إلى حقوقهم،ويستعملون لهم نوابا فى المجالس الكبرى على المنوال الذى يتأتى ويمكن على طريق السداد . ونرغب من السيد السينتور أن يتأمل فى البرشور الذى

كنا استعملناه في شرح حال العرب في تاريخ الرابع والعشرين من أفريل عام 1882 . المسألة الثانية إدخال المسلمين جملة في « الناطور اليزاسيون » وإعطاؤهم الحرية الكاملة في اختيار أعضاء النواب عنهم في ديوان العمالة،أعني « الكونساي جنرال » . الجواب عن هاته المسألة،لا يخفى على أحد أن المسلمين-وخصوصا سكان البوادي-قليلا ما يكون منهم من يدرك المقصود من كل حاجة وما ينتج منها ، وكثيرهم في غاية الجهل والغلاظة، حتى أنه إذا أظهر لهم بعض الأفراد بحسب عقله الفاسد أن القصد من هذه الحوادث الإضرار بهم وإفساد دينهم أو غير ذلك،رسخت تلك المقالة في أذهانهم،وجزموا بها،وحصل لهم غاية الخلق،بخلاف الناس العقلاء العارفين للأمور فإنهم يعلمون ويتحققون أن قصد الدولة من إدخالهم في «الناطور اليزى»توقيرهم واحترامهم،وتسهيل الطريق للتوصل إلى حقوقهم . لكنهم لا يرغبون في ذلك مراعاة لما يقع من الخلل في مسائل دينية كالميراث والنكاح والطلاق وغير ذلك ، فبهذا السبب لا تجد إلا أفرادا قليلة يرغبون في «الناطور اليزى» وأمام انتخابهم للنواب عنهم فلا يليق بهم لجهلهم للأمور، وكونهم مربوطين دائما لكبرائهم من حكام أو غيرهم،فينتج حينئذ أن اختيار النواب يكون على حسب غرض بعض الأفراد لا على حسب غرض العامة،وربما يتولد بينهم الهرج والمناقشة .

فبهذا السبب ينبغي أن يكون أمرهم في ذلك مفوضا لحكام الدولة،لأنهم بحسب الجهل الموجود في كثيرهم والاعتماد في أمورهم على رأي غيرهم صاروا كالمحاجير، نعم،إنما يليق بهم بعد زمان،وذلك حين تنتقل طبيعتهم من الغلاظة إلى التمدن،لكن ينبغي للدولة أن تزيد في عدد نواب المسلمين في « الكونساي جنرال » وأن تجعل لبعض أولئك النواب مدخلا في مجمع « الكونساي سبريور » . وإذا أرادت الدولة الجد في نفع المسلمين فينبغي أن

تجعل لهم نوابا (1) بالقامرة من أبناء جنسهم ، إن أمكن ، أو من الفرنسويين،ويكون اختيار النواب الفرنسويين بنظر نواب العامة من المسلمين فى الكونساى جنرال مع شخص أو شخصين من أعضاء « الكونساى منسبال »،المسلمين يعينهم « الكونساى منسبال » من كل « كمون » وينبغى للدولة إدخال أعضاء « الكونساى منسبال » من المسلمين فى اختيار «المير» كما كان الأمر فى السابق (2) لأن «المير» وخصوصا فى الفلاجات،هو الحاكم فى كل شىء،وكثير من سكان الكمون هناك مسلمون بأضعاف،فكيف يمنعون من اختيار من يليق بهم،ويعرف أحوالهم ؟ المسألة الثالثة : إلزام المسلمين بالدخول فى خدمة العسكر بالجبر على حسب الترتيب الجارى فى فرنسا ، الجواب عن هاته المسألة أنها ثقيلة على كافة المسلمين لا يرضون بها،ويتألمون منها غاية،بحسب ما يراعيه ويخمه كل طائفة منهم،وخصوصا الجبر والإلزام.وحيث يكون الأمر كذلك فالأولى والأليق فتح الباب للناس فى الدخول فى عسكر الطريور،فإنه يوجد العدد الكثير ويحصل المقصود بالغرض وطيب النفس. نعم قد جرت العادة أنه إذا احتاج جانب المخزن للاستعداد للحرب فى نازلة،يطلب من سكان الأعراش الإعانة فى ذلك،ويعين على كل فريق عددا معلوما فينقادون لذلك بلا كلفة.فغالب الظن إذا طلب جانب المخزن من كل عرش عددا معلوما يحملون السلاح ويتعلمون الحرب والسفر أمدا معلوما فإنهم لا يبخلون بذلك،وأيضا فينبغى التأمل فى أنه إذا صار أهل البادية كلهم حاملين السلاح،ربما تقع منهم بعض الفتن ، ولو مع بعضهم بعضا ، ألا ترى أن من جملة عوائدهم الفاسدة إذا تشاجر أحد من عرش مع واحد من عرش آخر قامت الفتنة بين الفريقين، وتضاربوا بما يجدونه بأيديهم،وربما تقع بينهم الموت.فانظر إذا

(1) ش : فطلب النيابة فى البرلمان قديم ليس ابن اليوم (ابن باديس) .
(2) ش : اذا قد كان المسلمون ينتخبون المير ثم منعوا .. (ابن باديس) .

صارت أيديهم عامـــرة بالســلاح مع هاته الطبيعة . المسألة (3) الرابعة : في ذكر ما نزل بالعرب مـن الفقر وسوء الحـال، بسبب انتزاع الأرض منهم، وعدم قدرتهم على مفارقتها ، والرضى بالبقاء فيها، بالكراء الغالى الذى يوقعهم فى ضعف الحال وذهاب المال، وذلك أن كثير الكولون لما يأخذون الأرض ولا يقدرون على خدمتها والقيام بها وتحصيل الفائدة منها، يؤول أمرهم إلى إكرائها إلى العرب، بالسعر الذى لا يقدر المكترى على تحصيله، وتحصيل معاشه، والمغرم اللازم له، فيتلاشون ويعجزون عن الحرث، ولا يجد رب الأرض لمن يكريها فيبيعها إن أمكنه، أو يتركها وينتقل. وبهذا السبب لـم تتم عمارة « الفلاجات » كما ينبغى ، ويوجد كثير أراضيها خاليا، والعذر محقق للكولون فى العجز عـن تعمير الأرض، لأن أرضنا وإن كان ترابها جيدا فإنها معدومة الماء إلا فى مواضع قليلة، وأن الحمى لا تفارق النواحى الكثيرة منهـا، وتضر الذوات التى نبتت الأرض الجيـدة الصحيحة كأرض فرنسا، وبالجملة فكثير أرضنا بالنسبة لقلة الماء كذات بلا روح .

المسألـة الخامسـة: فى كيفيـــة تمليك أراضى العرش لأربابها، وتمكينهم بالعقود الذين يتوصلون بها إلى البيع والرهن وغـير ذلك . الجواب عنها: أن ذلك الترتيب وإن كان فيه عدل وإنصاف ووفاء بالحقوق، لكنه لا يناسب حال الأعراش، وما جرت عليه عادتهم من التداخل فى بعضهم بعضا، والانتفاع بالمرعى مع بعضهم . ولما وقع ما ذكر ، أولا : تمزقت أراضيهم، ودخلها الأجانب، وحصل لهم ضيق فى أنتفاعهم بأراضيهم، ضد ما كانوا عليه سابقا. ولا شك أن الأليق بهم لو أبقتهم الدولة على حالهم السابق من الانتفاع بالأرض فقط كالحبس . وليس لهم البيع، ويدفعون الحكر الذى هو منزل

(3) ش : تـأمل فى هذه المسألة والتى بعدها الحيـل الشيطانية التى يـرتكبها الاستعمار لنزع الاراضى من أهلها (ابن باديس) .

كالرنط على الكونسيسيون،فبذلك يستقيم حالهم،ويكونون في غاية الهناء في عيشهم،ولا يقدر واحد أن يضر بأخيه . وأما إذا صار هذا يبيع قطعة من ناحية،وهذا يبيع قطعة من أخرى،انحلت عليهم أبواب الهرج والاختلاط مع من لا يناسب قصده طبيعتهم . وأيضا ففي بقائهم على حالهم منفعة لجانب البايلك من حيث أنهم يدفعون الحكــــر .

المسألة السادسة : قضية الشريعة ، الجواب عنها: أن الدولـــة الفرانسوية كانت احترمت شريعة الإسلام وأمرت بإجرائها عــلى أصلها ، ونصبت القضاة في كل ناحية ، وضبطت أمورهم بقوانين مؤسسة على أحسن ما يكون،وأباحت لمن شاء من المسلمين إعـــادة النظر في خصومته لدى مجالس «الطريبونال »و «الاكور»،واستمر الحال على منوال حسن إلى أن برز القانون المـــؤرخ بسبتمبـــر سنة 1886 فردت خصومات المسلمين إلى «الجوج» على أن يحكم بينهم بمقتضى شريعتهم . ولم يكن ذلك ، وصارت الأحكام تقع بـــين المسلمين على خلاف شريعتهم،ولأجل ذلك يقع كثيرا تكسير أحكام الجوج في مجالس «الطريبونال» إذ تعاد . ومع هذا فلما كانت أشغال الجوج كثيرة ولا ينتصب لحوائج المسلمين إلا مرة في الجمعة، ويحتاج في فهمه للقضية بواسطة الترجمان إلى زمان طويل،ويحتاج أيضا طالب الخصومة إلى المصروف الذي يبلغ في كثير من الأوقات إلى أزيد من الحق الذي يطلبه،ويتعطل طالب الخصومة على أشغاله بسبب تردده إلى محل الحكم ، وتأجيل خصومته إلى جمعة بعد جمعة، فضاعت الحقوق،وصار الناس يأكلون حقوق بعضهم،ويقع بينهم بسبب ذلك الحقد والإذاية لبعضهم بعضا . والحاصل أن القانـــون المذكور أضر بالمسلمين غاية الضرر،وخصوصا من جانب إبطـــال الاسيسورات،وعدم تسمية من مات أو عزل،وحط درجة من لا زال موجودا من المشاركة في النظر إلى المشورة فقط،مع أن «الأجواج»

الفرنسويين محتاجون للاستعانة بهم،فإذا أمكن الدولة أن تبطل العمل به وتأمر بالعمل بالقانون البارز عام 1866،ففي ذلك خير للمسلمين،وإن لم يمكن ذلك بدلته ولم تبقه على حاله . ولو تتبعنا شرح المسائل التى أضرت بالمسلمين بسبب القانون المذكور فى شريعتهم وقعنا فى الإطناب فى الكتابة .

المسألة السابعة : قضية المغرم على المسلمين ، الجواب عنها : لا يخفى على أحد أن المسلمين يدفعون المغرم على طريقين؛واحدة على حسب عادة الإسلام فى الزمان السابق،وواحدة على حسب السيرة الجارية بفرنسا،ولا شك أن فى ذلك ثقل (1) ، لأن الرجل صار حاملا لحملين،وقد حصل للناس ضرر،وخصوصا من جانب ما جرى به العمل من أن الرجل ينسب له ما لا يملكه من الحيوان وغيره، ويلزم بأداء المغرم عنه،وإن عجز أو تراخى عن الدفع يقع عليه الحكم بالخطية والحبس . وآخر ما نختم به كلامنا أن تأسيس إقليم الجزائر مثل بناء قصر عظيم،والبناء يحتاج إلى أساس،والأساس يحتاج إلى صانع عارف بالبناء،ويحتاج إلى الآلات كالجير والحجر والرمل وغيرها . أما الآلات تيسر العيش للناس ، ونشر العلم والصناعات بينهم ليتحولوا إلى التمدن،والرفق بهم والتسوية بين الفريقين،فإذا تمت هذه الأمور كمل بناء الأساس،ووجب شكر الصانع الذى خدمه وهم الحكام،ويكون بعد ذلك تمام القصر وزينته بحصول المؤاخاة بين الناس ، وصفو الباطن،وتمام العافية، والرفاهية فى العيش . ونرغب من وقف على غلط فى شيء مما قلناه فيصفح كما هو شأن الكرام والسلام (1) .

حرر فى العاشر من أفريل عام 1891 م

محمد الطاهر بن الحاج علي معيزة
حميدة بن باديس
عمار بن احمد

---

(1) كذا في الاصل والصواب : ثقلا .
(1) ش : ج 2 ، م 13 – صفر 1356 هـ – أفريل 1937 م .

القسم الخامس

البرقيات والاحتجاجات

أنا كمسلم أديـن بالأخوة الإنسانية واحترامها في جميع أجناسها وأديانها ، وأسعى للتقريب بين جميع عناصرها ، وأجاهد فيما هو السبيل الوحيد لتحصيل ذلك ، وهو العدل والتناصف والاحترام ، فكل ما تفضلتم به فهو موجه إلى هذا المبدإ الإسلامي الإنساني ، فشكرا لكم بلسان هـذا المبدإ السامي وأهله ، ثم بلسان شخصي الضعيف الفاني (1) .

عبد الحميد بن باديس

(1) الشهاب : ج 5 ، م 13 ، جمادى الاولى 1356 هـ - جويلية 1937 م .

* الشهاب والمنتقد * (1)

رسمنا لأنفسنا خطة بيناها في جريدتنا المحتجبة ، كتبناها بإخلاص وصراحة ، مبينين ما ترمي إليه من الإصلاح والرقي والتهذيب ، في كنف فرنسا « الديمقراطية » وبمساعدتها ، تلك هي هي خطتنا التي لا نرى أفضل منها ، ولا يمكننا أن نحيد قيد شبر عنها ، ولا حاجة بنا اليوم إلى إعادة نشرها ، وهذه الكلمات التي قلناها قد حوت زبدتها . سرنا على تلك الخطة فيما أصدرناه من جريدتنا المحتجبة بحسن نية وسلامة ضمير ، غير متوقعين من الإدارة أدنى معاكسة ولا(........)، ولكن ما كل مسالم تسلم عليه الصدور . ولا كل مخلص يلقى جزاء المخلصين .

ففي صبيحة 31 من أكتوبر حجزت أعداد « المنتقد » من حوانيت الباعة ، وفي عشية الأربعاء التي تلي أعلم صاحب الامتياز بتحجير نشر الجريدة ورواجها بقرار من وزير الداخلية ، فعجبنا ! ولم نعجب !

عجبنا أن تعطل جريدة تصرح بمبدئها السني الديمقراطي على رأس كل عدد منها ، في الوقت الذي يؤذن فيه لجرائد فرنسوية ذات مبادىء شيوعية سامة مخطرة بالرواج في القطر الجزائري .

عجبنا أن تعطل جريدة ما نقلت خبرا إلا من الجرائد الفرنسية أو الموالية لفرنسا ، ولا قالت أفكارا إلا كانت بلهجة هي العطف بكثير مما تحرر به مقالات كثيرة في الجرائد الفرنسوية نفسها .

(1) أدرجناه في قسم (البرقيات والاحتجاجات) لأنه إليه أقرب وبه ألصق .

عجبنا أن تعطل جريدة تنادي بمساعدة فرنسا الديمقراطية في أيـام حكومة عصبـة الشمال وولايـة المسيو فيوليط الاشتراكي الصميم الـذي نصبته تلك العصبة ليطبـق مباديها عـلى أبنـاء المستعمرات الذي طالما حجبتهم عـن فرنسا الحقيقية سـدول ... وأي سدول ...

عجبنا أن تعطـل جريدتنا بهـذه التصرفات الإدارية بدون أن نعرف بالسبب أو نناقش فيه ، لندافع عن أنفسنا ، أو نعرف على الأقل ما استاءت منه الإدارة لنتجنبه أو نعتذر عنه ـ إن كان يوجب الاعتذار ـ .

عجبنا ... وعجبنا ... وعجبنا ...

ولم نعجب من هذا كله :

لأننا نعلم أن في أطراف الإدارات عناكب لا تفتأ تنسج من خيوط الأوهام بيوتا ربما حسبها بعض الرؤساء شيئا وما هي في الحقيقة إلا بيت عنكبوت .

ولم نعجب من هذا كله :

لأن جريدتنا عربية ، فهي معرضة للترجمة ، وكلمة واحدة من المترجم عن قصد حسن أو سيء ، تنقل الكلام من باب إلى باب !

ولم نعجب من هذا كله :

لأن جريدتنا أهلية ، وسور الأهلي قصير ...

سواء علينا أعجبنا أم لم نعجب ، فقد وقـف « المنتقد » ولكن الفكرة الحرة الحقة السلمية الإصلاحية لم تقف ولن تقف .

وقف « المنتقد » فها هو أخوه « الشهاب » .

« شهاب » في سماء الحريــة والأخوة والمساواة ، أصول شيدها الإسلام ومات في سبيلها أبنــاء فرنسا الأحرار ، فبقيت شعارها أينما حلت رايتها المثلثة الألوان .

« شهاب » تنجلي بنوره ظلمات الجهل والخرافات والاوهام عــن شمس الدين والمدنية المشرقة السنا ، وينير سبيل الحــق والهداية لدعاة الإصلاح والرشاد .

« شهاب » رصد على الدين الصحيح من أن تلمسه أيدي دجاجلة السوء وأنصار البدعة بأذى .

« شهاب » ثاقب يقذَف به كل شيطان رجيم وأفاك أثيم ودجال مارق وقتات منافق ، فيحترق من عاند واعتدى ، ويسلم من اقتدى بإخوانه من الجن لمــا لمسوا السماء فوجدوها ملئت حــرسا شديدا وشهبــا .

هذه هي جريدتنا اليوم التي سنخدم بها ما هو خير ونافع للأمة الجزائرية وحكومتها الفرنسوية .. رجاؤنا من الأمة الجزائرية أن تسمع القول وتتبع أحسنه من جميع الكاتبين ، ورجاؤنا من حكومتنا الفرنسوية ورجالها الأحــرار أن يتحققــوا إخلاصنا كجزائريين برهنوا في جميع المواقف على حسن نواياهم نحو أم الوطن ، وإننا لا نريد إلا أن نعيش مــع جميع أبنــاء فرنسا في حرية وأخــوة ومساواة ، متحابين متعاونين على ما فيه سعادة الجميع .

هذه تصريحاتنا ، ونحن بها عاملون ، وعلى الله متوكلون . (1)

الشهاب : ع 1 ـ 25 ربيع الثاني 1344 هـ ـ 12 نوفمبر 1925 .

شكر عام للاحساس العام

تهاطلت على الإدارة البرقيات والكتب مـن جميع جهات القطر ومن تونس الشقيقة بالتهنئة بسلامة الأستاذ ، والاستياء من توحش الجاني العليوى ، مثلما تواردت وفود القسنطينيين من جميع طبقاتهم على داره ، فجاءنا من جنابه ما يلى :

إنني أشكر الشكر الجم الأمة الجزائرية جمعاء عـلى ما أظهرته مـن العطف والشعور نحـو شخصي الضعيف ، بما رأيـت مـن القسنطينيين كلهم ، وما تلقيته مـن الكتب والبرقيات مـن جميع الجهات . وأشكر كذلك الأمة التونسية العزيزة التي لا يفصلنا عنها غير الاعتبارات السياسية من فاصل في الوجود .

إنني ـ وأيم الله ـ لأرى نفسى أحقر وأقل من هذا الاعتناء ،

ولكنني أسر وأبتهج عندما أعلم أن هذا الشعور العام دليل على (1) في قلوب المسلمين مـن المكانة العظيمة لكلمة الحـق وكلمة الدين اللذين ما أوذيت إلا فى سبيلهما مـن طائفة تدعي الخصوصية فى الإسلام وتبعث أتباعها يسطون على الأبرياء بالظلم والعدوان .

فهذا العاجز يكرر شكره بلسان الحق والدين لأهل هذا الشعور الطاهر الشريف ، سائلا من الله تعالى أن يزيده رسوخا في قلوبهم على مدى الأيام (2) .

---

(1) كذا فى الاصل والظاهر : على ما فى قلوب ..

(2) الشهاب : عدد 76 جمادى الثانية 1345 هـ ـ 22 ديسمبر 1926 م .

تلغـراف الاحتجـاج

وقع حجز جريدة (السُّنة) بالعاصمة والمجلس الإداري للجمعية منعقد بها ، فاتفق المجلس على رفع احتجاج على تعطيله (1) وكلف الرئيس برفعه بعد اتصاله بقرار التعطيل رسميا ، ولما اتصل بـه رفع الاحتجاج ببرقية هذا نصها :

وزير الداخلية : باريس

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعرب لكـم عن استيائها البالغ منتهاه ، وعـن حزنها العميق الذي سببـه تعطيـل جريدة (السُّنة) العربية ، وتحتج بكل ما لها من قوة على قراركم المؤرخ بـ : 22 جوان القاضي بهذا التعطيل الذي ينشأ عنه للجمعية ضرر مادي وأدبي جسيم . وإن عجب الجمعية عظيم جدا ، ومما يزيد في عظمه أنها تجهل أسباب التعطيل لعدم ذكرها في قراركم ، وأنها تعلـن وتصرح أن الجريدة المعطلة لم تنشر إلا ما كتب في مواضيع دينية بحتة ، وفي مسائل لا تخرج عن دائرة العقائد والعبادات ، وتغتنم هذه الفرصة لإلفات (2) نظركم إلى الدسائس التي يدسها لها بعض خصومها الذين لا غاية لهـم سوى إنشاء شتى العراقيل في سبيـل مشروعها التهذيبي الأخلاقي ، وتشويه سمعة أعضائها الذين يشهد الواقع بنزاهتهم التامة وبراءتهم من كل تهمة .

عبد الحميد بن باديس

(1) كذا في الاصل والصواب : تعطيلها . (2) كذا في الاصل والصواب للفت .

رفع قضية ضد التعطيل

وقد كلفنا محامي الجمعية برفع قضية لدى مجلس الدولة الأعلى ضد قرار التعطيل (1) .

(1) الشريعة : السنة الاولى ، العدد الأول ، ربيع الأول 1352 هـ ــ جويلية 1933 .

احتجاج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
ضد اعتداء النائب المالي غراب وافترائه

كثر على هذا الرجل مع جهله باللغتين أن يتعرض لجمعية علمية كبرى فيتقول عليها بجمل لا يفهم معناها ومفردات ما جرت على لسانه من قبل — مثلما في خطابه ضد الجمعية الذي نشرناه بالعدد السابق — لولا أنه اعتاد أن يوحى إليه بالأمر فيجريه على لسانه، ويكتب له الكتاب فينسبه إلى نفسه. ولكنه ليس بكثير عليه ولا غريب عنه ولا بعيد عنه أن ينطوي قلبه على البغض والكيد للعلم والعلماء. فيغتنم فرصة اجتماع المستدعين لملاقاة الوالي العام في إدارة الأمور الأهلية فيلقى ما لقى إليه ويتحمل مسؤوليته بعد نشره، لأنه على مقتضى هواه من بغض العلم وأهله والسعي في إلحاق الشر والأذى بهم. ولولا اسم النيابة الذي يحمله — والله يعلم كيف كان حمله — والمجمع الحافل الذي نفث سمومه فيه، والإدارة الرسمية التي كان يلقي خطابه فيها لما بالت به الجمعية ولا أعارت كلامه أدنى التفات، ولكن مراعاة لهذه الوجوه فالجمعية ترفع احتجاجاتها لدى الأمة ولدى ممثل الحكومة الذي ألقى هذا الخطاب في حضرته.

احتجاجنا لدى الأمـة :

أيتها الأمة الجزائرية المسلمة !

قد دعاك العلماء إلى العلم واحترام العلم واتباع العلم لما دعاك أضدادهم إلى الجهل وما يجر إليه الجهل، قد دعاك العلماء إلى التفك

في الدنيا والآخرة لما دعاك أضدادهم إلى الجمود والخمول في الدنيا والدين ، قد دعاك العلماء إلى العمل والكد والتعاون لما دعاك أضدادهم إلى الكسل والبطالة والتواكل ، قد دعاك العلماء إلى الله وعبادته وحده لما دعاك أضدادهم إلى أنفسهم وتقديسهم ، قد دعاك العلماء إلى كتاب الله لما دعاك أضدادهم إلى خرافاتهم ، قد دعاك العلماء إلى اتباع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والسلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ لما دعاك أضدادهم إلى اتباع أسلافهم وبدعهم وقبيح عاداتهم ، قد دعاك العلماء إلى البذل في سبيل الخير العام فالمغرم القانوني لما دعاك أضداده إلى البذل لهم وملء خزائنهم. هؤلاء العلماء ـ أيتها الأمة الكريمة ـ الذين دعوك دعوة الحق لا يريدون منك جزاء ولا شكورا ، وهم يتحملون في سبيلك ما تعلمين وما لا تعلمين . قد قام هذا النائب الجاهل الذي تشرف بالنيابة عنك وتحملت مسؤولية ما يأتيه باسمك ، يوجه مطاعنه الكاذبة ومفترياته السامة إلى جميع العلماء المسلمين الجزائريين يحاول نسفها من أصلها ، ويطلب من الحكومة بإلحاح أن تعاملها المعاملة « الشديدة القاسية » ، حتى كأن المسكين تخيل نفسه نائب الحق العام أمام قفص الاتهام .

فإليك أيتها الأمة التي ما رأت منها الجمعية إلا الإكرام بإكرامها لوفودها ، وما رأت منها إلا الإقبال بإقبالها على جريدتها ، التي ما راجت جريدة في القطر مثل رواجها ، وما رأت منك إلا التأييد بما جاءها من وفودك للاجتماع العام الماضي من اجتماعاتها ، فإليك ـ أيتها الأمة الكريمة ـ ترفع الجمعية احتجاجها على هذا النائب الجاهل المعتدي المفتري ، وأنت تعرفين بعد أين تضعينه . . .

احتجاجنا لدى الحكومة :

أيتها الحكومة الفرنسوية ، حكومة الجمهورية المشيدة على العلم ، والأمة التي تدعى بمعلمة الأمة ، ما أسسنا جمعيتنا إلا على مقتضى

قوانينك العادلة . ومـا أردنا إلا مساعدتك عـلى تعليم وتهذيب وترقية هذه الأمة الجزائرية المرتبطة بك في السراء والضراء مدة قرن ، وهي ما زالت تعرف بين الأمم بأنها أمة منحطة جاهلة ، وقد خطبنا في الجموع الحاشدة ، وكتبنا في الصحف المنتشرة ، وما كانت دعوتنا في كل ما خطبنا وكتبنا إلا إلى العلـم والتهذيب وتثقيف العقول وإتقان العمل والتعاون مع جميع السكان واحترام القوانين، ثـم لم تكمل على تأسيس جمعيتنا سنتان حتى أصبحنا نلقى مـن الانتفاعيين الذين لا يعيشون إلا على الجهل ما نلقى مـن وشايات كاذبة تولد تقريرات باطلة ، وتجرئ مثل هذا النائب على أن يقول ما قال . فإليك أيتها الحكومة العظيمة ، نرفع احتجاجنا عـلى هذا النائب المعتدى على كرامة العلم ، وهي كرامة الإنسانية والعالم .

احتجاجنا إلى ممثل الحكومة فى ذلك المجلس :

أيها الممثل المحترم ، قد كان جديرا بمجلسكم الموقر أن ينزه عن توجيه المطاعن الكاذبة لجمعية علمية محترمة في غيبتها . فإذا كان هذا النائب المتقول قد اعتدى على جمعيتنا فقد اعتدى على مجلسكم العظيم ، وإذا كنا نحتج عليه لديكم لاعتدائه علينا فإنا نحتج عليكم لديكم لعدم إسكاته ولسكوتكم عليه . فعسى أن لا يجـد مثلـه في المستقبل فرصة أمـام أمثالكم للطعـن والافتراء . وحسب الحكام العادلين وحسبنا منهم إثبات الحجة وتطبيق القانون ، وذلك ما نرجو ونتحقق أنه من ممثلي فرنسا العظام سيكون ، ولا نزال نسعى في خطتنا المستقيمة إلى غايتنا الشريفة واثقين مطمئنين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل (1) .

عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
الرئيس عبد الحميـد بن باديس

(1) الشريعة : العدد 6 السنة الاولى ، 29 ربيع الثانى 1352 هـ الموافق 21 أوت 1933 م .

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

وصولاتها الجـدد

تنبيـه إلى رؤسـاء الشعـب

قرر مجلس إدارة الجمعية الجديد في اجتماعه الأول رفض العمل بباقي وصولات الجمعية المطبوعة أولا ، وقرر وضـع مثال جديد يطبع عليه وصولات جدد .

وقـد طبعت الوصولات الجدد وسلمت لأمين المـــال ليمضيها وسنوجه من مجلداتها إلى رؤساء شعب الجمعية راجين منهم النشاط في العمل للنهوض بالجمعية ماديا وأدبيا (1) .

من رئيس الجمعية : عبد الحميد بن باديس

وداع وشكر :

وقـــرر إرســال برقيــة وداع وشكر لعامــل عمالــة قسنطينة (م. كارل) وهي هذه :

إن المجلس الإدارى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المجتمع اليوم بنادي الترقي بلغه بمزيد الأسف نبأ مبارحتكم لهذا الوطن بعد أن عمرتم فيه بشرف ولياقة تامين الوظيف السامي الذي كان قلدتكم إياه الحكومة الجمهورية وقمتم بـــه أحسن قيام مدة سنين عديدة . وإن الجمعية تقدر إحسانكم للأمــة الإسلامية الجزائرية

(1) الصراط السوى : العدد 2 السنة الاولى ، جمادى الاولى 1352 هـ ـ سبتمبر سنة 1933 م .

وتشكر لكم مواقفكم الشريفة في شتى الظروف والحوادث التي حركت ما كان ساكنا بهذا القطر، كما تشكر لكم شكرا خالصا ما أظهرتم لها من العناية وستحفظ لكم بسبب ذلك ذكرا جميلا لا ينسيه تعاقب الأيام .

رئيس الجمعية
عبد الحميد بن باديس

بـــــراءة

وقرر إرسال كتاب لجناب الوالي العام وهو هذا :

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد صرحت في ظروف وفرص مختلفة ولا زالت تصرح وتؤكد بأنها بريئة من كل صبغة سياسية ، وأن خطتها وغاياتها وأغراضها التي لم تحد ولن تحيد عنها قط هي دينية علمية تهذيبية لا غير .

كما تصرح وتؤكد لكم من جديد بأنها مستقلة عن كل الطوائف، وكل الأحزاب السياسية وغيرها سواء في ذلك الداخلية منها والخارجية ، وهي جمعية جزائرية إسلامية تعمل للأمة الجزائرية الإسلامية في دائرة الديانة الإسلامية والقوانين الفرنسوية خلافا لما قرأناه وفهمناه من التصريحات المنسوبة إليكم فى جريدة (البتي باريزيان) في عددها الصادر يوم أول نوفمبر سنة 1933 .

رئيس الجمعية
عبد الحميد بن باديس

احتجـــاج دينـــي إنســـانى

وقرر إرسال برقية احتجاج لوزارة الخارجية وهي هذه :

إن الحوادث الدامية التى وقعت أخيرا بفلسطين قد آلمتنا ومست

شعورنا الديني،وأن تلك البقاع المقدسة عند جميع الأمم والتي هي القبلة الأولى للإسلام مما يجب أن تستنكر الإنسانية وكل روح دينية كل ما يكون فيها من ترتيب يؤدي الى إثارة الفتنة وسفك الدماء بها فنحن باسم الدين والإنسانية نقدم لوزارة الخارجية الفرنسوية التي هى الممثلة لرعاياها المسلمين في مثل هذه المواقف احتجاجنا ضد ذلك .

برقيــة تــالـم

وقرر إرسال برقية إلى فضيلة مفتي القدس وهى هذه :

آلمتنا كما آلمت كل مسلم الحوادث الدامية الواقعة بفلسطين،وإننا رفعنا احتجاجنا ضد ذلك بواسطة وزارة الخارجية الفرنسوية .(*)

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

عبد الحميد بن باديس

(*)الصراط السوى : السنة الاولى العدد 11 ، 9 شعبان 1352 هـ 27 نوفمبر 1933 م

تلغراف مرسل إلى السيد الوالي العام

إن أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين البالغ عددهم ألفين ، المجتمعين بعاصمة الجزائر من اجتماعهم العمومي السنوي يعربون عن إخلاصهم لفرنسا وارتباطهم بها،ويلفتون نظركم بكل احترام نحو الحالة السيئة الناشئة عن منع الوعاظ والمرشدين الأحرار من المساجد،وتضييق حرية التعليم العربي،وتعطيل الجرائد التى تصدرها الجمعية باللغة العربية،ويطلبون منكم،مراعاة للصالح العام وتهدئة للأفكار،أن ترفعوا كل تحجير وكل منع من النوع المشار إليه،وأن تصدروا الأوامر التي تكفل حرية الديانة، وحرية التعليم العربي،وحرية الصحافة العربية (1) .

رئيس الجمعية

عبد الحميد بن باديس

(1) ش : ج 9 ، م 10 غرة جمادى الاولى 1353 هـ 12 اوت 1934 م

حول مقال نشرته جريدة الطان

بعنوان : « قبل اجتماع اللجنة العليا للبحر المتوسط »

وأذاعته عنها جرائد الشمال الافريقي اليومية الفرنسية

جريدة الطان الباريسية الكبرى تعمل على إثـــارة الشعـب الجزائري وتهييج الرأي العام بما نشرته من تهم باطلة وأكاذيب ملفقة كنا نحسب أنها ذهبت بذهاب مروجيها، وإبعادهم عن إدارة حكومة الجزائر، وإطلاع الحكومة العليا بباريس على الحقيقة .

ترجمة ما يتعلق بالجزائر من مقال الطان : المنشور في عددها الصادر بتاريخ 21 فيفرى 1936 م ، إلى العربية .

1 ـ تأثيره في الرأي العام الجزائري .

2 ـ احتجاج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بواسطة سمو الوالي العـام .

3 ـ رسالة الاحتجاج التي أرسلتها الجمعية إلى (الطان) وطلبت منها نشرها إحقاقا للحق وردا للفرية المفتراة .

(ترجمة ما يتعلق بالجزائر من مقال الطان)

(عدد 21 فيفرى 1936 م)

عندما ألقى مسيو لوبو الوالي العام تقريره على مسامع مسيو سارو أثناء الأسبوع السالف ، عزم رئيس الحكومـــة فجأة عـلى

استدعاء اللجنة العليا للبحر المتوسط ، ذلك أنه في أيام قليلة ، تغير الطقس السياسي في الكثير من الجهات الجزائرية ، كأنما ذلك الأمر وقع بناء على أمر ورد من الخارج .

فالهيجون الذين نعرفهم من زمن بعيد ، والذين كنا نعتقد أنهم أخلدوا لجانب الهدوء أثر الإنذارات التي تلقوها من مسيو ريني أثناء سياحته بقطر الجزائر سنة 1935 م ، قد عاد إليهم الإقدام ، ولعلهم يهيئون الجماعات الأهلية للقيام بنفرة رهيبة كالتى لا تزال آثارها عالقة بأذهان سكان قسنطينة .

فالدكتور ابن جلول مؤسس ورئيس جمعية النواب المسلمين، والنائب فى المجلسين المالي والعمالي،ونائب شيخ مدينة قسنطينة ، يتهم الإدارة علنا في جريدته (الانطانط) بأنها تريد أن تلقي بالجزائر في ميدان النيران والدماء .

ويتبعه في هذا الطريق السيدان ابن باديس والطيب العقبي ، وهما على رأس العلماء ، قد جمعا في نادي الترقي كل الذين يعملون على تحطيم النفوذ الفرنسي ، باستعمال الوسائل المختلفة وبمثابرة ودقة عنصرية .

وفي كل جهة نجد دعاة ناشطين للمذهب الوهابي الجديد ، وهم أعوان الجامعة العربية الذين يدينون بفكرة شكيب ارسلان ، يرسلها إليهم من لوزان على طريق القاهرة ، وطريقة عملهم غير متوحدة،كما أن مطالبهم مختلفة : حرية الوعظ في المساجد، والتعليم الحر بدون مراقبة .

فهنا يقع حث الفلاحين على عدم دفع الضرائب وهم يقبلون ، وهنالك تجمع الإعانات لشراء الديار التي ستكون تحت ستار المعاهد الدينية ، مراكز لتعليم وتثقيف الناشئة الإصلاحية المتعصبة ، وفي جهة أخرى يقع استثمار موت الأمير خالد حفيد

عبد القادر ، وقد توفي أخيرا بدمشق ، ويقومون بدعوة لإقامة الصلوات العامة عليه .

أما دعاية الأممية الثالثة (الشيوعية) فهي ليست بدعاية مبدئية ، فدعاتها لا يبشرون بالشيوعية،إنما يختارون أشياء يمكنهم بواسطتها الدعوة إلى حزب الثورة بين عملة السكة الحديد والمراسى وبقية الشغالين ، فيدعونهم إلى مقاومة الفاشيستية،وإلى تحبيذ سياسة الأعمال الزجرية النهائية (التى قررتها جمعية الأمم ضد ايطاليا) وبلا ريب أن العدالة قد استعملت حقها فى زجر الزعماء الذين تقدموا بصفة فاضحة كالمنادى وبارتيل ، إنما فى غيبة هذين الزعيمين تقوم بالدعوة جمعية « الإعانة الأممية الحمراء » و « أحباب أورس س » الذين بواسطة جمعية « نجم شمال افريقيا » يبثون فى الأوساط الإسلامية أفلاما سنمائية تمجد أعمال الشيوعية ، فناحيتا قسنطينة وتبسة القريبتان لتونس والتى يمكن الجولان بسهولة للدعاة بين تونس والجزائر بواسطتها ، وتلمسان وهي مركز التعصب الديني القوي ، هي النواحي التي تحوم حولها الشكوك بكثرة ، والتي تسهر الولاية العامة على مراقبتها ، حسبما سيبسطه مسيو لوبو أمام أعضاء اللجنة العليا للبحر المتوسط ، انتهى .

* * *

هذا هو المقال الذى نشرته"الطان"فأقام الجزائر وأقعدها ، وصير الأمة الجزائرية ترجع في اتهامها وإساءة الظن بها إلى ما كانت عليه قبل عامين،بعد أن هدأت الأفكار،وركدت ريح المشاغبات،وذهب الله بمن كانوا سببها وسبب كل ما حل ونزل بهذه الأمة الوديعة من جهد وبلاء ، أما الاحتجاجات التى أثارها مفعول هذا المقال الذي كان وقعه جد شديد على الأمة كلها فهو كما يلى :

احتجاج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أبرق رئيس جمعية العلماء إلى سمو الوالي العام على القطر الجزائري «بباريس» احتجاجا على ما نشرته جريدة (الطان) بالبرقية الآتية :

سيدي الوالي العام :

إن ما رمت به صحيفة (الطان) الأمة الجزائرية جمعاء قد استاءت له جميع طبقاتها ، وهي تعلن لسموكم براءتها من تلك التهم واستياءها من كل ما يورث حكومتها سوء الظن بها ، وترجو من سموكم أن تبرئوا ساحتها من تلك التهم الباطلة .

عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

عبد الحميد بن باديس

رسالة جمعية العلماء إلى الطان

رئيس تحرير صحيفة الطان المحترم :

إن ما نشر بصحيفتكم في شأن الأمة الجزائرية وتصوير علمائها ونوابها وعامتها في صورة العداء لحكومتها الفرنسية،ورميها بتهم هي منها بريئة ، قد استاء له الفكر العام الجزائري ، واعتبر تلك التهم الجارحة استخفافا منكم بكرامتها،ونكرانا لمواقفها العديدة الناطقة بإخلاصها لحكومتها الفرنسية .

إن نشريات كتلك تعد عند العقلاء تفتينا بين الأمة الهادئة ، والحكومة العليا العادلة ، وسعيا في إثارة الظنون السيئة،وإيغار الصدور الصافية .

إن الأمة الجزائرية قد بلغت حالتها ماديا وأدبيا إلى أسوإ ما يتصور . وأنها مع ذلك كله ملازمة لجانب الهدوء التام، ومعتصمة بحبل الرجاء والانتظار ، وأنها ما تزال مع ذلك تلاقي معاملات قاسية .

رئيس التحرير المحترم !

إن الإنسانية تقضي بالرأفة والرقة لحالة الأمة الجزائرية، وإن النصح يقضي بمطالبة الحكومة بالإسراع إلى معالجة حالتها الحاضرة بما يرضى الأمة والانسانية وتحسين سمعة حكومتنا الفرنسية في الداخل والخارج (1) .

عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

عبد الحميد بن باديس

(1) البصائر : س 1 ، العدد 9 ، 5 ذي الحجة 1354 هـ 28 فيفري 1936 م

عريضة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الى جناب مدير الشؤون الاهلية العام (ميو)

مما تقرر في الجلسة الأخيرة لهيئة إدارة الجمعية رفع هـذه العريضة إلى مدير الشؤون الأهلية العام،بعد ترجمتها إلى اللغـة الفرنسية ، وقد أرسل إلينا رئيس الجمعية بنصها العربي موقعا عليه بإمضائه لتنشر في «البصائر» حسبما تقرر أيضا ، فبادرنا بنشرها حرفيا .

(قلم التحرير)

جناب السيد المدير العام للشؤون الأهلية والتـراب الجنوبي بالولاية الجزائرية العامة !

يا جناب المدير !

كانت جمعيـة العلمـاء المسلمـين الجزائـريين ـ لأول مـا استلمتم مقاليد الإدارة الأهلية،وتوسمت في شخصكم مخايل الحق والإنصاف ـ فاوضتكم بواسطة وفدها في حقوقها التي كانـت مهضومة ، وشرحت لكم النقط التي يشهد الحق أنها كانت ومـا زالت فيها مظلومة ، وتقدمت إليكم بمطالب هي أصول لفـروع وكليات لجزئيات . وقد سمع الوفد من جنابكم تصريحا بحقيـة مطالبها ، ووعدا بإنصافها ورفع الظلم عنها .

فعدت الجمعية ذلك التصريح منكم تسجيـلا لحقوقها ، وعـدت ذلك الوعد منكم عهدا محقق الوفاء ، وعقدا محقـق التنفيـذ ،

وأعلنت للأمة المغبونة في حقها ، المحرومة من مساجدها ، المرهقة في تعلمها وتعليمها ، أن تلك القرارات الفردية الجائرة ستلغى ، وأن ما مضى من الظلم لا يعود،وأن أول الإنصاف فتح باب المفاهمة بالحسنى ، وانتظرت الجمعية ، وانتظرت من ورائها الأمـة نتيجة هذه المفاهمة واثقة بوعد جنابكم ، وخففت الأصوات التي كانت مرفوعة بالشكوى والتظلم تقليلا لأسباب الجفاء ، وتمهيدا لتحقيق الوفاء ، واعتصمت الجمعية والأمة بالصبر والهدوء تمكينا لجنابكم من اغتنام الفرص وتذليل الموانع التي كلنا يعتقد أنها موجودة وأنها كثيرة ، وإن كنا نعتقد أيضا أن الحق موجود وأنه أقوى منها ، وأن الذي نطلبه ليس بإيجاد لشيء لم يكن لنا ، وإنما هـو إرجاع لحق ثابت لنا واغتصب منا ، ورجوع من خطإ إلى صواب ، ومن ظلم إلى إنصاف ، ثم نجز بعد طول الانتظار جزء قليل من وعدكم فأنعش الأمل وقوى الرجاء،ولكن الجزء الذي نجز أرب من آراب ، وباب من أبواب ، وصحيفة من كتاب ، وما زال وعدكم بإتمام الباقي يتجدد، والأسباب الداعية للإسراع بالتنجيز تقـوى في نظرنا وتتـأكد ، والموانع العائقة عن رجوع الحـق إلى أهله تتلاشى ــ في اعتقادنا ــ وتزول من غير أن تنتهي إلى نتيجة ترفع الحيرة وتجلي الموقف،وقد مـر على هذه الحالة ما يقرب مـن السنتين ، وحدث من الأسباب ما اقتضى تجديد الخطاب ، وطلب الفصيح الواضح من الجواب .

يا جناب المدير !

إن المجلس الإداري لجمعية العلماء المنعقد بمركزها العام بالجزائر يـوم 6 ماي 1936 م قـد قرر قيام وفوده بجولات الوعظ والإرشاد الديني في العمالات الثلاث في أول جويلية القابل على العادة التي جرى عليها في السنوات الماضية . وهي عادة أصبحت مـن حقوق الأمة على الجمعية ، تتقاضاها الأمة من الجمعية ، ويجب على الجمعية الوفاء بها للأمة ، ولا تستطيع بحال أن تسقطها أو تقصر فيها .

وان وفود الجمعية في السنة الماضية اضطرت إلى إلقاء دروسها الدينية على الأمة في أماكن لا تتناسب مع حرمة الدين ، ولا مع شرف الجمعية وقدر الأمة وسمعة الحكومة ومبدئها ـ كل ذلك ومساجد الأمة موجودة ، ولكنها مغلقة في وجهها ووجه علمائها .

فرأى المجلس بهذه المناسبة أن يلفت نظركم إلى أن أمد الانتظار قد طال ، وأن يذكركم باعترافكم الرسمي لوفده بحقية مطالبه ، ورأى نفسه مضطرا إلى مصارحتكم بأن الثقة التي وضعها المجلس الإداري في جنابكم ، لم تقابل بما يكافئها من النتائج في نظر الجمعية والأمة معا ، وأن الرأي العام قوى شعوره بأن المفاهمة طال أمدها ولم تأت بنتيجة تحققها . فالمساجد لا تزال مغلقة في وجوه علماء الأمة ، والتضييق على التعليم العربي الحر لم يزل على شدته لم يتبدل في قليل ولا كثير ، ورجال الجمعية الذين هم ـ في الواقع ـ دعاة خير ورحمة ، وحملة أمان وسلام ، ووسائل تربية وتهذيب ، لم يزالوا محفوفين بالشكوك والريب في دوائرهم الخاصة،ولا تزال تنبعث من بعض الجهات الإدارية إيعازات التحريض بهم ، والتخويف منهم،ومحاولات تصويرهم بغير حقيقتهم .

والمجلس الإدارى لجمعية العلماء لا يعرف الفرق بين جهة من الإدارة وبين جهة أخرى،ولا يعتقد إلا أن تلك الجهات بعضها من بعضها ، ولا يفهم معنى للمفاهمة بالحسنى مع بقاء الحالة على ما وصفنا ، وبعد أن حكم الزمان حكمه وأقام الأدلة على أن باطن هذه الجمعية كظاهرها .

ولتعلم ـ يا جناب المدير ـ أننا لا نطلب فتح المساجد لنتخذها بيوت سكنى ، أو نستعملها فى مصالحنا الخاصة ، أو لنحتكرها لدروسنا ، وإنما نطلبها للأمة لتنتفع بها في غرض ديني هو أحد المقاصد التى أسست لأجلها وهو أن تتعلم أمور دينها على علمائها في مساجدها .

فهل يحسن بسمعة فرنسا أن تسامس أمة إسلامية وفيرة العدد بالقرارات الفردية في أخص خصائص دينها ؟ وهل يجمل بحكومة الجزائر أن تتوقف كل هذا التوقف في إلغاء قرار فردي ظهر خطأه من يوم وضعه ؟ وهل من المعقول أن يكون غير المسلمين أولى من علماء الأمة بإقامة الاجتماعات في المساجد ؟ أو يكون غير المسلمين أحرص من علماء الإسلام على احترام المساجد ، وأعرف بحقوقها وبما يجوز أن يقال فيها وما لا يجوز ؟

يا جناب المدير !

إننا نرجو أن يكون جوابكم في هذه المرة إيجابيا عمليا واضح الحدود منطقيا متناسبا مع مكانتكم العلمية ومقامكم الإداري ومركز الجمعية التي تخاطبكم بهذا نيابة عن الأمة .

فهل لكم – يا جناب المدير ! – أن تحققوا ثقة الجمعية بكم لدى الأمة ، وتؤكدوا احترامها لوعودكم ؟

وتقبل – يا جناب المدير ! – فائق احترامنا لشخصكم وتقديرنا لمساعيكم (1) .

عن المجلس الإدارى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين :
الرئيس عبد الحميد بن باديس

(1) البصائر : السنة 1 العدد 21 – 8 ربيع الاول 1355 هـ 29 ماى 1936 م .

الاحتجـــاجـــات

على المعاملة السيئة التي عومل بهـا الحجاج في هذه السنـة

(عومل الحجاج كما أسلفنا في هذه السنة معاملة لم يسبق لهـا نظير ولذلك ارتفعت الأصوات بالاحتجاج على هذه المعاملة السيئة من كل جهة . وإلى القارىء الكريم نص ما أمكننا الحصول عليه من هذه الاحتجاجات الكثيرة الصارخة التي نشرت جلها جريدة « لِيكُودْ الْجِي ») .

برقية الأستاذ عبد الحميد بن باديس

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

عنابة 28 جانفى 1937 م

إلى السيد الوالي العام ـ باريس :

أتشرف بإعلامكم أن عددا كبيرا من حجاج عمالة قسنطينة بقي معطلا بمدينة عنابة حيث أن الباخرة (مندوزة) لا تستطيع أن تحمل الجميع . أسائل فيكم عاطفة العدالة أن تأذنوا بسفر باخرة ثانية لحمل بقية الحجاج الذين تحصلوا على تذاكر السفر ، وبذلك يمكنكم أن تخففوا وطـأة التأثر المؤلم العميق الـذي سـاد في الطبقات الإسلامية وتقبلوا انعطافنا (1) .

عبد الحميد بن باديس رئيس العلماء

(1) البصائر : س 2 ، عدد 54 ذو القعدة 1355 هـ ـ 9 فيفرى 1937 م

شكـــر ووداع

أودع الأمة التونسية الكريمة شاكرا لها ولصحافتها الراقية ما أبدته نحوي من عواطف الود الأخوي الذي فاق كل تقدير . وأن الذي يسرني ـ حقا ـ من ذلك هو أنه كان موجها في الحقيقة نحو المبدإ الذي دعوت إليه في خطبي،وهو الاحتفاظ بالذاتية العربية الإسلامية في الشمال الافريقي كله،والإعلان بوحدة أقطاره الأربع ـ طرابلس وتونس والجزائر ومراكش ـ في الحاضر والمستقبل مثلما هي ثابتة في الماضي . وأفضل الود والإكرام ما كان للمبادىء الخالدة،وجاءت فيه الأشخاص الفانية عـلى التبع ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (1) .

وأرسلت إلى (البُتِي مَاتَانْ) :

سيدى مدير (البتي ماتان)المحترم

تحية وتقدير ،

سيدي ـ أنا كمسلم ـ أديـن بالأخوة الإنسانية واحترامها في جميع أجناسها وأديانها ، وأسعى للتقريب بـين جميع عناصرها ، وأجاهد فيما هو السبيل الوحيد لتحصيل ذلك وهو العدل والتناصف والاحترام . فكل ما تفضلتم به في جريدتكم من ذكري فهو موجه إلى هذا المبدإ الإسلامي الإنساني الذي تساهم فيه جريدتكم بنصيب وافر . فشكرا لكم ـ سيدي ـ بلسان هذا المبدإ السامي وأهله ، ثم بلسان شخصي الضعيف الفاني .

لكم احترامات معظمكم (1) .

عبد الحميد بن باديس

---

(1) ش : ج 5 ، م 13 ، جمادى الاولى 1356 هـ 11 جويلية 1937 م

الشقيقة الجزائرية

تهنىء شقيقتها تونس بعودة الزعيم

وردت علينا من العاصمة الجزائرية البرقية التالية من فضيلة العلامة الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس باسم جمعية العلماء الجزائريين يهنىء بها الزعيم الجليل والأمة التونسية بعودة زعيمها إليها وهذا فحواها .

عاصمة الجزائر :

إن جمعية العلماء الجزائريين تحيي بكل فرح وسرور عودتكم من منفاكم،وتساهم بقسط وافر في فرح وسرور إخوانها التونسيين المحتفلين بالزعيم المحبوب المحترم الذى ضرب المثل الأعلى في الإخلاص والتضحية ،(1) .

الرئيس عبد الحميد بن باديس
نادي الترقي بعاصمة الجزائر

(1) ش : ج 5 ، م 13 ، جمادى الاولى 1356 هـ ـ جويلية 1937 .

في الاجتماع الإداري الأخير

برقية تهنئة برجوع الزعيم الكبير الأستاذ عبد العزيز الثعالبي إلى تونس .

برقية احتجاج على تعطيل القراءة بجامع الزيتونة وإهمال النظر في مطالب تلامذته حتى اليوم .

برقية احتجاج على تعطيل حكومة « مراكش » الاحتفال بالمولد النبوي بها .

لائحة استنكار لعرقلة التعليم وتعطيل سيره .

مما تقرر بمجلس إدارة « جمعية العلماء المسلمين » في اجتماعه الاخير المنعقد في الأيام 12 و 13 و 14 جويلية ونفذ بالفعل، إرسال هذه البرقيات الثلاث ، وإلى القراء هي بنصها العربي المبين .

الشيخ عبد العزيز الثعالبى :

بإدارة جريدة « الزهرة » بتونس :

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحييكم بسرور بمناسبة رجوعكم من المنفى، وتشارك مشاركة تامة الإخوان التونسيين في ابتهاجهم بعودة الزعيم المحبوب المحترم الذي أصبح مثال الإخلاص والتضحية .

وزيــر الخارجية بباريس والمقيــم العــام بتونس

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين متألمة جد الألم لما حدث بكلية الزيتونة،وترغب منكم أن تبادروا بفعل اللازم لتنتهي الحالة الأسيفة التي أقلقت جميع المسلمين عموما ومسلمي شمال افريقيا خصوصا،وفي أملها أن تتخذ عزما كــل الوسائل لإرضاء التلاميذ والتعجيل بفتح الدروس من جديد .

وزيــر الخارجية بباريس والمقيم العــام بالرباط

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحتج بكل شدة وبالنيابة عن كافة المسلمين ضد منع الاحتفالات التي نــوى إقامتها مسلمو مراكش بمناسبة موسم المــولد النبوي الشريف،وتعتبر هذا المنع اعتداء فادحا على الحرية الدينية،وعلى شرف مسلمي المغرب الأقصى والعالم بأسره،وتعلمكم بأن تكرر حادث من هذا القبيل يقضي على عواطف المسلمين بلا استثناء نحو دولة فرنسا .

ومما تقرر أيضا تقديم لائحة إلى سمو الوالي العام تستنكر بها الجمعية عرقلــة التعليم العربي وتوقيف سيره حتى في المكاتــب القرآنية وهي كما يلي :

الجزائر يوم 13 جوليت سنة 1937 م

إلى جناب الوالي العام على القطر الجزائري

سيد الوالي العام !

أتشرف بتقديمي لكم اللائحة الآتية المصادق عليها بالإجماع من المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

إن المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين متـألم ومتأسف جـد الأسف للمظالم والاعتداءات المتكررة عـلى رؤساء وأعضاء جمعيات التهذيب والتعليم العربي .

وبما أن جميع طلبات الرخص لفتح المكاتب تلغى بغير سبب أو لا يجاب أصحابها .

وحيث أن طالبي الرخص لما يشاهدون هذا الحيف وهذا الجفاء ويرون في ذلك ما يعاكس رغبتهم في تعليم أبنائهم،ويضيع ما بذلوه من الجهود في هذا السبيل ـ يفتحون المكاتب ممتثلين تمام الامتثال لقانون 18 أكتوبر سنة 1892 م ومحسنين الظن بالحكومة،عسى أن تقدر كما ينبغي،رغبتهم في تعليم الأولاد ، وتعتبر ما ضحوا بـه لهـذا الغرض الشريف .

وحيث إن الذين يفتحون المكاتب بهذه الكيفية وبهذه الطريقة المعقولة يحاكمون كلهم ويساقون أمام المجالس العدلية كأنهم جناة .

وحيث إن هذا العمل الممقوت تكرر في عـدد كثـير من المدن والقرى بالعمالات الثـلاث كوهران والأغواط وشرشـال وبجاية وعدة بليدات بناحية قالمة وأوراس .

وحيث إن المسلمين يتعسر عليهم فهم ما يقصد من هذه المعاملات القاسية الشاذة التي تعرقل سـير التعليم وتثبط مساعي الرجال الذين ينهضون لعلاج الحالة السيئة الناشئة عن قلـة عـدد المكاتب الرسمية،ويتعذر عليهم تصور الأسباب التي تقـاوم بهـا الحكومة رغبتهم الشديدة في نـشر التعليم عـوض أن تشجع هذه الرغبة وتعينهم على تنفيذها .

لهذه الأسباب والموجبات يلتمس المجلس الإداري من السيد الوالي العام ويطلب منه بكل الحاح أن يرسل حينا إلى الحكام المحليين الأوامر

والتعاليم اللازمة ليسهلوا فتح المكاتب القرآنية التي تبقى لا محالة تحت مراقبة الحكومة في دائرة العدل والإنصاف،وليكفوا عن محاكمة الذين فتحوا بعض المكاتب بغير مخالفة للقوانين المتعلقة بالموضوع.

وتقبلوا سيدي الوالي فائق احترامي .

رئيس الجمعية : عبد الحميد بن باديس

البصائر : السنة 2 العدد 76 ، الجمعة 14 جمادى الاولى 1356 هـ 23 جوليت 1937 م

احتجاج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

عـلى تقسيم فلسطـين

وزير الخارجية الفرنسية :

باسم الأمـة الإسلامية الجزائرية أرفع احتجاجي الشديد ضـد مشروع تقسيم فلسطين ذلك القطر العربي الذي ضمنت له العهود والمواثيق الدولية حفظ كيانه واستقلاله ، وأعتبر هذا المشروع ضدية قاضية على حياة شعب ضعيف،دافع طيلة سنين عديدة دفاع الأبطال عن شرفـه وحريته ، واعتداء شنيعا عـلى جميع الشعوب العربية الإسلامية ، وانتهاكا لحرمـة الأماكن المقدسة عند سائـر المسلمين ، ولي الامل في تدخل الحكومة الفرنسية بكل سرعة لمنـع هذا التقسيم (1) .

عبد الحميد بن باديس

---

(1) البصائر : س 2 ، ع 79 جمادى الثانية 1356 هـ ـ أوت 1937 م

احتجاج جمعية العلماء

على انتهاك حرمة الدين بغرادية

نحن باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نحتج بكل قوة ضد الاعتداء الفظيع والامتهان الجارح لكرامة الديـن الإسلامي وحرمة القرآن العظيم في شخص إخواننا بني ميزاب باعتقال سيدين منهم في السجن وهما الأستاذ صالح با بكر رئيس جمعية الإصلاح ومدير مدرستها بغرداية .

والسيد بفباغة أحمد بن حم نائب الرئيس والعضو العامل بجماعة الضمان .

وبتغريم ستة من أعضاء جماعة الضمان في وقت أدائهم لواجب ديني محض من قراءة القرآن الكريم،وتوزيع الصدقات،وتضرع إلى الله أن يغيث خلقه بوابل رحمته،وأن يزيح عنهم كابوس القحط النازل على البلاد .

كما نحتج بكل قوانا ضد القرار الذي وضعته إدارة غرداية في 17 ماى 1937 م وصادقت عليه الولاية العامة في 11 جوان 1937 م، ذلك القرار الموجه ضد حرمة الدين المقدس القاضي بمنع أي اجتماع ما عدا موكب الجنائز . ونرجو باسم عدالة فرنسا وإنصافها أن تلغى هذه القوانين الاستثنائية الجارحة التي تنافي سائر تعهداتها والتزاماتها لرعاياها المسلمين، وتمس كرامة الإسلام في الصميم (1)

عبد الحميد بن باديس

(1) البصائر : س 2 ، ع 80 ، جمادى الثانية 1356 هـ — سبتمبر 1937 م

احتجاج رئيس جمعية العلماء على حادث مسجد قنزات

قسنطينة 24 كتوبر سنة 1937 م

سيدي الوالي العام ،

سيدي عامل عمالة قسنطينة ،

أتشرف بتقديمي لكم احتجاجي الصارم على ما ارتكبه بعض الجندرمة وأعوان الحكومة من انتهاك حرمة مسجد قنزات ، وهاكم تفاصيل الحادث كما وقع بغير زيادة ولا نقصان .

يوم الجمعة 22 أكتوبر بينما كان أحد الشبان المثقفين ، الشيخ الفضيل الورتلاني يفسر آية من آيات كتاب الله أمام جم غفير من مسلمي القرية المذكورة إذ دخل عليهم في المسجد أعوان السلطة بدون استئذان ولا مراعاة لما توجبه قواعد النظام على من يريد دخول المعابد على اختلاف أنواعها ، كفاكم أنهم لم يتنازلوا حتى لخلع نعالهم .

ولما أبدى لهم إمام المسجد ملاحظة لطيفة على هذا الصنيع المزري أجابوه بأن لهم أن يفعلوا ما شاءوا فعله وأسمعوه من بذىء القول ما جرح عواطفه ومس بشرفه .

في أملي أن مجرد إخباركم بهذا الاعتداء على الآداب العامة يكفي لاستصدار ما يلزم من أوامركم العادلة بزجر مقترفي هذا العمل الشنيع لكيلا تتكرر أمثاله .

وتقبلوا سيدي فائق احترامي (1) .

عبد الحميد بن باديس

---

(1) البصائر : س 2 ، ع 85 ، رمضان 1356 هـ ــ 5 نوفمبر 1937 م

بـرقية تهنئـة ورجـاء

إلى أبي الدستور الأستاذ عبد العزيز الثعالبى

قسنطينة 18 رمضان 1356 هـ الموافق لـ 21 نوفمبر 1937 م
الأستاذ عبد العزيز الثعالبي : تونس

أهنئكم بفتح النادي العظيم ، راجيا أن يكون بـه فتح جديد لتونس العزيزة وافريقيا الشمالية ، دمتم للإسلام والعروبة والعلم والفضيلة (1) .

عبد الحميد بن باديس

(1) ش : ج 9 ، م 13 ، رمضان 1356 هـ ـ نوفمبر 1937 م

بـرقية شكـر وتهنئـة

إلى الدكتور الماطري رئيس الحزب الدستورى التونسى

الدكتور الماطري تونس

بلسـان افريقيا الشمالية والجزائر أشكركم وأشكـر الحـزب الدستورى وأشكر تونس عـلى عطفكم الأخوي الصادق ، وأهنئكم بفوزكم بإعلان تضامن افريقيا الشمالية بالفعل لأول مرة (1) .

عبد الحميد بن باديس

(1) ش : ج 9 ، م 13 ، رمضان 1356 هـ ـ نوفمبر 1937 م

عيـد الفطـر المبـارك

تهنئة به إلى الأمة الجزائرية الكريمة

كنا قبل اليوم نهنيء الأمة الجزائرية بمثل هذا العيد ، وليس لها من مظاهر السعادة ما تهنأ به إلا ما نرجوه لها ونأمل .

أما اليوم فإننا نهنئها وهي في طور جديد من أطوار حياتها هو أساس سعادتها ، طور سامت به شقيقاتها هنا وهنالك ، فنهنئها ومن أبنائها من هو سجين في سبيل العلم والهداية ، ومن هو سجين في سبيل السياسة والحقوق المغصوبة .

أمة أخذت تقدم الضحايا في سبيل سعادتها ، حقيقة بأن تنـال السعادة ، وبأن تهنأ بها ، فتهانينا إليها بعيدها وسعادتها ، وتهانينا ـ على الخصوص ـ إلى أولئك الأبطال الأماجد السيد الحاج مصـالي ورفاقه والشيخ عمر دردور .

حياهم اللـه وعجل بسراحهم ، وجعل فيهـم القدوة الحسنة في الصبر والتضحية .

وتهانينا إلى العالـم الإسلامي والعـربي النـاهض للسعـادة والكمال (1) .

عبد الحميد بن باديس

(1) ش : ج 9 ، م 13 ، رمضان 1356 هـ ـ نوفمبر 1937 م

برقية جمعية العلماء

الى المؤتمر البرلمانى من أجل فلسطين

أبرقت جمعية العلماء إلى المؤتمر البرلماني ببرقية هي خلاصة ما يلي : مكتب علوبة باشا ـ القاهرة ـ مصر .

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ـ باسم المسلمين الجزائريين ، تحيي في شخصكم مؤتمركم العظيم ، وتضم صوتها إلى صوتكم ، وتوافق على ما يستقر عليه رأيكم ، وتؤيدكم بكل ما تستطيع في سبيل قضية فلسطين التي هي قضية الحق والإنسانية والسلم العام (1) .

الرئيس عبد الحميد بن باديس

(1) البصائر : س 2 ، ع 135 ـ شعبان 1357 هـ ـ أكتوبر 1938 م

القسم السادس

الفواتح والخواتم

إننا نجدد العهد بيننا وبين قرائنا على السير على ما عرفوه فينا من صدق وصراحة وقصد للخير . غير متملقين لأحد ولا متحاملين عليه ، مع المحافظة التامة على شخصيتنا وكل مقوماتنا الكريمة مما به كنا ، وبه يقينا ، وبه نكون ، دون تفريق في العدل والإحسان ، بين الأجناس والأديان ، والمجد للإسلام والعروبة والجزائر ، والسعادة للعاملين ، من الأفراد والأمم لخير الإنسان (1) .

(1) ش : ج 1 ، م 15 ، محرم 1358 هـ فيفري 1939 م

خاتمة المجلد الخامس

بهذا الجزء تمت أجزاء المجلد الخامس اثني عشر جزءا . وانقضى عام على « الشهاب » مجلة شهرية ، وإذا لم يكن يجب أن يكون فقد كان على نهاية ما استطاع ، وقد كان قرر أن يشعر قراءه بروح الأخوة الإيمانية التي تربط بينهم مهما اختلفت أفكارهم ، وقد نجح في هذا إلى حد بعيد . فهو بهذه النعمة الربانية جد مغتبط ومسرور . معتزما على شكرها باستمرار العمل،حاسبا إياها أعظم جزاء على ما عمل ، وأكبر معز ومصبر عما يلقاه من مكاشحة « العدو » وتقصير الصديق .

علم الله أننا لا نجني من هذه المجلة ثمرة مادية ، وإنما نعود عليها بمالها . ولو كثر مالها لكبر حجمها وغزرت موادها ، ورغم ذلك فقد بلغت صفحاتها ستة وخمسين،بعدما كانت اثنتين وثلاثين في الجزء الاول ، وستصدر في سنتها الجديدة ــ إن شاء الله تعالى ــ في أربعة وستين ، وسنوسع في أبوابها حسبما نستطيع من التوسيع.

ليس لنا ــ بعد عون الله تعالى ــ إلا همم إخواننا المسلمين عموما والمشتركين معنا في المجلة خصوصا ، فنحن ندعوهم إلى مؤازرتنا على ما نتوخاه للجميع من خير وصلاح ، ونستحث المقصرين والمتخلفين إلى أداء واجب اشتراكهم القليل .

وقد رأينا ــ والحمد لله ــ من كثير من إخواننا مؤازرة ومساعدة، شكر الله لهم ما عملوا،وأثابهم عليه،ووفق غيرهم إلى الاقتداء بهم فيه ، والله ولي العون والتوفيق للجميع (1) .

---

(1) ش : ج 12 ، م 5 ، شعبان 1348 هـ ــ جانفي 1930 م .

فاتحة المجلد السادس

بسم الله الرحمن الرحيم ،

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

نحمد الله الذي أمدنا بروح منه حتى قطعنا السنة الماضية ، وأبقى فينا الثقة والرجاء لقطع السنة الحالية ، والسنوات التالية ، ثم نتقدم لقراء « الشهاب » ومشتركيه ومناصريه الفضلاء الأكارم بالإشادة بحسن الثناء ، والدعاء بجميل الجزاء ، واعدين حضرتهم بالمضي على ما عرفوا من خطتنا : ننشر هداية القرآن وندعو إليها ، ونعتصم برابطة الأخوة ونحافظ عليها . داعين إلى العلم والعمل والتقدم،في نظام وسلام،قاصدين الخير،وساعين فيه لصالح الجميع .

ثبت الله القصد ، وأيد العمل ، وقرب الغاية ، إنه الولي النصير[1]

(1) ش : ج 1 ، م 6 ، رمضان 1348 هـ ـ فيفرى 1930 م .

خاتمة المجلد السادس

قد انتهى بهذا الجزء المجلد السادس ، فالحمد لله على نعمته وتيسيره،وما أمكن لنا إنهاؤه بعد ذلك إلا بهمم أولئك الإخوان الكرام المشتركين والمؤازرين،الذين لولا مثلهم لما كان لمجلة علمية أن تعيش في الجزائر إلى اليوم ، فهم أصحاب هذه المجلة،وهم أصحاب الفضل بها .

وإذا كان حقا علينا أن نذكر هؤلاء السادة الذين يعملون على حياة هذه المجلة،فإن حقا آخر علينا أن نذكر قوما آخرين من الذين يعملون على قتلها من حيث لا يشعرون،وأولئك هم الذين يتأخرون بدفع بدل الاشتراك الزهيد،بعد مكاتبتهم وتذكيرهم السبع والثمانى مرات،فلا هم يدفعون،ولا هم يعتذرون،ولا هم يجيبون،فيحملون الإدارة بمصاريف المكاتبة مع بدل الاشتراك المتأخر ضغثا على ابالة وليست هذه الابالات ذوات الاضغاث بالشيء القليل الذى يتحمله كاهل الإدارة على ضعفها ، بل هي بمجاوزتها للمائتين قد صارت عبئا ثقيلا لا تنوء به الإدارة إلا بجهد جهيد .

لقد كنا ــ لولا هؤلاء السادة المتأخرين (1) عازمين على زيادة توسعة وتحسين في نطاق المجلة ووضعها . ولكنهم تأخروا فتأخرنا، وعسى الله أن يجعل بعد العسر يسرا ، وبعد الشح سخاء ، وبعد الإهمال اعتناء،فنبلغ بهذه المجلة حيث نأمله لها من رقي في خدمة الدين والعلم والوطن .

والله يسدد خطى الأمة ــ ونحن في جملتها ــ إلى ما فيه سعادتنا وفلاحها في الدنيا والآخرة،بلطف منه وتيسيره ، إنه اللطيف الخبير (2) .

---

(1) هكذا في الاصل والصواب ، المتأخرون .

(2) ش: ج 12 ، م 6 ، غرة شعبان 1349 هـ ــ جانفي 1930 م .

تنبيـــــه

ما ينشر في باب رسائل ومقالات هو على عهدة كاتبيه،فمن رأى فيه ما لا يوافق عليه فليباحث فيه صاحبه،وباب المباحثة والمناظرة في المجلة مفتوح لهما . لا نقول هــذا تبريا من كتابنا أو فرارا من مسؤولياتهم،وإنما نقوله :

أولا ـ لثقتنا بكفاءتهم في تحمل مسؤولية كتاباتهم والجواب عن أنفسهم بالعلم والأدب والإنصاف .

ثانيا ـ لفتح مجال البحث والمناقشة العلمية النزيهة بين الكتاب، فنعم المشحذ للذهن والمظهر للحقيقة هي :

دعانا إلى كتابة هذا أن بعض الناس اندهش مما كتبــه صاحب مناظرة المصلح والمحافظ في مسألة الأفعال النبوية ، ومسألة تقسيم البدعة ، ومسألة لزوم الحق لجانب الكثرة،وعوض أن يوجه بحثــه وسؤاله إلى كاتب المناظرة وجهه إلى صاحب « الشهاب » الذى وقف اسمه كالشجا في حلقه،فلم يستطع أن يذكره . وصاحب « الشهاب » يرد (1) لو أن هذا الباحث يوفق إلى الإتيان إلى قسنطينة فيفيده هذه المسائل من كتبها بدلائلها وأقوال الأئمة فيها ، ويعتقد أنه لو وفق إلى هذه السفرة لحمد غب سراه،وعدها من خير أيامه،ويعيذه باللــه من أن ينفخ الشيطان في أوداجه فينكبر عن الرحلة للعلم وتحصيله،

(1) كذا في الاصل . والظاهر يــود .

وأما الجواب فى الصحيفة فإنه يدعه لصاحب المناظرة،لأنه يرى أن الجواب على بحث يتعلق بمناظرته تعد خارج (2) عن سياج الأدب .
والامر المهم أكثر مـن هذا كله الذى يجب على أن أنبهك عليه ويحرم علي إقرارك عليه هو كذبك وافتراؤك ـ والله يغفر لك إن تبـت ـ في الحديث الشريف فانك قلت هكذا بالحرف : « وأخـرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة : إن أمتي لم تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم » وهذا المتن لا وجود له في البخارى ولا فى مسلم البتة . فبأي شيء نسمي صنعك هذا وجرأتك عليه،ومن كـان قدوتك فيه ... أأنـت الذي سميـت نفسك في إمضائك (أحد كتاب أهل السنة) ترتكب هذا الافتراء على السنـة! أهكذا كتاب السنة يكونون ؟ أهذا هو القدر الذي عندك من السنة التي أضفت نفسك إليها ؟

هداك الله أيها الأخ وعرفك قدرك،ورزقك احترام السنة التي ألصقت نفسك بها،ثم بعدما نبهتك فهل تعترف بالحق وتنشره حيث نشرت الباطل ؟ أم تسكت أنت الآخر . ويخنقك الكبر عـن لفظ الحقيقة. نصيحتي لك أيها الأخ ولأمثالك أن تقرأوا العلم،وتلتزموا الصدق،وتتقدموا حينئذ للعمل،فأما هذا الخبط وهذا الكذب وهذا التجرى فشيء نعوذ بالله منه ، ونسأل الله أن يقينا والمسلمين شر غائلته وسوء عاقبته (3) .

---

(2) كذا في الاصل والظاهر : يعد خارجا .

(3) ش : ج 12 ، م 8 ، شعبان 1351 هـ ـ ديسمبر 1932 م .

فاتحة المجلد التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم

يخطو الشهاب خطوته التاسعة ، نحو غايته الشريفة السامية ، بقدم ثابتة ـ إن شاء الله تعالى ـ وأمل كبير يذكر أنصاره ومؤازريه بالثناء الجميل، ويرجو لهم ولغيرهم كل خير، يدعو في مستقبله كما دعا في ماضيه ـ إلى الله ، بكتاب الله وسنة رسول الله، مهتديا ـ إن شاء الله ـ هدي السلف الصالحين، والأئمة الهادين المهديين ، ويعرض للمسائل الجزائرية في حق ونزاهة وشيء كثير من الرفق واللين ، داعيا إلى المساواة بين جميع المتساكنين ، داعيا إلى التعارف والتقارب والتفاهم بين سكان الجزائر أجمعين ، داعيا إلى حفظ النظام ، ومراعاة الجوار، واحترام القوانين، سائلا من الله تعالى العون والتوفيق للعمل الخالص المثمر النافع للجميع (1) .

(1) ش : ج 1 ، م 9 . رمضان 1351 هـ ـ جانفي 1933 م .

مجلة الشهاب والحركة الاصلاحية

الحمد للـه على آلائه ، والصلاة والسلام على خير انبيائه

وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأبنائه

وبعد،فإن مجلة (الشهاب) تفخر بأنها أنشئت للحركة الإصلاحية ورافقتها في جميـع مراحلها،وأنهـا هاجمت البـدع في معاقلها وواثبت الخرافات في أيـام عزها واشتدادها ، وساورت الأباطيل على احتفالها واستعدادها،لم تهن لها عزيمة في موقف من المواقف التي تخور فيها العزائم وترجف الأفئدة ، ولم يكتب (1) لها قلم في ميدان من الميادين التي تنعقد فيها الألسنة وتجبل القرائح .

وهي اليـوم تعلـن فخرها واغتباطها بما وصلت إليه الحركـة الإصلاحية من نتائج اتسع مداها،وطبق الخانقين (2) صداها،مكتفية من الجزاء بهذه الغاية ومن الآيات على إثمار عملها بهذه الآية ، وقد كان مـن الاجتماع السنوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في هذه السنةما أقـام على ما ادعيناه الدليل ــ وقطع عـلى المكابرين السبيل ، وعلى ذلك فمجلة الشهاب تعد من المسلهمة لجمعية العلماء المسلمين إلى الابتهاج بالنتائج الصالحـة التى تجلـت في اجتماعها الأخير ، أن تتقدم إلى قرائها بهـذا العـدد خاصا لجمعية العلمـاء المسلمين الجزائريين،ومخلدا لوصف ذلك الاجتماع الرهيب ، ومـا قيل فيه كما تقدمت إليهم بالعدد الذى قبله خاصا بالطلبة،تنشيطا لهـم،وتقوية لعزائمهم،واستفزازا للهمـم لإعانتهم فى جهادهـم العلمي (3) .

---

(1) كذا وفى الاصل والظاهر : ولم يكب .

(2) كذا فى الاصل والظاهر : الخافقين .

(3) ش : ج 9 ، م 10 ، جمادى الاولى 1353 هـ ــ 12 أوت 1934 م .

بعد عقد من السنين

في يوم النحر من ذي الحجة خاتمة شهور عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف، برزت جريدة « المنتقد » تحمل فكرة الإصلاح الديني بتنزيه الإسلام عما أحدثه فيه المبتدعون، وحرفه الجاهلون . وبيانه كما جاء في القرآن العظيم والسنة المطهرة وعمل به السلف الصالحون، معلنة أن المسلمين بذلك وحدة تصفو عقائدهم، وتزكو نفوسهم، وتستقيم أعمالهم، وينبعثون عن قوة وبصيرة في الأخذ بأسباب الحياة الراقية والمدنية الطاهرة . مشاركين لأمم الدنيا في خدمة الإنسانية وترقية وتوسيع العمران ، سالمين مما تشكو منه أمم الحضارة التي غلبت عليها المادية والأنانية، وتفشت فيها أمراض ليست من التمدن الحقيقي في كثير ولا قليل .

برزت جريدة « المنتقد » تحمل هذا وتلفت الجزائريين المسلمين إلى حقيقة وضعيتهم بين الأمم بأنهم أمة لها قوميتها ولغتها ودينها وتاريخها، فهي بذلك أمة تامة الأهمية لا ينقصها شيء من مقومات الأمم . وأنهم إلى ذلك مرتبطون بأمة عظيمة ذات تاريخ مجيد، ومدنية راقية، وحكومة منظمة، وأن عليهم أن يراعوا هذا كله في حياتهم فيحترموا قوميتهم، ولغتهم، ودينهم، وتاريخهم، والأمة التي هم مرتبطون بها، والحكومة التي هم مسيرون بقوانينها .

ثم ما كاد يبرز العدد الثاني منها حتى ظهر في الجزائر كتاب لم يجدوا مجالا لأقلامهم قبلها، فانضموا إلى تحريرها، وأوجدوا بهيئتهم أول حزب المصلحين .

مضت الجريدة على خطتها حتى سقطت في الميدان بقرار التعطيل، بعدما بـرز منها (18) ثمانية عشر عـددا كانت في بنيان النهضة ثمانية عشر سندا . صدرت جريدة « الشهاب » إثر تعطيل المنتقد على مباديه وخطته، فلاقت ما لاقت في سبيلهما مـن العناء والبلاء، فثبتت، وصبرت، وصابرت، وثابرت على العمل، تشتد مرة، وتلين أخرى، وصدمتها في سنتها الرابعة أزمة مالية كادت تقضي عليها، فصدرت مجلة شهرية فوق ما كانت يوم ذلك تستطيع قوتها، ثم تدرجت حسب تيسير الله حتى تممت اليوم العقد الأول من حياتها .

فالحمد لله، وشكرا لمن عاشت هذه الصحيفة بإيمانهم ومؤازرتهم. وإذا كان لها أثر فيما دعت إليه من إصلاح، وما أعلنته وخدمته من حقيقة وضعية هذه الأمة . فالفضل في ذلك لله، ثم لهم. وإذا كان من شيء وراء ذلك الأثر تغتبط بـه فهـو ــ أولا ــ أنها كانت تقصد الصواب عن نظر وصدق وإخلاص، فاذا ظهر لها خطأ رجعت، وأعلنت عـن خطئها، واعترفت بـه . كان هـذا بضع مرات مـع أصحابها وخصومها و ــ ثانيا ــ أنها ما خطت حرفا إلا بوحي ضميرها واقتناع منها، لا بوحي نـاحية ولا لإرضائها، وما أنفقت فلسا إلا مـن مالها وكيسها لا من مال ذي غاية، ولا من كيس أية هيئة .

وها هي اليـوم تخطو إلى العقد الثاني مـن عمرها على خطتها ومبدئها، مستعينة باللـه، متكلـة عليه، معتضدة برجالها وأنصارها العاملين الصادقين ، والله ولي الجميع (1) .

(1) ش : ج 1 ، م 11 ، محرم 1345 هـ ــ أفريل 1935 م .

في العشيرة الصحافية :

ثنـــاء كـــرام

(لا يجوز أن نعمل للثناء ، ولكن الثناء الذي يأتي عفوا من أهل الصدق والخبرة يسرنا ، إذ يشعرنا بأن معنا في طريق العمل مــن يرانا ويسمعنا ويتبع أعمالنا ، فيدعونا ذلك إلى الجـد في العمل والإتقان ، وشدة التوقي للخطأ والزلل ، على أن ما يقال في المجلة ليس خاصا بفرد،ولكنه يصيب كل المشاركين فى النهوض بها . وعلى هذا الذي قلنــا رأينا نشر ما قالته بعض الرصيفات الكريمات في هذه المجلة،شاكرين للرصفاء الفضلاء عطفهم وتشجيعهم) .

* * *

ما جاء في « البلاغ » الذائع

نفحة من الجزائر :

وصل إلى يعدي عدد مــن مجلة الشهاب ، وهــو العدد الخاص بالاجتماع السنوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وهو عدد طريف يشتمل على فوائد كثيرة تصور الحياة العلمية في الجزائر ، ومن أدق ما فيه ما قرأته من إصرار العلماء هناك على إلقاء عظاتهم باللغة الفصيحة . واحتجاجهم بأن البلاغة تلقن عن طريق السماع كما تكتسب بالدرس ، ومعنى ذلك أن العامــة يكتسبون الــذوق الأدبي بفضل الإكثار مــن سماع الكلام الفصيح ، كمــا يكتسبه المتعلمون بكثرة الإطلاع على الكلام الفصيح .

ذلك يقع في الجزائر ، والعامية هناك بعيدة بعدا شديدا من اللغة الفصيحة ، فليعرف ذلك الواعظون في مصر ؛ وعامية أهل هذه البلاد قريبة كل القرب من الكلام المعرب الفصيح .

وفي ذلك العدد من الشهاب قصائد تدل على أن هناك نهضة شعرية،منها هذه الأنشودة التي ألقاها الاستاذ أبو اليقظان :

أَهزارَ الروضِ غرّد بنشيدِ الوطنية
أَحمامَ الأيكِ غنّ بحياةِ العربية
بلبل الدوح تنغم لي بألحان شجية
فوق لبات الغصون اهد للجمع التحية

وهي أنشودة طويلة ، ومنها قصيدة الأستاذ الهادي السنوسي في خطاب أعضاء الجمعية :

حياك شعبك إقليما وسكانا يا هيئة قد زكت علما وعرفانا
أدركت من روحه الطهرى حشاشته
من بعد ما قيل حين الشعبُ قد حانا
شعب أضاع كثيرا من مفاخره لولاك أصبح فى الأيام نسيانا

وحرص أهل الجزائر على اللغة العربية هو من أظهر ما هم عليه من الشهامة والرجولة والإباء . فإليهم ، على بعد الدار ، أطيب التحيات .

ــ زكي مبارك ــ

* * *

ما جاء في « القلم » البليغ

وصلنا عدد خاص من مجلة الشهاب الغراء التي تصدر في قسنطينة بالجزائر، وقد زين العدد المذكور بصور طلبة صديقنا

الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الحميد بن باديس،وقد تصدر حضرته الصورة الأولى من تلك الصور، فإذا بنا نرى جلالا ومهابة في وجه الشيخ ذي الأيادي البيضاء على العلم واللغة فى تلك البلاد المنكودة الحظ،التي لولا حضرة الشيخ وأمثاله لماتت اللغة العربيـــة في الجزائر لا محالة .

فإلى حضرة الشيخ الفاضل الكريم تحيتنا القلبية،وتمنياتنــا الطيبـــة .

* * *

ما جاء في « الزهرة » الزاهرة

الشهـاب النـير

في عقـده الثـاني الحفيـل

استقبلت رصيفتنا « الشهــاب » الزاهرة الــتي تصدر عــن قسنطينة من القطر الجزائرى الشقيق عامها الحادي عشر، أو عقدها الثاني بعدد حافل بالمواضع المهمة،والبحوث المفيدة،في تحريـــر نفيس،وأسلوب ممتع كثيرا ما ألف لها ولحضرات السادة محرريها، وبالمقدمة حضرة العالم الجليل صديقنا الشيخ عبد الحميد بن باديس السلفي الصميم .

والعدد على ورق صقيل في 64 صفحة متقن الطبع،جميع التنسيق، طيه صور شمسية للأستاذ ابن باديس تمثله ممسكا لمصحف ايماءة لطيفة إلى لزوم التمسك بالقرآن الكريم وتعاليمه الحكيمة،وتتقدم ذلك كلمة المجلة وما تضمنته : (فالحمد لله وشكرا لمن عاشت هذه الصحيفة بإيمانهم ومؤازرتهم،وإذا كان لها أثر فيما دعت إليه من

إصلاح،وما اعلنته وخدمته من حقيقة وضعية هذه الأمة،فالفضل في ذلك لله ثم لهم) .

تهنئة حارة للزميلة فيما توفقت لانتهاجه نحـو إشاعة الإسلام وبث تعاليمه،وما غنمته الجزائر بآثارها البارزة في ميادين العرفان المنبثقة عن أشعة ذلك (الشهاب النير ومشكاتـه الوضيئـة،وفي الوقت نؤمل له مزيد التقدم واطراد الرواج حتى يثمر الأمـل المرغـــوب) .

* * *

ما جاء في « الزهو » العذبة

مجلة «الشهاب» الغراء

استأنفت الصدور هذه المجلة الراقية بعـد أن أدخلـت عليهـا إدارتها تحسينات جمة،وترقيات صيرتها من أرقى المجلات في العالم العربى،وقد قررت طبع هدايا مع كل عـــدد بمناسبـــة دخولها لعامها (١١) لأشهر مشاهير القطر الشقيق الجزائرى ، وجاء فعـلا مع الجزء المتحدث عنه رسم جميل للأستاذ العلامة المصلح الشيـخ عبد الحميد بن باديس،رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريـين ورئيس تحرير (الشهاب).فنهني الزميلة الكريمة بعامها ، ونرجو لها طول العمروعظيم الرواج والانتشار في كافة الأقطار (١) .

(1) ش : ج 2 ، م 11 ، صفر 1354 هـ ـ ماى 1935 م .

عـــودة (البصائر)

الحمد لله ولي المؤمنين ، وناصر المحقين ، والصلاة والسلام على سيدنا « محمد » إمام المتقين ، وقدوة المصلحين الصالحين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين وتابع التابعين لهم بإحسان،وعلينا معهم إلى يوم الدين .

وبعد؛فعلى اسم الله ربنا وبمعونته وحده نستأنف المسير في خطتنا ، ونعيد الكرة في إصدار جريدتنا جريدة (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) ولسان حالهم،فقد صدرت إدارة الحكومة العليا لنا بإصدارها،وتحصلنا منها على الإذن بذلك ، حيث زالت الموانع،وحطمت تلك القيود والأغلال التي احكم صنعها دعاة الفتنة،وحاكت حبائل دسائسها يد المغرضين « وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ » .

أما خطتنا التي سنسير عليها فهي تلك الخطة المعلومة والمبينة في جرائد جمعية العلماء السابقة . ولكي لا نذهب بالقاري بعيدا أو نحيله على معدوم غير معلوم،ننقل له هنا الكلمة القيمة الواضحة التي حررها قلم رئيس الجمعية نفسه في العدد الأول من جريدة « الشريعة » المعطلة ، فإن فيها ما يشفي العليل،ويبرىء الغليل، حيث يقول :

« وبعد،فما ينقم علينا الناقمون ؟ أينقمون علينا تأسيس جمعية دينية إسلامية تهذيبية،تعين فرنسا على تهذيب الشعب وترقيته

ورفع مستواه الى الدرجة اللائقة بسمعة فرنسا ومدنيتها وتربيتها للشعوب وتثقيفها ، فإذا كان هذا ما ينقمون علينا فقد أساءوا إلى فرنسا قبل أن يسيئوا إلينا ، وقد دلوا على رجعية فيهم وجمود لا يتناسبان مع المبادىء الجمهورية ولا مع حالة هذا العصر ، أفتكون في الهند جمعيات للعلماء تقوم بأعمالها بغاية الحرية والهناء عشرات من السنين تحت السلطة الانجليزية الغاشمة القاسية، وتضيق صدوركم أنتم عن أن تكون جمعية واحدة للعلماء المسلمين بالجزائر تحت المبادي الجمهورية العادلة المشعة بعلومها على الأمم فتناهضوها،وهي ما تزال في المهد،أفظننتم أن الأمة الجزائرية ذات التاريخ العظيم تقضي قرنا كاملا في حجر فرنسا المتمدنة ، ثم لا تنهض بجنب فرنسا تحت كتفها،يدها في يدها،فتاة لها من الجمال والحيوية ما لكل فتاة أنجبتها أوربتها مثل تلك الأم،أخطأتم يا هؤلاء التقدير،وأسأتم الظن بالمربي والمربى ، وبعدتم عن العلم بسنن الكون في نهضات الأمم بعضها ببعض عند الاختلاط أو التجاور أو الترابط بشيء من روابط الاجتماع .

انظروا شيئا إلى ما حواليكم من الأمم ، وتأملوا فيما تنادي به الشعوب،وما تعلنه من مطالب،فإنكم إذا نظرتم وتأملتم حمدتم لهذه الجزائر الفتية نهضتها الهادئة،وتمسكها المتين بفرنسا،وارتباطها القوي بمباديها، وعدها نفسها جزءا منها ، وقصرها لطلبها منها على ان تعطى جميع حقوقها ، كما قامت بجميع واجباتها ، وأن لا يتقدمها في أيام السلم من قد لا يساويها في أيام الحرب .

لا إخالكم تنظرون ولا تتأملون، فإن الأثرة المستولية على النفوس حجاب كثيف يحول دون رؤية الحقائق كما هي،ويحول حتى دون رؤية مصلحة فرنسا الحقيقية نفسها . وإني لأفهم من مناهضتهم العجيبة للجمعية،وهي جمعية دينية تهذيبية بعيدة عن كل سياسة ـ انكم لا تريدون من الجزائر إلا أن تبقى جامدة،وأن لا تتمتع

بشيء من الحق إلا ما لا غناء فيه ولا بقاء معه . ولعمر الحق أن من يريد هذا بالجزائر اليوم لمخالف للشريعة والطبيعة،إذ من الطبيعي ان تتحرك الجزائر ضمن الجمهورية الفرنسية في زمان تحرك ما فيه حتى الحجر ، ومن الشرعي أن تنال منها من الحقوق كفاء ما قامت به من الواجبات .

أستكثرتم على الجزائر أن تكون لها جمعية لها منزلتها العظيمة في قلبها،وجريدة لها قيمتها الكبيرة في نظرها ؟ فنبشركم أنه سيكون للجزائر الفرنسية جمعيات وصحف ، وسيكون لها وسيكون، حتى يقف المسلم الجزائري مع أخيه من بقية أبناء فرنسا على قدم المساواة الحقة التي يكون من أول ثمراتها الاتحاد الصحيح المنشود للجميع .

أم هالكم أن يكون في أبناء الجزائر الفرنسوية من لا يزحزحه عن مبدئه وعد ولا وعيد، ولا يستهويه رنين ولا زخرفة ؟ فنبشركم بأن الجزائر المفطورة على مبادئ الإسلام والمتغذية بمبادي فرنسا أنجبت وتنجب رجالا كما رأيتم وفوق ما تظنون رجالا تفتخر بهم فرنسا كما تفتخر بسائر أبنائها الأحرار .

كونوا كما تشاءون أيها السادة فلكم ـ وأنتم تمثلون ما تمثلون ـ كل احترامنا ، وظنوا بنا ما تشاءون،فإنا على بصيرة من أمرنا، ويقين من استقامة خطتنا ونبل غايتنا ، ومهما تبدلت اعتقاداتنا في أناس بتبديل معاملاتهم لنا فلن تتبدل ثقتنا بفرنسا وقانونها .

وعلى خطتنا المستقبلة وهي نشر العلم والفضيلة ومقاومة الجهل والرذيلة .

وعلى غايتنا النبيلة وهي تثقيف الشعب الجزائرى المرتبط بفرنسا،ورفع مستواه العقلي والخلقي والعلمي إلى ما يليق بسمعة فرنسا .

وعلى ثقتنا بعدالة فرنسا وحرية الأمة الفرنسية وديمقراطيتها

ـ أسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وأسست جريدة « السُّنة » المعطلة ، وأسسنا اليوم بدلها جريدة « الشريعة المطهرة » ـ وستقوم إن شاء الله ـ مقامها،وتحل من القلوب محلها . والله المستعان،وهو حسبنا ونعم الوكيل (1) .

(1) البصائر : السنة الاولى ، عدد 1 ـ 1 شوال 1354 هـ ـ 27 ديسمبر 1935 م.

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وآله وسلم

فاتحة العام الثاني من العقد الثاني

على اسم الله نخطو هذه الخطوة نحو الغاية التي نعمل إليها من ترقية المسلم الجزائري في حدود إسلاميته التي هي حدود الكمال الإنساني ، وحدود جزائريته التي بها يكون عضوا حيا عاملا في حقل العمران البشري .

وليس ما ندعو إليه ونسير على مباديه من الإصلاح بأمر يخص المسلم الجزائري ولا ينتفع به سواه ، كلا ، فإن صحة العقيدة واستنارة الفكر ، وطهارة النفس ، وكمال الخلق ، واستقامة العمل ـ وهذا هو الإصلاح كله ـ مما يشترك في الانتفاع به جميع المسلمين بل جميع بني الإنسان . وإنما نذكر المسلم الجزائري لأنه هو الذي قدر أن يكون منا ونكون منه كما يكون الجزء من كله والكل من جزئه،فحاجته أشد،وحقه أوجب ، فكان المقصود بالقصد الأول . على أنه لم يذكر لتخصيصه وانما ذكر ليشعر بنفسه فيعمل لإسلامه وجزائريته،فيكون ذا قيمة ومنزلة في المجتمع .

عمل الماضي :

نحن ـ بحمد الله ـ ما عزمنا على مد خطوة إلى الأمام،والتفتنا إلى ما كان من أثر سيرنا،وما مضى من خطواتنا ـ إلا وجدنا ذلك

الشعور قد نما،وألفينا العمل بمقتضاه قد زاد . وها نحن نعرض صورة السنة الماضية لنرى فيها مصداق ما قلناه .

التعليم :

ولا أدل على وجود روح الحياة في الأمة وشعورها بنفسها ورغبتها في التقدم من أخذها بأسباب التعليم : التعليم الذي ينشر فيها الحياة،ويبعثها على العمل،ويسمو بشخصيتها في سلم الرقي الإنساني،ويظهر كيانها بين الأمم .

وقد تأسست في السنة الماضية جمعيات،وفتحت مكاتب،وتأسست نوادي،ونهض المصلحون في العاصمة بأبي النوادي كلها ؛ نادي الترقي ، نهضة جديدة إصلاحية خالصة . وطلبت عدة جهات معلمين للمساجد غير الحكومية،واشتريت بتلمسان وقسنطينة وميلة دور للتعليم،وتزايد عدد الوافدين من الطلاب على الجامع الاخضر،وعلى جامع الزيتونة،وعلى الجهات التي فيها دروس منتظمة.

وهذا والمساجد ما تزال مغلقة في وجوه العلماء،ورخص التعليم الحر ما تزال غير معطاة لهم،ولولا ذلك لكانت النهضة العلمية أكثر بكثير مما كانت .

الإصلاح :

بقدر ما كان تمسك الأمة بأسباب العلم كان رفضها للجمود والخمود والخرافات والأوضاع الطرقية المتحدرة للفناء والزوال، حتى أصبح القطر الجزائري كله يكاد لا تخلو بيت من بيوته ممن يدعو إلى الإصلاح،وينكر الجمود والخرافة ومظاهر الشرك القولي والعملي،وأصبحت البدع والضلالات تجد في عامة الناس من يقاومها وينتصر عليها .

ومن أجمل مظاهر انتشار الإصلاح وانتصاره أن خصومه بعد ما كانوا يقاومون ما يدعو إليه من نشر التعليم بالعرقلة والتزهيد أصبحوا لا يستطيعون أن يظهروا للأمة إلا بمظهر المعلمين . فهم لأجل حفظ مراكزهم اليوم مضطرون لتأييد العلم ـ ولو ظاهرا ـ العلم الذي يقضي عليهم في المستقبل بإذن الله .

نعم هنالك طائفة من المنتسبين للعلم،ومن طلبة القرآن معروفون عندنا بأسمائهم،يتسترون باسم العلم والقرآن ، ويبثون في الناس ما يتبرأ منه العلم والقرآن،ولعل هذه السنة تكون سنتهم فيستنزلهم المصلحون للميدان ليعرفوا الحق فيكونوا من أنصاره،أو يكابروا فيه فيعرفهم الناس فيحذروهم ويتقوا شرهم .

أمـــل المستقبـــل :

إذا نظرنا في عمل الماضي الذي قدمنا انبعث فينا الرجاء والأمل فيما نستقبل ، وأصدق الأمل ما انبنى على عمل ، فنتقدم ـ بإذن الله ـ للعمل في سبيل ترقية المسلم الجزائري،داعين إلى العـدل والإحسان والألفة والرحمة بين جميع المتساكنين بهذا القطر، وإلى التفاهم والتعاون على ما فيه هناء وسعادة الجميع (1) .

(1) ش : ج 1 ، م 12 ، محرم 1355 هـ ـ ابريل 1936 م .

فـاتحة السنـة (13)

بسم الله الرحمن الرحيم ـ وصلى الله على محمد وآله وسلم

بهذا الجزء نستفتح السنة الثالثة عشرة من سنوات هذه المجلة ، حامدين الله تعالى على ما يسر من عمل للإسلام والجزائر ، شاكرين لكل من أعان على هذه الخطوات في هذه السبيل .

وسنخطو هذه الخطوة ـ إن شاء الله تعالى ـ على ما عرفه الناس من مبدئنا في الإصلاح الديني من ناحية العقائد والأخلاق والأفكار والأعمال ، تصحيحا وتهذيبا وتنويرا وتقويما . كل ذلك في دائرة الإسلام كما نـزل بـه القرآن، وبينته السنة، ومضى عليه ـ علمـا وعملا ـ السلف الصالح من هذه الأمة . وعلى ما عرفوه من مبدئنا في الإصلاح السياسي ، وهـو المحافظة التامة عـلى جميع مقوماتنا ومميزاتنا كأمة لها مقوماتها ومميزاتها ، والمطالبة بجميع حقوقنا السياسية والاجتماعية لجميع طبقاتنا دون الرضى بأي تنقيص أو أى تمييز، كما قمنا بما أوجب علينا ، والتعاون على هذين الأساسين مع كل أحد من أي جنس وأي دين مد يده للتعاون معنا .

وقد بلغنا ـ والحمد للـه ـ من النجاح فى الإصلاح الديني أن أصبح الذين كانوا يعارضوننا لا يستطيعون أن يروجوا لأنفسهم إلا باسم العلم والكتاب والسنة . وفقهم الله إلى ما يصدقهم . وبلغنا ـ والحمد لله ـ من النجاح في الإصلاح السياسي أن أصبح أمـــر المحافظة على شخصيتنا أمرا إجماعيا حتى ممن كان لا يباليه أو لا

يشعر به ، ومعترفا به ـ رسميا ـ شيئا ضروريا في كـل برنامج يوضح للجزائر .

هذا،وإذا كان شيء يؤلمنا حقا ويوجب شكوانا لمن يهمهم بقاء هذه المجلة ـ فهو تأخر نحو شطر المشتركين عن أداء اشتراكهم أكثر من سنة،مع علمهم بأن هذه المجلة لا مورد لها إلا منهم فقط ، وقد عزمنا على قطعها ـ مع الأسف ـ عن جميع المتخلفين إلا المعتذرين .

وإلى هذا فنحن نجدد شكرنا لأولئك الذين وازرونا ـ ماديـا وأدبيا ـ حتى أمكننا ـ بإذن الله ـ البقاء إلى اليوم . وإننا عندما نشعر بثقتنا بالله ثم بهم نجد في أنفسنا القوة التي نندفع بها إلى الأمام في جميع الأعمال . والله المستعان ، وعليه التكلان (1) .

---

(1) ش : ج 1 ، م 13 ـ 1 محرم 1356 هـ ـ 14 مارس 1937 م .

بيـــان واعتـــذار

وردت علينا رسائل من قــراء الشهاب الأفاضل المتننين بجمـع مجلداته طالبين للأجزاء المتأخرة،فوجب علينا أن نبين ما صدر من الأجزاء في المجلد الرابع عشر .

صدر الأول في 19 صفر 1357

صدر الثاني في 28 ربيع الاول 57

صدر الثالث في 7 جمادى الأولى 57

صدر الرابع والخامس خصصا لمـا قيل وما كتب بمناسبة ختـم التفسير ، وقد تم طبعه وهو الآن بين يـــدى الأستاذ الإبراهيمي للمراجعة .

وصدر الجزء السادس في 5 رجب 57

وصدر الجزء السابع فى 17 شعبان 57

وصدر الجزء الثامن فى 19 رمضان 57

وصدر الجزء التاسع في 8 ذي القعدة 57

وبه أنهينا المجلد الرابع عشر ودخلنا المجلد الخامس عشر، عازمين على إصدار كــل جزء في وقته،وستكون أجزاؤه عامرة ــ إن شـاء الله ــ تعوض على القراء وترضى ضميرنا بما لهم من الحق علينا (1)

(1) ش : ج 9، م 14 ، رمضان 1357 هـ ــ نوفمبر 1938 م .

فاتحة السنة الرابعة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم ـ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

بحمد اللـه وتوفيقه وإعانته ثـم بشكر المشتركين بعقولهم أو مالهم وتأييدهم ـ نخطو خطوة جديدة بهذه المجلة في ميدان الحياة ، على ما عرفه القراء منا من صراحة في الرأي ، وصلابة في الحـق ، ورغبة في الخير، نعمل لصلاح الأمة في دينها ودنياها على نور الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح، فتتمسك الأمـة بإسلامها وعروبتها، وتحافظ على قوميتها وتاريخها، وتتناول أسباب الحياة والتقدم من كل جنس وكل لغة ، وتعمل مع كل عامل لخـيـر البشرية وسعادة الإنسان .

على هذه الأصول وفروعها مضت الثلاث عشرة سنة من حيـاة هذه المجلة، وقد شاهدت من آثار تلك الأصول في الأمة ـ بحمـد الله ـ ما زادها إيمانا بهذه الأصول وفروعها، وثباتا فيها، وصبرا على ما تلقاه في سبيلها . ولأجل أن يشاركنا الجدد من قرائنا في هذا الإيمان نعرض شيئا من تلك الآثار، نقتطفها من الماضي بنظرة مختصرة .

الشبـــاب :

أعلن « الشهاب » من أول يومه ـ و « المنتقد » الشهيد قبله ـ أنه « لسان الشباب الناهض في القطر الجزائري »، ولم يكن يوم ذاك من شباب إلا شباب أنساه التعليم الاستعماري لغته وتاريخه

ومجده،وقبح له دينه وقومه ، وقطع له من كل شيء ـ إلا منـه ـ أمله ، وحقره في نفسه تحقيرا ، وإلا شباب جاهل أكلته الحانات والمقاهي والشوارع ، ومن وجد العمل منه لا يرى نفسه إلا آلـة متحركة في ذلك العمل،لا هم له من ورائه في نفسه،فضلا عـن شعوره بأمر عام . وإلا شباب حفظه الله للإسلام والعروبة،فأقبل على تعلمها،لكنه تعلم سطحي لفظي خال من الروح لا يعتز بماض ، ولا يألم بحاضر ، ولا يطمح لمستقبل، اللهم إلا أفرادا قلائل جدا هنا وهنالك .

أما اليوم فقد تأسست في الوطن كله جمعيات ومدارس ونواد باسم الشباب والشبيبة والشبان،ولا تجد شابا ـ إلا نادرا ـ إلا وهو منخرط في مؤسسة من تلك المؤسسات وشعار الجميع : الإسلام ، العروبة ، الجزائر .

الـوطـــن .

وأعلن (الشهاب) من أول يومه ـ و (المنتقد) الشهيد مـن قبله ـ أن (الوطن قبل كل شيء)،وما كانت هذه اللفظة يومئـذ تجري على لسان أحد بمعناها الطبيعي الاجتماعى العام لجهل أكثر الأمة بمعناها هذا وعدم الشعور به ، ولخوف أقلها من التصريح به . أما اليوم فقد شعرت الأمة بذاتيتها،وعرفت هذه القطعة من الأرض التي خلقها الله منها ومنحها لها ، وأنها هي ربتها وصاحبة الحق الشرعي والطبيعي فيها ، سواء اعترف لها به من اعترف أم جحده من جحد ، وأصبحت كلمة (الوطـن) إذا رنت في الأذان حركت أوتار القلوب ، وهزت النفس هزا .

فـرنســا :

أعلن (الشهاب) من أول ـ و (المنتقد) الشهيد من قبله ـ أنه (يعمل لسعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرانسا الديمقراطية)

فصور بكلمته هذه الحقيقة الواقعة عارية من براقش الخيـــال وحجب التلبيس والتضليل ، فوضع الأمة الجزائرية بإزاء الأمة الفرنسية ، إذ كل منهما لها ذاتيتها ومقوماتها ومميزاتها القلبية والعقلية والنفسية والتاريخية ، التي يستحيل معها أن تندمج في أمة أخرى ، وضعها بإزائها على أنها تابعة لها مرتبطة بها محتاجة إلى مساعدتها .

على هذه الحقيقة ناهض (الشهاب) التجنس والاندماج،وناضل عن الشخصية الإسلامية غير مبال بما يعترضه من غلاة الاستعمار أكلة الأمم ، ولا من صرعاهم من ضعاف النفوس ، ولا من صنعائهم خربى الذمم ، حتى أصبحت الأمة اليوم وهي مجتمعة بجميـــع طبقاتها على لزوم المحافظة على شخصيتها وعدم التنازل عن شيء منها ولو حرمت كل حق بيد الظلم والعدوان ، مع بقائها على فكرة الارتباط بفرنسا ومطالبتها بإنصافها قبل أن تنصفها الأيام وقبل أن تحل نقمة الله الذي جرت سنته بالانتقام من الظالم للمظلوم ولو طال الزمان .

الإدارة :

عانى (الشهاب) من الإدارة بسبب صراحته وجرأته ما عانى ، ولكنه صبر حتى ألفت الإدارة تلك الصراحة وتلك الجرأة ، وقد عرفتها الأيام أن صراحة (الشهاب) صراحة الحق والصدق ، وأن لا غرض وراءها إلا خدمة الصالح العام ، وأن جرأته جرأة الواثق بصدق قوله وحسن قصده،لا المغتر بنفسه ولا المستهين بمقام غيره، وهي اليوم تعتنى بالشهاب عناية خاصة ، وتتولاه أقلام للترجمة عديدة ، أعلاها قلم الأستاذ ماسينيون في وزارة الداخلية ، وقد اشترك فيه م. سارو لما أنيطت به إدارة افريقيا الشمالية،ونحن نعلم أنه يعتبر في الدوائر الحكومية المعبر الحقيقي عـن الجزائر

العربية المسلمة ، الذى لا يثنيه عن تصوير الحقيقة خوف ولا طمع، ولا يحجبها عنه غرض ، ولا يبعده عنها خيال . وأن (الشهاب) ليغتبط بهذا،ويرجو من الله تعالى أن يثبته عليه حتى يخدم أمته من هذه الناحية لدى الحكومة،ويكون أداة تعريف صحيح وواسطة خير للجميع .

الأمـــة :

برغم ما في الأمة الجزائرية من أصول الحيوية القومية ، فقد عركتها البلايا والمحن حتى استخذت وذلت ، وسكتت على الضيم ، ورئمت للهوان ، وبرغم ما بينها من روابط الوحدة المتينة ـ فقد عملت فيها يد الطرقية المحركة تفريقا وتشتيتا ، حتى تركتها أشلاء لا شعور لها ببعضها ولا نفع ، تتخطفها وحوش البشرية من هنا ومن هنالك بسلطان القوة على الأبدان ، أو شيطان الدجل على العقول والقلوب .

أما اليوم فقد نفضت الأمة عن رأسها غبار الذل،وأخذت تنازل وتناضل ، وتدافع وتعارض ، وشعرت بوحدتها فأخذت تطرح تلك الفوارق الباطلة ، وتتحلى بحلل الأخوة الحقة ، وتنضوي أفواجا أفواجا تحت راية الإسلام والعروبة والجزائر .

العلمـــاء

كان الذين يتسمون بالعلم ـ إلا قليلا ـ بين جامـــد خرافي تستخدمه الطرقية وما يحرك الطرقية في التخدير والتضليل ، وقد لا يدري المسكين ما يدس به للأمة من كيد ، وحاذق دنيوي قد غلبه الوظيف،واستولى حبه على قلبه فأنساه نفسه،وأنساه ذكر الله . وكان العلماء الأحرار المفكرون ـ على قلتهم ـ مغمورين مشتتين ، فلما برز (المنتقد) الشهيد فـ (الشهـاب) هـب أولئك العلمـاء

الأحرار المفكرون للعمل ، وتكونت النواة الأولى لجمعية العلماء .
وأصبح اليوم اسم العلماء يحمل في أثنائه كل معاني الجـــد .
والتضحية في سبيل الحياة الحقيقية دنيا وأخرى .

النـــواب :

مجلدات (الشهاب الماضية سجـل يحفظ اسم كل نائب وقف موقفا مشرفا ، يطلب حقا أو يدافع باطلا،فـ (الشهاب) ينوه بكل عامل ويشيد بذكره،ويهيب دائما بلزوم المحافظة على شخصيـة الأمة وعدم التساهل في شيء منها والمصارحة في كل موقف بأنها أمة لها لغتها ولها دينها،ولقد كان من يرى السكوت عن هذه الناحية أقرب للمجاملة ، وكان من يرى التسامح فيها والمساهلة ، وكان من يصارح ويتصلب في هذه الناحية وإن تساهل فى ناحية أخرى .

أما اليوم فقد أصبحت الأمة ولا يستطيع أحد أن يتقدم للنيابة عنها إلا إذا أقنعها بالمحافظة على شخصيتها،والدفاع عن دينها ولغتها.

وإننا لنغتبط جد الاغتباط أن نرى نواب الأمة ــ إلا قليلا ــ قد أخذوا يشعرون بما عليهم من المسؤولية في الدفاع عن الإســلام والعربية ، وأن نسمعهم ــ وقد سمعنا بعضهم ــ يرصعون خطبهم العامة بكلمات : إسلام ، عربية ، تاريخ ، وطن ، أمة،وإنا لنرجو أن تكون لهم مواقف في هذه الناحية،كما كانت لهــم مواقــف في النواحي الأخرى هذه الناحية في نظر الأمة ، وفي الواقع أجــل وأعز منها .

المصلحــون :

ليس المصلحون حزبا ــ وربما يكونونه يوما من الأيام ــ وإنما هم العاملون على الأصول التي ذكرناها آنفا ، وتحدثنا عن آثارها.

كانوا يوم رفع (الشهاب) وقبله (المنتقد) الشهيد دعـــوة الإصلاح قليلا ، وهم اليوم لا يأخذهم العدو لا تخلو بقعة مـــن نواحي القطر منهم ، قد ملأوه من أقصاه إلى أقصاه ، وقد تجلت قوتهم في الانتخابات الكثيرة بعمالة قسنطينة وعمالة وهران، وهم لم ينتظموا انتظام الأحزاب فكيف لو انتظموا ؟

الطرقيـــة :

كان الناس كأنهم لا يرون الإسلام إلا الطرقية ، وقد زاد ضلالهم ما كانوا يرون من الجامدين والمغرورين من المنتسبين للعلم مـــن التمسك بها والتأييد لشيوخها ، فلما ارتفعت دعوة الإصلاح في (المنتقد) و (الشهاب) حسب الناس، إن هدم تلك الأضاليل التى طال عليها الزمان ، ورسخها الجهل ، وأيدها السلطان ، محال . ولقد صمد (الشهاب) للطرقية يحارب ما أدخلته على القلوب من فساد عقائد، وعلى العقول من باطل أوهام ، وعلى الإسلام من زور وتحريف وتشويه ، إلى ما صرفت من الأمة عن خالقها بما نصبت من أنصاب، وشتت من كلمتها ، بما اختلقت من ألقاب ، وقتلت من عزتها ، بما اصطنعت من إرهاب ، حتى حقت للحق على باطلها الغلبة ، فهي اليوم معروفة عند أكثر الأمة حقيقتها ، معلومة غايتها ، مفضوحة دوافعها ... إذا دعاها داعي السلطان لبت خاضعة مندفعة ، وإذا دعاها داعي الأمة ولت على أعقابها مدبرة . ومن نكاية الله بها ان جعل أكبر فضيحتها على يد من يريد ممن توالتهم من دون الأمة مددها بما لها من مزايا عليه .

لا يهمنا اليوم أن نجهز على الجريح المثخن الذي لم يبق منه إلا ذماء ، وإنما يهمنا أن نبين موقفنا مع البقية من شيوخها ونسمعهم صريح كلمتنا .

حاربنا الطرقية لما عرفنا فيها ـ علم الله ـ من بلاء على الأمة من الداخل ومن الخارج،فعملنا على كشفها وهدمها بهما تحملنا في ذلك من صعاب ، وقد بلغنا غايتنا والحمد لله،وقد عزمنا على أن نترك أمرها للأمة هي التي تتولى القضاء عليها،ثم نمد يدنا لمن كان على بقية من نسبته إليها لتعمل معنا في ميادين الحياة على شريطة واحدة وهي : أن لا يكونوا آلة مسخرة في يد نواح اعتادت تسخيرهم ، فكل طرقي مستقل في نفسه عن التسخير،فنحن نمد يدنا له للعمل في الصالح العام . وله عقليته لا يسمع منا فيها كلمة،وكل طرقي ـ أو غير طرقي ـ يكون أذنا سماعة ، وآلة مسخرة،فلا هوادة بيننا وبينه حتى يتوب إلى الله .

قد نبذنا إليكم على سواء ... « إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ » .

هذا عرض سريع لصور من الماضي والحاضر ، لنواح عديدة من الأمة والوطن وما يتصل بهما ، يبين ما كان من تأثير تلك الأصول الإسلامية التي تمسك بها (الشهاب) فيها . فالله نرجو أن يثبتنا على الحق،ويعيننا على الصدع به ، وصدق تنفيذه ، وحسن تبليغه ، حتى يبلغ المسلمون كل خير وسعادة وكمال (1) .

(1) ش : ج 2 . م 14 . محرم 1357 هـ ـ مارس 1938 م .

فاتحة السنة الخامسة عشرة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على الرسول وآله

وهذه أول خطوة نخطوها ـ إن شاء الله تعالى ـ إلى العام الخامس عشر من حياة هذه المجلة،حامدين الله على عونه وتوفيقه وتيسيره ، شاكرين لأسرة المجلة ـ من مشتركيها ومحرريها وطابعيها وناشريها ـ أعمالهم التي هي أعمال في سبيل الإسلام والعروبة والجزائر ، ذاكرين كل ذي خير بكل خير .

هذا،وإننا نجدد العهد بيننا وبين قرائنا على السير على ما عرفوه فينا من صدق وصراحة وقصد للخير ، غير متملقين لأحد ولا متحاملين عليه ، مع المحافظة التامة على شخصيتنا وكل مقوماتنا الكريمة مما به كنا ، وبه بقينا ، وبه نكون ، دون تفريق في العدل والإحسان بين الأجناس والأديان .

والمجد للإسلام والعروبة والجزائر ، والسعادة للعاملين من الأفراد والأمم لخير الإنسان (1) .

(1) ش : ج 1 ، م 15 ، محرم 1358 هـ ـ فيفرى 1939 م .

خاتمة

★ الى القـارىء الكريـم ★

لم نأل جهدا ـ منذ سنوات ـ فى تتبع الصحف والمجلات ، داخل الوطن وخارجه ، لاستقراء كل ما كتبه الامام ، سواء كان بامضائه الصريح : « عبد الحميد بن باديس » أو بامضاءات أخرى اعتاد أن يكتب بها ، كـ « العبسى ، والجزائرى ، والقسنطينى » (1) .

وكان في تقديرنا أننا بانجاز هذا الجزء نكون قد ألممنا بكـل أعمال الامام ، ولكن ما ان أوشك هذا الجزء أن يأخذ طريقه الى المطبعة حتى ظهرت لنا أعمال أخرى للامام لم تصل اليها أيدينـا من قبل ، وهي موضوعات فى شتى الاغراض والمقاصد ، ستنتظم جميعها فى الجزء السادس الذى سيصدر قريبا بحول الله .

واذا كان هناك من ملاحظة يثيرها الاعجاب بغزارة تراث الامام وأصالته وتنوعه ووضوح رؤيته فى معالجة الامور من أقرب الطرق وأحكمها ، والارتياح أيضا الى أثر هذا التراث فى مختلف الاوساط العلمية والادبية والثقافية بعد نشره ـ فهى ان فى الجزائر كنوزا من الفكر قد تبعثرت فى مختلف الصحف والمجلات ، وتفرقت فى الخزائن والمكتبات ، فى المدائن والقرى ، عند الخاصة والعامـة ، كنوزا هى ثمار عبقريات صقلتها التجارب والمحن والشدائـد وتعاقب السنين ، كنوزا طالما عشيت فى سبيل تسطيرها الابصار ، وتآكلت فى صنعها الاصابع، وأنفقت في جمعها وتمحيصها الاعمار،

(1) ليس كل ما كان بهذه الامضاءات للشيخ الامام ، وسيأتى توضيح هذا فى خاتمة الجزء السادس ان شاء الله .

كنوزا فيها من مختلف العلوم والمعارف ما لو جمع ونشر لكان له شأن وأى شأن فى تفجير ثورة فكرية واجتماعية فى هذه الامـــة ، وفى تمتين الصلة بين الماضى والمستقبل .

والامة الجزائرية أمة الماضى وأمة المستقبل ، تبنى حياتها عـلى (أرضية) الماضى التى أرسى قواعدها الاسلام على (العلم والمعرفة .. والايمان العملى البناء) .

والى ان نلتقى ــ قارئنا الكريم ــ فى الجزء السادس بحول الله نودعك ، ونرجو من الله مزيدا من الاعانة والتوفيق .

الجزائر فى :	المشرف على الهيئة المكلفة باحياء التراث العلمى
29 ربيع الثانى 1411 هـ	بوزارة الشؤون الدينية
18 نوفمبر 1990 م	**محمد الصالح الصديق**

الفهـــــرس

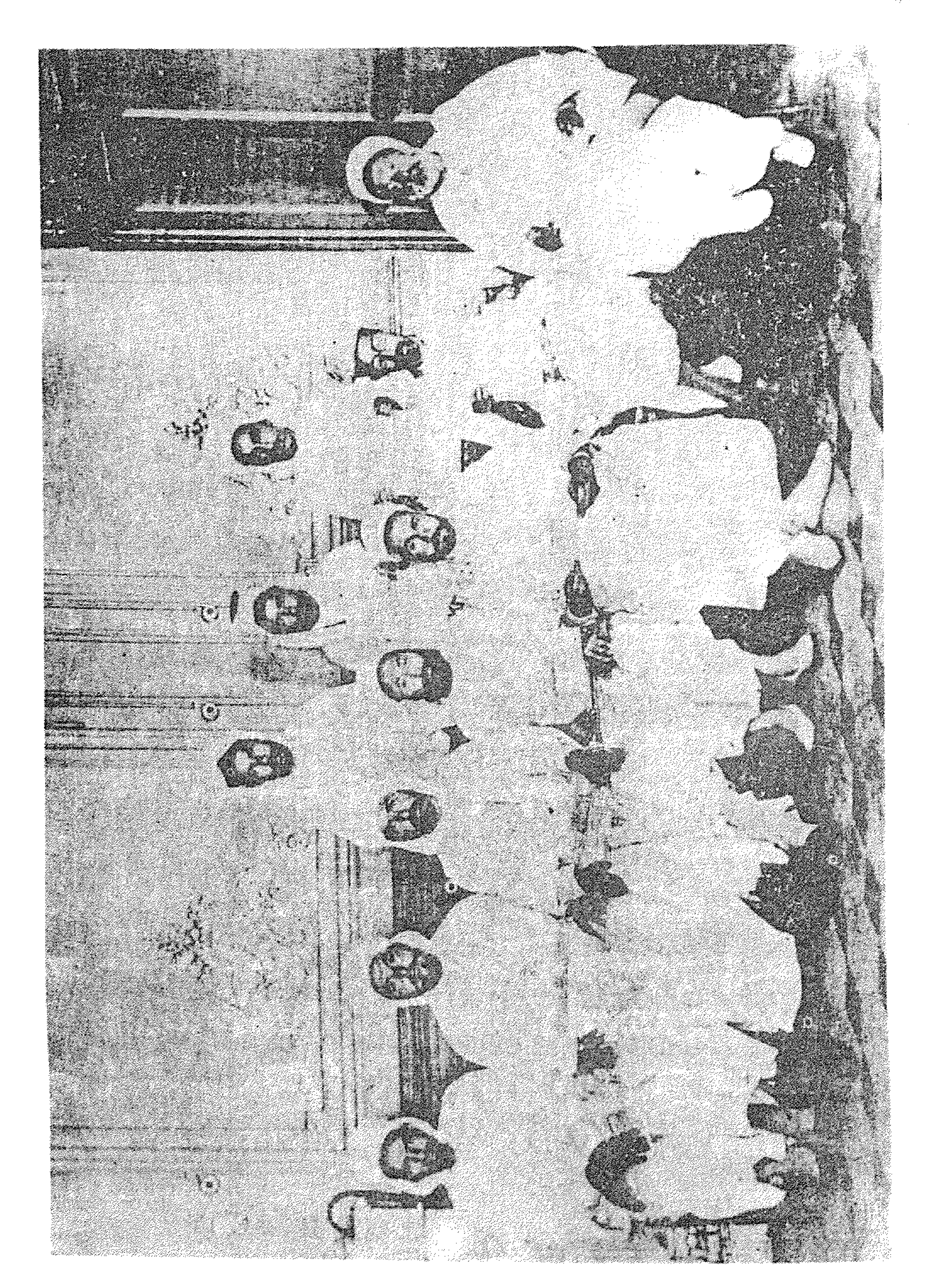
القسم الثالث : الاجتماعات

القسم الرابع : التاريـخ

القسم الخامس : البرقيات والاحتجاجات



في هذا الموقف وعلى
منصة نادي الترقي
بالعاصمة في ربيع سنة
١٩٣٨ ارتجل الشيخ الرئيس
خطابا جاء فيه:
الساعة قد دقت
وآن وقت العمل
وبعد العمل الموت
واختم
استعدوا اليوم عظيم !



ردمك: ISBN : 978-9947-24-208-7
الإيداع القانوني: 2007-2960

سحب الطباعة الشعبية للجيش
الجزائر - 2007



ISBN 978-9947-24-208-7
9 789947 242087